

كتاب الضياء







تقديم وإشراف

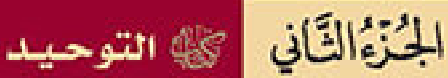
سعالي الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالله السالمي

وزير الأوقاف والشؤون الدينية

تحقيق

مصطفى بن محمد شريفي — الحاج سليمان بن إبراهيم بابزيز الوارجلاني





كتاب التوحيد

كتاب الأسماء والصفات



- التوحيد
- الأسماء والصفات


كتاب
الضياء
الجزء الثاني

الطّبْعة الأولى
١٤٣٦هـ ـ ٢٠١٥م



للعلامة أبي المنذر سلمة بن مسلم بن إبراهيم العوتبي

(ت: القرن ٦هـ / ١٢م)

تقديم وإشراف

معالي الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالله السالمي

وزير الأوقاف والشؤون الدينية

تحقيق

مصطفى بن محمد شريفي

الحاج سليمان بن إبراهيم بابزيز الوارجلاني

الجزء الثاني

تتمة كتاب التوحيد، والأسماء والصفات


بسم الله الرحمن الرحيم



فيما يجوز من صفات اللّه تعالى وما لا يجوز

تَتِمَّة كتاب التوحيد، والأسماء والصفات



/٣/[١]

الجزء الثاني من كتاب الضياء:
«فيما يجوز من صفات الله تعالى وما لا يجوز»

تأليف الشيخ العالم العلّامة:
سلمة بن مسلم العوتبي الصحاري
رحمه الله وغفر له

ويتـلـوه:

الجزء الثالث
في شيء من الأصول، والواجب على من أراد التفقُّه أن يعرف[٢] أصول الفقه، وفي الولاية والبراءة والفِرَق[٣]

---

(١) هذا الرقم بين الخطَّين المائلين /.../ هو رقم الصفحة في نسخة (ز). وهذه الصفحة في النسخة (ز) جاءت بعد صفحة ترتيب الأبواب.

(٢) في (د): «والواجب من أراد الفقه أن يتعرف»، والتصحيح من آخر صفحة من نفس النسخة.

(٣) أضاف ناسخ (ز): «لصاحبه وكاتبه ومالكه من فضل مالكه العبد الأذل لله سبحانه ﷻ عمر بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن عمر بن أحمد بن بني علي بن معد كتبه بيده لنفسه. جعله الله له [ذخرًا] في الدنيا والآخرة». وبعدها ذكر أبياتًا لشاعر أولها: «والله للنوم على الديباج...». ثمَّ رواية عن ابن عباس في شأن كلب أصحاب الكهف.

/١/ أبـواب الكتـاب

١ ـ باب فيما يجوز من الصفات حقيقة ومجازًا.

٢ ـ باب ما لا يجوز من الصفات.

٣ ـ باب في القول في آيات.

٤ ـ باب في نفي الرؤية.

٥ ـ باب في قول: «لا إلٰه إلَّا الله».

٦ ـ باب في القضاء والقدر.

٧ ـ باب في الرزق وطلب المعيشة.

٨ ـ باب في القرآن.

٩ ـ باب في أحكام القرآن.

١٠ ـ باب في المحكم والمتشابه.

١١ ـ باب في الأوامر والمناهي.

١٢ ـ باب في الأخبار عن النبيِّ ﷺ.

١٣ ـ باب في شيء من الأخبار.

١٤ ـ باب ما لا يسع جهله.

١٥ ـ باب ما يسع جهله.

تمّت الأبواب[١].

---

(١) فـي (ز): + تعليق في الحاشـية: «قال الشـيخ عبد الله بـن محمَّد بن عبد الله الفرد رَحِمَهُ اللهُ ... [كلمة غير مفهومة] لنا من فضل ربي وعونه ... [كلمات غير مفهومة] لتجني علوم الدين ... [كلمات غير مفهومة] وتبني مراقي ... [كلمات غير مفهومة]».

باب ١ ما يجوز من الصفات حقيقة ومجازًا

/٤/ بسم الله الرحمٰن الرحيم

جائز أن يقال: لم يزل الله سميعًا، وهي صفة ذات. وجائز: لم يزل بصيرًا، وهي صفة ذات، والمعنى: بأنَّه عالم؛ لأنَّ العالم بالشيء بصير به، وقد يكون معنى ذلك أن المبصَرات إذا وُجدت كان مبصِرًا لها. كما عنينا بوصفنا له بأنَّه لم يزل سميعًا أنَّ المسموعات إذا كانت كان سامعًا لها.

والوصف له تعالى بأنَّه راءٍ[١] قد يتصرَّف على وجهين:

- **فأحدهما**: أن يوصف بذلك ويُعنَى به أنَّه عالم؛ فعلى هذا المعنى جائز أن يقال: لم يزل رائيًا على معنى لم يزل عالمًا، إذا كانت الرؤية في اللغة علمًا.
- **والوجه الآخر**: أن يُعنَى به أنَّه مبصر للمبصَرات؛ فلا يجوز من هذا الوجه أن يقال: إنَّه لم يزل رائيًا، كما لم يجز أن يقال: لم يزل مبصِرًا؛ لأَنَّ المرئيَّ المدرَك لا يكون مرئيًّا إلَّا وهو موجود.

وجائز أن يوصف بأنَّه لم يزل قاهرًا، ولم يزل قاهرَ الأشياءِ قبل أن يخلقها؛ لأَنَّه لم يزل مقتدرًا عليها، فاقتداره على ما لم يوجد هو قهره لذلك.

(١) في (د): «رأى».

وجائز أن يوصف بأنَّه لم يــزل باقيًا، ومعنى باقٍ أنَّه كائن بغير حدوث، وكلُّ كائن بغير حدوث فواجــب أن يوصف بأنَّه باق. فلمَّا كان الله تعالى لم يزل موجودًا بغير موجِدٍ[١] وجب أنَّه لم يزل باقيًا.

وجائز: لم يزل فردًا منفردًا.

وجائز أن يوصف بأنَّــه قريب من الخلق، والوصف لــه تعالى بذلك[٢] على جهة التوسُّــع، والمراد أنَّه عالم بنا وبأعمالنا، وأنَّه سامع لقول الخلق، وراءٍ لأعمالهم، وأنَّه لا ســتر بينه وبينهم، ولا حجاب ولا مسافة. فلمَّا كان على ذلك قيل في ســعة اللغة: إنَّه قريب منَّا، إذ كان لا يشاهد أعمالنا أحد من المخلوقين إلَّا من كان منَّا قريبًا.

مسألة: [تقرب العباد إلى الله مجاز أم حقيقة؟]

فإن قال قائــل: خبِّروني عن تقرُّب العباد إلــى الله تعالى بالطاعات أهو عندكم مجاز أو حقيقة؟

قيل له: بل هو مجاز وتوسُّع، ومعناه: طلب المحبَّة والكرامة منه؛ وإنَّما قيل لذلك تقرُّب لأنَّا في الشاهد إذا /٥/ أحببنا شيئًا قرَّبناه منَّا، وإذا بغضناه بعَّدناه منَّا؛ فلهذا قيل لذلك: تقرب إلى الله ﷻ على المجاز.

مسألة: [وصف الله بالقوَّة والقدرة والمعرفة والدراية والوجدان ... وغيرها]

وجائز أن يقــال: إنَّه تعالى قويٌّ على الحقيقة، كمــا يقال: إنَّه قادر على

(١) في (د): «بغير موجود».
(٢) في (د): + «له».



الحقيقة. وجائز القول بأنَّه عارف بالأشياء، كما يقال: إنَّه عالم بها؛ لأَنَّ العلم هو المعرفة، والعالم بالشيء في الشاهد[١] هو العارف به.

وجائز أن يقال: يدري الأشـياء، كما يقال: إنَّه يعلمها، وإن كان استعمال هذه اللفظة فـي صفاته قليـلًا؛ لأَنَّ الوصف للعالم في الشـاهد بأنَّه يدري الأشـياء بمعنى الوصف له أنَّه يعلمها ويعرفها؛ فلمَّـا كان الله تعالى عالمًا بالأشـياء صحَّ أنَّه يدري بها، وقد جاز ذلك في صفاتـه جلَّ وعزَّ عند أهل اللغة؛ وقال بعض الشعراء:

لا هُـمَّ لا أَدْرِي وأَنْـتَ الـدَّارِي[٢]

يريد: لا أعلم أنت العالم.

وجائز أن يوصف بأنَّه يجد الأشياء؛ لأَنَّ العلم وجدانٌ في اللغة، والعالِمُ بالشيء في اللغة واجدٌ له، فلمَّا كان الله تعالى بالأشياء عالمًا كان لها قادرًا.

وقـد يوصف تعالى بأنَّه شـاهدٌ كلَّ نجـوًى، ومعنى ذلك أنَّـه راءٍ لها وسامع، فقيل له من معنى الرؤية والسـمع[٣]: إنَّه شاهد، على التوسع؛ لأَنَّ الْمُشاهد منَّا الشيءَ هو الذي يراه أو يسمعه دون الغائب منَّا.

---

(١) نلاحظ وكأنَّ الشـيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مال إلى اسـتعمال قياس الغائب على الشاهد في إجازة إطلاق صفـات لله تعالى، والأخذ بهـذا المنهج على إطلاقـه فيه من الخطر مـا لا يخفى؛ لأنَّه لا نسبة ولا مناسبة بين الخالق والمخلوق، واسـتعمال ألفاظ في حقِّ صفات الله لا يعني بالضرورة أنَّ مرادفاتها في المخلوق يجوز اسـتعمالها في حق الخالق. والأسلم أن نكتفي بما وصف الله به نفسـه في كتابه أو صحَّ على لسـان نبيِّه ﷺ. انظر: السـالمي: مشارق، ص١٦٩ فما بعد. بهجة الأنوار، ص٨٤ ـ ٨٥.

(٢) نسـبه العكبري وابن منظور إِلَى العجاج عبد الله بن رؤبة (ت: ٩٠هـ)، ولم ينسبه الزبيدي. انظر: ابن منظور: اللسـان، مـادَّة: «لهـم»، ٥٥٥/١٢. العكبري ديـوان المتنبِّي، ٣٥٩/٣. الزبيدي: تاج العروس، مادَّة: «درو»، ٤٢/٣٨.

(٣) في (د): «السميع».

ويوصف بأنَّه تعالى مطَّلع على العباد وعلى أعمالهم توسُّـعًا، ويراد أنَّه عالم بهم وبأعمالهم، وإنَّما قيل له مطَّلع على المجاز؛ لأَنَّ المطَّلع منَّا على الشـيء من فوقه يكون أعلم به، وأولى بأن لا يخفى عليه شـيء منه؛ فلمَّا كان الله تعالى بالأشـياء كلِّها عالمًا لا يخفى عليه شيء منها قيل: إنَّه مطَّلع عليها مجازًا.

ويوصف بأنَّه لم يزل غنيًّا عن الأشياء، ومعنى ذلك أنَّه لا تصل إليه المنافع ولا المضارُّ، ولا تجوز عليه اللذَّات والسـرور والآلام والغموم، ولا يحتاج إلى غيره يسـتعين به في أفعاله وتدبيره، بل هو بنفسه عليها قادر، وبها عالم، فوجب له أن يوصف بأنَّه لم يزل غنيًّا بنفسـه عن سائر الأشياء.

ويوصف بأنَّه تعالى يغضب ويسـخط، ومعنى هـذا الوصف له هو غير معنى الوصف لنا بهذا الفعل في الشاهد؛ لأنَّ[1] غضبنا وسخطنا يَحُلَّان فينا، وغضب الله وسخطه لا يَحُلَّان فيه.

/٦/ مسألة: [لِمَ جاز وصف الله تعالى بالغضب والسخط؟ وما معناهما؟]

فإن قال[2] قائل: فإذا لم يَجُزْ عندكم أن يَحُلَّ فيه الغضب والسـخط فلم وصفتموه به وأجريتموه عليه؟

قيل له: جاز أن نصفه بذلك بأن يفعله من غير أن يحلَّ فيه، كما جاز أن نصفه بالكلام وبالأمر والنهي بأن يفعل ذلك من غير أن يحلَّ فيه.

(١) في (د): «إلَّا أنَّ».
(٢) في (د): ـ «قال».



وقال أهل العلم: إنَّ غضبه وسخطه هو عقوبته وناره. وإنَّ حبَّه ورضاه هو ثوابُه وجنَّتُه. ولا يجوز أن تكون العقوبة إلَّا محدثة؛ لأَنَّه لا يجوز أن يحدث ذلك إلَّا عندما يستحقُّه منه المذنب، ولو كان لم يزل غضبانًا على من لم يعصه لكان بذلك ظالمًا له[١]. وأيضًا: فلو كان لم يزل غضبانًا لنفسه لا بحدوث غضبٍ لم يَجُزْ أن يصير راضيًا، ولو كان راضيًا لنفسه لم يجز أن يغضب.

ويستحيل أن يقال: لم يزل راضيًا لنفسه وساخطًا لنفسه، كما يستحيل أن يكون لم يزل جاهلًا بنفسه، ولم يزل عالما بنفسه، ولم يزل عاجزًا بنفسه، ولم يزل قادرًا بنفسه، فصحَّ بهذا أنَّ الرضا والغضب وسائر ما ذكرنا هي أفعاله إذ كان موصوفًا بها وبأضدادها، من نحو الكراهة والإرادة والحبِّ والبغض؛ لأَنَّ أضداد صفاته لذاته لا تجوز عليه، كما لم يجز عليه الجهل لما كان لم يزل بنفسه عالمًا. ولم يجز عليه العجز لما كان لم يزل بنفسه قادرًا. ولا يجوز عليه الحدث لما كان لم يزل بنفسه قديمًا. فصحَّ بهذا أنَّ ما جاز أن يوصف به وبضده، أو بالقدرة على ضدِّه ـ من نحو الإرادة والكراهة، والحبِّ والبغض والرضا والغضب والسخط ـ أن ذلك هو فعله.

مسألة: [هل يجوز: لم يزل الله ساخطًا أو راضيًا؟]

إن سأل سائل فقال: هل يجوز أن يوصف الله تعالى بأنَّه لم يزل ساخطًا على أهل النار ولم يزل راضيًا على أهل الجنَّة؟ قيل له: نعم، على أنَّه هو المعاقِب لأهل النار، والمثيب لأهل الجنَّة. وينظر في هذه المسألة والتي قبلها.

(١) في (د): «طالبا له»، وكتب الناسخ فوقه: «لعله ظالمًا له»، وهو ما أثبتناه.

فصل: [وصف اللّه تعالى بأنَّه يحبُّ ويبغض]

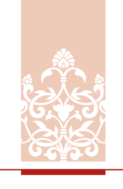
وجائز أن يوصــف [الله] تعالى بأنَّه يحبُّ ويبغــض، ومعنى الوصف له بالمحبَّة هو معنى الوصف له بالإرادة، ومعنى الوصف له بالبغض هو معنى الوصف له بالكراهة، وذلــك أنَّ كلَّ ما كره الله تعالى كونَــهُ من العباد فهو مُبغِض كونَهُ منهم، وكلُّ ما أراد كونَهُ من العباد فقد أحبَّ كونه منهم[١]، وكلُّ من أراد إكرامه من عباده فهو له محــبٌّ، وإرادته لإكرامه ولتعظيمه /٧/ هي محبَّتــه لإكرامه ولتعظيمــه. وكراهته لإكرامــه وتعظيمه هــو بغضه لإكرامه وتعظيمه، وهو بغضه له؛ لأَنَّه ليس معنى حــبِّ الله للعباد إلَّا حبَّه لإكرامهم ولتعظيمهم، وليس بغضه لهم إلَّا ضدَّ ذلك.

والرضا والمحبَّة من الله تعالــى معناهما أنَّهما صفة مــن صفات فعله، وذلك أنَّه تعالى إذا رضي عن عبــده وأحبَّه أوجب له الجزاء والثواب بفعله الْمَرْضِيِّ عنه به.

وقد حُكِي عن بعــض المفسّــرين أن قومًا زعموا أنَّــه تعالى لا يحبُّ ولا يبغض على الحقيقة؛ لأَنَّ الحبَّ عندهم من طبع البشــر، ولو كان الأمر على ما قالوا لنفوا عنه تعالى جميع صفاته؛ لأَنَّ العلم إنَّما يكون من الخلق بمعاني معلومة وآيات معروفة، والله تعالى عالم بخلاف تعارُفِ الخلق منهم في العلــم. والله تعالى يحبُّ عبده على الإحســان والطاعــة على الحقيقة، لا حبَّ طبعٍ ولا لهوٍ ولا مشاكلة.

---

(١) فسَّر المؤلِّف الإرادة في حقِّ الله تعالى بمعنى الحبِّ. نعم، إنَّ الإرادة والحبَّ في حقِّ الإنسان متقاربان معنًى. ولكن يبدو أنَّ هناك فرقًا دقيقًا بين الإرادة والحبِّ في حقِّ الله تعالى؛ فالإرادة أعمُّ من الحبِّ؛ فهي تشــمل ما يحبُّه الله تعالى وما لا يحبُّه، فإذا ارتكب العاصي ما لا يحبُّه الله ولا يرضى عنه ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ (الزمر: ٧)، فــلا يمكن أن نقول: إنَّه ارتكب ما لم يرده الله، وإلَّا حكمنا بأنَّه يقع في ملكه ﷻ ما لا يريد. تعالى الله عن ذلك، والله أعلم.



فصل: [معنى أنَّ اللّه تعالى نور]

ويقال: إنَّ الله نور على ما قال الله تعالى[(١)] واستعمله المسلمون، وإنَّما قال ذلك توسُّعًا ومجازًا، وإرادته هادي أهل السماوات والأرض ومبيّن لهم، فقال تعالى: إنَّه نور السماوات والأرض مجازًا، إذ كان به يهتدي أهل السماوات والأرض في دينهم ومصالحهم كما يهتدون بالنور والضياء؛ لأَنَّ النور المعقول المستحقّ لهذا الاسم حقيقةً إنَّما هو الضياء المشاهَد من نحو ضوء الشمس والقمر وما أشبه ذلك. فلمَّا لم يجز أن يكون الله تعالى ضوءًا ولا من جنس الضوء والأنوار، إذ كان الضوء والأنوار محدثة، والله تعالى لا يشبهه شيء من أجناس المخلوقات صحَّ أنَّه إنَّما قال: إنَّه نور السماوات والأرض مجازًا لا حقيقةً.

وعلى هذا السبيل قال: إن القرآن نور[(٢)]، وإن الإيمان نور[(٣)]، وأراد بذلك أن القرآن يهتدي به الناس في دينهم كما يهتدون بالنور الذي هو ضياء لمصالحهم، وكذلك الإيمان، فقال تعالى: إنَّهما نور على التوسُّع دون الحقيقة؛ لأَنَّ القرآن والإيمان هما مخالفان للأنوار والضياء في الجنس، فإنَّما أجرى عليهما اسم الأنوار والضياء توسُّعًا ومجازًا على ما بيناه.

---

(١) قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ... ﴾ (النور: ٣٥).

(٢) في نحو قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾ (النساء: ١٧٤)، وقوله: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ (الشورى: ٥٢)، وقوله: ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ﴾ (التغابن: ٨).

(٣) في نحو قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ (البقرة: ٢٥٧).

مسألة: [لماذا تسمية الله تعالى بالنور ليست على الحقيقة؟]

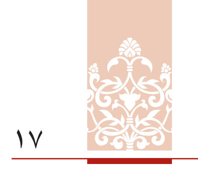
فإن قال قائـل: فما أنكرتم أن يكون سـمَّى الله تعالى نفسـه نورًا على الحقيقة وإن لم يكن من جنس الأنوار والضياء؟

قيل لـه: إنَّ الله ﷻ /٨/ لا يجوز عليه أن يسـمَّى بالأسـماء على جهة الألقاب(١)، ولا يسمَّى بالاسـم إلَّا بعد أن يكون مستحقًّا لمعنى ذلك الاسم من جهة العقول واللغة، كنحو تسـميته نفسَـهُ بأنَّه قديم(٢) وأنَّه واحد، وأنَّه عالم، وأنَّه رحيم؛ لأَنَّه لو جاز أن يسمَّى بالأسماء على جهة التلقُّب لجاز أن يسمَّى بأنَّه جسم وبأنَّه محدَث وبأنَّه إنسان، فلمَّا لم يجز أن يتسمَّى بذلك إذ كان خلافَ ما يستحقُّه من الأسماء والصفات صحَّ أنَّه لا يجوز أن يسمَّى إلَّا بالاسم الذي يكون مستحقًّا له ولمعناه من جهة العقول واللغة.

وأيضًا: فإنَّ الاسـم إذا سمِّي به المسـمَّى على جهة التلقُّب من غير أن يكون مسـتحقًّا له ولمعناه من جهة العقول واللغة لا يجوز أن يكون وصفًا للمسمَّى به، وذلك أنَّا لو سـمَّينا صبيًّا بقولنا: «مسلم» وبقولنا: «صالح» وما أشـبه هذه الأسـماء على جهة التلقُّب والتعريف لم يجـز أن يصير قولنا: «مسلم» و«صالح» صفةً لهذا الصبيِّ، ولا يجوز أن يقال: رأيتُ صبيًّا صالحًا ولا مسلمًا. ولو كان مستحقًّا للتسـمية بـ«مسلم» و«صالح» من جهة العقول واللغة جاز أن يوصف بهذه الأسـماء، كما إذا سـمَّينا المطيع لله تعالى بأنَّه مسـلم وأنَّه صالح لاسـتحقاقه ذلك بعمله جاز أن يوصف بهذه الأسـماء،

(١) في (د): «بالألقاب».

(٢) في الواقع إنَّ هذه التسـمية لم ترد في الكتاب ولا في السُـنَّة، وإنَّما هـي من إطلاقات علماء الكلام، وقد ارتضوها؛ لأنَّها تعبِّر عن أوليَّته بلا بداية، كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾ (الحديد: ٣). وأمَّا تسميته نفسَـهُ بالواحد والعالم والرحيم فهي واردة بكثرة في القرآن الكريم والسُّنَّة النبويَّة الشريفة.



فيقال: مررت برجل مسلم وبرجل صالح. فلمَّا كانت أسماء الله تعالى يوصف بها علمنا أنَّه إنَّما استحقَّها من جهة العقول واللغة، وأنَّه لم يتسمَّ بشيء من ذلك على جهة التلقُّب.

فلمَّا علمنا أنَّه لا يجوز أن يكون ذلك[١] وصفًا له على الحقيقة ـ إذ كان خلافَ الأنوارِ والضياءِ، وأنَّها لا تشبهه ولا يشبهها، كما لا يشبهُ سائرَ ما خَلَقَ ـ علمنا أنَّه وَصَفَ نفسه بأنَّه نور مجازًا لا حقيقةً.

[وصف الله تعالى بالعدل والسلام والحقِّ والغياث]

ولهذا نظائر في اللغة وفي القرآن، وذلك أنَّه يقال: إن الله عدل كريم، فالوصف لله تعالى بأنَّه عدل هو توسُّع ومجاز؛ لأَنَّ العدل في الحقيقة هو المصدر، فقالوا: «عدل هو»، وأرادوا أنَّه العادل، فتوسَّعوا في هذا القول، إذ كان يعقل عنهم ما أرادوا بذلك من الصفة بأنَّه عادل.

ومثلُه وصْفُهُ لنفسه تعالى بأنَّه السَّلام[٢]، والسلام إنَّما هو المصدر المعقول، فلمَّا كان يُعقل عنه ما أراد بوصفه لنفسه بالسلام أنَّه الذي تكون السلامة /٩/ من قِبَلِهِ جاز أن يوصف بذلك نفسُهُ[٣] توسُّعًا.

ومثله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾ (الحج: ٦). فَوَصَفَ نفسَه بذلك مجازًا؛ لأَنَّ الحقَّ مصدر في أصل اللغة، والله تعالى لا يشبه شيئًا من المصادر، وأراد بذلك أنَّ عبادة الله تعالى هي الحقُّ، وأنَّ عبادة غيره هي الباطل. وقد يجوز أن يعني بقوله: ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾: أنَّ الله هو الباقي المحيي المميت،

(١) أي: تسميته بالنور.
(٢) في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُ﴾ (الحشر: ٢٣).
(٣) كذا في (ز)، ولعلَّ الأصوب: «جاز أن يَصِفَ بذلك نفسَهُ».

﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ (الحج: ٦٢) أراد بـه يبطل ويذهب، وأنَّه لا يملك لأحد ثوابًا ولا عقابًا.

ومن ذلك أيضًا قول المسلمين: «يا غِيَاثَ المستغيثين، ويا رجاء المستجيرين»، والغِيَاث[1] والرجاء: هما المصدر في حقيقة اللغة، فوصفوا الله بهما توسُّعًا ومجازًا، وأرادوا بذلك أنَّه المغيث للمستغيثين، وأنَّه مرتجى الآملين.

مسألة: [النور والسَّلام والحق والعدل والغياث والرجاء أأسماء هي أم صفات؟]

فإن قال: أفتزعمون أنَّ قول الله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ (النور: ٣٥) وقوله: ﴿ٱلسَّلَٰمُ﴾ وقوله: ﴿ٱلْحَقُّ﴾، وقول المسلمين: «عدل وغياث ورجاء» هي أسماء وصفات له؟

قيل له: ليست بأسماء له ﷻ، ولا صفات له، ولكن جُعلت مكان أسمائه وصفاته مجازًا وتوسُّعًا، إذ كانت تدل على أسمائه وصفاته ﷻ.

فصل: [وصفه تعالى بأنَّه طالب ومدرك]

وجائز أن يوصف تعالى بأنَّه طالب ومدرِك، ومعنى الطالب أنَّه يَطلب من الظالم حقَّ المظلوم؛ لأَنَّه لا يضيع للمظلوم عنده حقٌّ. ومعنى المدرِك أنَّه الذي لا يفوته شيءٌ طَلَبَهُ ولا يُعجزه أحدٌ، ولا يمتنع عليه شيء. وليس

(١) بكسر الغين وياء غير مشدَّدة، هو مصدر، أو اسم مفعول. قال ابن منظور: «وأَغاثه اللهُ، وغَاثَه غَوْثًا وغِياثًا ... والغِياثُ ما أَغاثَكَ اللهُ به». اللسان، مادة: «غوث»، ١٧٤/٢. وإذا قلنا: «غَيَّاث» على وزن فَعَّال فهو مبالغة في الإغاثة.



الوصف له تعالى بأنَّه مدرك مثل الوصف له بأنَّه غالب؛ لأَنَّ هذا الإدراك إنَّما هو فعلٌ منه، وهو إنصافُه المظلومَ من الظالم، والوصف له بأنَّه غالب إنَّما هو من صفات الذات؛ لأَنَّ معناه أنَّه قاهرُ الأشياء مقتدرٌ عليها.

مسألة: [كيف يجوز أنَّه تعالى طالب وكلُّ شيء في قبضته؟]

فإن قال قائل: أليست الأشياء كلُّها في قبضته وسلطانه؟ أوليس هو بها جميعًا عالم؟ قيل له: بلى.

فإن قال: فكيف يجوز منه الطلب لِمَا هو عارف بمكانه ومقتدر عليه؟ قيل له: هو وإن كان عالمًا بكلِّ شيء ومقتدرًا على كلِّ شيء فقد يسمَّى أخذه للظالم بحقِّ المظلوم طلبًا لِحَقِّ المظلوم منه؛ لأَنَّ هذا يسمَّى في اللغة منَّا طلبًا وإن كنَّا مقتدرين على من نطالبه بذلك.

فصل: [وصف الله تعالى بأنَّه راحم]

ويوصف تعالى بأنَّه راحم لعباده، ومعنى راحم أنَّه منعم وأنَّه ناظر لعباده، /١٠/ وأنَّه محسن إليهم. وقد بيَّن الله تعالى ذلك فقال: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنبياء: ١٠٧)، فإرساله النبيَّ ﷺ هو نعمة منه تعالى على عباده، وهو رحمة منه لهم، كقوله تعالى في وصف القرآن: إنَّه ﴿هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾[1]. والقرآن نعمة من الله تعالى على عباده، فسماه رحمة لهم. وقد أجمع أهل اللغة والمسلمون على أنَّ الغيث رحمة، والغيث أيضًا هو نعمة من الله تعالى، فعلمنا بهذا أنَّ معنى الرحمة من الله ﷻ معنى النعمة.

---

(١) وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ جِئۡنَٰهُم بِكِتَٰبٖ فَصَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ عِلۡمٍ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ (الأعراف: ٥٢).

مسألة: [اختلاف رحمة الله عن رحمة العباد]

فإن قال قائل: أفليس الرحمة من الله ﷻ معنى النعمة منَّا هي رقة القلب؟

قيل: لا؛ لأَنَّ رقة القلب ليست هي فعل الراحم، والرحمة هي فعل الراحم منَّا. وذلك أَنَّ الرقيق القلب ربما حمل نفسه على قتل من يرقُّ له قلبه، فلا يكون راحمًا له إذا قتله، وإن كان قلبه رقيقًا عليه، وإنَّما الرحمة له تخليته له، وإرادته له الصلاح والنجاة. وإنَّما توهَّم قوم أنَّ الرحمة هي رقَّة القلب، وسمَّوْا من كان رقيق القلب رحيمًا لكثرة ما توجد الرحمة من الرقيق القلب. كما سمَّى قومٌ الشهوةَ محبَّةً لكثرة ما توجد المحبَّة مع الشهوة، والشهوة في الحقيقة خلاف المحبَّة.

فصل: [وصف الله تعالى بأنَّه مصلح وخير]

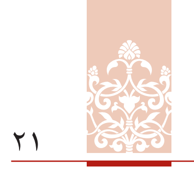
ويوصف الله تعالى بأنَّه مصلح؛ لأَنَّ فاعل الصلاح يسمَّى مصلحًا.

ويوصف بأنَّه خَيِّر؛ لأَنَّ فاعل الخير إذا كثر ذلك منه استحقَّ أن يقال له: «خَيِّر»، فلمَّا كان فعل الخير من الله تعالى موجودًا وجب أن يسمَّى خَيِّرًا.

ويقال: إنَّ الله أَصْلَحُ لنا من غيره، وخَيْرٌ لنا من غيره، وهذا القول أيضًا توسُّع، والمراد به نعمه وفضله وخيره. ويقال: الله تعالى خَيْرُ أفعالٍ منك.

مسألة: [هل الشدائد من الله تعالى شرٌّ؟]

يقال: الله ﷻ قد فعل الشدائد والآلام وليست بِشرٍّ على الحقيقة. وقوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ (الأنبياء: ٣٥)، وقوله ﷻ: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ (المائدة: ٦٠) هو شدائد ومصائب



وليس بشرٍّ على الحقيقة. وقوله: ﴿إِنَّ شَرَّ﴾[١] مجازًا وتوسُّعًا، وأراد به ضررًا وشدائد؛ لأَنَّ الشرَّ هو عيب وفساد، وفاعله شرِّير إذا كثر ذلك منه، وجميع فاعل الشرِّ هم الأشرار، والله تعالى يجلُّ أن يكون شرِّيرًا أو أن يكون مع الأشرار، فصحَّ بهذا أنَّ الله تعالى لا يفعل الشرَّ على الحقيقة.

مسألة: [هل عذاب جهنَّم شرٌّ؟]

فإن قال قائل: خبِّرونا عن عذاب جهنَّم أشرٌّ هو أم خير؟ قيل له: ليس هو شرًّا ولا خيرًا، ولكنَّه عدل وحكمة؛ لأَنَّ /١١/ الخير ما كان نفعٌ فيه لأهله، والشرُّ هو ما وصفنا من العيب والفساد والظلم، فما لم يكن في هذا العذاب نفع لأهله ولم يكن مع ذلك ظلمًا ولا فسادًا لم يكن خيرًا ولا شرًّا.

[هل يقال: الله تعالى ينفع ويضرُّ؟]

فإن قال: أفتزعمون أنَّ الله تعالى ينفع ويضرُّ؟ قيل له: نعم هو ينفع المؤمنين وغيرهم، ويضرُّ الظالمين بعقابه إيَّاهم.

فإن قال: أهو ضارٌّ لهؤلاء الظالمين بعقابه إيَّاهم؟ قيل له: نعم. فإن قال قائل: فإذا جاز عندكم أن يكون ضارًّا على ما وصفتموه فلم لا يجوز أن يكون مفسدًا؟ قيل له: إنَّ الضرر قد يكون حكمةً وعدلًا إذا كان من فعل به [ذلك] مستحقًّا، والفساد لا يكون حكمةً ولا عدلًا، فلهذا لا يجوز أن يكون ﷻ مفسدًا ولا فاعلًا للفساد. وأيضًا: فليس قياسُ الضرر قياسَ الفساد،

(١) تمام الآية في سورة الأنفال: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ (الآية: ٢٢)، أو قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ (الآية: ٥٥).

وذلك أنَّه لو أفسد رجل بناءً لرجل أو مالًا له كان إنَّما أضرَّ بذلك صاحبَ المال على الحقيقة، ولم يكن أفسد بذلك صاحب المال والبناء، وإنَّما أفسد المال والبناء على الحقيقة دون صاحبهما، فصحَّ بهذا أنَّه لا يجب أن يكون الشيء فاسدًا من حيث كان ضررًا إذا لم يكن فاسدًا لمن هو ضرٌّ له، ولا إن استحقَّ ذلك الضرر؛ فجاز أن يكون عذاب[1] الله تعالى للكافرين عقابًا لهم لِمَا بيَّنّا من الفرق.

فصل: [وصف الله تعالى بأنَّه مختار]

ويوصف تعالى بأنَّه مختار، ومعناه أنَّه مريد له إذْ[2] لم يكن مُلْجَأً إلى ما أراده، ولا مضطرًّا إليه. والإرادة هي الاختيار في اللغة في وصفنا له تعالى بذلك، وفي وصفنا لغيره؛ إذا كانت على ما وصفنا من زوال الإلجاء والاضطرار إليها.

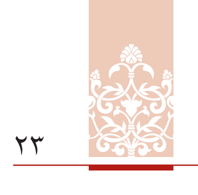
ويقال: إنَّ اختيار الله الذي اختاره وهو غير المختار، كما أنَّ الإرادة غير المراد من الله تعالى ومن العباد.

ووجدت في بعض الكتب: أنَّه لا يجوز أن يقال: إنَّ الله تعالى يختار، قال: ومعنى الخيار كالذي يروِّي[3] بين الشيئين فينظر أيّهما يختار لجهله وقلَّة علمه بالأجود منهما، وذلك منفيٌّ عن الله تعالى؛ لأنَّه عالم بحقيقة الأشياء، وبفاسدها من صحيحها. وفي القرآن ما يؤيِّد القول الأوَّل وهو قوله ﷻ: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ﴾، قال ابن عبَّاس: يختار من يشاء

(١) في (د): «عقاب». وصحَّحناها بما يوافق المعنى.

(٢) في (د): «إذا».

(٣) «رَوَّى في الأَمر: لغةٌ في رَوَّأَ: نظر فيه وتَعقَّبه وتَفَكَّر، يهمز. والرَّوِيَّة: التَّفَكُّر في الأَمر». ابن منظور: اللسان، مادَّة: «روي»، ١٤/ ٣٥٠.



من خلقه فيجتبيه بقولٍ يجعله نبيًّا ورســولًا، ﴿مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾[(١)] ما كان لهم أن يختاروهم. /١٢/ وقال المفضّل[(٢)]: أي الخلق له، فيختار منه من يجعله نبيًّا ومن يجعله رســولًا ومن يجعله شهيدا، ﴿مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ أي: الاختيار.

والْخِيَرَةُ[(٣)] مصدر فــي الاختيار والخير جميعًا، فــالله أعلم بالأصحِّ من القولين.

مسألة: [معنى اختيار الله تعالى لأنبيائه]

فإن قال: أفتزعمــون أنَّ اختيار الله تعالى لأنبيائــه ـ صلواته عليهم ـ هو إرادتــه لهم؟ قيل له: إنَّ اختيــاره تعالى للأنبياء هو اختياره لإرســالهم إلى العباد، وذلك إرادته لإرسالهم إلى العباد، فجعل اختياره لإرسالهم[(٤)] اختيارًا لهم في سَعَةِ اللغة.

فإن قال: أفتزعمون أنَّ اصطفــاء الله تعالى للأنبياء هو اختياره لهم؟ قيل

---

(١) القصص: ٦٨. في (د): + «مــن أمره». وإذا كان يقصد الآية الأخــرى فإنَّ نصَّها مختلف، وهــو قولــه تعالــى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ (الأحزاب: ٣٦).

(٢) أبو طالب المفضل بن ســلمة بن عاصم (ت: نحو ٢٩٠هـ): لغويٌّ عالم بالأدب. من كتبه: «البارع» في اللغة، و«الفاخر» في الأمثال، و«الاستدراك على العين»، و«ضياء القلوب» في معاني القرآن. انظر: الزركلي: الأعلام، ٢٧٩/٧.

(٣) في (د): «الخير». ويبدو أنَّ الأصوب ما أثبتناه. قال ابن منظور: «قال الزجَّاج: المعنى ربُّك يخلق ما يشاء وربُّك يختار وليس لهم الْخِيَرَةُ ... أَي: ليس لهم أَن يختاروا على الله؛ قال: ويجوز أَن يكون «ما» في معنى «الذي» فيكون المعنى: ويختار الذي كان لهم فيه الخيرة، وهو ما تَعَبَّدَهم به...». ابن منظور: اللسان، مادة: «خير»، ٢٦٦/٤.

(٤) في (د): «لرسالهم».

له: اصطفـــاؤه إيَّاهم هو اختصاصه إيَّاهم بها، وليـــس معنى الاصطفاء معنى الاختيار؛ لأَنَّ جميع ما يريده الإنســـان من غير أن يُلجأ إليه فهو مختار له، وليـــس يجب أن يكـــون مصطفيًا له. كما يكـــون مختارًا للأكل والشـــرب، ولا يكون مصطفيًا لهما.

فصل: [معنى خُلَّة الإنسان للّه تعالى]

ويقال: إنَّ الإنســـان يكون خليلًا لله تعالى، ومعنـــى الخلَّة الاختصاص، فمن اختصَّه برسالته ووحيه، وأفضى إليه من ذلك بما لم يُفْضِ به إلى غيره من الناس كان لله خليـــلًا؛ لأَنَّ الله تعالى قد خصَّه بمـــا وصفناه، ولهذا كان إبراهيم ﷺ خليلًا لله، إذ كان قد خصَّه[1] بما لم يؤته غيره من الناس؛ ولهذا كان الرجلان إذا اختصَّ بعضهما ببعض وأفضى كلُّ واحد منهما إلى صاحبه بما لم يُفْضِ به إلى غيره سُمِّي خليلًا له في اللغة.

ولا يجوز أن يقال: الله تعالى خليل لأحد من أنبيائه ورسله وخلقه على الحقيقة؛ لأَنَّ الخليل في اللغة إنَّما خاصَّته الذي يفضي إليه بأسراره وأموره دون غيره؛ لأَنَّهم لم يخصُّوا الله تعالى بشـــيء فيكون لذلك خليلًا لهم، كما كانوا أخلاءه لِمَا خصَّهم به من الوحي والرسالة.

مسألة: [هل كلُّ الأنبياء أخلَّاء للّه؟]

فإن قال: أفتزعمون أنَّ جميع الأنبياء أخـــلَّاء الله، إذ كان قد خصَّهم بما خصَّ به إبراهيم ـ صلَّى الله عليهم ـ؟ قيل له: قد روي عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**إنَّ الله قد اتَّخذ صاحبكم خليلًا**» يعني: نفســـه، ولهذا قال: «**لو كنت متَّخذًا**

(١) في (د): «احصه».

خليلًا لاتَّخذت أبا بكر خليلًا»[١]؛ لِأنَّ رسول الله ﷺ لا يختصُّ أحدًا من أمَّته بشيء من الدين والعلم لا يظهره لغيره، ولا أَسَرَّ بذلك لأحد؛ /١٣/ لأَنَّه قد بُعث إليهم جميعًا، فهو يعمُّهم بالإبلاغ والدعوة؛ فلمَّا لم يخصَّ أحدًا بذلك من أمَّته لم يكن أحد منهم خليلًا له.

قد يقال في سعة اللغة للإنسان خليل، على معنى الحبيب، وهذا هو مجاز لا حقيقة؛ لأَنَّه لو كان الحبيب خليلًا على الحقيقة لكان المؤمنون جميعًا أخلَّاء الله كما أنَّهم أحبَّاؤه، وهذا غير صحيح ولا سائغ في حقيقة اللغة.

فإن قال: أفليس قد روي عن أبي هريرة أنَّه قال: سمعت خليلي رسول الله؟[٢] قيل له: قد يجوز أن يقول أبو هريرة هذا على التوسع، وأمَّا حقيقة الخلة [فـ]ـهي ما وصفنا، وهي تأويل حديث رسول الله ﷺ في أبي بكر رضي الله عنه.

مسألة: [أيجوز أن يتَّخذ اللهُ صديقًا من خلقه؟]

فإن قال: أفيجوز أن يتَّخذ الله صديقًا من خلقه، فيكون صديقًا للمؤمنين، والمؤمنون له أصدقاء؟ قيل له: لا.

---

(١) في معنى الحديث ما رواه مسلم: «إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَدِ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا...». كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور، ر٥٣٢. ٣٧٧/١. وما رواه أحمد عن النبي ﷺ أنَّه قال: «إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى كُلِّ خَلِيلٍ مِنْ خُلَّتِهِ. وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَإِنَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ». أحمد: مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن مسعود، ر٣٥٧٠.

(٢) مثال ذلك ما رواه مسلم عن أبي هريرة قال: سَمِعْتُ خَلِيلِي ﷺ يَقُولُ: «تَبْلُغُ الْحِلْيَةُ مِنَ الْمُؤْمِنِ حَيْثُ يَبْلُغُ الْوَضُوءُ». كتاب الطهارة، باب تَبْلُغُ الْحِلْيَةُ حَيْثُ يَبْلُغُ الْوَضُوءُ، ر٢٥٠، ٢١٩/١.

فإن قال: وما الفرق بينهما؟ قيل له: لأَنَّ الصديق في اللغة بأن يَصْدُقَ صاحبَه الودَّ والمحبَّة، وأن يكون ضمير كلٍّ واحد منهما لصاحبه كعلانيته، فلمَّا لم يَجُزْ أن يوصف الله تعالى بأنَّ سريرته للأنبياء كعلانيته، وأنَّ ما يضمر لهم كما يظهر، إذ كان الضمير والطويَّة لا يجوزان عليه لم يجز أن يكون صديقًا لهم.

وأيضًا: فإنَّ الصديق إنَّما هو اسم وقع في اللغة على التوسُّع، وذلك أنَّه اشــتقَّ مِنْ صِدْقِ المودَّة، والصدق في حقيقة اللغة إنَّما هو الخبر الذي وقع مخبره على مــا أخبر به المخبر، فلمَّا كان اســتعمالهم الصــدق في المودَّة مجازًا غير حقيقة لم يَجُزْ أن يسمَّى الله تعالى به؛ لأَنَّه تجب التسمية له عَزَّ وَجَلَّ من جهة الحقائق لا من جهة المجاز؛ فلهذا لم يجب أن يقاس الصديق على الخليل، إذ كانت[1] التســمية بالخليــل حقيقةً، والتســمية بالصديق مجازًا، والمجاز لا يجب أن يقاس على الحقائق.

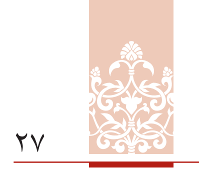
فصل: [امتحان الله لعباده واختبارهم وابتلاؤهم]

ويقال: إنَّ الله تعالى يمتحن عباده توسُّــعًا ومجــازًا، والمراد أنَّه يكلِّفهم طاعته ويأمرهــم بها؛ لأَنَّ الامتحان في أصل اللغــة إنَّما هو التجربة وطلب معرفة حقيقة الشيء الذي يمتحنه، فلمَّا كان الله سبحانه بالأشياء عالمًا وبما كان من أخبارها وما يكون لم يجز عليــه التجربة ولا الامتحان /١٤/ على الحقيقة، وإنَّما قيل مجازًا، وأريد به أن يكلِّف ويأمر.

وكذلك يقال: إنَّه يختبر مجازًا لا حقيقة؛ لأَنَّ الاختبار هو طلب المختبِر للخبرة بالشيء الذي يختبره والعلم به، فلمَّا كان الله سبحانه وتعالى لم يزل بالأشياء عالما لم يجز عليه أن يختبر شيئًا وأن يطلب العلم به.

---

(١) في (د): «كان».



وكذلك يقال: إنه يبتلي توسُّعًا ومجازًا لا حقيقة، ويراد بذلك أنَّه يكلِّف ويأمر؛ لأَنَّ الابتلاء في حقيقة اللغة هو الفعل الذي يَطلبُ الفاعلُ أن يعرف به صَبْرَ المبتلَى وما يكون منه عند الابتلاء. قال الشاعر:

بُلِيــتُ وفُقــدان الحبيــب بليَّةٌ وقد يُبتلى الحرُّ الكريم فيصبر[١]

فلمَّا كان الله تعالى عالمًا بكلِّ شيء قبل أن يخلق عباده وقبل أن يأمرهم لم يصحَّ[٢] أن يريد بأمــره إيَّاهم معرفة ما يكون منهم إذ كان لم يزل عالمًا[٣] فلم يجز أن يبتلي العباد على الحقيقة، وإنَّما توسَّــعوا لــه في الوصف بأنَّه يمتحن ويختبر ويبتلي، وأرادوا بذلك أنَّه تعالى يأمر ويكلِّف توسُّعًا ومجازًا.

مسألة: [تكليف الله لعباده هل هو على الحقيقة؟]

فإن قــال: أفتزعمون أنَّ الله تعالى يكلف عبــاده طاعته على الحقيقة؟ قيل له: نعم.

فإن قال: أفليس المكلِّف منَّا في الشــاهد إنَّما يكلِّف غيرَهُ حَاجَتَهُ؟ قيل له: قد يجوز أن يكلِّف أحدُنا غيرَه حوائجَه التــي يحتاج إليها، وقد يجوز أن يكلِّفه أيضًا فعل ما يحتاج إليه المكلَّــف وإن [لم] يكن للمكلِّف في ذلك حاجة؛ لأَنَّ التكليف في الأصل إنَّما هو تحميل الإنســان العمل الذي يلزمه إيَّاه، فإذا ألزمه ما يحتاج إليه الآمر منَّا فقد كلَّفه ما يحتاج إليه، وإذا ألزمه ما يحتاج إليه المأمور

(١) البيت من الطويل، ذكره صاحب العين والأســاس والمقاييس مادة: «بلو»، ولم ينســبوه، وجاء في ديوان ذي الرمَّة بلفظ:

أَلَا إِنَّمــا مَــيٍّ فَصَبــرًا بَلِيَّــةٌ وَقَد يُبتَلى الحُــرُّ الكَريمُ فَيَصبِرُ

انظر: ديوان ذي الرمة في الموسوعة الشعريَّة.

(٢) في (د): ـ «يصحَّ».

(٣) في (د): «عله لما».

دون الآمر فقد كلَّفه ذلك وإن لم يكن للآمر إليــه حاجة. فلمَّا كان الله ﷻ غنيًّا عن الأشــياء كلِّها كان تكليفه العبادَ طاعَتَهُ لحاجتهم إلــى ذلك ولانتفاعهم به، لا لحاجته هو إليه ولا لمنفعة تناله منه. وقد مرَّ شيء من هذا في باب التكليف.

فصل: [نصر اللّه تعالى للمؤمنين وهدايتهم]

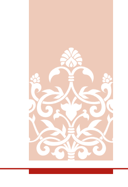
ويقال: إنَّ الله تعالى ناصر المؤمنين، ومعنى ذلك دفعه المكاره والشدائد والهوان عنهم، ليُعزَّهم بذلك ويكرمهم، وهذا هو النصرة المعقولة بيننا في الشــاهد. ويقال: إنَّه تعالى يخذل الكفَّار والفسَّــاق، ومعنى ذلك /١٥/ ضدُّ النصرة، وهو أن لا ينجيهم من الهوان[١] والشــدائد، وأن يفعل بهم ما يبقون معه في الشدائد والهوان.

ويقال: إن الله تعالى يهدي المؤمنين، والهدى على ثلاثة أوجه:

- فوجهٌ منه: هــو الدلالة؛ لأَنَّ كلَّ دلالة إلى شــيء فهي هدى إليه في اللغة، فهذا الهدى قد هدى الله تعالى بــه المؤمنين والكافرين جميعًا إلى الدين؛ لأَنَّه قد دلَّهم جميعًا على الدين.
- ووجهٌ آخر: هو الإيمان؛ لأَنَّ الإيمان هو هدى من الله تعالى، كما أنَّه نعمة من الله.
- ووجهٌ ثالث: وهو النجاة؛ لأَنَّ الله تعالى قد تبيَّن أنَّه سيهدي المؤمنين بعد موتهــم بقولــه تعالــى: ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُوٓاْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝ سَيَهۡدِيهِمۡ وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ﴾ (محمّــد: ٤ ـ ٥)، ولا يكون الهدى بعد الموت إلَّا الثواب والنجاة؛ لأَنَّه ضــدُّ الإضلال الذي يعاقــب الله به الكافرين، وذلك الهلاك، فضدُّه من الهدى هو النجاة، فعلى هذه الثلاثة الأوجه يصرَّف معنى القول: إنَّ الله تعالى يهدي المؤمنين.

---

(١) في (د): يمكن أن نقرأ: «من العذاب»، والمعنى صحيح.



مسألة: [ما معنى إضلال الله تعالى للظالمين؟]

فإن قال: فما معنى قوله ﷻ: ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (إبراهيم: ٢٧)؟ قيل له: معنى ذلك أنَّه يهلكهم ويعاقبهم؛ لأَنَّ الضلال في اللغة على وجهين: فوجهٌ: هو الهلاك، ووجهٌ: هو الذهاب عن الصواب وعن الطريق؛ لأَنَّ الله تعالى قال: ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (السجدة: ١٠) يعني: هلكنا في الأرض. وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ (محمد: ١) يعني: أهلكها. وقال تعالى: ﴿وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ (المائدة: ٧٧)، يعني بذلك: ذهبوا عن الحقِّ.

فلمَّا لم يجز على الله تعالى أن يفعل الضلال الذي هو الذهاب عن الحقِّ ـ لأَنَّ ذلك كفر وعيب ـ علمنا أنَّ الضلال الذي يفعله الله هو الوجه الآخر وهو الهلاك.

مسألة: [ما معنى ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥ﴾؟]

فإن قال: فما معنى قوله ﷻ: ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥ﴾ (الأعراف: ١٨٦)؟ قيل له: مَن عَلِمَ أنَّه يضلُّ لم يكن له هاد. وكذلك قوله تعالى: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (الأنعام: ٣٩): من علم أنَّه يضلُّ لم يهتد، ومن علم أنَّه يهتدي لم يضلَّ. وكذلك قوله تعالى: /١٦/ ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ...﴾ (الأنعام: ١٢٥) الآية، القول في الكلِّ واحدٌ. هذا عن أبي الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1].

---

(١) انظر: جامع البسيوي، مسألة في الضلال أيضًا، ٧٢/١. وأبو الحسن هو علي بن محمَّد البسيوي (حيّ في: ٣٦٣هـ): نسبة إلى قرية بسيا من أعمال بهلا، بعُمان، ويقال له: البسياني. تتلمذ على يد مشايخ المدرسة الرستاقية، فأصبح من أشد المتحمسين لها. من تلاميذه: الشيخ محمد بن المختار النخلي. من مؤلفاته: كتاب الجامع، ومختصر أبي الحسن، وسبوغ النعم، وسيرة البسياني. انظر: معجم أعلام إباضيَّة المشرق، (نق).

فصل: [توفيق الله تعالى للمؤمنين]

ويقال: إنَّه تعالى يوفِّق المؤمنين لطاعته، ومعنى ذلك أنَّه فعل بهم فعلًا اتَّفق لهم به فعل الإيمان. والتوفيق في اللغة: أنَّ الشـيء الذي هو توفيق له هو متَّفق به لصاحبه لا محالة، وذلك أنَّهم إذا قالـوا: وفَّق الله لنا لقاء فلان فهم قد لقوه، وإذا لم يلقوه فإنَّما يقولون: لم يُوفَّق[١] لنا لقاء فلان. ولا يجوز في كلامهـم أن يقول القائل: وُفِّق لـي لقاء فلان وهو لم يلقـه، ولا أنَّه لم يوفَّق[٢] له لقاؤه وهو قد لقيه، فصحَّ بهذا أنَّ صفة التوفيق هي على ما وصفنا أنَّ الفعل الذي هو توفيق له هو متَّفِق لصاحبه لا محالة.

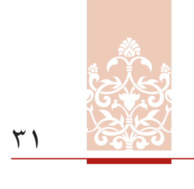
مسألة: [علاقة التوفيق بالطاعة والنعم والثواب]

فـإن قال: أفتزعمـون أنَّ التوفـيق يتقدَّم الطاعة التي هـي توفيق لها؟ قيل له: نعم.

فإن قال: أفتزعمون أنَّ جميع النعم التي هي مع هذا الموفَّق هي توفيق؟ قيل له: بل لا نقول ذلـك؛ لأَنَّ كثيرًا من النعم التي هـي معه موجودة قبل هذه الطاعات بأوقات كبيرة، فقـد كان محتاجًا معها إلى أن يوفِّقه الله تعالى لهذه الطاعـات، فعلمنا أنَّ التوفيق الـذي كان إليه محتاجًا مـع هذه النعم المتقدِّمة هو غيرها، وهو لطف يحدث قبل الطاعات بوقت.

فإن قال: أفتزعمون أنَّ التوفيق ثواب؟ قيل له: لا؛ لأَنَّ التوفيق لا بدَّ من أن يكون مجازًا للطاعـات؛ لأن الطاعات يتَّفق به لفاعلهـا فإذا كان متقدِّمًا للطاعات لم يجز أن يكون ثوابًـا. وأيضًا: فإنَّ الثواب إنَّما هو ثواب على ما

(١) في (د): «يفق».
(٢) في (د): «يفق».



كان من الطاعات، والتوفيق لا يكون توفيقًا إلّا للطاعات المستقبلة؛ لأَنَّ هذا الداعي لا يجوز أن يقول: اللَّهُمَّ وفِّقني لِمَا سلف من طاعتك؛ لأَنَّ هذا محال عند جماعة أهل اللغة. وإنَّما وجه الدعاء عندهم في ذلك جميعًا أن يقول: اللَّهُمَّ تقبَّل منِّي ما سلف من طاعتك، ووفِّقني لطاعتك في مستقبل عمري، واغفر [لي] ما سلف من معاصيك، واعصمني في مستقبل عمري من معاصيك.

والمغفرة والقبول هما الثواب؛ لأَنَّهما قد يوجدان بعد /١٧/ حال الطاعة والمعصية[١].

والتوفيق والعصمة[٢] لا يكونان ثوابًا؛ لأَنَّ التوفيق هو توفيق للمستقبِل من الطاعات، والطاعة المستقبِلة تحتاج إليه. والعصمة هي عصمة من المعاصي المستقبِلة، ومن أجل المعاصي المستقبلة يُحتاج إليها؛ فصحَّ أنَّهما لطفان من ألطاف الله تعالى، وأنَّهما سميا[٣] باسم العصمة والتوفيق إذ كان المعلوم من شأن من يؤتاهما أنَّه يصلح بهما ويعتصم من معاصي الله عز وجل.

مسألة: [النصرة غير التوفيق]

فإن قال: أفليس ضدَّ التوفيق عندكم الخذلانُ، والخذلان عندكم عقوبة؟ قيل: لا؛ لأَنَّ الخذلان هو ضدُّ النصرة، والنصرة من الله تعالى ثواب، والخذلان عقاب؛ لأَنَّ الله لا ينصر الكافرين ولا يخذل المؤمنين. وأمَّا التوفيق والعصمة فليستا من النصرة والخذلان في شيء؛ لأَنَّهما لفظتان على

(١) جاءت عبارة المؤلِّف على طريقة اللفِّ والنشر غير المرتَّبين، أي: المغفرة تكون بعد المعصية، والقبول يكون بعد الطاعة.

(٢) في (د): «والمعصية». والصواب ما أثبتناه.

(٣) في (د): «سميان».

ما بيَّنا من صفتهما. وأيضًا: فإنَّ قول القائل: عصم الله فلانًا من معاصيه، كلام صحيح. فلـو قال: نصر الله فلانًـا من معاصيه أو علـى معاصيه أو على أن لا يعصيه لكان هذا كلامًا مُحالًا لا معنى له. فصـحَّ بهذا أن النصرة من الله تعالى غير العصمة.

فصل: [تسديد اللّه تعالى للمؤمنين وإرشادهم]

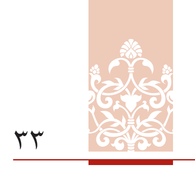
ويقال: إن الله تعالى مسدِّد المؤمنين، ومرشد لهم، ومصلح لهم، ومعنى ذلك واحـد إذا عنينا الصلاح الذي هـو الإيمان؛ لأَنَّ الرشـد هو الإيمان، والصلاح هو الإيمان، فإنَّما وصفنـا الله تعالى بأنَّه أصلح المؤمن بأنْ أضفنا سـدائده[1] وصلاحه وإيمانه إلى الله تعالـى، إذ كان إنَّما نال ذلك بالله عَزَّوَجَلَّ. وكذلك إنَّما وصفناه بأنَّه أرشـد المؤمن بأن أضفنا إرشـاده وإيمانه إلى الله تعالى. وكذلك وصفناه بأنَّه تعالى سدَّد المؤمن على هذه المعنى.

مسألة: [متى يوصف اللّه تعالى بأنَّه أرشد]

فإن قال: فمتى تصفون الله تعالى بأنَّه أرشد؟ قيل له: نصفه تعالى بذلك في وقت وجود هذا الرشاد وهذا السداد وهذا الصلاح من الإنسان، كما إذا وصفناه من الهدى ـ الذي هو الإيمان ـ بأنْ هدى المؤمن فإنَّما نصفه بذلك في حال وجود الإيمان.

فإن قال: أفيجوز عندكم أن يرشـد الله المؤمن من غير هذا المعنى الذي هو الإيمان؟ قيل له: نعـم، بأن يثيبه؛ لأَنَّ الثواب رشـاد. وقد روي لنا عن بعض فضلاء المسلمين من أصحاب /١٨/ رسول الله ﷺ أنَّه قال في شعر له:

(١) كذا في النسخ. ولعلَّ الأصوب: «سَدَادَهُ». أو لعلَّ السدائد جمع سديد. والسديد من القول أو الفعل هو المستقيم. انظر: ابن منظور: اللسان، ٢٠٧/٣ ـ ٢١١.



حتَّى يقولوا وقد مرُّوا على جدثي   يا أرشد الله من غاز وقد رشدا[(١)]

فقوله: «يا أرشد الله من غاز» يدلُّ على أنَّه إنَّما يدعو له بالثواب؛ لأَنَّه ميت في القبر، والميِّت لا يُدعَى له بأن يرزقه الله الإيمان.

وقد يجوز أن يقال: إنَّ الله تعالى دلَّ عباده المتعبِّدين إلى طاعته، كما يقال: هداهم جميعًا إلى دينه، بمعنى دلَّهم على دينه، وإن كان الوجهان الأوَّلان في الإرشاد أوضح من هذا الوجه الثالث الذي معناه الدلالة. ولكن لا يقال: إنَّ الله تعالى يسدِّد المؤمن إلَّا على الوجه الواحد الذي بيَّنَّا؛ لأَنَّ السداد هو الاستقامة، ولوجوده بتوفيق الله كان الله تعالى مسدِّدًا للمؤمن به.

فصل: [الله تعالى يأبى ويريد]

ويقال: إنَّ الله تعالى يأبى الأشياء كما أنَّه يريدها. والإباء في اللغة هو المنع والامتناع[(٢)]؛ لأَنَّ معنى قولنا: أبى فلان أن يفعل أنَّه امتنع أن يفعل، ومعنى قولنا: أبى فلان أن يظلم معناه منع عن فلان ظلمه. وهذا موجود في لغة العرب وأشعارهم، وقد روي عن بعض أصحاب النبيِّ ﷺ أنَّه قال ـ يعني الكفَّار ـ:

«وإن أرادوا ظلمنا أبينا»[(٣)]

---

(١) البيت من البسيط، ينسب إلى عبد الله بن رواحة، ورد بصيغة:
حَتَّى يُقالَ إذا مَرّوا عَلى جَدَثي   أَرشَدَهُ اللهُ مِن غازٍ وَقَد رَشَدا
ينظر: ديوان ابن رواحة في الموسوعة الشعريَّة.

(٢) انظر: ابن منظور: اللسان، ٣/١٤ ـ ٤.

(٣) أورده البخاريُّ عن الْبَرَاءِ بن عَازِبٍ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ الأَحْزَابِ وَخَنْدَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، رَأَيْتُهُ يَنْقُلُ مِنْ تُرَابِ الْخَنْدَقِ حَتَّى وَارَى عَنِّي الْغُبَارُ جِلْدَةَ بَطْنِهِ، وَكَانَ كَثِيرَ الشَّعَرِ، فَسَمِعْتُهُ يَرْتَجِزُ بِكَلِمَاتِ ابْنِ رَوَاحَةَ وَهُوَ يَنْقُلُ مِنَ التُّرَابِ يَقُولُ: =

فليس يعني بقوله: «أبينا» كرهنا أن يظلمونــا؛ لأَنَّه ليس في هذا بمدح، وإنَّما أراد إنَّمــا نمنعهم من ظلمنــا إن أرادوا ذلك. ومعنــى قول الله ﷻ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾ (التوبة: ٣٢) أنَّه يمنع الكفَّار من إطفاء نوره، فهذا معنى الإباء في اللغة.

وقال المفضّل[١]: ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾؛ أي: يمتنع الله بقدرته إلَّا أن يتمَّ نوره بإظهار الإسلام ونوره القرآن، والإباء هاهنا: الامتناع والعزُّ. قال عبدة[٢]:

أبينا أبينا أن تُضِــبَّ[٣] لُمَاتُكم ... على مُرْشِقَاتٍ كالظباء عواطبا[٤]

= اللَّهُــمَّ لَوْلَا أَنْــتَ مَــا اهْتَدَيْنَا ... وَلَا تَصَـدَّقْنَــا وَلَا صَـلَّـيْـنَـا
فَـأَنْــزِلَـنْ سَـكِـيـنَــةً عَلَيْنَـا ... وَثَـبِّــتْ الأَقْـدَامَ إِنْ لَاقَيْنَـا
إِنَّ الأُلَــى قَـدْ بَـغَـوْا عَلَيْنَـا ... وَإِنْ أَرَادُوا فِـتْـنَــةً أَبَـيْـنَـا

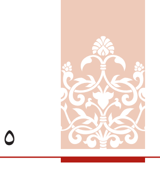
قَالَ: ثُمَّ يَمُدُّ صَوْتَــهُ بِآخِرِهَا. رواه البخاري في كتاب المغــازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب، حديث ر٣٨٨٠، ١٥٠٧/٤.

(١) المفضل بن سلمة بن عاصم (ت: نحو ٢٩٠هـ)، وقد تقدَّمت ترجمته.

(٢) عَبَدَة بن يزيد، الطبيب بن عمرو بن علي (ت: ٢٥هـ) من تميم، شاعر فحل، من مخضرمي الجاهليَّة والإسلام. كان أسود اللون شجاعًا، شــهد الفتوح وقتال الفرس بالمدائن وغيرها وكانت لــه في ذلك آثار مشــهودة، وله فيها شــعر. انظــر: الزركلي: الأعــلام، ١٧٢/٤. والموسوعة الشعريَّة.

(٣) في (د): «نضب». ولم نجد له وجهًا لغويًّا مناسبا. وأَضَبَّ القوم في الغارة: نَهدوا واسْتَغَارُوا. ابن منظور: اللســان، مادَّة: «ضبب»، ٥٤٠/١. ويبدو أنَّ هذا المعنــى لكلمة: «تضبَّ» هو الأنسب بكلمة اللُّمَة، والتي شــرحها بأنها الجماعة من الرجال والنســاء. وإلَّا فإنَّ ورود البيت بصيغة: «أن تَضِبَّ لِثَاتُكم» أوضح. يقال: ضَبَّ الشيءُ ضَبًّا: سالَ كَبَضَّ، وَضَبَّتْ لِثَتُه تَضِبُّ ضَبًّا: انْحَلَبَ رِيقُها، وَسَالَ لُعَابُهُ. وفلانٌ تَضِبُّ لِثَتُه إذا وُصِفَ بشِدَّةِ النَّهَمِ للأَكل أَو الْحِرْصِ على حاجته وقضائها. انظر: ابن منظور: اللسان، مادَّة: «ضبب»، ٥٤٢/١.

(٤) العطــب: الهلاك. وعواطبًــا: هالكات. ومعنى البيــت بهذه الصيغة: منعناكــم عن الإغارة على النســاء فتتركوهنَّ هالكات. والبيت من الطويل، ينسب إلى عنترة بن شدَّاد، كما في =



أي: منعناكم من ذلك، يقول: منعناكم أن تسبوا نساءنا فتبتذلوهنَّ[١] بالنظر حتَّى تشتهوهنَّ. والْمُرْشِقَات: التي تديم النظرة[٢]. واللُّمَة (مخفَّفَةً): الجماعة من الرجال والنساء[٣].

[اللّه ثابت، وله الملكوت والكبرياء وهو الوكيل]

ويقال: إنَّ الله تعالى ثابت، كما يقال: إنَّ الْمُقِرَّ به /١٩/ مثْبِت، إلَّا أنَّ هذا القول في صفاته تعالى غير مستعمل. ومعنى ثابت أنَّه كائن موجود.

ويقال: إنَّ لله الملكوت والكبرياء. ومعنى الكبرياء أنَّه تعالى كبير، ومعنى الملكوت أنَّه المالك.

ويقال: بأنَّ الله تعالى[٤] وكيل علينا بمعنى أنَّه متولٍّ لأمورنا، والقائم بحفظنا وتصريفنا فيما يريد. وهذا معنى الوكيل على المال منَّا؛ لأَنَّه القائم بحفظ ذلك. ولا يجوز أن يقال: إنَّه تعالى وكيل لنا.

= الموسوعة الشعريَّة، وقد ورد فيها وفي اللسان بصيغة أوضح، وهي:

أَبينا أَبينا أَن تَضِبَّ لِثاتُكم على مُرشِقات كالظِّباءِ عَواطِيا

والعَطْوُ: التناول. والظباء العواطي: التي تتطاول رافعةً أيديها لتتناول الشجر. ابن منظور: اللسان، مادَّة: «عطو»، ٦٩/١٥.

(١) ابتذال الثوبِ وغيره: امتهانُه وترك صيانته. ابن منظور: اللسان، مادَّة: «بذل»، ٥٠/١١.

(٢) «الإِرْشاقُ: إِحدادُ النظر، وأَرْشَقَتِ المرأَة والمَهاةُ ... والْمُرْشِق من الظباء: التي تَمُدُّ عنقَها وتنظر فهي أَحسن ما تكون. والمُرْشق من النساء والظباء: التي معها ولدها». ابن منظور: اللسان، مادَّة: «رشق»، ١١٧/١٠؛ ومادَّة: «مصص»، ٩٣/٧.

(٣) قال ابن منظور: «واللُّمَة أيضًا: الجماعة من الرجال ما بين الثلاثة إلى العشرة». ابن منظور: اللسان، مادَّة: «لأم»، ٥٣٢/١٢.

(٤) في (د): «بأنَّ الله تعالى بأنه وكيل».

مسألة: [لِمَ لا يجوز أن يقال: إنَّ اللّه تعالى وكيل لنا]

فإن قال قائل: لِمَ لم يجز هذا؟ قيل لــه: لأَنَّ معنى «وكيل علينا» قد بيَّنَّا وجه جوازه، ومعنى «وكيل لنــا» غير معنى «وكيل علينا»، وذلك أنَّ من كان وكيلًا لنا لإقامتنا إيَّاه في ذلك، ولأنَّه قام بــه بأمرنا، فلمَّا لم يَجُزْ أن يكون الله تعالى وكيلًا بأمرٍ مِنْ خَلْقِهِ لم يجــز أن يقال: إنَّه وكيل لهم، وإنَّما يصحُّ أن يقــال: إنَّه وكيل عليهم، كما قال الله تعالــى: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾ (هود: ١٢).

فإن قــال: أفتزعمون أنَّكم تكونــون وكلاء عليه كما تكونــون متوكِّلين عليه؟ قيل له: لا؛ لأنَّ الوكيل ليس معناه التوكُّل؛ لأنَّ مصدر الوكيل الوكالة بمعنى: الولايــة، والوكيل هو خلاف ذلــك، والمعنى: فنحــن نتوكَّل عليه ونعتمد عليه، ومعنى ذلك واحد، وليس ذلك من معنى الوكالة في شــيء؛ فلهذا لا يجــوز أن يوصف تعالى بأنَّه متوكِّل علينــا، وصحَّ له الوصف بأنَّه وكيل علينا.

والقول بأنَّا نعتمد عليه ونركن إليه هو توسُّع؛ لأَنَّ أصل الاعتماد هو اعتماد الرجل على ما يعتمد عليه من شيء إذا مشى أو قام، فجعلوا هذا المعنى في معنى التوكل توســعًا؛ ولهذا ســموا بعض الخلفاء بالمعتمد على الله[1].

وكذلك الركون أصله من الاعتماد، ويستعملان في الله تعالى مجازًا على ما بيَّنَّا.

---

(١) كالمعتمد على الله: أبو القاســم محمَّد بن عباد (المعتمد بن عباد) (ت: ٤٨٨هـ)، صاحب إشــبيلية وقرطبة وما حولها. كان فصيحًا، شــاعرًا يقصده الأدباء والفقهاء. انظر: الزركلي: الأعلام، ١٨١/٦.



فصل: [وصف اللّه تعالى بأنَّه كفيل وراع وحارس ووحيد وفريد]

ويقال: إنَّه تعالى كفيل، ومعناه أنَّه كفل لعباده أنَّه ثبتهم[١] على طاعته، ومعنى أنَّه كفل بذلك أنَّه ضمنه، والكفالة هي[٢] الضمان.

ويوصف بأنَّه راع وحارس كما وُصف بأنَّه رقيب، وإن كان استعماله قليلًا. وفي دعاء المسلمين: رعاك الله، وحرسك الله. فإن كان هذا القول منهم صحيحًا فإنَّ الاسم مِنْ «رَعَاكَ» راعٍ، ومِنْ «حرسك» حَارِسٌ، وإن كان استعماله قليلًا /٢٠/ للاستغناء عنه بما يعرفه الناس.

ويوصف بأنَّه تعالى وحيد وفريد، كما وصف بأنَّه واحد وأنَّه فرد؛ لأَنَّ معناه معنى التوحيد، لا الفَذّ[٣] وحده فإنَّ معناه القليل وليس معناه التوحيد، فلا، ويدلُّ عليه قول القائل: ما يكاد زيد بأسًا إلَّا الفذّ وهو كدبه إلَّا قليلًا [كذا].

مسألة: [هل يجوز تسمية اللّه تعالى بأنَّه غيور؟]

اختلف الناس في تسمية الله عَزَّوَجَلَّ أنَّه غيور، فأجاز ذلك قوم، واحتجُّوا بما روي عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**ما أحد أغير من الله، ومَنْ أغْيَرُ مِمَّن حرَّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن؟**»[٤]، قالوا: ومعنى قوله: «أغير» أي: أزجر

---

(١) في (د): يمكن أن نقرأ: «يثيبهم»، أو «يثبِّتهم».

(٢) في (د): «هو».

(٣) في (د): + كلمة «من» مقلوبة. وفي النسخ: الفرد، وهو سهو، والصواب ما أثبتناه بما يأتي بعده، ولما جاء في معنى اسم الفرد فيما تقدَّم، ص مخ ١٣٠.

(٤) رواه البخاري بلفظ: «لَا أَحَدَ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ، وَلِذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا شَيْءَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنَ اللهِ وَلِذَلِكَ مَدَحَ نَفْسَهُ». كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ (الأنعام: ١٥١)، ر٤٣٥٨، ١٦٩٦/٤. مسلم في كتاب التوبة، باب غيرة الله تعالى وتحريم الفواحش، ر٢٧٦٠، ٢١١٤/٤.

من الله، والغيرة من الله تعالى الزجر، فالله تعالى غيور بمعنى زَجُورٌ يزجر عن الحرام ويحظره، ويتوعَّد[١] عليه أشدَّ الوعيد.

ومنه ما روى أبو هريرة عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**إنَّ سعدَ بن عُبادةَ سيِّدكُم لغيُورٌ، وأنا أَغيرُ مِنهُ، واللهُ أَغيَرُ مِنِّي**»[٢]، على معنى الزجر عن المعاصي. فأجاز من أجاز ذلك على هذا المعنى.

ومنه ما روي أنَّ بعض أزواج النبيِّ ﷺ أهدت إليه شيئًا في غير يومها فأخذت عائشة ذلك فنبذته وكسرت الإناء، فقال ﷺ: «**غارت أمُّكم**»[٣] أي: زجرت عن إهداء ما أهدت.

ولم يجز آخرون ذلك، وقالوا: إن الصفة بذلك مجازًا وتوسُّعًا[٤]، والمراد بذلك كراهته للفجور، ولا تشابه؛ لأَنَّ الغيرة هي جزع الرجل والمرأة من أن يشارك أحدَهما أحدٌ. وهذا المعنى لا يجوز على الله تعالى، يقال: غار الرجل على أهله يغار غيرة. قال جرير[٥]:

أَم مَن يَغارُ عَلى النِّساءِ حَفيظَةً ... إِذ لا يَـثِـقـنَ بِغَـيـرَةِ الأَزواجِ[٦]

---

(١) في (د): «يتواعد».

(٢) رواه مسلم بلفظ: «... اسْمَعُوا إِلَى مَا يَقُولُ سَيِّدُكُمْ، إِنَّهُ لَغَيُورٌ، وَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ، وَاللهُ أَغْيَرُ مِنِّي». مسلم في كتاب اللعان، ر١٤٩٨، ١١٣٥/٢.

(٣) البخاري في كتاب النكاح، باب الغيرة، رقم٤٩٢٧، ٢٠٠٣/٥. النسائي: السنن، كتاب عشرة النساء، باب الغيرة، ر٣٩٥٥، ٧٠/٧.

(٤) كذا في النُّسخ، بالنصب، على أنه حال، والأصوب: «مجاز وتوسُّع»، على أنه خبر «إنَّ».

(٥) أبو حزرة، جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي بن بدر الكلبي اليربوعي (ت: ١١٠هـ)، من تميم. أشعر أهل عصره، ولد ومات في اليمامة، وعاش عمره يناضل شعراء زمنه ويساجلهم، فلم يثبت أمامه غير الفرزدق والأخطل. كان عفيفًا، وهو من أغزل الناس شعرًا. انظر: الزركلي: الأعلام، ١١٩/٢. الموسوعة الشعريَّة.

(٦) البيت من الكامل، من قصيدة مطلعها: =



والغار: لغة في الغيرة. والغَيْرَانُ: الرجل الغيور، والجمع: الغُيُرُ[١]، وامرأة غَيْرَى: غيورة، وقال:

يا قَومِ لا تَأمَنـوا إن كُنتُمُ غُيُرًا　　عَلى نِسائِكُمُ كِسرى وَما جَمَعا[٢]

فصل: [وصف اللّه تعالى بأنَّه طاهر، بارٌّ، سارٌّ]

ويقال: إنَّه تعالى طاهر كما يوصف بأنَّه تقدَّس عن الأفعال القبيحة. ويقال: إنَّه يمكنه أن يفعل بمعنى أنَّه قادر. ويوصف بأنَّه بارٌّ بعباده؛ لأَنَّ برَّه وفضله قد عمَّهم. ويوصف بأنَّه سارٌّ؛ لأَنَّه يسرُّ أولياءه بدخول الجنَّة، وبما يعطيهم من الثواب، فهو سارٌّ لهم بذلك، وهذا هو حقيقة هذا الكلام، فأمَّا وصف الناس لأولادهم إذا كانوا [على] ما يريدون /٢١/ من الجمال: إنَّ لفلان ولدًا سارًّا فإنَّ هذا لا يصحُّ إلَّا مجازًا؛ لأَنَّه ليس للولد في ذلك فعل، فيكون سارًّا على الحقيقة، والسارُّ على الحقيقة فاعل السرور؛ فلهذا وجب أن يوصف الله تعالى به إذا فعل السرور بعباده.

[وصف اللّه تعالى بالإبرام والتفضُّل...]

ويوصف الله تعالى بالإبرام والتفضُّل على ما أطلق القرآن؛ لأَنَّ إبرام الأمر هو إحكامه. والتفضُّل: هو فعل من وصل[٣] شيئًا حتَّى يجعله مفضَّلاً، وهو وصف صحيح وإن كان استعماله في صفاته تعالى قليلًا.

= هاجَ الهَوى لِفُؤادِكَ الْمُهتاجِ　　فَانظُر بِتوضِحَ باكِرَ الأَحداجِ

ينظر: ديوان جرير في الموسوعة الشعريَّة.

(١) انظر: ابن منظور: اللسان، مادَّة: «غير»، ٤١/٥.

(٢) البيت من البسيط. وهو للقيط بن يعمر بن خارجة الإيادي (ت: ٢٤٩ ق.هـ)، من قصيدة مطلعها:

يا دارَ عَمرَةَ مِن مُحتَلِّها الجَرَعا　　هاجَت لِيَ الْهَمَّ وَالأَحزانَ وَالوَجَعا

ينظر: ديوان لقيط في الموسوعة الشعريَّة.

(٣) في هامش (ز) بخط الناسخ: «لعله: فضَّل». وهي بهذا الاحتمال أوضح.

ويقال: إن الله أعرب كلامه، ويقال: [كذا].

ويقال: اللَّهُمَّ إني أستخيرك، ولا يجوز: اللَّهُمَّ إنِّي أستشيرك. ويقال: أعوذ بالله ثُمَّ بك، ولولا الله ثُمَّ فلان.

وقد اختلف في صفة الله تعالى بالفراغ، فقاله هلال بن عطيَّة[1] في سيرته، ولم يجزه أبو الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ. ويأتي تفسير قوله تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾ (الرحمٰن: ٣١) في بابٍ بعدَ هذا إن شاء الله.

ويقال: رفع الله يده عن كذا وكذا، وسلَّط الله قومًا على قوم.

ويقال: بصره في الخلق نافذ، وعلمه بهم محيط. ويقال: يسمع ويرى. ويجوز عَرَفَ وَتَعَرَّفَ.

ويقال: يَأْلَهُ كلَّ مألوه؛ لأَنَّ المألوه هو العبد، والإله هو الله، لا إلٰه إلَّا هو.

ويقال: إنَّه تعالى يسبِّب الأرزاق لعباده.

ويقال: إنَّ الله تعالى يعزم ثُمَّ يستثني. ويجوز أن يقال: العزم لله، والله المعزم على الخير. و[لا] يجوز على الله العزم الذي هو المطلع على كلِّ شيء بعد الرويَّة فيه وفي غيره، كما لا يجوز عليه الرويَّة والفكرة، وأمَّا العزم الذي هو إيجاب فعل الشيء على غيرنا فهذا يوصف تعالى به ويستعمل في صفاته؛ لأَنَّه يقال: إنَّ الله يحبُّ أن يؤخذ برخصه كما يحب أن يؤخذ بعزائمه. ويقال: أتته عزيمة من ربِّه، يعني: ما أوجب الله تعالى عليه ولم يرخِّص له

(١) هلال بن عطية الخراساني (ت: ١٣٤هـ): قائد عالم، وفد على عُمان من البصرة. أخذ العلم عن أبي عبيدة. كان أحد رجال دولة الإمام طالب الحق باليمن، ولَمَّا سقطت الإمامة هناك رجع إلى عُمان فوقف مع الإمام الجلندي حتَّى قتلا معًا في معركة جلفار. انظر: جمعية التراث: معجم أعلام إباضيَّة المغرب، (نق).



في تركه. والعزم غير الإرادة. وعن أبي الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيمن قال: «عزم الله لنا بالخير»: لا أراه جائزا.

قال بشير[١]: يجوز أن يقال: إنَّ الله تعالى حال بين المؤمنين وبين الكفر. ومعنى ذلك: أمرهم بالإيمان ونهاهم عن الكفر.

ويجوز أن يقال: كلٌّ بالله لَاحِقٌ، كما يقال: كل إلى الله صائر، /٢٢/ استدلالًا بما ورد به الخبر عن الحسن[٢] أنَّه لَمَّا نزلت سورة الفتح[٣] على النبيِّ ﷺ نعى الله تعالى إليه نفسه، فقال: إذا كان ذلك فاعلم أنَّك لاحق بالله، وأنَّك ميِّت، ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ...﴾ الآية. وبما روي عن موسى[٤] أنَّه قال: «بلغني أنَّ جبريلَ أتاه صلى الله عليهما يومَ الفتح فسلَّم عليه ثُمَّ خيَّره بين مفاتيح الدنيا ثوابًا لِمَا صنع، أو اللحاق بالله إن شاء الله، فقال: **بل لحاق بالله يا جبريل**»[٥].

---

(١) قد يراد به: أبو المنذر بشير بن المنذر (ت: ١٧٨هـ)، وهو من العلماء الأعلام، والمعروف بالشيخ الأكبر، والذي يعدُّ من حملة العلم عن أبي عبيدة من البصرة إلى عُمان. ينسب إليه كتاب الخزانة، والبستان في الأصول. وقد يراد به: أبو المنذر بشير بن محمد بن محبوب بن الرحيل (حيّ في: ٢٧٣هـ)، وهو أيضًا من أجلة علماء عُمان في عهده. من مشايخه: والده محمد بن محبوب وأبو معاوية عزان بن الصقر، وأبو المؤثر الصلت بن خميس. من آثاره: كتاب «المحاربة»، وكتاب «أسماء الدار وأحكامها» (مخ)، وكتاب «الرصف» في التوحيد. عاش في عهد الإمام الصلت بن مالك ووقف إلى جانبه. انظر: معجم أعلام إباضيَّة المشرق، (نق).

(٢) يبدو أنَّ المقصود هو أبو سعيد الحسن بن يسار البصري (ت: ١١٠هـ): إمام البصرة وحبر الأمَّة في زمنه، من العلماء الفقهاء الشجعان الفصحاء النُّسَّاك، كانت له هيبة في قلوب الناس رعاة ورعيَّة. انظر: الزركلي: الأعلام، ٢/٢٢٦ ـ ٢٢٧.

(٣) كذا في النسخ، ويقصد بسورة الفتح سورة النصر: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾.

(٤) لم نتمكَّن من تحديده. وقد روي عن أبي مويهبة، كما سيأتي.

(٥) لم أجده بهذا اللفظ، ونصُّه عند أحمد أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «يَا أَبَا مُوَيْهِبَة، إِنِّي قَدْ أُوتِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الدُّنْيَا وَالْخُلْدَ فِيهَا ثُمَّ الْجَنَّةَ، وَخُيِّرْتُ بَيْنَ ذَلِكَ وَبَيْنَ لِقَاءِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ وَالْجَنَّةِ، =

خَبَرٌ عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**الخلق كلُّهم عيال الله، فأحبُّهم إليه أحسنهم صنيعًا إلى عياله**»(١). فأخذه الشاعر فقال:

الخلــق كلُّهم عيــال الله تحت ظلاله ... فأحبُّهم طُرًّا إليه أبرُّهم بعياله(٢)

ويقال: لم يزل الله سميعًا. وسميع وسامع من صفات الذات.

مسألة: [سمع الله في الأزل]

فإن قال قائل: فلم يزل سميعًا لماذا؟ قيل له: إنَّ السميع ليس يُعَدَّى إلى مسموع، فلا يلزمنا أن نقول: إن الله لم يزل سميعًا لِمسموع.

فإن قال: أفتقولون: إن الله لم يزل ســامعًا؟ قيل له: لا يجوز قول ذلك؛ لأَنَّه تعدى إلى مسموع، والمســموع لا يكون مسموعًا إلَّا وهو موجود، فلم يجز أن يقول: لم يزل الله سامعًا.

فإن قال: فما أنكرتم أن يكون وصفكم له بأنه سامع ليس من صفات الذات إذ لم يجز أن تقولوا: لم يزل سامعًا؟ قيل له: لا يجوز أن يوصف بأنَّه سامع إلَّا لذاته؛ لأَنَّه لو وُصف بذلك بسَمْعٍ محدث لجاز أن يحدث المسموع [فيكون له

= قَالَ: قُلْتُ بِأَبِي وَأُمِّي، فَخُذْ مَفَاتِيحَ الدُّنيَا وَالْخُلْدَ فِيهَا ثُمَّ الْجَنَّةَ، قَالَ: لَا وَاللهِ يَا أَبَا مُوَيْهِبَةَ، لَقَدِ اخْتَرْتُ لِقَاءَ رَبِّي ﷻ وَالْجَنَّةَ. ثُمَّ اسْتَغْفَرَ لأَهْلِ الْبَقِيعِ ثُمَّ انْصَرَفَ، فَبُدِئَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي وَجَعِهِ الَّذِي قَضَاهُ اللهُ ﷻ فِيهِ حِينَ أَصْبَحَ». أحمد: المسند، مسند المكِّيِّين، حديث أبي مويهبة، ٤٨٨/٣ ـ ٤٨٩. الدارمي: السنن، المقدمة، باب في وفاة النبيِّ، ر٧٨، ٥٠/١.

(١) رواه الطبراني فــي الكبير، بلفظ: «الخلــق كلُّهم عيال الله، فأحبُّ الخلــق إلى الله أنفعهم لعيالــه». ر١٠٠٣٣، ٨٦/١٠. وأبو يعلى في مســنده، ر٣٣١٥، ٦٥/٦ ... قــال الهيثمي: «رواه أبو يعلى والبزار وفيه يوســف بن عطية الصفار وهو متروك ... الطبراني في الكبير والأوسط وفيه عمير وهو أبو هارون القرشي متروك». الهيثمي: مجمع الزوائد، ١٩١/٨.

(٢) البيت من مجزوء الكامل. لأبي العتاهية. انظر: ديوانه في الموسوعة الشعريَّة.

سامعًا][1] ولا يحدث المسموع فلا يكون له سامعا، فلمَّا لم يَجُزْ ذلك صحَّ أنَّ الوصف له بأنَّه سامع إنَّما هو صفة وجبت له لذاته عند وجود المسموع.

فإن قال: فلم قلتم: إنَّ سميعًا لا يتعدَّى إلى مسموع، وقد قال تعالى: ﴿سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ (آل عمران: ٣٨)؟ قيل له: ليس معنى قولنا: ﴿سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ هو ما عنيناه بقولنا: إنَّه سامع للدعاء مدرك له، وإنَّما معنى سميع الدعاء مجيب الدعاء، فجعل قوله: «سميع» مكان «مجيب» على التوسُّع. ومنه قول المسلمين: «سمع الله لمن حمده»، ومعنى ذلك: قَبِلَ الله منه هذا القول. وكذلك «سمع الله دعاءك»، ومعناه: أجاب الله دعاءك. والله تعالى سامع على كل حال. أنشد أبو العبَّاس[2] عن ابن الأعرابيِّ[3]:

/٢٣/ دعوت الله حتَّى خفت ألا   يكون الله يسمع ما أقول[4]

معناه: يجيب ما أقول، وهذا يؤول معناه إلى القول. وأمَّا القول في وصف الله تعالى بأنَّه سميع وأنَّه سامع من صفات الذات فهو على ما بيَّنَّا. ويدلُّ على أنَّ السميع ليس يُعدَّى إلى مسموع قول أهل اللغة للإنسان: إنَّه سميع بصير إذا

---

(١) إضافة من عندنا لتكتمل العبارة.

(٢) يبدو أنَّه: أبو العبّاس محمد بن زيد الأزدي، المبرَّد (ت: ٢٨٦هـ)، وقد سبقت ترجمته.

(٣) أبو عبد الله محمد بن زياد بن الأعرابي الهاشمي مولاهم، ابن الأعرابيّ (١٥٠ ـ ٢٣١هـ) الأحول النسابة إمام اللغة، يروي عن أبي معاوية الضرير وغيره. وعنه إبراهيم الحربي وعثمان الدارمي وثعلب وآخرون. وُلد بالكوفة، ولم يكن في الكوفيِّين أشبه برواية البصريِّين منه. وكان يزعم أنَّ أبا عبيدة والأصمعيَّ لا يعرفان شيئًا ... قال ثعلب: لزمت ابن الأعرابي تسع عشرة سنة وكان يحضر مجلسه زهاء مئة إنسان وما رأيت بيده كتابًا قطُّ ... له مصنَّفات كثيرة أدبيَّة وتاريخ القبائل. مات بسامراء. انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ١٠/٦٨٧ ـ ٦٨٨.

(٤) نسبه الخطابيُّ والزمخشريُّ إلى سُمير بن الحارث الضبِّي. انظر: الخطَّابي: غريب الحديث، ١/٣٤٢. الزمخشري: الفائق في غريب الحديث، ٢/١٩٧.



لم يكن أعمى ولا أصمَّ، وكان إذا سمع[1] المسموع سَمِعَهُ، وإذا وُجِدَ المبصَر أَبصَرَهُ، وإن لم يكن في حال ما وصفوه بأنَّه سميع بصير بحضرته ما يسمعه ولا يبصره، فلو كان الوصف له بأنَّه سميع تعدَّى إلى مسموع لم يكونوا يصفونه بذلك من غير أن يثبتوا له في ذلك الوقت مسموعًا.

فصل: [وصف اللّه تعالى بأنَّه بصير]

ويوصف بأنَّه بصير، وأنَّه لم يزل بصيرًا. وهو من صفات الذات، ولا يجوز أن يقال: لم يزل مبصرًا؛ لأَنَّه لا بدَّ من أن يكون معدًّى إلى المبصر. فلمَّا لم يجز أن يكون المبصَر إلَّا وهو موجود لم يجز أن يوصف الله تعالى بأنَّه مبصر له؛ لأَنَّه لا يكون مبصَرًا إلَّا وهو موجود.

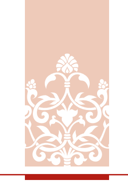
فصل من كتاب: [في حكم ألفاظ مختلفة في حقِّ اللّه تعالى]

ويقال: ما أحسن هذا عند الله، وما أقبح هذا عند الله، والعند تأويله العلم، وللعند معنى غير العلم، قال الله ﷻ: ﴿ مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖ ﴾ (النحل: ٩٦) ما لديكم ينفد، وما لديه مِمَّا أعدَّ الله تعالى لأوليائه باقٍ.

ويقال: قاسمت الله مالي. ويقال: جعلت هذا لله، وأعطيت هذا اللهَ، وأعطيت هذا للهِ، أي: التماس الرضا، ومعنى ذلك: لولا الله ما أعطيت. ومعنى أعطيت اللهَ وأعطيت للهِ متقاربان.

ويقال: الله تعالى يبغض، ويمقت، وينتظر، ويُمهل، ويستدرج، ويترقَّب، قال الله تعالى: ﴿ وَٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾ (هود: ١٢٢) وارتقبوا إنَّا مرتقبون، وذلك على غير استبعاد، ولا يقال شيء يبعد عليه.

(١) كذا في النسخ، ولعل الصواب: «وُجدَ المسموع».



ومنه يقال: أنزل الله القرآن بعلمه، بمعنى أنَّه أنزله وهو عالم، وليس للباء هاهنا معنى ثـان، وكذلك فعل بقدرته وبإرادته وبحكمه. وأمَّا ما كان للباء فيه معنى ثان يقال: عذَّبه الله بنـاره، وأقام بدنه بالطعام، فأمره بالطاعة، وزجره بالقـرآن، فالباء في هذا أجمع على غير اسـتعانة وغير /٢٤/ حاجة.

ومنه:

ويقـال: الله تعالـى علَّـم وأدَّب، والله تعالى معلِّمنـا ومؤدِّبنـا، وَفَقَّهَ. ولا أعلمهم يقولـون: الله المفقِّه، وهذه أقرب من معلِّـم ومؤدِّب. ويقال: الله أقامني وأقعدنـي، والله المقيم لي، والله مقعدي، ولا يجـوز: الله القائم لي. ويقال: الله عاصمـي، والعاصم لي وناصري والناصر لـي. ويقال: الله تعالى جاء بي وذهب بـي، كما جـاء الله بالمطر، وجـاء بالفرج، وجاء بالسَّـعَة والخصب، ويقال: لا جاء الله به. ويقـال: اللَّهُمَّ جِئْ به، وكذلك جاء الله بك وذهب بك.

ويقال: الله تعالى رفع نفسـه عن الظلم، والله تعالى يجلُّ عن هذا الأمر على ما قال ﷻ: ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ (مريم: ٩٢).

ومنه:

يقال: لا يتعـذَّر على الله تدبيـره. ولا أعلمهم يقولون: لا يعييه شـيء وليس يبعد، وقـد قـال الله تعالـى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَلَمۡ يَعۡىَ بِخَلۡقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧىَ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ (الأحقاف: ٣٣)، وقال ﷻ: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِ﴾ (قٓ: ١٥).

وقال المفضّـــل: كلُّ ما لم يُقدَر عليه ولم يتوجَّه لـــه فقد عيي به. ويقال: لا يُفدِحُهُ على ما قال: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَا﴾ (البقرة: ٢٥٥)، يعني: لا يثقل عليه، والفادح الثقيل. وقال الطرماح[١]:

ومثلــك نـاحت عـليه النســـا ... لعـظـم مصيبتــــه الـفـادحة[٢]

أي: الثقيلة.

(١) الطِّرمَّاح بن حكيم بن الحكم (ت: ١٢٥هـ): شــاعر إســلاميّ فحل، من طيئ. ولد ونشأ في الشــام، وانتقل إلى الكوفة فكان معلِّما فيها. وكان هجَّاءً، معاصرًا للكميت صديقًا له، لا يكادان يفترقان. قــال الجاحظ: كان قحطانيًّا عصبيًّا. انظــر: الزركلي: الأعلام، ٢٢٥/٣. الموسوعة الشعريَّة.

(٢) البيت من المتقارب، ورد بصيغة:

وَمِثلُــك ناحَــت عَلَيــهِ النِّســا ... ءُ مِــن بَيــنِ بِكْــرٍ إِلــى ناكِحَه

ينظر: ابن منظور: اللسان، مادَّة: «نكح»، ٦٢٦/٢. وديوان الطرماح في الموسوعة الشعريَّة.



باب ٢ ما لا يجوز من الصفات

ولا يجوز أن يقال: إن الله تعالى متين[١]؛ لأَنَّ المتين في حقيقة اللغة هو الثخين، والله سبحانه وتعالى لا يوصف بالثخن، وإنَّما قال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ (الذاريات: ٥٨) توسُّعًا ومبالغة في وصف نفسه بالقوَّة.

ولا يوصف بأنَّه شديد على الحقيقة؛ لأَنَّ الشدة بمعنى الصلابة، والله تعالى لا يوصف بالصلابة، فإن وجدنا في صفاته في القرآن أو غيره أنَّه شديد فهو مجاز لكثرة استعمالهم في القوَّة منَّا هذا القول على التوسُّع. ولكن يجوز أن يوصف بأنَّه تعالى شديد العقاب وبما أشبه ذلك من صفات الأفعال؛ لأَنَّ الشديد في صفات الأفعال إنَّما هي للأفعال، والشدَّة في هذه الصفة هي لها لا لله عزّ وجلّ.

مسألة: [حكم قولنا: الله أشد قوَّة]

فإن قال قائل: أفليس قد قال /٢٥/ تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴾ (فصلت: ١٥)؟ قيل له: بلى، وهذا على التوسُّع والمجاز في اللغة.

(١) ليس كلام المؤلف هنا على إطلاقه، وَإِنَّمَا المقصود أنه لا يجوز قولنا: «المتين» إذا كان أردنا منه معناه اللغويَّ المتعارف عليه بين الناس. وإلَّا فالقاعدة في صفات الله أنها توقيفيَّة، أي: نصفه بما وصف به نفسه، إن حقيقة وإن مجازًا.

فإن قال: ولم قلتم إنَّه مجاز؟ قيل له: لو لم يكن مجازًا لوجب أن تكون قوَّته شـــديدة وأن تكون قوَّته أقوى منَّا، ولو لم يكن مجازًا لأدى معناه إلى الإحالـــة[١]؛ فصحَّ بهذا أنَّه إنَّما ذكر هذا القول توسُّـــعًا في اللغة وأراد به أنَّه أقوى منهم وأقدر.

فصل: [وصف اللّه تعالى باليقين والاستبصار والتحقُّق والشعور والإحساس والعقل]

ولا يوصف تعالى بأنَّه موقن؛ لأَنَّ اليقين هو العلم الذي يستدركه العالم بعد الشكِّ والارتياب، أو بعد أن لم يعلم، فيكون قد أيقن بذلك بعد أن كان فيه شـــاكًّا، فلمَّا لم يجز أن يكون الله تعالى يعلم من بعد شـــكٍّ لم يجز أن يقال: إنَّه موقن.

وكذلـــك لا يقال: إنَّه مســـتبصر؛ لأَنَّ المســـتبصر في الشـــيء هو من استبصر فيه بعد شكٍّ، فلمَّا لم يجز الشكُّ على الله تعالى لم يجز أن يقال: إنَّه مستبصر.

وكذلك لا يقال: إنَّـــه متحقِّق؛ لأَنَّه في معنى مســـتبصر وموقن، وهذا لا يوصف به أحـــد منَّا في الشـــاهد إلَّا بعد أن كان شـــاكًّا فيمـــا يحقِّقه واستبصر فيه.

وكذلك لا يوصف بأنَّه يشعر بالأشياء ولا يفطن؛ لأَنَّه من يشعر ويفطن بالأشـــياء هو الذي لم يكـــن علمها قبل ذلـــك، والله تعالى لم يـــزل عالمًا بالأشياء، فلا تجوز هذه الصفة عليه تعالى.

وكذلك لا يوصف بأنَّه يحس بالأشـــياء؛ لأَنَّ الإحساس بالأشياء إنَّما

---

(١) كذا في النسخ، ولم يتَّضح لنا وجه الإحالة أو الاستحالة هنا.

هو أوَّل ما يُدرك من العلــم بها، فلمَّا لم يجز على الله تعالى اســتدراك العلم شــيئًا بعد شــيء إذْ كان الله لم يزل عالمًا لم يجز عليه تعالى هذا الوصف.

وكذلك لا يوصف تعالى بأنَّه يعقل بالأشياء كما يوصف بأنَّه يعلمها.

مسألة: [لم لا يجوز وصفه تعالى بالعقل؟]

فإن قال قائل: أو ليــس العلم عندكم غير العقل؟[١] قيل له: إنَّما ســمي علمنا عقلًا على التوسُّــع تشبيهًا بالعقل الذي هو الســد والمنع؛ لأَنَّ علمنا بحســن الحســن وقبح القبيح هو منع لنا من ركوب القبيح وترك الحسن، فســمِّي العلم عقلًا[٢] من هذا الوجه توسُّعًا، وعلم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا يجوز أن يكون منعًا له عن شيء؛ لأَنَّه لا يجوز على الله تعالى المنع، كما لا يجوز أن يكون مُخلَّــى؛ لأَنَّ التخلية والمنــع إنَّما يجوزان /٢٦/ على من تتوق نفســه إلى الأشــياء فيمتنع من ذلك ويكفُّ عنه بمثل ما وصفنــا، وهذا غير جائز على الله عَزَّ وَجَلَّ، فلم يجز أن يقال: إنه عاقل.

مسألة: [لم يختلف الحكم بين بعض الصفات مع أنها بمعنى واحد؟]

فإن قال: فمــا أنكرتم أن يكون معنى هذه الصفــات كلِّها معنى واحدًا؟ وإنَّما جاز أن يوصــف بأنَّه عالم ولم يجــز أن يوصف بأنَّــه يعقل ويفطن ويحــس ـ وإن كان معنى ذلك هــو معنى العلــم ـ لأَنَّ الله تعالى لم يصف بذلك نفســه في القرآن، ولم يصفه بذلك رســوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قيل له: لو كان الأمر

---

(١) كذا في النسخ، ولعلَّ صواب العبارة: «أو ليس العلم عندكم هو العقل؟».
(٢) في (د): «فسمي العقل علمًا عقلاً».

كذلك لوجب على أهل العقل من أهل اللغة أن يصفوه بجميع هذه الصفات من قبل أن يأتيهم الرسول ﷺ، ومن قبل أن ينزل القرآن. كما كان عليهم أن يصفوه بأنَّه عالم بالأشياء من قبل أن يأتيهم الرسول عليه السلام وينزل القرآن؛ لأَنَّهم يعرفون معاني هذه الصفات.

فصل: [وصف الله تعالى بالفهم والفقه والشمّ والذوق والصبر والفضل والكمال ونحوها]

ولا يوصف تعالى بأنَّه يفهم الأشياء كما يوصف بأنَّه يعلمها؛ لأَنَّ الفهم هو العلم بمعنى الكلام الذي يسمعه حتَّى يكون إذا سمعه لم يخف عليك معناه. وكذلك الفقه إنَّما هو أن نفقه الكلام، ولهذا الأمر لا يوصف بالفهم إلَّا الكلام وحده، وكذلك لا يوصف بالفقه إلَّا الكلام كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴾ (الكهف: ٩٣)، فلمَّا كان الله تعالى لم يزل عالما بالأشياء كلِّها وبمعانيها لم يجز أن يوصف بأنَّه يعرف معنى الكلام إذا سمعه كما نوصف نحن بذلك، ولا أنَّه يفهمه، ولا أنَّه يفقه، ولا أنَّه فهم، ولا بأنَّه فقيه.

ولا يوصف تعالى بأنَّه يشمُّ ويذوق؛ لأَنَّ الشم هو استنشاق الجسم المشموم ودخوله في الخياشيم، ومماسَّة الخياشيم له. والذوق هو مماسَّة الجسم المذوق اللسان واللهوات، فلمَّا لم يجز على الله تعالى مماسَّة الأجسام ولا مداخلتها إيَّاه لم يجز عليه الشمُّ والذوق.

ولا يوصف تعالى بأنَّه صبور كما يوصف بأنَّه حليم؛ لأَنَّ الصبور هو الذي يصبر على ما يؤلمه ويغمُّه، وهذا معناه عندنا في الشاهد؛ ولهذا كان ثواب الصبر عندنا من أعظم الثواب؛ لأَنَّه احتمال المكاره



والصبر عليها، فلما /٢٧/ كان سبحانه وتعالى لا يحتاج في أفعاله إلى احتيال تتم به أفعاله ومراده لم يجز أن يوصف عز وجل بالرفق ولا بالترفق، وجاز أن يوصف العباد بذلك لحاجتهم في أفعالهم إلى الاحتيال لها والسبب إليها.

ولا يوصف بأنَّه تعالى فاضل، ولكنَّه مفضِّل بما يفعل من الفضل على غيره، ولا يجوز أن يفْضُلَ هو بذلك؛ لأَنَّه مستغن عن الأفعال أن يَفْضُلَ بها.

ولا يوصف تعالى بأنَّه كامل؛ لأَنَّ الكامل منَّا هو الذي تمَّت أبعاضه، والناقص هو الذي نقصت أبعاضه عن أبعاض الكامل منَّا. وكذلك الكامل في خصاله منَّا نحو كمال الرجل في علمه وعقله ورأيه وقوَّته وفصاحته وسماحته إنَّما يصير بهذه الخصال كاملًا لتكامل خصاله هذه وتمامها، ويكون ناقصًا عن حدِّ الكمال بنقصان هذه الحال، فلما كان الله سبحانه وتعالى لا يجوز أن يوصف بالأبعاض لم يجز أن يوصف بالكمال في ذاته ولا بالنقصان. ولما لم يجز أن يشرف بأفعاله لم يجز أن يوصف بالكمال من جهة الأفعال كما يوصف الإنسان بذلك.

ولا يجوز أيضًا أن يوصف تعالى بأنَّه تامٌّ وأنَّه وافر؛ لأَنَّ تأويلهما تأويل الكامل؛ فلهذا لم تجز هذه الصفات عليه عز وجل.

ولا يجوز عليه تعالى التبعيض ولا الكلُّ ولا التفريق ولا التأليف.

ولا يوصف تعالى بأنَّه شجاع؛ لأَنَّ الشجاعة إنَّما هي من الجسرة على المكاره والأمور المخوفة، فلمَّا كان الله عز وجل لا يجوز أن يخاف شيئًا ولا أن يحذره لم يجز أن يوصف بالشجاعة ولا بالجرأة.

[وصف اللّه تعالى بالوزارة والمساعدة والتجريب والسكوت والنطق والفصاحة والبلاغة والخطابة... وغيرها]

ولا يوصف تعالى بأنَّه وزير ولا مساعد لأحد من خلقه، ولا أنَّهم وزراء له؛ لأَنَّ تأويل الوزير هــو أنَّه وازر صاحبه، ومعنى المــؤازرة أنَّ كلَّ واحد منهما شدَّ إزاره مع صاحبه ليعينه على ما [هو] فيه، ومِنْ شَدِّ الإزار اشتقَّ له اســم المؤازرة؛ لأَنَّ العرب كانت إذا توازرت[1] فعلت هذه الفعل وشــدَّت على أنفسها الإزار. فلمَّا لم يجز على الله تعالى هذا المعنى لم يجز أن يكون وزيرًا لأحد من خلقه وأوليائه، ولا أن يكون له وزير منهم. وكذلك المساعد إنَّمــا تأويله في اللغة هو أن يَجعَلَ ســاعدَهُ ويده في الأمــر الذي جعل فيه صاحبُهُ ســاعِدَهُ، فقالوا لمن تابع صاحبه على الأمر: ساعده، /٢٨/ من هذا المعنى، فهاتان الصفتان لا تجوزان على الله، تعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا.

فكلُّ اسم أو صفة لم يكن من جهة الحقائق وكان من جهة المجاز ولم نجد أهل اللغة قد ســمَّوه تعالى بهما لم تجز تســميته ﷻ بهما، إذ كانا لم يجوزا من جهة الحقيقة، ولا يسمَّى بهما تعالى في اللغة.

ولا يقال بأنَّه تعالى يجــرِّب عباده كما يمتحن عبــاده، إذ كان معنى[2] الامتحان في اللغة هو معنى التجربة؛ لأَنَّ القول بأنَّه يمتحن توسُّــعًا لوجود ذلك في اللغة، ولولا جــوازه في اللغة لم يجز القول بــه، فكيف يجوز أن يقال: إنَّــه يجرِّب ولم يجز ذلك فــي اللغة مجازًا ولا حقيقــة؟ **والمجازات**

(١) كذا في النســخ، وهو من كلام العامَّة، كما قال ابن منظور: «[قال] الفرَّاء: أَزَرْتُ فلانًا آزُرُهُ أَزْرًا: قوَّيته، وآزَرْتُه عاونته، والعامة تقول: وازَرْتُه». ابن منظور: اللسان، مادَّة: «أزر»، ١٧/٤. وينظر: الرازي: مختار الصحاح، ٦/١.

(٢) في (د): «بمعنى».



لا يجوز أن يقاس عليها في صفاته، وإنَّما نتكلَّم بها في الموضع الذي نجدها مستعملة فيه فقط.

ولا يوصف تعالى بالسكوت ولا بالترك على الحقيقة؛ لأَنَّ الترك هو كفُّ النفس عن الفعل الذي تتركه، وضبط النفس عن ذلك، فلمَّا كان الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا تحل أفعاله فيه لم يجز أن يكفَّ نفسه عنها ولم يجز أن يكون تاركًا لها.

ولا يوصف تعالى بأنَّه ناطق؛ لأَنَّ النطق إنَّما هو الصوت لا الكلام، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ (النمل: ١٦)، وقد علمنا أنَّ الطير لا تتكلَّم؛ لأَنَّه لو كان نطقها كلامًا لفهمنا نحن إذا سمعناه؛ لأَنَّا نفهم الكلام، فلمَّا كانت أصوات الطير بخلاف الكلام الذي نفهم صحَّ أنَّ منطق الطير إنَّما هو صوت ليس هو بكلام، فلم يجز على الله النطق أو جاز عليه الكلام. وأيضًا فإنَّ النطق هو مثل الصياح والصراخ، وذلك لو أن رجلًا ضُرب فصاح وصرخ لم يُقَلْ: إنَّه لم ينطق، ولو أنَّه سكت فلم يصرخ ولم يصح لقيل: إنَّه لم ينطق، فلما لم يجز على الله الصياح ولا الصراخ إذ كان ذلك إنَّما يجوز على المخلوق الذي يحلُّ صياحه وصراخه في لسانه ولهواته، لم يجز أيضًا عليه النطق من جنس الصياح والصراخ، ولم يكن من جنس الكلام. فإن وجدنا في بعض الكلام ما يدلُّ على أنَّ الكلام نطق فإن ذلك محمول على المجاز دون الحقيقة.

ولا يوصف تعالى بأنَّه فصيح؛ لأَنَّ الفصيح في اللغة إنَّما هو الكلام الذي يُفصح عن المعنى ويوضّحه، فكلام الله تعالى فصيح، وإنَّما وَصْفُهُم القائلَ بأنَّه فصيح /٢٩/ وإنَّما هو توسُّع، فلا يجوز أن يوصف الله تعالى بذلك؛ لأَنَّا لم نجده في صفاته فنصفه به على التوسُّع، ولكن [نَصِفُ] كلامه بأنَّه فصيح على جهة الحقيقة. وربما قال القائل: فلان فصيح اللسان، وهو يريد أنَّه ذرب

اللســان، وهذا توسُّــعًا ومجازًا؛ لأنَّ الفصاحة إنَّما هي للــكلام، وليس ذرابة اللسان من الفصاحة في شــيء؛ لأَنَّه رُب ذرب اللسان يكون كلامه فاسدًا فلا يكون فصيح الكلام، وربما كان الشاعر والمتكلم في لسانه لُكنة.

ولا يوصف تعالى بأنَّه بليغ ولكن يوصف كلامه بأنَّه بليغ؛ لأَنَّ البلاغة إنَّما هي للقول على الحقيقة لا للقائل، وهو القــول الذي بَلَغَ له المخاطَبُ مِنْ فَهْــمِ معناه مَا أراده القائــلُ، فلمَّا لم يوصف القائل منَّــا بأنَّه بليغ على الحقيقة، ولــم نجد في صفــات الله ﷻ أنَّه بليغ على المجــاز لم يجز أن يوصف الله تعالــى بأنَّه بليغ، ولكن يوصف كلامه بأنَّــه بليغ على الحقيقة، ويدلُّ علــى أن البليغ هو القول على الحقيقــة قوله عزَّ ذكره: ﴿حِكْمَةُۢ بَٰلِغَةٞۖ فَمَا تُغۡنِ ٱلنُّذُرُ﴾ (القمر: ٥)، والبالغ هو البليغ، يقال: رجل بليغ وبلغ[1].

ولا يوصف تعالى بأنَّه خطيب؛ لأَنَّ الخطيب هو الذي يخطب على من يســمع خطبته، فلما كان هذا المعنى من الله تعالى غيــر موجود لم يجز أن يوصف بأنَّه خطيب.

ولا يوصــف بأنَّه لم يــزل متكلما؛ لأَنَّ القول بذلــك إثبات الكلام قديمًــا معه. وقــد أجاز ذلك بعــض أصحابنا، قــال أبو محمَّــد[2] قال

(١) قال ابن منظور: «والبَلْغُ والبِلْغُ: البَلِيغُ من الرجال، ورجل بَلِيغٌ وبِلْغٌ حسَنُ الكلام فَصِيحُه يبلغ بعبارة لسانه كُنْهَ ما في قلبه. والجمعُ بُلَغاءُ»، لسان العرب، مادَّة: «بلغ»، ٨/٤٢٠.

(٢) يوجد الكثير ممــن كنيتهم أبو محمَّــد، ويبــدو أنَّ المقصود هو: أبو محمــد عبد الله بن محمد بن أبي المؤثر الخروصــي البهلوي (حيّ في: ٣٢٨هـ)، ينســب إلى بني خروص من أهل بهلا. نشأ في أسرة علميَّة، ذات مكانة في بلدة بهلا. شارك في تنصيب الإمامين، سعيد بن عبد الله سنة ٣٢٠هـ، والإمام راشد بن الوليد سنة ٣٢٨هـ. كَتَبَ سيرة في مسألة عزل الإمام الصلت، وقد نقلــت عنه أقوال وآراء كثيرة في الفقه والأحكام. توفي في وقعة الغشب، زمن الإمام راشد بن الوليد. انظر: معجم أعلام إباضيَّة المشرق، (نق).



أبو مالك[١]: يجوز أن يقال: لم يــزل المتكلِّم. وقال أبو محمَّد: إنَّ بعض المتكلِّمين أجــاز أن يقال: لم يزل متكلِّما لمكلَّم ســيكون، كما جاز أن يقال: لــم يزل إلٰهًا لمألوه ســيكون، وربًّا: أي: مالــكًا لمربوب ومملوك سيكون، هذان الآخران جائزان في قولنا. قال أبو محمَّد: يعجبني ما قال في الكلام أنَّه مثلهما، وفيه نظر.

ولا يوصف تعالى بأنَّه مليح ولا حسن ولا بأنَّه جميل.

مسألة: [لِمَ لا يوصف اللّه تعالى بالحُسن والجمال؟]

فإن قال قائل: ولم لا يوصف تعالى بذلك؟ قيل له: إن الحســن الجميل هو على ضربين: فضرب منه أن يكون حســنًا جميلًا فــي المنظر لمن يراه، والله تعالى لا تجوز عليه الرؤية فلا يجوز أن يكون حسنًا جميلًا في المنظر. وأيضًا: فإن الحسن والجمال يحلَّان في الشــاهد في الحسن[٢] الذي هو في المنظر حســن، وفي مكانه /٣٠/ الذي فيه ذلك الحســن، فلما لم يجز أن يحلَّ الله في الحســن والجمال ولم يكن له مكان فيحلّ حســنه وجماله في مكانه لم يجز أن يوصف تعالى بأنَّه حســن جميل من جهة حســن المنظر. والوجه الآخر من الحســن والجمال هو أن يكون حسنًا جميلًا في العقول، كمــا أنَّ الحكمة والصــلاح والصواب والعدل حســنة جميلة فــي العقول،

(١) أبو مالك، غسَّان بن محمَّد بن الخضر البهلوي الصلاني (حيّ في: ٣٢٠هـ) من أئمة العلم والفقه في عُمان. ولد بـ«بهلا». هاجر إلى صحار فنزل بمكان فيها يعرف باســم «صلان»، فعرف بالصلاني. أنشأ مدرســة فقهيَّة في بهلا، لها شــهرتها التاريخيَّة، تخرج فيها جملة من الفقهاء العاملين والأدباء المشهورين. من شــيوخه العلّامة محمد بن محبوب وولداه بشير وعبدالله. ومن أشهر تلامذته العلّامة عبدالله بن محمد بن بركة البهلوي. انظر: معجم أعلام إباضيَّة المشرق، (نق).

(٢) في (د): يمكن أن نقرأ: «المحسن».

وأضدادها من الفساد قبيحة، فلمَّا كان الله ﷻ لا يتصوَّر للعقول كتصوُّر ما وصفنا من الحكمة والعدل وغيره لم يجز أن تستحسنه العقول كاستحسانها لهذه الأشياء، فصحَّ بهذا أنَّه لا يجوز أن يوصف تعالى بالحسن ولا بالجمال، ولكن يوصف تعالى بأنَّه حسن الصنع إلى عباده، وأنَّه جميل الفعل، فيكون الحسن والجمال لأفعاله لا له ﷻ.

وقال الأشعريُّ[١]: روى أبو سعيد عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**إنَّ الله جميل يحبُّ الجمال**»[٢]، قال: ومعنى جميل؛ أي: مجمل، كما يقال حكيم بمعنى مُحْكِم، والعرب كثيرًا ما تخرج لفظة فعيل بمعنى مفعل، فالجميل بمعنى المجمل بالشيء.

قال: ويوضِّح هذا ما روي عن أبي بكر بن عبد الله[٣] أنَّه كان يتجمَّل بالثياب ويتطيَّب، فقيل له في ذلك فقال: إن الله تعالى جميل يُحبُّ الجمال منِّي. فالله أعلم بصحَّة الخبر وتأويله.

---

(١) الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت: ٣٢٤هـ): يصل نسبه إلى الصحابيِّ أبي موسى الأشعريِّ. إمام الأشاعرة. أخذ عن أبي خليفة الجمحي وأبي عليٍّ الجبائي. كان ذكيًّا متبحِّرًا في العلم، بارعًا في معرفة الاعتزال، كرهه وتبرأ منه، ثم أخذ يرد عليه. أخذ عنه كثيرون. من مصنفاته: «مقالات الإسلاميين» و«العمد» و«الموجز» و«خلق الأعمال» و«الرؤية بالأبصار» و«الخاص والعام» و«الرد على المجسمة» و«إيضاح البرهان» و«اللمع» وغيرها كثير. مات ببغداد. انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ١٥/٨٥ ـ ٩٠.

(٢) رواه مسلم وأحمد، ولفظه عند مسلم: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ»، قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ»: كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، ر٩١، ٩٣/١. أحمد: مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن مسعود، ر٣٧٨٩، ٣٩٩/١.

(٣) لم أتمكن من تحديده. ومن التابعين من اسمه: أبو بكر بن عبد الله بن قيس (ت: ١٠٦هـ). إلا أني لم أجد عنه هذه الرواية.



فصل: [وصف الله تعالى بأنَّه نبيل، أو حاذق، أو ذكيٌّ، أو ذرب، أو بالحفظ، أو الضحك، أو الفرح...]

ولا يوصف تعالى بأنَّه نبيل؛ لأَنَّ النبل عند أهل اللغة إنَّما هو الحسن والجمال مع صيانة النفس وتكامل الخلال المحدودة، فلمَّا كان الله سبحانه وتعالى لا تجوز عليه الأحوال ولم يجز أن يفضل وأن ينبل بأفعاله، ولا يتكامل بالخلال كما ينبل النبيل منَّا لم يجز أن يوصف بأنَّه نبيل.

[وصف الله تعالى بأنَّه حاذق]

ولا يوصف بأنَّه حاذق؛ لأَنَّ الحذق أصله في اللغة القطع، يقال: سكِّين حاذق، يراد أنَّه قاطع، قال أبو ذؤيب[1]:

يُرى ناصِحًا فيما بَدا، فَإِذا خَلا   فَـذلِكَ سِكّينٌ عَلى الْحَلقِ حاذِقُ[2]

(١) أبو ذُؤيب خويلد بن خالد بن محرِّث من بني هذيل بن مدركة المضري (ت: ٢٧هـ): شاعر فحل، مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، وسكن المدينة واشترك في الغزو والفتوح، وعاش إلى أيام عثمان فخرج في جند عبدالله بن سعد بن أبي السرح إلى إفريقية سنة ٢٦هـ غازيًا. فشهد فتح إفريقية، فلمَّا عاد مع عبدالله بن الزبير مات بمصر. وقيل: مات بإفريقية. قال البغدادي: هو أشعر هذيل من غير مدافعة. له ديوان مطبوع. انظر: الزركلي: الأعلام، ٣٢٥/٢. والموسوعة الشعريَّة.

(٢) البيت من الطويل، وهو البيت الثاني من قصيدة مطلعها:

أَلا هَل أَتى أُمَّ الحُوَيرِثِ مُرسَلٌ   نَعَـم خالِدٌ إِن لَم تَعُقـهُ العَوائِقُ

ينظر: ديوان أبي ذؤيب في الموسوعة الشعريَّة.

وخَلٌّ حاذق: شديد الحموضة كأنَّه يقطع. وإنَّما يقال: حذق فلان هذا الشيء يراد أنَّه قطع بعلمه، وفرغ منه؛ فلمَّا لم يجز على الله تعالى التعلُّم لم يجز أن يقال: إنَّه حاذق، ولا يجوز أن يقال: إنه قد حذق.

[وصف الله تعالى بأنَّه ذكيّ]

ولا يوصف تعالى بأنَّه ذكيٌّ؛ لأَنَّ الذكاء هو حدَّة القلب وسرعة تلقُّنه، فلمَّا لم يجز على الله حدَّة القلب /٣١/ إذ ليس بذي قلب [لم يجز أن يقال: إنَّه ذكيٌّ][١]. وصبيٌّ ذكيٌّ إذا كان سريع الفطنة. والعقل ذَكِيَ يَذْكَى ذَكًى، ويقال: ذَكَا يذكو ذَكَاءً[٢].

[وصف الله تعالى بالذرابة]

ولا يوصف تعالى بالذَّرابة؛ لأَنَّ الذَّرابة هي خفَّة اللسان وسرعته في التحوُّل للكلام، كما أنَّ الذكاء هو حدَّة القلب وسرعة تقلُّبه، فلمَّا لم يكن الله تعالى ذا لسان لم يجز أن يوصف بالذَّرابة. والذَّرِبُ: الحادُّ من كلِّ شيء. لسان ذَرِبٌ وسنان ذَرِبٌ وطعام مذورب، وفِعْلُهُ ذَرِبَ ذَرَبًا وذَرَابَةً، وقوم ذُرُبٌ: بَيِّنُو الذَّرَابَة[٣].

وقيل: إنَّ أعرابيًّا جاء إلى النبي ﷺ فشكا إليه امرأته فقال:

إليك أشكو ذِرْبَةً من الذِّرَبِ يا مالك الملك وديَّان العرب[٤]

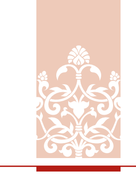
---

(١) إضافة من عندنا لتكتمل العبارة.

(٢) قال ابن منظور: «وصَبِيٌّ ذَكِيٌّ إذا كان سريعَ الفِطْنَةِ، وقد ذكِيَ، بالكسر، يَذْكَى ذَكًا. ويقال: ذَكا يَذْكُو ذَكاءً، وذَكُوَ فهو ذَكِيٌّ. ويقال: ذَكُوَ قَلْبُه يَذْكُو إذا حَيَّ بَعْدَ بَلَادَةٍ». لسان العرب، مادَّة: «ذكا»، ١٤/٢٨٧.

(٣) انظر: ابن منظور: اللسان، مادَّة: «ذرب»، ١/٣٨٥.

(٤) الأعرابيُّ هو: أعشى بني مازن وَاسْمُهُ: عَبْدُ اللهِ بن الأعْوَر. روى الإمام أحمد أنَّه «كَانَتْ =



ويقال: إنـي لقيت ذِرْبَةً من الذِّرَبِ، يعني: سليطة من النساء[١]، فقال النبي ﷺ: «ذلك الله عز وجل»[٢].

[وصف الله تعالى بالحفظ]

ولا يوصف تعالى بأنَّه يحفظ[٣] الأشياء على معنى أنَّه يعلمها، كوصفنا لأنفسنا بالحفظ لِمَا علمناه من القرآن وغيره؛ لأَنَّ وَصْفَنَا لأنفسنا بذلك توسُّعًا ومجازًا، ومرادنا في ذلك أنَّا إذا علمنا لم يذهب عنَّا، فلمَّا كان الوصف لنا بالحفظ من هذا المعنى مجازًا لم يجز أن يوصف الله تعالى بأنَّه حافظٌ للأشياء على معنى أنَّه يعلمها[٤]، وإنَّما يوصف بحفظ الأشياء على معنى الحفظ المعقول في الشاهد بأن يصرف عنَّا الذهاب والضرر والفساد.

= عِنْدَهُ امْرَأَةٌ يُقَالُ لَهَا مُعَاذَةُ، خَرَجَ فِي رَجَبٍ يَمِيرُ أَهْلَهُ مِنْ هَجَرَ، فَهَرَبَت امْرَأَتُهُ بَعْدَهُ نَاشِزًا عَلَيْهِ، فَعَاذَتْ بِرَجُلٍ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ: مُطَرِّفُ بن بُهْصُل ... فَجَعَلَهَا خَلْفَ ظَهْرِهِ فَلَمَّا قَدِمَ وَلَمْ يَجِدْهَا فِي بَيْتِهِ ... فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَعَاذَ بِهِ وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

يَا سَيِّدَ النَّاسِ وَدَيَّانَ الْعَرَبْ ... إِلَيْكَ أَشْكُو ذِرْبَةً مِنَ الذِّرَبْ
كَالذِّئْبَةِ الْغَبْشَاءِ فِي ظِلِّ السَّرَبْ ... خَرَجْتُ أَبْغِيهَا الطَّعَامَ فِي رَجَبْ
فَخَلَّفَتْنِي بِنِزَاعٍ وَهَرَبْ ... أَخْلَفَتْ الْعَهْدَ وَلَطَّتْ بِالذَّنَبْ
وَقَذَفَتْنِي بَيْنَ عِيصٍ مُؤْتَشَبْ ... وَهُنَّ شَرُّ غَالِبٍ لِمَنْ غَلَبْ

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ: «وَهُنَّ شَرُّ غَالِبٍ لِمَنْ غَلَبْ...». مسند أحمد، ر٦٨٨٥، ٦٨٨٦، ٢٠١/٢ ـ ٢٠٢.

(١) قال ابن منظور: «وامرأةٌ ذِرْبَةٌ، مثلُ قِرْبَة، وذَرِبَةٌ؛ أَي: صَخَّابةٌ، حديدةٌ، سَليطَة اللِّسانِ، فاحِشَة، طَويلة اللِّسان». لسان العرب، مادَّة: «ذرب»، ٣٨٥/١.

(٢) لم أجد هذه الزيادة فيما بين يديَّ من مصادر. وإنما الذي ورد أنَّ النبيَّ ﷺ ردَّد الشطر الأخير من الأبيات: «وَهُنَّ شَرُّ غَالِبٍ لِمَنْ غَلَبْ»، كما سبق ذكره.

(٣) في (د): «يصف»، ولم نر له وجهًا من الصواب في هذا السياق.

(٤) في (د): «يحفظه».



[وصف الله تعالى بالضحك]

ولا يوصف تعالى بأنَّه يضحك؛ لأَنَّ الضحك في اللغة هو هذا الضحك المعقـول، وهو الإيضاح والإشـراق، فليس من ذلك شـيء يجوز على الله تعالـى؛ لأَنَّ الضحك في معنـى الانفتاح هو ما روي أنَّـه لو وهب لبعض عبيده ما ضحكت عنه أصداف البحر، وكذلك قول الآخر:

كـلُّ يـوم بـأقْـحُـوانٍ جديد تضحك الأرض من بكاء السماء[1]

يعني: تنفتح بالنبات بما يصيبها من المطر.

وقال آخر:

إِنَّ السَّـماءَ إِذا لَم تَبـكِ مُقلَتُها لَم تَضحَكِ الأَرضُ في شَيءٍ مِنَ الخُضُرِ[2]

وأنشد ابن الأعرابيِّ[3]:

أمَّا ترى الأرض قد أعطتك زهرتها بخضرة واكتسـى بالنور عاريها

/٣٢/ وللسماء بكاء في جوانبها وللربيع ابتسـام في نواحيها[4]

(١) البيت من الخفيف، تنسب إلى الحسين بن مطير الأسدي (ت: ١٦٩هـ)، من أبيات مطلعها:

أَيْـنَ أَهْـلُ القِبَـابِ بالدَّهْنَـاءِ أَيْـنَ جِيرَانُنَـا عَلَـى الأَحْسَـاءِ

ينظر: الموسوعة الشعريَّة.

(٢) البيت من البسـيط، ينسـب إلـى البحتـري الوليد بـن عبيـد (ت: ٢٨٤هـ)، وإلى عبد الصمد بن المعذل (ت: ٢٤٠هـ)، بلفظ: «الزهر» بدل «الخضر». انظر: ديوانهما في الموسوعة الشعريَّة.

(٣) ابن الأعرابيِّ هو: محمَّد بن زياد بن الأعرابي (ت: ٢٣١هـ)، وقد تقدَّمت ترجمته.

(٤) البيتان من البسـيط. ينسـب إلى ابن المعتز أبي العبَّاس عبد الله بن محمَّد (ت: ٢٩٦هـ)، وإلى ابن بسام البغدادي أبي الحسن علي بن محمَّد بن نصر (ت: ٣٠٢هـ). انظر: ديوانهما في الموسوعة الشعريَّة.



وقال آخر في الإشراق:

يُضاحِكُ الشَّمسَ مِنها كَوكَبٌ شَرِقٌ مُؤَزَّرٌ بِعَميمِ النَّبتِ مُكتَهِلُ[1]

يعني: يضاحك إشراقه ونوره عند طلوع الشمس عليه.

فلا يجوز على الله الإشراق والبَصيص[2] والانفتاح والضحك الذي نعرفه من العباد.

وقد تأوَّل قوم الضحك من الله تعالى على خلاف هذا الضحك المعقول من الناس، وليس لإجازة مَن أجاز الضحك على الله تعالى معنى يجوز عليه عَزَّوَجَلَّ، وإنَّما يجوز أن يقال: إنَّه أضْحَكَ غيرَهُ بما يفعله من الخير، ولا يقال: ضَحِكَ هو، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

[وصف الله تعالى بالفرح]

ولا يوصف تعالى بالفرح على ما جاء به الخبر عن النعمان بن بشير أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**للهُ أَفرحُ بتَوبَة العبدِ مِنَ العبدِ إذَا ضلَّت رَاحلَتُه في أَرضٍ فلاةٍ فِي يومٍ قيظٍ وعلَيهَا زَادهُ ومَزَادهُ...**» الخبر[3]؛ لأَنَّ الفرح إنَّما يجوز على من

(١) البيت من البسيط، ينسب إلى الأعشى أبي بصير ميمون بن قيس (ت: ٧هـ)، من قصيدة مطلعها:

وَدِّع هُرَيرَةَ إِنَّ الرَّكبَ مُرتَحِلُ وَهَل تُطيقُ وَداعًا أَيُّها الرَجُلُ

ينظر: ديوان الأعشى في الموسوعة الشعريَّة.

(٢) في النسخ: «النصيص» والنصُّ يطلق على الظهور. ولعلّ الأصوب ما أثبتناه بمعنى التألُّق والإشراق.

(٣) نصُّه عند البخاريِّ: «... للهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ رَجُلٍ نَزَلَ مَنْزِلاً، وَبِهِ مَهْلَكَةٌ، وَمَعَهُ رَاحِلَتُهُ عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ فَنَامَ نَوْمَةً، فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ رَاحِلَتُهُ حَتَّى إِذَا اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْحَرُّ وَالْعَطَشُ أَوْ مَا شَاءَ اللهُ، قَالَ: أَرْجِعُ إِلَى مَكَانِي، فَرَجَعَ فَنَامَ نَوْمَةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَإِذَا رَاحِلَتُهُ عِنْدَهُ». كتاب الدعوات، باب التوبة، ر٥٩٤٩، ٥/٢٣٢٤. الترمذي: السنن، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب منه، ر٢٤٩٨، ٤/٦٥٨.

يجوز عليه الغمُّ، ومن تصل إليه المنافع والمضــارُّ، وهذا لا يجوز على الله تعالى. وإنَّما يوصف بذلك توسُّــعًا، وأرادوا به أنَّه مريد لتوبة عبده، وكاره لإصراره على ذنوبه.

والفرح في كلام العرب على وجوه، منها: بمعنى السرور، ومنه قوله تعالى: ﴿وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ (يونس: ٢٢)، أي: سُرُّوا بها، وهذا الوصف لا يجوز على الله تعالى؛ لأَنَّ ذلك خفَّة تعتري الإنســان إذا كَبُرَ قَدْرُ شــيء عنده لمنفعــة فيه، عاجــلٌ أو آجــلٌ، وكلُّ هــذا منفيٌّ عنه جلّ جلاله.

ومنــه الفــرح بمعنى البطــر والأشــر، ومنــه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ﴾ (القصص: ٧٦)، وقوله تعالى: ﴿لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ (هود: ١٠)، ومنه قول الشاعر:

وَلَستُ بِمِفراحٍ إِذا الدَّهرُ سَرَّني وَلا جازِعٍ مِن صَرفِهِ الْمُتَقَلِّبِ[١]

أي: لست بأَشِرٍ ولا بَطِرٍ.

ومنه الفــرح بمعنى الرضــا، ومنه قوله تعالــى: ﴿كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ﴾ (المؤمنون: ٥٣، والروم: ٣٢) أي: راضون، فمعنى قوله: «للهُ أَفرَحُ» أي: أرضى، والرضا من صفات الله ﷻ؛ لأَنَّ الرضا هو القبول للشيء والفرح لــه، والله تعالــى قابل للإيمــان، فيجوز وصفــه ﷻ بذلــك، هذا قول الأشعري.

(١) ينســب البيت إلى عدَّة شــعراء: أبي العتاهيَّة إســماعيل بن القاســم (ت: ٢١١هـ)، وإلى هدبة بن الخشرم (ت: ٥٠ ق.هـ)، من أبيات مطلعها:

وَمــا أَتَصَدّى لِلخَليــلِ وَما أَرى مُريدًا غِنى ذي الثَّروَةِ الْمُتَقَطِّبِ

وينسب أيضًا إلى تأبَّط شرًّا ثابت بن جابر (ت: ٨٥ ق.هـ) وهذا الأخير بلفظ: «المتحوِّل» بدل: «المتقلب». انظر: دواوين هؤلاء في الموسوعة الشعريَّة.

وقال المفضّل: قال أبو عبيدة[١] في قوله تعالى: ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ (القصص: ٧٦) /٣٣/ معناه: لا تأشر ولا تمرح، وهو واحد، والفرح السرور، والفرح البطر.

وقال ابن أحمر[٢]:

وَلا يُنسِينِيَ الحَدَثانُ عِرضي   وَلا أُلقي مِنَ الفَرحِ الإِزارا[٣]

يقول: لا أجزع من الحدثان حتَّى أخرج إلى ما يُنكَر منِّي، ولا يستخفُّني الفرح حتَّى أُلقي إزاري فتظهر عورتي.

ويقال: فرح به فهو فرح وفارح، قال الفرَّاء[٤]: الفَرِحُ الذي هو في

(١) إذا ذُكر أبو عبيدة في أغلب ما فيه شرح لغويٌّ فهو: معمر بن المثنَّى التيميُّ البصريُّ النحويُّ (ت: ٢٠٩هـ)، برع في علم اللسان وأيام الناس. قال الجاحظ: لم يكن في الأرض جماعيٌّ ولا خارجيٌّ أعلم بجميع العلوم من أبي عبيدة. قال المبرّد: كان هو والأصمعيُّ متقاربين في النحو وكان أبو عبيدة أكمل القوم. كتبه تقارب مائتي مصنَّف منها: «مجاز القرآن»، و«غريب الحديث» و«مقتل عثمان» و«أخبار الحجَّاج» ... قارب مئة عام أو كملها. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٤٤٥/٩ ـ ٤٤٧.

(٢) عمرو بن أحمر الباهلي (ت: ٦٥هـ): شاعر جاهليٌّ مخضرم، ولد ونشأ في نجد، أدرك الإسلام وأسلم وشارك في الفتوحات. مدح الخلفاء الراشدين وبعض الخلفاء الأمويين، وكان من المطالبين بدم عثمان والمعادين لعلي بن أبي طالب. وقد هجا في شعره يزيد بن معاوية وظلَّ مختفيًا عنه حتى وفاته. ثم عاد فأصلح ما فسد بينه وبين بني أمية فمدح عبد الملك بن مروان وغيره. انظر: الزركلي: الأعلام، ٧٢/٥. الموسوعة الشعريَّة.

(٣) البيت من الوافر، من قصيدة مطلعها:

أَلَم تَسأَل بِفاضِحَةَ الدِيارا   مَتى حَلَّ الْجَميعُ بِها وَسارا

انظر: ديوان عمرو بن أحمر الباهلي في الموسوعة الشعريَّة.

(٤) أبو زكرياء يحيى بن زياد بن عبد الله الديلمي، مولى بني أسد المعروف بالفرَّاء (ت: ٢٠٧هـ): نحويٌّ لغويٌّ فقيه متكلِّم، عالم بأيَّام العرب وأخبارها عارف بالنجوم والطب، يميل إلى الاعتزال. إمام الكوفيِّين في النحو. كان يقال: الفرَّاء أمير المؤمنين =

وقته فرح، والفارح الذي يفرح فيما يستقبل، مثل: طَمِعٌ وطامع، وأنشد:

وَما أَنا مِــن رُزءٍ وَإِن جَلَّ جازِعٌ   وَلا بِسُــرورٍ بَعدَ مَوتِكَ فارِحُ[(١)]

[وصف الله تعالى بالتعجُّب]

ولا يقال: إنَّ الله تعالى عجب من كذا؛ لأَنَّ التعَجُّبَ إنَّما يحدث مِمَّن لم يعلم شــيئًا ثُمَّ علمه فعجب عند ذلــك مِمَّا علم، والله ﷻ لــم يزل عالمًا بالأشياء، فلا يجوز أن يعلم منها ما لم يكن عَلِمَهُ فيعجب منه.

وقد رويت أخبار كثيرة في تعجُّب الله ﷻ فسَّرها الأشعريُّ، منها ما روي من قوله ﷺ: «**ثلاثة تعجَّب الله إليهم: القوم إذا اصطفُّوا في الصلاة، والقوم إذا اصطفُّوا لقتال المشركين، ورجل يقوم إلى الصلاة في جوف الليل**»[(٢)].

ومنها خبــر زيد بن ثابت الأنصاريِّ وضيفــه، أي: أبي هريرة، فقال ﷺ: «**لقد عجب الله من ضيفكما البارحة**»[(٣)]، وأنزل فيهما: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ (الحشر: ٩).

= في النحو. ومن كلام ثعلب: لولا الفرَّاء ما كانت اللغة. ولــد بالكوفة، وانتقل إلى بغداد، وعهد إليه المأمون بتربية ابنيه. من كتبه «المقصور والممدود» و«معاني القرآن» و«المذكَّر والمؤنث» و«اللغات». وكان يتفلســف في تصانيفه. قيل: اشــتهر بالفــراء لأنَّه كان يفري الكلام. توفِّي في طريق مكَّة. انظر: الزركلي: الأعلام، ١٤٥/٨ ـ ١٤٦.

(١) البيت من الطويل، لأبي القاسم منصور بن الزبرقان النمري (ت: ١٩٠هـ)، من أبيات مطلعها:

مَضى ابنُ سَـعيدٍ حينَ لَم يَبقَ مَشرِقٌ   وَلا مَـغـرِبٌ إِلَّا لَــهُ فيـهِ مـادِحُ

ينظر: ديوانه في الموسوعة الشعريَّة.

(٢) لم أجده إلَّا عند البيهقيِّ بلفظ: «ثلاثة يضحك الله إليهم...». البيهقي: الأســماء والصفات، ر٩٣٣، ١٩/٣ (ش).

(٣) رواه مسلم بلفظ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُــولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ إِنِّي مَجْهُودٌ، فَأَرْسَلَ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ فَقَالَت: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا عِنْدِي إِلاّ مَاءٌ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أُخْرَى فَقَالَتْ مِثْلَ ذَلِكَ، حَتَّى =

قال الأشعريُّ: إنَّ الناس قد اختلفوا في معنى العجب من الله ﷻ؛ فقال قوم: معنى عجبه، أي: عظم ذلك عنده، ومنه قوله تعالى: ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴾ (الصافات: ١٢) أي: بل عظم أمرهم. وقال آخرون: معنى عجب: رضي وأثاب، فسمَّاه عجبًا وليس بعجب في الحقيقة، كقوله تعالى: ﴿ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ﴾ (الأنفال: ٣٠) وإن كان المكر منفيًّا عنه ـ جلَّ جلاله ـ. وقال بعض أهل الفقه: معنى قوله تعالى: ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴾؛ أي: جازيتهم على عجبهم؛ لأنَّهم عجبوا من الحقّ في غير موضع، فقال تعالى: ﴿ بَلْ عَجِبْتَ ﴾، أي: جاريتهم على تعجُّبهم؛ لأنَّ جزاء الشيء يسمَّى باسمه، كقوله تعالى: ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ﴾ (آل عمران: ٥٤)، ﴿ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ ﴾ (التوبة: ٧٩)، والله تعالى لا يمكر ولا يسخر، وإنَّما هو على ما يسمِّي العرب جزاء الشيء باسم المجازى والمجازى به. قال شقيق[(١)]: قرأت عند شريح[(٢)] /٣٤/ ﴿بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ﴾، فقال: إنَّ الله تعالى لا يعجب

= قُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثْلَ ذَلِكَ ... فَقَالَ: مَنْ يُضِيفُ هَذَا اللَّيْلَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى رَحْلِهِ فَقَالَ لامْرَأَتِهِ: هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ؟ قَالَت: لَا، إِلَّا قُوتُ صِبْيَانِي، قَالَ: فَعَلِّلِيهِمْ بِشَيْءٍ، فَإِذَا دَخَلَ ضَيْفُنَا فَأَطْفِئِي السِّرَاجَ وَأَرِيهِ أَنَّا نَأْكُلُ، فَإِذَا أَهْوَى لِيَأْكُلَ فَقُومِي إِلَى السِّرَاجِ حَتَّى تُطْفِئِيهِ. قَالَ: فَقَعَدُوا وَأَكَلَ الضَّيْفُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «قَدْ عَجِبَ اللهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ». البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ (الحشر: ٩)، ر٤٦٠٧، ١٨٥٤/٤. كتاب الأشربة، باب إكرام الضيف وفضل إيثاره، ر٢٠٥٤، ١٦٢٤/٣. وينظر: ابن قتيبة: تأويل مختلف الحديث، ص٢١١.

(١) وهو: أبو وائل شقيق بن مسلم الأسدي (ت:٨٢هـ). انظر ترجمته في: تفسير ابن أبي حاتم، ٢٠٦/١٠. والزاهر، ٢٨٦/٢. طبقات ابن خياط، ٣٥٦. وتهذيب التهذيب، ٣٦١/٤.

(٢) لعلَّه: القاضي أبو أمية شُريح بن الحارث بن قيس الكندي (ت: ٧٨هـ): من أشهر القضاة الفقهاء في صدر الإسلام، ولي قضاء الكوفي في زمن عمر وعثمان وعلي ومعاوية، واستفى في أيام الحجاج سنة ٧٧هـ. كان ثقة في الحديث، مأمونًا في القضاء. له باع في الأدب والشعر. عمِّر طويلًا. ومات بالكوفة. انظر: الزركلي: الأعلام، ١٦١/٣.

من شـــيء، وإنَّما يعجب من لا يعلم. قال: فذكرت ذلـــك لإبراهيم فقال: إن شريحًا شاعر يعجبه علمه، وعبدالله بن مسعود [أعلم منه و][1] كان يقرأ ﴿**بَلْ عَجِبْتُ**﴾ (الصافات: ١٢).

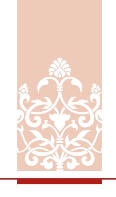
وقال بعـــض البصريِّين: (بَـلْ عَجِبْتُ)[2] بالضمِّ، ذهـــب إلى أنَّ العجب لمحمَّد ﷺ، وفيه إضمار قول، معناه: قل يا محمَّد: (بَلْ عَجِبْتُ) أنا من قدرة الله، فأضمر القول لدلالة الكلام عليه.

وقال بعضهم: هـــذه الأحاديث فـــي العَجَب نُقلت مصحَّفـــة، وإنَّما هو عَجَّبَ، بتشـــديد الجيم، أي: عجَّـــب ربُّنا تعالى ملائكته مـــن هؤلاء الثلاثة فتعجَّب الملائكة من صنيعهم.

وكذلك قالوا في قوله: «**ضحك**»، أي: ضحَّكَ ربُّنا ملائكتَه من أفعالهم، بتشـــديد الحاء وفتحها، أي: أضحكها[3] من صنيع عباده. وضحك يجوز أن يجيء بمعنى أضحك؛ لأَنَّ فَعَلَ يجيء في لســـان العرب بمعنى أَفْعَلَ، نحو: ضاء القمر وأضـــاء، وصبر الفرس صبـــرًا وأصبر إصبـــارًا، إذا جمع قوائمه ووثب. وضررت الرجل وأضررت به. وضربت عن الشيء وأضربت عنه، إذا أعرضت عنه. وصغت الناقة وأصغت، إذا اســـتملت الفحل[4]، هذا كله قول الأشعري.

---

(١) الزيادة من الزاهر، ٢/٢٨٦.
(٢) انظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ١٥/٦٩.
(٣) لعل الأصوب: أضحكهم. إذ إنَّ القـــرآن الكريم يُرجع الضمير إلى الملائكة بصيغة الجمع دائمًا، كمـــا في قوله تعالـــى: ﴿وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾ (النســـاء: ١٦٦). ﴿ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ (النساء: ١٧٢).
(٤) كذا في النسخ. وفي اللســـان: «وأَصْغَتِ الناقةُ تُصْغي إذا أَمالتْ رأْسَـــها إلى الرجلِ كأَنَّها تَسْتَمع شيئًا حين يَشُدُّ عليها الرحْل». ابن منظور: اللسان، مادَّة: «صغو»، ١٤/٤٦١.



[وصف اللّه تعالى بأنَّه يهجر المعاصي]

ولا يقال: إنَّ الله تعالى يهجر المعاصي كما يقال: يكرهها ويسخطها؛ لأَنَّ هجراننا الشـيء هو الانقطاع عنه وترك الاتِّصال به، وربما كان ذلك تَرْكَ الكلام لمن يهاجره، وتركًا لمجالسته ومقاربته، وهذه المعاني لا يجوز على الله تعالى أن يفعلها بالمعاصي. وإنَّما قيل: إنَّ أفضل الهجرة أن تهجر ما كره الله، فإذا كان أصله في الناس توسُّعًا لم يجز أن يوصف الله تعالى بذلك إلَّا بعد أن نجد الناس قد توسَّعوا في اللغة في صفته تعالى، فأمَّا إذا لم نجد من ذلك في صفاته ﷻ فلا يجوز استعماله إذا كان لا يجب من جهة الحقيقة.

ولا يقال: إنَّه تعالى زكيٌّ؛ لأَنَّ معناه أنَّه بلغ حدًّا لم يكن بلغه قبل ذلك، كالزرع، وهذا لا يجوز عليه تعالى. وإنَّما قيل للإنسان: إنَّه زكيٌّ؛ لأَنَّه بلغ مقدارًا بعلمه لم يكن بلغه قبل ذلك.

[وصف اللّه تعالى بأنَّه نظيف]

ولا يقال: إنَّه نظيف؛ لأَنَّ النظيف هو المنظَّف وهو المغسول، وهذا لا يجوز على الله ﷻ.

[وصف اللّه تعالى بأنَّه يطيق أن يفعل كذا]

ولا يقال: إنَّه ﷻ يطيق أن يفعل كذا؛ لأَنَّ الطاقة معناها الجهد، وذلك أنَّه يقول القائل: طقت ذلك جهدي، فلمَّا أن كانت الطاقة استفراغ /٣٥/ الجهد فما يطيقه الإنسان لم يجز أن يوصف ﷻ بذلك، وجاز أن يوصف بغيره الذي معناه أنَّه قادر.

وقد اختلف القرَّاء والمفسِّرون في قوله ﷻ: ﴿هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ (المائدة: ١١٢)، فقرأ ابن عبَّاس وعائشة ـ رحمهما الله ـ:

(هَلْ تَسْتَطِيعُ رَبَّكَ)[١] (بالتاء ونصب «ربَّك»). وروي عن عائشة ﵂ أنَّها قالت: كانوا أعلم بالله من أن يقولوا: ﴿هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ﴾، إنَّما قالوا: (هَلْ تَسْتَطِيعُ أنتَ رَبَّكَ)، وكذا رويت عن سعيد بن جبير، وقال: هل تستطيع أن تسأل ربَّك؟. ورويت هذه القراءة عن عليٍّ ومعاذ بن جبل والكسائي[٢]. وذكر القرَّاء أنَّ معاذًا قال: أقرأني رسول الله ﷺ: (هَلْ تَسْتَطِيعُ رَبَّكَ) (بالتاء)، وقرأ كثير منهم بالياء، قال بعضهم: على أشدِّ ما يرون. وقال بعضهم: هل يستجيب ربُّك؟ هل يطيعك ربُّك؟. قال المفضّل: ولم يجتمع القرَّاء على التاء وهم على خطأ، بل هم على صواب والحمد لله.

وذلك أنَّ الطاعة على وجهين:

- فالطاعة: الانقياد والذلَّة[٣]، يقال: طاع له يطوع طوعًا، وأطاعه يطيعه إطاعة.
- والطاعة: الإجابة، ومنه قولهم: قد أطعتك فيما سألت، أي: أجبتك، ومنه قوله تعالى: ﴿ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهًا﴾ (فصِّلت: ١١)، أي: مُجِيبَتَين إلى ما أُمرتما أو كارهتين، ومنه قوله جلَّ ثناؤه: ﴿مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ﴾ (غافر: ١٨) أي: يُجاب إذا سَأَل.
- فعلى معنى الإجابة تصحُّ القراءة بالياء، أي: هل يجيب ربُّك إذا سَأَلْتَهُ[٤]، وإنَّما المكروه أن يُتأوَّل «يَسْتَطِيعُ» على معنى يَقْدِرُ، من الاستطاعة، وهي القدرة والقوَّة على الشيء.

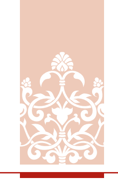
---

(١) انظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ٣٦٤/٦.

(٢) الكسائي، أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي بالولاء الكوفي (ت: ١٨٩هـ): إمام في النحو واللغة والقراءة. تعلَّم النحو في كبره، وتنقل بالبادية وسكن بغداد وتوفي بالري. أدَّب الرشيد وابنه الأمين. وكان من جلساء الخليفة. له ذلك: «معاني القرآن» و«الحروف»، و«القراءات»، و«نوادر»، و«المتشابه في القرآن» ... انظر: الزركلي: الأعلام، ٢٨٣/٤.

(٣) في (د): «الزلة».

(٤) في (د): «سأله».



[وصف الله تعالى بأنَّه يطمئن ويثق ويركن...]

ولا يقال: إنَّه تعالى يطمئنُّ إلى أنبيائه وملائكته ويثق بهم ويركن إليهم؛ لأَنَّ الاطمئنانة إلى الشيء والثقة به والركون إليه إنَّما هو بمنزلة السكون إليه، وهو ضدُّ النفور عنه والتهمة له؛ فلمَّا كان لا يجوز على الله ﷻ النفور عن الأشياء ولا التهمة لها؛ لأَنَّ هذا إنَّما يجوز على من لا يعلم ما يكون، ولا يحيط بالأشياء علمًا، فصحَّ أنَّ ذلك لا يجوز على الله ﷻ.

[وصف الله تعالى بأنه ذخر أو سند]

ولا يقال: إنَّه تعالى ذُخرٌ ولا أنَّه سَنَدٌ، وذلك أنَّ الذخر هو ما ذخره الإنسان، والسند هو ما يُسنِدُ الإنسان إليه ظهره، والله يتعالى عن هذا علوًّا كبيرًا.

فإن قيل هذا في صفاته تعالى فإنَّما هو /٣٦/ مجاز ومعناه ليس بحقيقة، وهذا لا يجب له من جهة الحقيقة، إلَّا أن يكون قد استعمل الناس ذلك مجازًا فيستعمله معهم.

فصل: [لا يجوز أن يقال: اللّه خير من كذا وكذا]

وهذه صفة ذات. وإن قيل: الله تعالى خير أفعال منك فجائز. قال الْحَسَنُ[1] في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ﴾ (طه: ٧٣): خير منك يا فرعون ثوابًا، وأبقى عقابًا.

ولا يقال: كذا وكذا دون الله بمعنى التفاضل والخيار؛ لأَنَّ الخيار لا يقع إلَّا بين الأجناس. ألا ترى أنَّه يقال: فلان أحسن من فلان، وخير من فلان،

(١) الحسن بن يسار البصري (ت: ١١٠هـ)، وقد تقدَّمت ترجمته.

يراد أنَّه أصلح منه؛ لأَنَّهم جنس واحد، وهذا لا يجوز على الله؛ لأنَّه تعالى وعزَّ ذكره ليس بذي جنس، ولا هو من جنس غيره. ولا يقع الخيار بينه وبين غيره.

مسألة: [اعتراضات في التفاضل بين الله وخلقه، وجوابها]

فإن اعتلَّ معتل بقوله عز ذكره: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً﴾ (مريم: ٨١، ويس: ٧٤) فقد قال بعضٌ: اتَّخذوا عبادة الأصنام ليعتزُّوا بذلك، وهي دون عبادة الله تعالى، كما قال ﷻ: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ (البقرة: ٦١)، وقد قال: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً﴾ فذمَّهم بذلك، لا أنَّهم دونه في المسافة، هذا غير جائز على الله تعالى، ألا ترى أنَّه لا يجوز أن يقال: أيُّما خيرٌ: الشعر أو القرآن؟ لأَنَّ القرآن ليس من الشعر في شيء، ولو جاز أن يقال: أيُّما خير القرآن أو الشعر؟ لجاز أن يقال: أيُّما خير الله أو الشاعر؟ فلمَّا بطل الخيار بين الله تعالى والشاعر فسد الخيار بين القرآن والشعر، والله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ (الشورى: ١١)، ولا يشبهه شيء من خلقه. وكذلك فِعْلُه لا يشبه شيئًا من فعل خلقه.

فإن اعتل أحد بقوله: ﴿يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ (يوسف: ٣٩) فالمراد في ذلك: يا صاحبي السجن عبادتكم لغير الله خير أم عبادة الله؟. ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾، إلى قوله تعالى: ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ (يوسف: ٤٠) فأخبر تعالى أن عبادة الله ﷻ خير من عبادة غيره.

فإن قال: فقد قال: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ (النمل: ٨٩، والقصص: ٨٤) قيل له: إنَّما عنى من فعل فعلًا كوفئ بأكثر مِمَّا يستحقُّه، لا بأن يُجازَى بفعل غيره.



فصل: [في السؤال عن مكان الله وعن تعليل أفعاله عز وجل وكيفه...]

قال مجاهد[1]: لا يقولنَّ أحدكم: الله حيث كان، فإنَّ حيث في مكان معلوم، ولكنَّه بكلِّ مكان.

قال أبو عبد الله[2] رحمه الله: /٣٧/ لا يقال: كان الله ولا شيء، ولكن يقال: لم يزل الله ولا شيء. وقيل: إنَّه جائز، فالله أعلم.

ولا يقال: لِمَ فَعَلَ ربُّك كذا وكذا؛ لأَنَّه ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ (الأنبياء: ٢٣). ولا يجوز فيه «كيف»، ولا «ما»، ولا «أين»؛ لأَنَّ كلَّ ما يجوز فيه الأين فهو بمكان، والمكان أقوى منه؛ لأَنَّ المكان يحمله، والحامل أقوى من المحمول.

خبر [كان الله في عَماء...]

روى أبو رزين[3]، قلت: يا رسول الله، أين كان ربُّنا قبل أن يخلق خلقه؟

---

(١) أبو الحجَّاج مجاهد بن جبر المكِّي (ت: ١٠٤هـ)، مولى بني مخزوم: تابعيٌّ، من أهل مكَّة. شيخ القرَّاء والمفسِّرين، أخذ التفسير عن ابن عبَّاس. تنقل في الأسفار، واستقرَّ في الكوفة. وكان لا يسمع بأعجوبة إلَّا ذهب فنظر إليها. أمَّا كتابه في « التفسير » فيتَّقيه المفسِّرون لاعتماده على أهل الكتاب. انظر: الزركلي: الأعلام، ٢٧٨/٥.

(٢) يبدو أنَّه: أبو عبد الله محمَّد بن محبوب بن الرحيل القرشي المخزومي (ت: ٢٦٠هـ): من كبار علماء عُمان. من شيوخه: موسى بن علي. كان رئيس العلم والعلماء في أيَّام الإمام الصلت، فولَّاه القضاء بصحار، من سنة ٢٤٩هـ حتَّى توفِّي يوم الجمعة ٣ محرَّم ٢٦٠هـ. من تلاميذه: ابناه عبد الله وبشير، وعزان بن الصقر، وأبو المؤثر الصلت بن خميس، والفضل بن الحواري، وأبو جابر محمد بن جعفر. انظر: معجم أعلام إباضيَّة المشرق، (نق).

(٣) قال الترمذي ـ راوي الحديث ـ: أَبُو رَزِينٍ اسْمُهُ لَقِيطُ بن عَامِرٍ. وقال ابن عبد البر: يقال: لقيط بن صبرة بن عبد الله بن المنتفق. وهو وافد بني المنتفق إلى رسول الله ﷺ. انظر: ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ترجمة ر٢٢٣٩، ١٣٤٠/٣.



وفي خبر: قبل أن يخلق السماوات والأرض؟ فقال ﷺ: «**كان في عَماء، ما تحته هواء، وما فوقه هواء، ثُمَّ خلق عرشه على الماء**»[(١)].

قال أبو عبيدة[(٢)]: العماء (بالمدِّ): السحاب، ويقال: هو الرقيق، قال الشاعر:

ذعرنا به سربًا نقيًّا جلوده كنجم الثريَّا أسفرت من عمائها[(٣)]

قال الأشعريُّ: من روى هذا الخبر في العماء (بالمدِّ) فمعناه كان القديم تعالى فوق السحاب مدبِّرا له وعاليًا عليه. وقوله: «**ما فوقه هواء**» أي: ما فوق السحاب [هواء]. وكذلك قوله: «**ما تحته هواء**». وقوله ﷺ: «**كان في عماء**»، أي: كان على السحاب، أي: فوقه، كما قال: ﴿ فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ (التوبة: ٢) أي: على الأرض، ومثله كثير. وحروف الصفات يدخل بعضها في بعض، قال ﷻ: ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ ﴾ (طه: ٧١) بمعنى على جذوع النخل. قال الشاعر:

---

(١) رواه الترمذي في سننه، بلفظ: «قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ خَلْقَهُ». وقال: «وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ». كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة هود، ر٣١٠٩، ٥/٢٠٨. وأحمد في مسنده بلفظ: «قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ»، أوَّل مسند المدنيين أجمعين، ١٢/٤.

(٢) أبو عبيدة، معمر بن المثنَّى (ت: ٢٠٩هـ). تقدَّمت ترجمته.

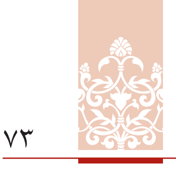
(٣) البيت من الطويل نسبه ابن سيِّده وابن منظور إلى الفرزدق. ابن سيِّده: المحكم والمحيط الأعظم، ٢/٢٨٠. ابن منظور: اللسان، مادَّة: «عمي»، ١٥/٩٩. وورد في الموسوعة الشعريَّة بلفظ:

ذَعَرتُ بِها سِربًا نَقِيًّا كَأَنَّهُ نُجومُ الثُرَيَّا أَسفَرَت مِن عَمائِها

من قصيدة مطلعها:

سَما لَكَ شَوقٌ مِن نَوارٍ ودونَها سُوَيقَةُ وَالدَّهنا وَعَرضُ جِوائِها

ينظر: ديوان الفرزدق في الموسوعة الشعريَّة.



هُمُ صلبوا العَبْدِيَّ في جذع نخلة فلا عَطَسَتْ شَيْبَانُ إلَّا بأَجْدَعَا[(١)]

بمعنى: على جذع نخلة.

ومن روى «في عمى» (مقصور) فهو في الغمَاء بمعنى الاشـــتباه، وأنشد ثعلب[(٢)]:

تمام العمى طول السكوت وَإِنَّمَا شفاء العمى يومًا سؤالك من يدري[(٣)]

فمعنى العمى: أنَّه لا شـــيء ثابـــت، وكأنَّه قال في جوابـــه ﷺ: إنَّه كان تعالى قبل أن يخلق خلقه في غير شـــيء، فمحصول جوابه أنَّه كان ﷻ في لا شيء، إذ لم يخلق شيئًا بعد.

وقوله: «**كان في عمى**» تشبه منه ﷺ لمن هو لا شيء أن يعمى أمر فيه[(٤)]، هذا عن الأشعري.

(١) البيت من الطويل ينســب إلى: سويد اليشكري (ت: ٦٠هـ). وإلى قراد بن حنش الصادري (ت: ١٣ ق.هـ) من قصيدة مطلعها:

إذا اتَّفَقَ العَمرانِ عَمرُو بن جابرٍ وبَدرُ بن عَمــرٍو كانَ ذُبيانُ تُبَّعا

ينظر: ديوان قراد في الموسوعة الشعرية.

(٢) ثعلب هو: أبو العبَّاس أحمد بن يحيى بن زيد بن ســيار الشــيباني بالولاء (ت: ٢٩١هـ): إمام الكوفيين في النحو واللغة. كان راوية للشــعر، محدِّثًا، حافظًا، صادقًا، ثقة حجَّة. وُلد ومات في بغــداد. وأصيب في أواخر أيامه بصمم فصدمته فرس فســقط في هوة، فتوفي. من كتبه «الفصيح» و«قواعد الشعر» و«مجالس ثعلب» و«معاني القرآن». ... انظر: الزركلي: الأعلام، ٢٦٧/١.

(٣) أنشده ثعلب عن ابن الأعرابي، وذكره بهذا اللفظ الرامهرمزي في المحدث الفاصل، ص٣٦٢.

(٤) قال ابن منظور: «قال الأَزهريُّ: وقد بلَغَنــي عن أَبي الهيثم، ولم يعْزُه إِليه ثقةٌ، أَنه قال في تفســير هذا الحديث ولفظِه: «إِنَّه كان في عمىً»، مقصورٌ، قال: وكلُّ أَمرٍ لا تدرِكُهُ القلوبُ بالعُقولِ فهــو عَمًى، قال: والمعنى أَنه كان حيث لا تدْرِكه عقولُ بنــي آدمَ، ولا يَبْلُغُ كنَهَه وصْفٌ». ابن منظور: اللسان، مادَّة: «عمي»، ٩٩/١٥ ـ ١٠٠. =

فصل: [في حكم ألفاظ مختلفة في حق اللّه تعالى]

لا يقال: الله عَزَّوَجَلَّ مستبصر ولا متحقِّق ولا موقن.

ولا يجوز لم يزل حليمًا، دون أن يقال: لم يزل حليمًا عن العصاة منذ عصوه.

ولا يقال: إنَّه عتيق كما يقال: إنَّه قديم. الفرق بينهما أنَّ القديم المتقدِّم بالأشياء، /٣٨/ الذي لا يجرى عليه الحدوث، والعتيق: الذي يجرى عليه الحدوث.

ولا يقال: إنَّه يعقل ولا إنَّه يدري. والدراية هي العلم، وأمَّا العقل فهو الذي يعقل الأشياء كما تُعقَل الناقة، ولم يره سليمان بن عثمان[١]، وأمَّا موسى بن عليٍّ[٢] ومحمَّد بن محبوب[٣] وكافَّة الفقهاء فرأوه جائزًا.

= وهذا ما ينبغي في مثل هذا المقام الذي تقصر عنه عقول البشر؛ إذ الأمر غيبيٌّ ليس لنا فيه خبر يقينيٌّ، والأمر متعلِّق بالله تعالى، فلا يمكن اقتحامه بأخبار ظنيَّة ثبوتًا ودلالة.

(١) أبو عثمان، سليمان بن عثمان (حيّ في: ١٩٢هـ): قاض عالم فقيه، من عقر نزوى. عاش في أواخر القرن الثالث الهجري. من مشايخه الشيخ موسى بن أبي جابر الأزكوي. كان قاضيًا للإمام الوارث بن كعب الخروصي، ثم قاضيًا للإمام غسان بن عبد الله، وكان من جملة المبايعين للإمام غسان سنة ١٩٢هـ. له أحكام مأثورة وآراء فقهية مشهورة. انظر: معجم أعلام إباضيَّة المشرق، (نق).

(٢) أبو علي، موسى بن علي بن عزرة البسياني (١٧٧ ـ ٢٣٠هـ) عالم من قرية بسيا بإزكي. من أساتذته: هاشم بن غيلان، ووالده علي بن عزرة. بايع الإمام المهنا بن جيفر سنة ٢٢٦هـ وعارض عزله لكبر سنه. كان شيخًا للمسلمين وقاضيًا في عهد الإمام عبد الملك بن حميد (٢٠٧ ـ ٢٢٦هـ). عارض عزل هذا الإمام لكبر سنه، وقام بنفسه بأمر الدولة والإمامة. وشغل منصب القضاء في عهده، وكان مرجع الفتوى والحل والعقد في الخلع والبيعة. من مؤلفاته: كتاب الجامع، ولعله من الكتب المفقودة. انظر: معجم أعلام إباضيَّة المشرق، (نق).

(٣) أبو عبد الله، محمَّد بن محبوب بن الرحيل (ت: ٢٦٠هـ)، وقد تقدَّمت ترجمته.

والدليل على العالِم أنَّه يخلق الأشياء بكيفيَّتها وكمالها بإيقاعها، والجاهل بالأشياء تقع منه الأفعالُ مختلفةً. ولا يستعمل «يدري» مع جوازه إلَّا قليلًا. وقال بعضهم:

أنت السميع وأنت الداري

وقال الآخر:

لا هُمَّ لا أَدْرِي وأَنْتَ الدَّارِي(١)

مسألة: [حكم التعجُّب في صفات اللّه]

قال أبو محمَّد رَحِمَهُ اللَّهُ : لا يجوز أن يقال: ما أَبْصَرَ اللهَ بعباده، وما أعلم الله بعباده، أو ما أقدر الله، أو ما أحكم الله بعباده، أو نحو هذا من صفات الذات، لا يجوز أن يقال على سبيل التعجُّب.

وعن أبي محمَّد حيَّان(٢): إنَّه لا يجوز أن يقال: ما أكرم الله، وما ألطفه، وما أحكمه، وما أشبه هذا؛ لأَنَّه تعجُّب، والتعجُّب عن تعالى منفيٌّ.

وفي بعض الكتب: أنَّ التعجُّب جائز في الأفعال ولا يجوز في صفات الذات، يجوز أن يقال: ما أحسن صنع الله وتدبيره!. ولا يجوز أن يقال: ما أحسن علم الله، وقدرة الله، وعزَّة الله، وإنَّ الله لَحَسَنُ العلمِ والعزَّة والقدرة، هذا لا يجوز؛ لأَنَّها صفات الله، و«ما أحسن» في الأفعال مدح وتعظيم، وفي الذات تصغير، والله أعلم بالصواب.

---

(١) تقدَّم التعليق عليه.

(٢) لم نتمكَّن من تحديده.

ويقوِّي هذا القــولُ قولَ أبي محمَّــد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنَّه لا يجــوز التعجُّب في صفات الذات، فاختصاصه لصفات[١] الــذات دون الأفعال دليل على إجازة التعجُّب في الأفعال؛ لأَنَّه لــو كان لا يجوز في الجميع لَمَا خصَّ صفة دون صفة، والله أعلم.

وقد يوجد التعجُّب في الأفعال كثيرًا وهو على جهة التعظيم والتكبير.

وقد جاء عن أبي جعفر النحــويِّ النحاس[٢] أنَّ أبــا العبَّاس[٣] زعم أنَّ معنى قولك: ما أعظم الله: شيءٌ عظَّم اللهَ في عيني. قال: وقال أبو إسحاق[٤]: هذا عندي غلط، والمعنى: عندي شــيء ينبِّهني على عظمة الله حتَّى عظَّمته جلَّ وعزَّ. قال: ونظير هذا أن ينبِّهك الرجل على ذكر إنسان فيقول لك: اذكر فلانًا، /٣٩/ فتقول: ذكرني فلانٌ فلانًا، نبَّهني على ذكره حتَّى ذكرته، وكذلك قولك: ما أعظم الله!.

وعن عليٍّ أنَّه مرَّ برحبة القصَّابين، فسمع رجلًا يقول: لا والذي احتجب بســبع ســماوات، فعلاه بالدِّرَّة، وقال: ويحك! إنَّ الله لا يحجبه شــيء عن شــيء!. قال: أفأُكفِّر عن يميني يا أمير المؤمنين؟ قال: لا؛ لأَنَّك حلفت بغير الله عَزَّ وَجَلَّ.

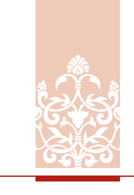
---

(١) لعلَّ الأصوب: «بصفات».

(٢) أبو جعفر، أحمد بن محمد بن إســماعيل المرادي المصــري، النحَّاس (ت: ٣٣٨هـ): مفسِّــر، أديب. مولده ووفاته بمصر. كان من نظراء نفطويه وابــن الأنباري. زار العراق واجتمع بعلمائه. وصنَّف «تفســير القرآن» و«إعراب القرآن» و«تفســير أبيات سيبويه» و«ناسخ القرآن ومنسوخه» و«معاني القرآن»، و«شرح المعلقات السبع». انظر: الزركلي: الأعلام، ٢٠٨/١.

(٣) يبدو أنه: الْمُبَرَّد أبو العبَّاس محمَّد بن يزيد الأزدي (ت: ٢٨٦هـ)، وقد تقدَّمت ترجمته.

(٤) لم نتمكَّن من تحديده، ولعلهُ: أبو إسحاق إبراهيم بن قيس الحضرمي.



فصل: [ألفاظ لا تقال في حقِّ اللّه]

لا يقال في صفة الله ﷻ المتعزِّز ولا المتجبِّر، ولا يقال: [تعزز، ولا تكبر، ولا تجبر][1] ولا افتخر؛ لأَنَّ الافتخار لا يكون إلَّا بين النظيرين المتضادَّين. ولا يقال: يستمع. ولا يقال: أعرض الله عنك. ولا يجوز أن يقال: أقبل الله إليك. ولا يجوز أن يقال: سأل الله عنك. ولا يجوز أن يقال: تعالى الله بالعزِّ والكبرياء. ولا يقال: إن الله احتجب بقدرته عن عيون الناظرين؛ لأَنَّ القدرة ليست[2] هي غيره، وليس هو مِمَّن يتوارى ويحتجب.

مسألة: [الحجاب في حقِّ اللّه تعالى]

فإن قال قائل: فقد قال الله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ (الشورى: ٥١) فما هذا الحجاب؟ قيل: معنى الحجاب هو المنع لهم عن رؤيته، وليس من دونه حجاب يستره، عزَّ وجَلَّ عن ذلك علوًّا كبيرًا.

قال الخليل[3]: الحجاب اسم ما حجبت به بين شيئين، وكل شيء منع

(١) كلمة غير مفهومة، رسمها بلا إعجام: المحر. والتصويب من منهج الطالبين للشقصي، ٤٦٣/١ (ترقيم الشاملة).

(٢) في (د): «ليس».

(٣) أبو عبد الرحمٰن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي اليحمدي (ت: ١٧٠هـ): من أئمة اللغة والأدب، وواضع علم العروض، أخذه من الموسيقى وكان عارفًا بها. وهو أستاذ سيبويه النحوي. ولد ومات في البصرة، وعاش فقيرًا صابرًا. كان شعث الرأس، شاحب اللون، قشف الهيئة، متمزق الثياب، متقطع القدمين، مغمورًا في الناس لا يُعرف. قال النضر بن شميل: ما رأى الراؤون مثل الخليل ولا رأى الخليل مثل نفسه. له كتاب «العين» في اللغة و«معاني الحروف» و«جملة آلات العرب» و«تفسير حروف اللغة» و«كتاب العروض» وغيرها. ولم يسم أحد بأحمد بعد رسول الله ﷺ قبل والد الخليل. انظر: الزركلي: الأعلام، ٣١٤/٢.

شـيئًا فقد حجبه. واحتجب فـلانٌ: إذا اكتنَّ من وراء الحجـاب. وحجاب الجوف يحجب بين الفؤاد وسـائر البطن. وقـول الناس: فلان محتجب عن الناس، أي: ممتنع من رؤيتهم له وإن لم يكن من دونه حجاب.

وكره أبو محمَّد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن يقال فـي صفة الله تعالى: المحتجب، قال: وقد قال [به] بعض المتكلِّمين. وكره أبو عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن يقال: جلَّ الله في ملكه لمكان «في».

ولا يجوز أن يقال: لا تولِّنا غيرك، ولا تُنسِنَا ذِكْرَكَ.

ولا يجوز أن يوصف تعالى بالـرأي فيقال: الرأي لله؛ لأَنَّ الرأي أن يرى الشيءَ بعد الشيء، وهو أيضًا من البداء، أن يبدو(١) له الرأي بعد إذ لم يكن، والله تعالى لا يوصف بالبداء.

فصل من كتاب [ألفاظ مختلفة أخرى في حقِّ اللّه تعالى]

لا يقال: هذا حرام في رأي الله ولا في اعتقاد الله، كما قيل: هذا حرام في دين الله وفي علم الله. ولا يجـوز أن يقال: يعتقد كذا ويرى كذا. ولا يقال: له مذهب، كمـا قيل: له علم. ولا يقـال: رأى الله له، /٤٠/ كمـا قيل: نظر الله واختار له. وكذلك في النفي لا يقال: لم ير الله له، كما قيل: لم ينظر الله له.

ومنه: ولا يجوز في شـيء من صفات الذات: لِمَ كان؟ لا يجوز لِمَ عَلِمَ الله تعالى؟ ولا متى عَلِمَ؟ وكذلك لِمَ قَـدِرَ الله؟ ومتى قَدِرَ الله؟ وكذلك لِمَ أراد الله كذا؟ ولا متى أراد كذا؟ هذا غير جائز في صفات الذات أجمع.

وأمَّا في الأفعال فجائز أن يقال: لِمَ أَمَرَ؟ ولِمَ نَهَى؟ ولِمَ أَثَابَ؟ ولِمَ عَاقَبَ؟ فيقال: لمصالح العباد. ولم يُجِزْ ذلك ابنُ محبوب رَحِمَهُ ٱللَّهُ ، فالله أعلم بالأصحِّ.

---

(١) في (د): «يبدا».

ومنه[١]: ولا يجوز أن يقال: لو قدر الله على كذا وكذا، ولا لو أبصر الله، ولا لو سمع الله، كما قيل: لو علم الله، ولو شاء الله.

ولا يقال: يتملَّك، كما قيل: مَلَكَ وتَمَلَّكَ. ولا يقال يتعزَّز ولا يتعظَّم ولا يتكبَّر ولا يتجبَّر ولا يتكرَّم ولا يتخلَّق، وما كان فيه يتفعَّل فلا يجوز.

ومنه: ولا يقال: الله تعالى رغب، كما قيل: كَلَّفَ وأمر وطلب منَّا الطاعة.

قال صاحب الكتاب: واختُلف في: طَلَبَ وسأل الطاعة[٢].

قال: فأمَّا أراد منهم فجائز؛ لأنَّ الرغبة إنَّما تكون على الحاجة، ألا ترى أنَّه أَمَرَ غَيْرَ راغبٍ. فكذلك طَلَبَ واستقرض؛ لأَنَّه من غير عدم استقرض، فلذلك لم يكن راغبًا. والاستقراض على وجهين: يكون مستقرضًا لحاجة فذلك عن الله منفيٌّ. والاستقراض لا لحاجة فهو ما نَدَبَ الله تعالى إليه أن يُتَقرَّب بذلك إليه.

ولا يقال: وهبتُ هذا لله وتركته له، وأقرضت الله. ولا يقال: تصدَّقت كما قيل: أقرضته.

واختلف في القول بأنَّ الله يتصدَّق علينا، قال بعض الفقهاء: لا يقال: الله تعالى متصدِّق علينا، إنَّما يتصدَّق من يطلب الثواب. وجوَّزَ ذلك بعضهم. روي في الأثر: إنَّ الله تعالى يتصدَّق على المسافر بشكر[٣] الصلاة والصوم[٤].

(١) أي: من الكتاب المذكور.

(٢) في (د): «الساعة»، وفي الهامش: «قال غيره: لعله الطاعة»، فأثبتنا ما بدا أنَّه أصحُّ.

(٣) كذا في النسخ، ولعل الصواب: «بشطر».

(٤) روى الترمذيُّ في سننه: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى وَضَعَ عَنِ الْمُسَافِرِ الصَّوْمَ وَشَطْرَ الصَّلَاةِ، وَعَنِ الْحَامِلِ أَوِ الْمُرْضِعِ الصَّوْمَ أَوِ الصِّيَامَ...». وقال: «حَدِيثٌ حَسَنٌ». كتاب الصوم، باب ما جاء في الرخصة في الإفطار للحبلى والمرضع، ر٧١٥، ٣/٩٤.

ولا يقال: أقرضنا الله. ويقال: أثابنا وشكر لنا وجازانا. ولا يقال: جزانا الله ولا كافأنا الله. ويقال: في ثوابه كفأة لأعمالنا[١]. ولا يقال: إنَّه تعالى أخرج ما وهب من ملكه.

ومنه: لا يقال: إنَّ الله تعالى يَحْذَرُ ولا يخاف ولا يخشى إلَّا على معنى العلم، وقد قال تعالى: ﴿فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا﴾ (الكهف: ٨٠) قالوا: في ذلك: عَلِمْنَا، فلا يجوز إلَّا على هذا التفسير.

ولا يقال: يظنُّ، /٤١/ وإن كان الظنُّ قد يجيء في موضع العلم. قال المفضّل: قال الفرَّاء[٢] في قوله تعالى: ﴿فَخَشِينَآ﴾ معناه: علمنا، وهو مثل: ﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ (البقرة: ٢٢٩)؛ لأَنَّ «خشينا» و«خفنا» واحد. والخوفُ والظنُّ يُذهَب بهما مذهب العلم. وقال دريد بن الصمَّة[٣]:

فقلت لهم: ظُنُّوا بألفي مُدَجَّج ... سَراتُهُمُ في الفارسيِّ الْمُسَرَّد[٤]

---

(١) كذا في النسخ، وفي العبارة اضطراب.

(٢) يحيى بن زياد بن عبد الله الديلمي (ت: ٢٠٧هـ)، وقد تقدَّمت ترجمته.

(٣) دُرَيد بن الصمَّة الجشمي البكري (ت: ٨هـ) من هوازن: من أبطال الشعراء المعمرين في الجاهليَّة، كان سيد بني جشم وفارسهم وقائدهم، وغزا نحو مئة غزوة لم يهزم في واحدة منها. أدرك الإسلام ولم يسلم، فقتل على دين الجاهليَّة يوم حنين. انظر: أبو تمام: ديوان الحماسة، ٣٣٦/١ ـ ٣٣٧. انظر: الزركلي: الأعلام، ٣٣٩/٢. الموسوعة الشعرية.

(٤) البيت من الطويل. وبهذه الصيغة أورده أبو تمام في ديوان الحماسة، ٣٣٦/١ ـ ٣٣٧. والخطابي أيضًا في الغريب، ٢٦/٣. وورد بصيغة:

وَقُلتُ لِعارِضٍ وَأَصحابِ عارِضٍ ... وَرَهطِ بَني السَوداءِ وَالقَومُ شُهَّدي

عَلانِيَةً ظُنّوا بِأَلفَي مُدَجَّجٍ ... سَراتُهُمُ في الفارِسِيِّ المُسَرَّدِ

من قصيدة مطلعها:

أَرَثَّ جَديدُ الحَبلِ مِن أُمِّ مَعبَدِ ... بِعاقِبَةٍ وَأَخلَفَت كُلَّ مَوعِدِ

ينظر: ديوان ابن الصمة في الموسوعة الشعرية.

أي: اِعلموا. ومثله قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ ﴾ (البقرة: ٤٦) قالوا: يعلمون. فالظنُّ يكون شكًّا ويكون يقينًا، فالشكُّ لا يجوز على الله تعالى.

ومنه: لا يقال: إنَّه تعالى يتقي، ولا إنَّه يرجو؛ لأَنَّ الرجاء إنَّما قد يكون على الخوف والطمع، وذلك عن الله تعالى منفيٌّ.

ولا يقال: يتحنَّن على خلقه، ولا يتلطَّف، ولا يتودَّد، كما يقال: إنَّه لطيف بهم. ولا يقال: أشفق الله عليهم. ولا يقال: إنَّه غلَّظَ ولا عنَّف على الكفَّار، كما قيل: إنَّه غضب عليهم. ولا يقال: شيءٌ أبعدُ عليه من شيء، ولا شيء أهون عليه من شيء. ولا يوصف بالعجلة.

ومنه: لا يجوز أن يقال: رأيت الله تعالى حتَّى يصل ذلك بكلام: «رأيت الله أهلك عادًا وثمودًا»، وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴾ (الفيل: ١)، و﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ ﴾ (الفرقان: ٤٥)، ويجوز أن تقول: رأيت الله كيف مدَّ الظلَّ، ورأيت الظلَّ كيف مدَّه الله؛ لأَنَّ المعنى واحد.

وكذلك لا يجوز سمعت الله، حتَّى يصل فيقول: سمعت الله يقول، ويقول: وجدت الله تعالى صنع كذا. ولا يقال: أدركت الله صنع كذا.

ومنه: ولا يوصف بالعناية ولا بالنصح. ولا يقال: ألزم نفسه. ويقال: أوجب وكتب على نفسه.

ولا يجوز: الله يحرِّك بي، ويسكن بي، كما جاز جاء بي. ولا يجوز: قام الله بك، وسكن بك، وحرَّك بك. وما كان مثله فعلى قياسه.

ومنه: ولا يقال: ما دَعَا اللهَ تعالى إلى كذا وكذا، ولا ما حمله على كذا.

ولا يجوز في شيء: إنَّ الله فيه شيء، إلَّا أن تقول: ما لله في العامَّةِ على

الخلق؟ فيقال: الثناء والشكر. فإذا خرج من هذا الوجه بطل القول بأنَّ الله في شيءٍ شيءٌ[١].

ولا يقال: إنَّه تعالى احتاج إليه إذ فعله.

ولا يقال: ما صيره إلى هذا الفعل؟ لأمرٍ كان لا يفعله ثُمَّ فعله.

/٤٢/ ومنه: ولا يقال فيما نفى الله عن نفسه من الظلم: اعتذر؛ لأَنَّ المعتذر الذي ليس له على ما أضيف إليه شواهد باقية. وقد جوَّز بعضهم اعتذر على غير ما يُفعل من اعتذار الخلق، على التعظيم وإزالة التهمة. فقيل: كذب على الله وأخبر عنه بغير الخلق ما اعتذر[٢]. ويقال: تَبَرَّأَ، ولا يقال في موضع تَبَرَّأَ: طَهَّر نفسه، كما قيل: نزَّه نفسه.

ومنه: ولا يقال: إنَّه تعالى مشغول لقوله ﷻ: ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾ (الرحمٰن: ٢٩)؛ لأَنَّ المشغولَ المانع له الشيءُ من غيره، والله تعالى لا يمنعه كثيرُ مَا دبَّر مِنْ أَضعَافِهِ. ومعنى ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾ قيل: من شأنه أنَّه يجيب سائلًا، ويَشفي مريضًا، ويُغني فقيرًا، وما يُعرَفُ من طَوْلِهِ وأفضاله. قال المفضّل: ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾ أي: من أمور خلقه، يخلق واحدًا ويميت آخر، ويغني واحدًا ويفقر آخر، ويدبِّر أمر خلقه على ما يرى ﷻ. قال: والشأن في كلام العرب ما قصدت له، يقال: أَقْبِلْ على شأنك، أي: على ما أنت قاصد له. والله ما شأَنْتُ شأْنَهُ: أي: ما قصدت قصده، قال الشاعر:

يا طالب الجود إن الجود مكرمة   لا البخل منك ولا من شأنك الجود[٣]

---

(١) كذا في النسخ، وفي العبارة اضطراب.

(٢) كذا في النسخ، وفي العبارة اضطراب.

(٣) أورده ابن فارس ولم ينسبه، بنصب «الجودَا» على أنه مفعول به. انظر: مقاييس اللغة، مادة: «شأن».

أي: ليس من قصدك الجود.

ومنه: ولا يقال: إنَّ الله في ضيعاته(١)، ولا هذا صناعة الله يراد به صنعته. ولا يقال: يمسُّه شيء أو يمسُّ هو شيئًا . ولا يحلُّ هو في شيء، أو يحلُّ فيه شيء. ولا يعرف هو في شيء قرب المسافة، ولا يقرب منه شيء ذلك القرب. وكذلك في هذا المعنى لا يقال في البُعد.

ومنه: الله تعالى خالق كلِّ شيء ومالكه. ولا يجوز أن يقال ـ لأجل هذا ـ: هذا وَلَدُ اللهِ، ولا زوجته، ولا هؤلاء بنوه وبناته؛ لأَنَّه خالقهم. كما يقال: سماؤه وأرضه وخلقه ورسله وكتبه. ولا يقال: قميص الله ولا رداؤه ولا نعله ولا خُفُّه، وإن كان هو الخالق المالك لهذا كلِّه. وكذلك هو خالق جميع الجوارح، ولا يقال: هذه عين الله ولا يده ولا رجله، ولا ما أشبه هذا كلَّه، لا يجوز إضافته إليه تعالى وإن كان هو خالقه ومالكه.

ولا يجوز عليه تعالى ما يُستقبح وإن كان محتمل المعنى؛ لأَنَّ القول في هذا إنَّما تسليمٌ وأمورٌ موضوعةٌ لا على قياس وتشبيه، فلا يجوز على الله تعالى إلَّا ما أجازه العلماء، وحَسُنَ من أسمائه الحسنى /٤٣/ وصفاته العلى، والله أعلم.

[فصل من كتاب آخر في ألفاظ مختلفة أخرى في حقِّ الله تعالى]

ومن غيره: ولا يوصف الله تعالى بالصعود ولا بالنزول. ولا يقال: حواه مكان، ولا خَلَا منه مكان، ولا فارقه مكان، ولا لازمه(٢) مكان، سبحانه كَانَ قبلَ كَانَ فاستغنى ربُّنا عن المكان.

(١) كذا في النسخ، والمعنى غامض. ولعل الصواب ما في منهج الطالبين: «في صناعته»، وتدل عليه العبارة بعدها.

(٢) يمكن أن نقرأ: «لازقه».

ولا يوصف بالقعود ولا القيام، ولا الكسل ولا التواني، ولا الخلوة ولا الفترة، ولا الشهوة ولا الغفلة، ولا اللهو ولا الشكّ، ولا الجهل ولا الندم، ولا السكوت ولا النطق.

ولا يقال: أفسد إذْ خَلَقَ الفسادَ، بل يقال: خَلْقُهُ لجميع ما خلق صلاحٌ منه لا فسادٌ، وعدلٌ لا جورٌ.

ولا يقال: جار ولا أربى ولا أزنى ولا أسرق ولا أقذر، وهو تعالى خَلَقَ جميعَ ذلك، سبحانه له الخلق والأمر، تبارك الله ربُّ العالمين.

فصل: [لا يوصف اللّه تعالى بالضجر والملل]

ولا يوصف تعالى بالضجر؛ لأنَّ الضجر في اللغة اغتمام فيه كلام. ولا يتضجر، ومنه ضجر الناقة، وهي أن تُكثر الرغاء، ويقال: إنَّها الضجور[(١)].

ولا يوصف تعالى بالملل والملال والسآمة، وكلُّه واحد، ومعناه أن يملَّ شيئًا ويُعرض عنه، يقال: رجل ملولة وامرأة كذلك، قال الشاعر:

[و]أُقْسِمُ ما بي مِن جَفاء ولا مَلَلْ[(٢)]

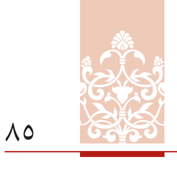
مسألة: [المَلَل في حقِّ اللّه تعالى]

فإن قال قائل: فقد روي عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**تكلَّفوا من العمل ما تطيقون فإن الله لا يملُّ حتَّى تملُّوا**»[(٣)]، فقد وصفه بالملل؟ قيل له: إن صحَّ الخبر فقد قال الأشعريُّ: فيه وجهان:

(١) انظر: ابن منظور: اللسان، مادَّة: «ضجر»، ٤/٤٨١.

(٢) أورده صاحب العين وتهذيب اللغة، واللسان، وتاج العروس، ولم ينسبوه، مادة: «شأن».

(٣) رواه البخاري بلفظ: أَنَّ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ يَصُومُ شَهْرًا أَكْثَرَ مِنْ شَعْبَانَ، فَإِنَّهُ كَانَ يَصُومُ شَعْبَانَ كُلَّهُ وَكَانَ يَقُولُ: «خُذُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ، فَإِنَّ اللهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا». =



أحدهما: أنَّ الله لا يغضب عليكم، ولا يقطع عنكم ثوابه حتَّى تتركوا العمل وتزهدوا في سؤاله، والرغبة إليه مللا، وليس بِمَالٍّ في الحقيقة.

والوجه الثاني: أنَّ الله تعالى لا يملل إذا مللتم. ومثل هذا قولك في الكلام: هذا الفرس لا يفتر حتَّى يفتر الخيل، لا تريد بذلك أنَّه يفتر إذا فترت الخيل، ولو كان المراد هذا ما كان له فضل عليها؛ لأَنَّه يفتر إذا فترت، والمراد بهذا لا يفتر إذا فترت. وكذلك تقول: الرجل البليغ فلان لا ينقطع حتَّى ينقطع خصومه، تريد: لا ينقطع إذا انقطعوا، ولو أراد أنَّه ينقطع إذا انقطعوا لم يكن له في هذا القول فضل على غيره، ولا وجبت له بذلك مدحة. وقد جاء مثل هذا بعينه في الشعر في ابن أخت تأبَّط شرًّا، /٤٤/ ويقال: لخلف الأحمر، قال:

صُليت منِّي هُذَيْلٌ بخِرْقٍ   لا يَمَلُّ الشرَّ حتَّى تَمَلُّوا[١]

لم يُرد به أنَّه يملُّ الشرَّ إذا ملُّوه، ولو أراد ذلك ما كان فيه مدح؛ لأَنَّه بمنزلتهم، وإنَّما أراد أنَّهم يملُّون الشرَّ وهو لم يملَّه، والله أعلم.

وقوله: «بِخِرْقٍ» الخرق: الظريف في سماحة ونجدة، وقال:

وخِرْقٍ يرى الكأسَ أكرومةً   يُهِينُ اللُّجَيْنَ لَهَا وَالنَّضَارَا[٢]

اللجين: الفضَّة، والنضار: الذهب.

= وَأَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ مَا دُووِمَ عَلَيْهِ وَإِنْ قَلَّتْ ... في كتاب الصوم، باب صوم شعبان، ر١٨٦٩، ٢/٦٩٥. مسلم في كتاب الصيام، باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره، رقم٧٨٢، ١/٥٤٠.

(١) انظر: ابن قتيبة: تأويل مختلف الحديث، ص٣٥٠.

(٢) نسبه الزبيدي إلى الليث. تاج العروس، مادَّة: «خرق»، ٢٥/٢٢٠.

فصل: [لا يُدعى الله بما يوهم النقص، وإن ورد في القرآن]

قال النقَّاش[١]: لا يدخل في أسماء الله الحسنى كثير مِمَّا وصف نفسه تعالى به، وإن كان الفعل مضافًا إليه دون خلقه، فليس يُدعى: زارعًا ولا زرَّاعًا، وإن كان قال: ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾ (الواقعة: ٦٤). ولا يُدعَى مكَّارًا ولا ماكرا، وإن كان قال تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ (آل عمران: ٥٤)، ولا خادعًا ولا خدَّاعًا وإن كان قال تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ (النساء: ١٤٢)، ولا بانيًا ولا بنَّاءً، ولا فارشًا ولا فرَّاشًا، ولا ماهدًا، وإن كان قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ۞ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا ...﴾[٢] الآية، ولا يُدعَى مستقرضًا ولا مشتريًا وإن كان قال تعالى: ﴿وَأَقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ (المزَّمّل: ٢٠)، وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم﴾ (التوبة: ١١١) ونحو ذلك مِمَّا يكثر إحصاؤه.

مسألة: [في العقل والعلَّة المانعة من تسمية الله تعالى به]

إن سأل سائل فقال: ما العقل؟ قيل له: هو العلم بالواجب والْحَسَن والقبيح، إذا كان العلم بالحسن يدعو العالِمَ به إلى فعل ما تنفر نفسه عنه لحسنه. والعلم بالقبح يمنع العالم به عن فعل ما تشتهيه لقبحه[٣]. فكذلك لا يسمَّى أحد عاقلًا إلَّا من عرف الواجب والحسن والقبيح، وكان علمه

(١) النقاش، أبو بكر محمد بن الحسن الموصلي ثم البغدادي (٢٦٦ ـ ٣٥١هـ)، مقرئ مفسِّر رحَّال جوَّال. من مصنَّفاته: «الغاية» و«شفاء الصدور» في التفسير وغريب القرآن والسُّنَّة وغير ذلك. قال السيوطي: «ومع جلالته فهو متروك الحديث وحاله في القراءات أمثل. قال البرقاني: كلُّ حديثه منكر، وقال غيره: يكذب في الحديث وتفسيره ملآن بالموضوعات». السيوطي: طبقات الحفاظ، ترجمة ر٨٤١، ص٣٧١.

(٢) الذاريات: ٤٧ ـ ٤٨. وتمامها: ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ﴾.

(٣) في (د): «بقبحه».



يدعوه إلى فعل ما تنفر نفســه عنه، وتمنعه عن فعل ما تشــتهيه، فيجوز أن يكون ممتنعًــا؛ لأَنَّه لا يجــوز أن يقال: إنَّ الإنســان ممتنع من شــرب ما لا يشــتهيه، كما يقال: إنَّه ممتنع من فعل ما لا ينتفع به. ولا يقال أيضًا: إنَّه ممنوع، إلَّا أن يحاول فعل ما يمنع عنه. كما يقــال: إنَّه مانع لغيره عن فعلٍ /٤٥/ لم يحاولــه. وكذلك لا يســمَّى القديم تعالى ممتنعًا من فعل شــيء ولا ممنوعًا منه. وأمَّا المتمانعان فهما اللذان لم يوجد ما حاولاه جميعًا.

فإن قال: لِمَ لا يجــوز أن يكون للبهائم عقل، وهي تعرف أشــياء كثيرة وتشتهيها أيضًا؟

قيل: لأَنَّها لا تعلم الحســن والقبيــح والواجب إن كانت مشــتهية لها، والعلم الذي يســمَّى عقلًا هو العلم بالحسن إذا كانت نفس العالم تنفر عمَّا علمه، والعلم بالقبيح إذا كانت نفس العالم تشتهي ما تعلمه، وأمَّا غير ذلك فإنَّه لا يسمَّى عقلًا.

وكذلك لا يجوز أن يســمَّى القديــم تعالى عاقلًا؛ لأَنَّــه وإن كان عالمًا بجميع الأشياء لم يجز أن يكون مشتهيًا لشيء، ولا نافِرَ النَّفسِ عنه. وكذلك الطفل ـ وإن كان عالمًا ببعض الأشياء ومشتهيًا لها ـ لم يكن عالمًا بالحسن والقبيح.

فإن قال: مــا الذي يُعــرف بالعقل من الحــقِّ والباطــل؟ قيل: وجوب الإنصاف، وشــكر المنعم، ومدح المحســن، وذمُّ المســيء، وقبح الكذب والظلم والجور، ومدح المســيء، وذمُّ المحسن، وما جرى مجرى ذلك مِمَّا يُعلم قبحه من جهة العقل دون الشرع، والله أعلم.



باب ٣ القول في آيات

[الخداع والسخرية والمكر والاستهزاء في حقِّ الله تعالى]

قوله ﷻ: ﴿ يُخَادِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾ (النساء: ١٤٢). قال مقاتل[١]: مخادعتهم بالعذاب عليها. وكذلك استهزاء الله بهم[٢]، وكذلك ﴿سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ ﴾ (التوبة: ٧٩)، وكذلك ﴿وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ﴾ (الأنفال: ٣٠)، وكلُّ ما في القرآن من أشباه هذا فإنَّما هو من الله تعالى على المكافأة لا على ما هو في الناس؛ وهو توسُّع ومجاز في لغة العرب أن يسمُّوا العقاب باسم الذنب الذي هو عقاب عليه. ومنه قوله ﷻ: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ (الشورى: ٤٠) والجزاء عدل ليس سيِّئة، فسمِّي باسم السيِّئة توسُّعًا ومجازًا. وربما سَمَّوا الذنب باسم العقاب على التوسُّع، كقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ (البقرة: ١٥) فسمَّى عقوبته إيَّاهم على استهزائهم استهزاءً بهم مجازًا على ما قلناه. وقد جاء في بعض التفسير معنى ﴿ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ وأشباهه أنَّه يفتح للكفَّار والمنافقين باب جهنَّم فيرون أنَّهم يخرجون منها فيزدحمون للخروج، فإذا انتهوا إلى الباب ضربتهم

---

(١) أبو الحسن، مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء، البلخي (ت: ١٥٠هـ): من أعلام المفسِّرين. أصله من بلخ انتقل إلى البصرة، ودخل بغداد فحدَّث بها. وتوفي بالبصرة. كان متروك الحديث. من كتبه «التفسير الكبير»، و«نوادر التفسير» و«الرد على القدرية» و«متشابه القرآن» و«الناسخ والمنسوخ» و«القراءات» و«الوجوه والنظائر». انظر: الزركلي: الأعلام، ٢٨١/٧.

(٢) وذلك في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (البقرة: ١٥).

الخزنة بمقامع النيران /٤٦/ حتَّى يرجعوا. وقال بعض: استهزاء الله تعالى معناه: إهلاكهم وتدميرهم، وهذا المعنى معروف في لغة العرب، قال عَبيد[١]:

سائل بنا حُجْرَ بن أمّ قطام إذ ظلت به السُّمر الذوابل تلعب[٢]

والسُّمر لا تلعب لأنَّها القنا، واللعب قريب من الهزء، وإنَّما معنى قوله: «تلعب بهم»: تقتلهم وتهلكهم.

مسألة: [معنى «لعل» في حقِّ اللّه تعالى]

إن قال قائل: ما معنى قول الله ﷻ: ﴿ لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴾ (طه: ٤٤)، و﴿ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴾ (البقرة: ١٨٧) وكيف جاز الشكُّ منه؟ قيل: هذا ليس منه جلَّ ثناؤه على الشكِّ، وإنَّما هذا على المجاز.

وكان ابن عبَّاس يقول: ﴿ لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ [أَوۡ يَخۡشَىٰ] ﴾ أي: يتَّعظ عندكما. و«لعلَّ» و«عسى» من الله تعالى واجبتان في القرآن، وفي أشعار العرب مثلُ ذلك قال ابن مقبل[٣]:

---

(١) هو: أبو زياد عَبيد بن الأبرَص بن عوف الأسدي، (ت: ٢٥ ق.هـ) من مضر. شاعر من دهاة الجاهلية وحكمائها، وهو أحد أصحاب المجمهرات المعدودة طبقة ثانية عن المعلقات. عاصر امرأ القيس وله معه مناظرات ومناقضات، وعمّر طويلًا حتى قتله النعمان بن المنذر وقد وفد عليه في يوم بؤسه. انظر: الزركلي: الأعلام، ١٨٨/٤. الموسوعة الشعرية.

(٢) البيت من الكامل. أورده الطبريُّ بلفظ: «النواهل»، بدل: «الذوابل». الطبري: التفسير، ١٣٢/١، من قصيدة مطلعها:

أُنبِئتُ أَنَّ بَني جَديلَةَ أَوعَبوا نُفراءَ مِن سَلمى لَنا وَتَكَتَّبوا

ينظر: ديوان عبيد بن الأبرص في الموسوعة الشعرية.

(٣) أبو كعب تميم بن أبيٍّ بن مقبل (ت: ٣٧هـ) من بني العجلان من عامر بن صعصعة. شاعر جاهليٌّ أدرك الإسلام وأسلم. عاش نيفًا ومائة سنة. له ديوان شعر مطبوع ورد فيه ذكر وقعة صفِّين. انظر: الزركلي: الأعلام، ٨٧/٢. الموسوعة الشعرية.

ظَنِّي بِهِمْ كَعَسى وهُمْ بِتَنُوفَةٍ يَتَنَازَعُونَ جَوَائِزَ الأَمْثَالِ[١]

أي: يقيني بهم كيقين، ولم يرد ظنّي بهم كظنٍّ.

وقد قيل: إن فرعون قد تذكر وخشي بقوله: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ (يونس: ٩٠).

مسألة: [في قوله ﷻ: ﴿فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا ...﴾ الآية[٢]]

إن قيل: كيف يكون نكالًا لِمَا مضى قبلها من الأمم وقد مضت؟ قيل: كان ابن عبَّاس يقول: ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾ أي: لِمَا فيها من ذنوبهم، ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾: من بعدها من بني إسرائيل. وقال المفضّل: قال الحسن: يعني ما بين يديها من الذنوب السالفة، ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾ أي: خلف تلك الذنوب، وهو ضدُّها. والنكال العذاب، قال جرير[٣]:

إنّي جُعِلتُ فَلَن أُعافي تَغلِبًا لِلظالِمينَ عُقوبَةً وَنَكالا[٤]

---

(١) البيت من الكامل، ورد بصيغة: «جوائب» بدل «جوائز»، من قصيدة مطلعها:

سَائِلْ بِكَبْشَةَ دَارِسَ الأَطْلَالِ قَدْ هَيَّجَتْكَ سُومُهَا لِسُؤَالِ

ينظر: ديوان ابن مقبل في الموسوعة الشعرية. وورد بلفظ المؤلف في: تفسير الثعلبي، ٣٥٢/٣. وتهذيب اللغة، (ظنن). واللسان وتاج العروس، (جوز، عسى).

(٢) البقرة: ٦٦. وتمامها: ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

(٣) جرير بن عطية بن حذيفة (ت: ١١٠هـ)، وقد تقدَّمت ترجمته.

(٤) البيت من الكامل، لجرير، من قصيدة مطلعها:

حَيِّ الغَداةَ بِرامَةَ الأَطلالا رَسمًا تَحَمَّلَ أَهلُهُ فَأَحالا

ينظر: ديوان جرير في الموسوعة الشعرية.



مسألة: [في قوله ﷻ: ﴿فَهِىَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗ﴾]

فإن سأل عن قوله ﷻ: ﴿فَهِىَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗ﴾ (البقرة: ٧٤) فقال: كيف جازت «أو» من الله تعالى وإنَّما هي للشكِّ؟ قيل له: قد جاء عن أهل اللغة والتفسير أن «أو» في هذا الموضع ليست للشكِّ، ولا يجوز على الله سبحانه الشكُّ. ومعنى «أو»: إذا كان بمعنى الزيادة على الشيء أو النقصان منه كان معناها «بل»، كقوله ﷻ: ﴿إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ أَوۡ يَزِيدُونَ﴾ (الصافَّات: ١٤٧) لَمَّا كانت مائة ألف من الناس نهاية أخبر تعالى أنَّه بعث الله نبيه ﵇ إلى هذا العدد /٤٧/ العظيم عندهم.

ومن القلة والقرب قوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ﴾ (النجم: ٩)، وكذلك ﴿وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُ﴾ (النحل: ٧٧)، وأنشد الفرَّاء في «أو» [بـ]ـمعنى «بل»:

بدت مثل قرن الشمس في رونق الضحى وبهجتها أو أنت في العين أملح[(١)]

وإذا كانت «أو» بمعنى إضافة الثاني إلى الأوَّل كانت بمعنى الواو، ومنه قول النابغة[(٢)]:

---

(١) البيت من الطويل. لذي الرمة، ورد بصيغة: «وصورتها» بدل «وبهجتها». أورده أبو القاسم الزجَّاج في كتابه: حروف المعاني، في مجيء «أم» بمعنى «بل»، ٥٢/١. وابن جني في الخصائص، في مجيء «أو» بمعنى «بل»، ٤٥٨/٢.

(٢) النابِغَة الذُبياني: أبو أمامة زياد بن معاوية الغطفاني المضري (١٨ ق.هـ): شاعر جاهلي من الطبقة الأولى، من أهل الحجاز، كانت تضرب له قبة بسوق عكاظ فتقصده الشعراء فتعرض عليه أشعارها. شعره كثير وكان أحسن شعراء العرب ديباجة. عمِّر طويلًا. انظر: الزركلي: الأعلام، ٥٤/٣. الموسوعة الشعرية.

قالَت أَلا لَيتَما هَـذا الحَمامُ لَنا إِلـى حَمامَتِنا أَو نِصفُـهُ فَقَدِ[١]

أي: ونصفه، ومعنى «فقد» أي: حَسْبُ[٢]. قال توبة بن الحمير[٣]:

وقد زعمت ليلى بأنِّي فاجر لنفسي تقاها أو عليها فجورها[٤]

فقوله تعالى: ﴿أَوْ﴾ هو على هذه المعاني لا على الشكِّ، تعالى الله عن الشكِّ.

مسألة: [في قوله ﷻ: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ﴾]

فإن سأل عن قوله ﷻ: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (البقرة: ٩١) فقال: كيف جاز أن يلوم هؤلاء على ما لم يفعلوا ولم يدركوا؟ قيل: لَمَّا كانت الأبناء راضية بما صنعت الآباء من قتل الأنبياء دخلوا معهم في الإثم، وكانوا قتلة مثلهم، والله أعلم.

---

(١) البيت من البسيط. ينسب إلى النابغة، من قصيدة مطلعها:
يـا دَارَ مَيَّـةَ بالعَلياء فالسَّنَدِ أَقْوَتْ وطال عليها سالفُ الأبد
وينسب أيضًا إلى زرقاء اليمامة. انظر: ديوانهما في الموسوعة الشعرية.

(٢) قال الفراهيدي: «قَدْ مثل قَطْ، على معنى حَسْبُ، تقول: قَدِي؛ أي: حسبي...»، وبعد أن استشهد بقول النابغة قال: «وأمَّا قد فحرف يوجب الشيءَ، كقولك: قد كان كذا وكذا ... فأدخل «قد» توكيدًا لتصديق ذلك». الفراهيدي: كتاب العين، ١٦/٥.

(٣) أبو حرب، توبة بن الحمير الخفاجي العقيلي العامري (ت: ٨٥هـ)، شاعر من عشَّاق العرب المشهورين، كان يهوى ليلى الأخيلية وخطبها، فردَّه أبوها وزوجها غيره، فانطلق يقول الشعر مشبِّبًا بها. واشتهر أمره، وسار شعره، وكثرت أخباره، قتله بنو عوف بن عقيل. انظر: الزركلي: الأعلام، ٨٩/٢. الموسوعة الشعرية.

(٤) البيت من الطويل. أورده الزجَّاج في كتابه: حروف المعاني، في مجيء «أو» بمعنى الواو، ٥٢/١ ـ ٥٣. وهو من قصيدة مطلعها:
نأتْكَ بليلى دارُها لا تَزورها وشطّت نواها واستمَّر مريرُها
ينظر: ديوان توبة في الموسوعة الشعرية.

مسألة: [في قوله ﷻ: ﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآ﴾]

فإن سأل عن قوله ﷻ: ﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآ﴾ (البقرة: ١٠٦) فقال: أَوَيَكون بعض القرآن خيرًا من بعض؟ قيل له: قال ابن عبَّاس وغيره: أي العمل[١] بهذه المحدودة[٢] خير من العمل بهذه[٣] المنسوخة، ﴿أَوۡ مِثۡلِهَآ﴾ أي: مثلها في الفضل قبل أن تنسخ. وقال بعض: ﴿نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ﴾ أي: أسهل عليكم في الأمر والنهي والفرض، فذلك خير لكم.

مسألة: [في قوله ﷻ: ﴿يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾]

فإن سأل عن قوله ﷻ: ﴿يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ (البقرة: ١١٧. آل عمران: ٤٧. مريم: ٣٥. يسٓ: ٨٢. غافر: ٦٨) فقال: كيف قال: يقول له، وليس ثَمَّ شيء بعده؟ قيل: قد قيل يجوز أن يكون معنى ﴿يَقُولُ لَهُۥ﴾ يكوِّنه، فجعل القول فعلًا، مثل قولك: «قال برأسه» إذ حرَّكه ولم يقل شيئًا، كما قال أبو النجم[٤]:

وقالت الأنساع للبطن الْحَقِي قِدْمًا فآضت[٥] كالفنيق الْمُحنِق[٦]

---

(١) فوق الكلمة كتب الناسخ: «خ: العلم». أي: في نسخة أخرى.

(٢) كذا في النسخ، ولعل الصواب: «المحكمة».

(٣) فوق الكلمة كتب الناسخ: «خ: بتلك».

(٤) أبو النجم الراجز الفضل بن قدامة العجلي (ت: ١٣٠هـ)، من بني بكر بن وائل، من أكابر الرجاز ومن أحسن الناس إنشادًا للشعر. نبغ في العصر الأموي، وكان يحضر مجالس عبدالملك بن مروان وولده هشام. انظر: الزركلي: الأعلام، ١٥١/٥.

(٥) آضَ يئيض: صار ورجع. ابن منظور: اللسان، مادَّة: «أيض»، ١١٦/٧.

(٦) نسبه ابن منظور إلى ابن الهيثم. والمحنق من الإبل: الضامر، القليل اللحم. والإِحْناقُ: لُحوقُ البطن والتِصاقُه. انظر: ابن منظور: اللسان، مادَّة: «حنق»، ٧٠/١٠.

الأنساع: السيور[١]، والفنيق: الْجَمَل[٢]، وليس ثَمَّ قولٌ، إنَّما المعنى: لَحِقَ البطن بالظهر.

ووجه آخر: لَمَّا كان الشـــيء قـــد تقدَّم علمه تعالى فيه صـــار كأنَّه ماثل لديه، فجاز أن يقول له: كن، فيكون، والله أعلم.

وقال أبو الحسن رَحِمَهُ اللهُ: /٤٨/ الأمر قد يكون قولًا وغير قول، فالقول ما أمر به من جميع أوامره، فهو أمرٌ بالقول. وقد يكون قوله: ﴿أَمْرُهُۥٓ﴾[٣] هو إيتاء المراد؛ لأنَّ قوله تعالـــى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا﴾ أنَّه يأتي كمـــا أراد[٤] ﴿أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾، كما قال تعالى: ﴿أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا﴾ (يونس: ٢٤)، فقد يكون غير قول، والخطاب إنَّما هو على ما يُتعارف في اللغة التي نزل بها القرآن[٥].

مسألة: [في قوله تعالى: ﴿لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ﴾]

فإن ســـأل عن قولـــه عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ﴾ (البقرة: ١٤٣) وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ﴾ (محمَّد: ٣١)، ومثل هذا في القرآن، فقال: أليس قد علم كَوْنَهُ، فما معنى ذلك؟ قيل له: المعنى فيه

---

(١) «النِّسْـــعُ: سَيْرٌ يُضْفَرُ على هيئة أَعِنَّةِ النِّعالِ تُشَـــدُّ به الرِّحالُ، والجمع أَنْساعٌ ونُسُوعٌ ونُسْعٌ، والقِطْعَةُ منه نِسْعة». ابن منظور: اللسان، مادَّة: «نسع»، ٣٥٢/٨.

(٢) الفنيق من الإبل هو: الفحل المكـــرَّم الذي لا يُركب لكرامته. ابن منظور: اللســـان، مادَّة: «فنق»، ٣١٣/١٠.

(٣) يسٓ: ٨٢. وتمام الآية: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾.

(٤) جاءت العبارة في النســـخ بهذه الصيغة: «وقد يكون قوله: (أمرنا)، هو إيتاء المراد؛ لأن قوله تعالى: (إنَّما أمرنا لشيء إذا أردناه) أنَّه يأتي كما أردنا» ولكن لا وجود لأيِّ آية بهذه الصيغة. فاستبدلنا بها صوابا. والآية المشابهة هي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾. (النحل: ٤٠)، ولكنها تصلح شاهدًا على المراد؛ لأنها ليست فيها لفظة الأمر.

(٥) انظر: جامع أبي الحسن البسيوي، ص مخ ٧٩.



أنَّه قد علمه قبل كونه، ولكن فَعَلْنَا[١] ذلك لنقرِّر عندكم علمنا بمن يتَّبع الرسول منكم. وهو في كلام [العرب] كرجل قال لصاحبه: النار تحرق الحطب، فقال الآخر: هات النار والحطب لنعلم ذلك [...][٢] بالفعل الذي يوجب الجزاء.

مسألة: [وجه الاستثناء في قوله ﷻ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾]

فإن سأل عن قوله ﷻ: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيۡكُمۡ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾ (البقرة: ١٥٠) فقال: كيف جاز هذا الكلام وليس للذين ظلموا حجَّة؟ قيل له: قال أبو عبيدة[٣]: موضع «إلَّا» هاهنا ليس موضع استثناء، إنَّما هو موضع واو الموالاة[٤]، ومجازها: لئلَّا يكون للناس عليكم حجَّة ولا الذين ظلموا. قال الأعشى[٥]:

إِلَّا كناشرة الْمُكَلِّفِ نَفْسَهُ ... وَابنَيْ قَبيصَةَ أَن أَغيبَ وَيَشهَدا[٦]

معناه: وكناشرة، وفيه غير هذا تركته لئلَّا يطول.

---

(١) في (د): «فعل».

(٢) في العبارة نقص واضح لم نتمكَّن من إتمامه بما عندنا من مصادر. ونصُّه عند القرطبي: «وهو كما تقول: النار تحرق الحطب، فيقول آخر: لا بل الحطب يحرق النار، فيقول الأوَّل: تعال حتَّى نجرِّب النار والحطب لنعلم أيَّهما يحرق صاحبه، أي: لنظهر ذلك، وإن كان معلومًا لهم ذلك». القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ٢٩٤/١٤.

(٣) أبو عبيدة، معمر بن المثنَّى (ت: ٢٠٩هـ). تقدَّمت ترجمته.

(٤) وتسمَّى: «واو النسق». القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ٣٥٧/٨.

(٥) أبو بصير ميمون بن قيس من بني قيس بن ثعلبة الوائلي (ت: ٧هـ). أحد أصحاب المعلَّقات. كان كثير الوفود على الملوك من العرب، والفرس، غزير الشعر. عاش عمرًا طويلًا وأدرك الإسلام ولم يسلم، ولقب بالأعشى لضعف بصره، وعمي في أواخر عمره. مولده ووفاته في قرية «منفوحة» باليمامة قرب مدينة الرياض. انظر: الزركلي: الأعلام، ٣٤١/٧. والموسوعة الشعرية.

(٦) من الكامل. وبيت الأعشى ورد بصيغة: «كَخارِجَةَ» بدل «كناشرة». وهي واردة في بيت آخر. قال الخليل: «وقال الشاعر:... =

مسألة: [في قوله تعالى: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾]

فإن سأل عن قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ (البقرة: ١٦٥) فقال: ﴿كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ وهم مشركون؟ قيل له: قال المفسِّرون: أي كحبِّ المؤمنين الله.

فإن قال: فقوله تعالى: ﴿يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ﴾ (البقرة: ١٦٧) أيُّ: أعمال كانت لهم؟ قيل له: قد قيل بوجوه:

- **أحدها**: يقول: أعمالهم السوء تصير حسرات عليهم وندامات، هلَّا كانوا عملوا غيرها، وهو قول ابن عبَّاس.
- **والوجه الآخر**: يقول: أعمالهم التي فرضت عليهم في الدنيا، وعَمِلَ بها غيرُهم فاستوجب الثواب، ولم يعملوا هم بها.
- **ووجه آخر**: قاله المفضّل: ليست هناك أعمال تُرى، إنَّما يعلمون أن أعمالهم /٤٩/ في الدنيا لم تنفعهم.

مسألة: [في قوله تعالى: ﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾]

فإن سأل عن قوله تعالى: ﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ (البقرة: ١٧٥) فقال: وهل يكون عليها صبر؟ قيل له: يريد ما الذي جرَّأهم على النار؟ يصيِّره استفهامًا، وهو قول ابن عبَّاس.

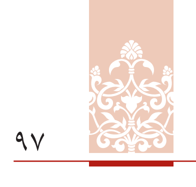
= إلاَّ كناشرة الذي ضيعتم ... كالغصن في غلوائه المتنبت

أي: وكناشرة، و«إلا» في موضع الواو ... ومنه قول الأعشى: «إلا كخارجة المكلف نفسه...» أي: وكخارجة». الخليل بن أحمد الفراهيدي: الجمل في النحو، ١٧٠.

والبيت من قصيدة الأعشى والتي مطلعها:

أَثوى وَقَصَّرَ لَيلَةً لِيُزَوَّدا ... وَمضى وَأَخلَفَ مِن قُتَيلَةَ مَوعِدا

ينظر: ديوان الأعشى في الموسوعة الشعريَّة.



وقال أبو عبيدة: «ما» في هذا الموضع في معنى «الذي»، مجازها: ما الذي صبَّرهم على النار ودعاهم إليها؟ وليس بتعجُّب.

وقال المفضّل: فيه وجهان:

- **أحدهما**: أن يكون «ما» بمعنى «أيُّ»، كأنَّه قال: أيُّ شيء صبَّرهم على النار. ويقال: أصبره على كذا وكذا وصبَّره بمعنًى.
- **والوجه الآخر**: ﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ﴾: ما أجرأهم.

وقال الكسائي[1]: قال لي قاضي اليمن: اختصم إليَّ رجلان من العرب، فحلف أحدهما على حقِّ صاحبه، فقال صاحب الحقِّ: ما أصبرك على الله!. أي: ما أجرأك عليه!. وكذا قال: وكان يقول: ليس ـ والله ـ لأحدٍ صبرٌ على النار، ولكنَّه بمعنى: ما أجرأهم على النار بأعمالهم!.

مسألة: [عن قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ﴾ وهي ليالٍ؟]

فإن سأل عن قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ﴾ (البقرة: ١٨٧) فقال تعالى: ﴿لَيْلَةَ﴾ وهي ليالٍ؟ قيل له: هذا جائز عند العرب، قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ (غافر: ٦٧) يريد أطفالًا. وقال تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ (التحريم: ٤) يريد ظُهَرَاءَ. وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا﴾ (الحاقة: ١٧) يريد الملائكة. قال الغنوي[2]:

إن تقتلوا يومًا فقد شرينا   فِي حَلْقِكُمْ عَظْمٌ وَقَدْ شَجِينَا[3]

---

(١) الكسائي، أبو الحسن علي بن حمزة الكوفي (ت: ١٨٩هـ)، وقد تقدَّمت ترجمته.

(٢) هو: المسيب بن زيد مناة الغنوي، كما في كتاب سيبويه. (هامش تفسير القرطبي)

(٣) أورده القرطبي وابن منظور وغيرهما ولم ينسباه، وصدر البيت عندهما: «لا تُنْكِرِ القَتْلَ وقَدْ سَبَيْنَا». القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ١/١٩٠. ابن منظور: اللسان، مادَّة: «عظم»، ١٢/٤١١.

يريد في حلوقكم، قال العبَّاس بن مرداس[١]:

فقلنا: أسلموا إنَّا أَخُوكم فقد بَرِئَتْ من الإحن الصدور[٢]

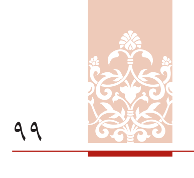
أي: إخوتكم.

مسألة: [آيات الإتيان والمجيء في حقِّ اللّه تعالى]

فإن سأل عن قوله ﷻ: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ ﴾ (البقرة: ٢١٠)، وقوله تعالى: ﴿ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ ﴾ (النحل: ٢٦)، و﴿ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ﴾ (الحشر: ٢)، ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ ﴾ (الفرقان: ٢٣)، ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ (الفجر: ٢٢)، فقال: كيف أخبر أنَّه نزول من مكان إلى مكان؟ قيل له: المعنى في ذلك غير ما ذهب إليه، وهو أنَّه جاء وأتى أمره وحسابه وعذابه. وكان ابن عبَّاس يقول: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ ﴾ أي: عمدنا، فذكر نفسه وهو تعالى يريد أمره، فقال: ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ﴾ وهو يعني: أمره. وكما قال: ﴿ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴾ (طه: ٩٣)، والأمر لا يُعصى، وإنَّما يُعصى الآمر، فذكر الأمر وأراد الآمر، وهذا في اللغة /٥٠/ موجود كثير. وكذلك ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ يعني به: جاء أمر

(١) أبو الهيثم، العَبَّاس بن مِرداسٍ بن أبي عامر السُلَمي، من مُضَر (ت: ١٨هـ): شاعر فارس، من سادات قومه، أمُّه الخنساء الشاعرة. أدرك الجاهليَّة والإسلام، وأسلم قُبيل فتح مكَّة، وكان من المؤلَّفة قلوبهم، ويُدعى فارس العُبَيْد، وهو فرسه، وكان بدويًّا قحًّا، لم يسكن مكَّة ولا المدينة وإذا حضر الغزو مع النبيِّ ﷺ، لم يلبث بعده أن يعود إلى منازل قومه، وكان ينزل في بادية البصرة. وكان ممن ذمَّ الخمر وحرَّمها في الجاهليَّة. انظر: الزركلي: الأعلام، ٢٦٧/٣. الموسوعة الشعريَّة.

(٢) من قصيدة قالها «عباس بن مرداس السلمي يذكر قارب بن الأسود وفراره من بني أبيه، وذا الخمار وحبسه قومه للموت». ينظر نص القصيدة في: سيرة ابن هشام، ١١٩/٥ ـ ١٢١.



ربِّك بالقضاء بين عباده ﴿وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[١]، وهو ما ذكرناه أنَّه يذكر نفسه تعالى ويريد أمره، على التوسُّع والمجاز؛ لأنَّه يجوز في اللغة أن يقال: جاء الله بأمره، وأتى الله بأمره، كما يقال: أتانا الله بالخصب، وجاء الله بالخير. فقال: جاء الله، وأتى الله، وهو يعني: أمره؛ لأنَّ الله تعالى قد دلَّ بحجج العقول على أنَّه عَزَّلَ لا يجوز عليه المجيء والإتيان الذي هو إتيان من البعد إلى القرب بالمسافة؛ والانتقال من مكان إلى مكان، إنَّما يجوز على الأجسام المحدودة، والأجسام المحدودة لا بدَّ أن تكون محدَثة.

ويقال: إنَّ قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ (البقرة: ٢١٠): إنَّ هذا القول في يوم القيامة، أي: هل كانوا ينتظرون غير هذا؟ و﴿يَنظُرُونَ﴾ معناه: ينتظرون. قال:

فَبَيْنَا نَحْنُ نَنْظُرُهُ أَتَانَا مُعلِّقَ شِكْوَةٍ وَزِنَادَ رَاعِ[٢]

وقال الحسن: يأتيهم الله بأمره وقضائه وحكمه. وكذلك ﴿أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ﴾ (الأنعام: ١٥٨)، أي: أمره يوم القيامة.

مسألة: [اعتراض على تأويل المجيء والإتيان وجوابه]

فإن قال: فما أنكرتم أن يكون هذا المجيء والإتيان ليس على ما ذكرتم ولا هو مع ذلك على ما قالت المشبِّهة من إجازة الزوال والانتقال

(١) يبدو أنَّ الصواب حذف هذا المقطع من الآية ﴿وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾، لينسجم السياق.

(٢) البيت من الوافر. لنُصيب بن رباح. (الموسوعة الشعرية). استشهد به الطبريُّ ولم ينسبه، في تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾ (الأنعام: ٩٦) إذْ «نَصَبَ الشمسَ والقمرَ عطفًا على موضع الليل؛ لأنَّ الليل وإن كان مخفوضًا في اللفظ فإنَّه في موضع النصب؛ لأنَّه مفعول جَاعِلُ ... (فهو معطوف) على معنى الذي قبله لا على لفظه وإن لم يكن بينهما حائل». الطبري: جامع البيان، ٢٨٤/٧.

على الله ﷻ؟ قيل له: لا يعقل في اللغة ولا في شيء من الكلام الإتيان والمجيء إلَّا ما قلنا وقالت المشبِّهة؛ فلمَّا لم يجز ما قالته المشبِّهة على الله وجب أن يكون معناه على ما قلنا.

وأيضًا: فلو جاز أن يصف نفسه بأنَّه يأتي أو يجيء، ولا يكون معناه ما يعرفه أهل اللغة في كلامهم لجاز أن نقول: إنَّه يتحرَّك ويسكن ويجهل، ولا يكون معناه ما يعقله أهل اللغة في كلامهم. فلما لم يجز أن يصف الله تعالى نفسه بأنَّه يجهل إذ كان يجب أن يكون واصفًا لنفسه بالجهل المعقول بيننا في اللغة، كذلك أيضًا لا يجوز أن يصف نفسه بأنَّه يتحرَّك ويسكن؛ لأنَّ ذلك كأنْ يكون وصفًا له بالحركة والسكون المعقولين في اللغة.

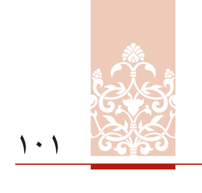
مسألة: [ما معنى أنَّه تعالى مستو على العرش؟]

فإن قال: فما معنى وصف الله تعالى نفسه بأنَّه مستو على العرش؟ قيل له: إنَّ الاستواء في اللغة على وجهين:

- **أحدهما**: الجلوس والمماسَّة بالشيء، والحلول عليه، كما يستوي بعد أن /٥١/ كان مائلًا، ويعتدل بعد أن كان زائلًا، والله تعالى عن هذه الصفات.
- **والوجه الآخر**: هو استواء الملك والقدرة والتدبير، وهو معروف في لغة العرب. قال البعيث[1]:

---

(١) البعيث: أبو زيد خداش بن بشر المجاشعي التميمي (ت: ١٣٤هـ) خطيب، شاعر، من أهل البصرة. وكانت بينه وبين جرير مهاجاة دامت نحو أربعين سنة، ولم يتهاج شاعران في العرب في جاهلية ولا إسلام بمثل ما تهاجيا به. انظر: الزركلي: الأعلام، ٢/٣٠٢. الموسوعة الشعرية.



قد استوى بشر على العراق　　من غير سيف ودم مهراق[١]

فالحمد للمهيمن الرزَّاق[٢]

يعني: بشر بن مروان. يعني: أنَّه ملك العراقَ واستولى عليها بالملك والتدبير؛ لأنَّ بِشْرًا لم يجلس على العراق كلِّها، وإنَّما جلس في مجلسه الذي هو فيه. وقال آخر:

فَلَمَّا عَلَوْنَا وَاسْتَوَيْنَا عَلَيْهِمُ　　تَرَكْنَاهُمُ صَرْعَى لِنَسْرٍ وَكَاسِرِ[٣]

أي: ملكناهم وقهرناهم وغلبناهم.

قال النقَّاش[٤]: استوى بمعنى: علَا. وقال الخليل: أتيت أبا ربيعة الأعرابيَّ، وكان من أعلم من رأيت، وهو على سطح له، فلمَّا صرنا إليه سلَّمنا، فقال: استووا، فلم ندر ما أراد، فقال شيخ معنا أعرابيٌّ: إنَّه عَنَى بقوله: استووا، أي: ارتفِعوا إليَّ.

مسألة: [معنى «ثُمَّ» في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾]

فإن قال: كيف يجوز أن تقول: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ (الأعراف: ٥٤. يونس: ٣. الرعد: ٢. الفرقان: ٥٩. السجدة: ٤. الحديد: ٤)، و«ثُمَّ» لا تجري في اللغة إلَّا

(١) البيت من الرجز. وأغلب علماء الكلام والتفسير يستشهدون بهذا البيت (أي: بالشطرين الأوَّلين منه فقط)، ولا ينسبونه. وقد نسبه الزبيدي إلى الأخطل، وأحال على الجوهري. وكذا ابن عاشور، ومحقِّقُ تفسير القرطبي. الزبيدي: تاج العروس، مادَّة: «سوا». ابن عاشور: التحرير والتنوير، تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ (الأعراف: ٥٤). القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ٢٥٥/١ (هامش).

(٢) لم نعثر على الشطر الأخير.

(٣) البيت من الطويل. استشهد به كثير من المفسِّرين منهم القرطبيُّ ولم ينسبه. القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ٢٧٨/٣.

(٤) النقَّاش محمد بن الحسن الموصلي، تقدمت ترجمته.

على معنى حادث، وملكه الأشياء عندكم غير حادث؟ قيل له: إنَّ معنى قوله تعالــى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ﴾ (يونــس: ٣) أراد به يدبِّر الأمر وهو مستو على العرش، فذكر «ثُمَّ» عند الاستواء توسُّعًا في القول، وهو يريد: ثُمَّ يُدَبِّرُ، كما قال: ﴿حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ﴾ (محمَّد: ٣١) و«حَتَّى» لا تجري في الكلام إلَّا على معنى حادث مستأنَف، ولا يجوز أن يعلم الله تعالى الأشياء بعلم حــادث مســتأنف؛ لأنَّه لم يزل بالأشــياء كلِّهــا عليمًــا، ولكن أراد بقوله ﷻ: ﴿حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ﴾: حتَّى يجاهد المجاهدون وهو عالم بهم، فذكر «حَتَّى» مع قوله تعالى: ﴿نَعۡلَمَ﴾ توسُّعًا في القول ومجازًا، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ﴾.

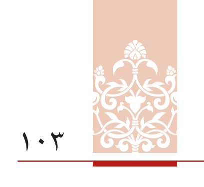
مسألة: [في قوله تعالى: ﴿ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾]

فإن قال: فمــا قوله تعالى: ﴿ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ (البقــرة: ٢٩)؟ قيل له: أراد بذلك ثُمَّ قَصَدَ خَلْقَ الســماء، فذكر الاســتواء وهو يريد القصــد مجازًا؛ فقال المفضّل: قال الحسن: يعني استوى أمره وصنعه الذي صنع الأشياء إلى السماء.

وعن سعيد بن جبير عن ابن عبَّاس قال: خلق الله الأرض في يومين قبل السماء، ثُمَّ استوى إلى السماء فســواهن في يومين آخرين. وقيل عنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: صعد أمره إلى الســماء. وقــال المفضّل: العرش والكرسيُّ والسرير /٥٢/ واحد.

مسألة: [في قوله تعالى: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾]

فإن قال: فما معنى قوله ﷻ: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾ (البقرة: ٢١٠) وهي راجعة إليه الساعةَ، وإنَّما يقول القائل: إلَيَّ ترجع الأمور إذا لم تكن في يده؟ قيل: معناه أنَّ المســألة عن الأعمال والثواب عليها والعقاب، ترجع إليه يوم القيامة؛ لأنَّهم



اليوم غير مسؤولين عن أعمالهم، ولا مثابين عليها ولا معاقبين. وكذلك قوله تعالى: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ (آل عمران: ٢٨. النور: ٤٢. فاطر: ١٨) وهو الساعةَ في ملكه.

[في قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾]

فإن قال: فما معنى قوله ﷻ: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ (البقرة: ٢٥٥) وقد نرى الأرض وليس نرى الكرسيَّ؟ قيل له: نقل عن سعيد بن جبير عن ابن عبَّاس أنَّه قال: تأويله وَسِعَ علمه السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ. وقد قيل: إنَّ الكرسيَّ في اللغة العلم، قال الشاعر:

يَحُفُّ بِهِمْ بِيضُ الوُجُوهِ وَعُصْبَةٌ ... كَرَاسِيُّ بِالأَحْدَاثِ حِينَ تَنُوبُ[(١)]

كراسي: أي علماء.

مسألة: [في قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾]

فإن قال: فما معنى قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ (البقرة: ٢٦٠) أكان شاكًّا في إحيائه الموتى؟ قيل له: قد قيل فيه أقاويل، وكلُّها تنفي عنه الشكَّ:

- **أحدها**[(٢)]: أن يكون أراد: ليطمئنَّ قلبي، فإنَّ نفسي تنازعني إلى مشاهدة ذلك بالعيان مع تصديقي بعيني[(٣)].

---

(١) البيت من الطويل. قال: أحمد محمَّد شاكر محقِّق تفسير الطبري: «لم أجد البيت، إلَّا فيمن نقل عن الطبري. وفي أساس البلاغة (كرس) أنشده بعد قوله: «ويقال للعلماء الكراسي - عن قطرب» وأنشد البيت. ولم أجد من ذكر ذلك من ثقات أهل اللغة». الطبري: جامع البيان، ٤٠٢/٥ (هامش).

(٢) في (د): «أحدهما».

(٣) في (د): «بعينيه».

- **والآخر**: ليطمئنَّ قلبي إلى إحيائك، وأن لا تكون قد رددتني عمَّا طلبته.
- وقال المفضّل: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ أي: يسكن إلى مشاهدة ما يرى من قدرتك فلا يختلجه في اليقين بذلك شكٌّ. قال: وقد قيل معنى ﴿لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ لأنظر بِحِسِّي من لطائف رحمتك ما لا أدركه بالخبرة.
- وقال ابن محبوب رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ بتصديق قومي ذلك أنَّك تحيي الموتى متى[١] أخبرتهم بذلك.

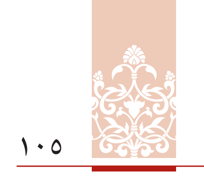
مسألة: [في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾]

فإن قال: فما معنى قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ...﴾ الآية[٢]، كيف يجوز على الحكيم أن يعذِّب جلودًا لم تعصه قطُّ؟ فقد قيل فيه بوجوه:

- **أحدها**[٣]: أنَّ الجلود لا تألم وإنَّما تألم النفوس، فهذا وجه.
- **ووجه آخر**: أن يعاد ذلك الجلد بعينه جديدًا. وقال المفضّل: المعنى أنَّ تلك الجلود إذا نضجت ردّت صحاحًا، فمعنى ﴿غَيْرَهَا﴾ أي: غيرها وهي محترقة؛ لأنَّه تعالى أعدل وأرحم من أن يعذِّب من لا يعصيه.

وكذلك قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾ (إبراهيم: ٤٨) أي: تمدُّ فتصير أوديتها وآكامها وكلُّ مضطرب الخلقة /٥٣/ فيها شيئًا واحدًا أرضًا مستوية، فهي الأرض وقد بدِّلت غيرها في الصورة.

(١) في (د): «حتى».
(٢) النساء: ٥٦. وتمام الآية: ﴿لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.
(٣) في (د): «أحدهما».



وكذلك عن أبي محمَّد رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: معنى ذلك: تُبدَّل ألوانها، وأمَّا [أن] يؤتى بغيرها فلا، ولكن تحدث ألوان أُخر، لعظم ذلك اليوم. قال: وكذلك تُبدَّل جلود أهل النار، تعاد كما كانت هي لا غيرها. ومنهم من يقول: غيرها. وأمَّا قولنا نحن: فتعاد هي، وإنَّما المعنى في غيرها الألوان لا لون الثاني[(١)] تبديل التي فنيت مرَّة بعد مرَّة، فيجوز أن تقلب بلون آخر.

مسألة: [في قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾]

فإن قال: فقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ (المائدة: ٣) أكان الدين ناقصًا؟ قيل له: قيل معناه: أكملت الفرائض عليكم والشرائع؛ لأنَّه إنَّما أنزل أوَّلًا فأوَّلًا، ولم يعن التوحيد؛ لأنَّ التوحيد لم يزل تامًّا.

مسألة: [معنى «إذ» في قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ...﴾]

فإن قال: فقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ (المائدة: ١١٦)، كيف قال ﴿وَإِذْ﴾، و«إِذْ» إنَّما تكون لِمَا مضى، والآية تدلُّ على أنَّه يكون ذلك في القيامة؟ قيل له: قال المفضّل: قال الكلبيّ[(٢)] عن ابن عبَّاس: معناه: وإذ يقول الله يا عيسى، أخبر نبيَّه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنَّه يقول لعيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يوم القيامة.

---

(١) كذا في النسخ، ويبدو أنَّ في العبارة خللًا.

(٢) أبو النضر محمد بن السائب بن بشر الكلبي (ت: ١٤٦هـ): نسَّابة، راوية، عالم بالتفسير والأخبار وأيام العرب. من أهل الكوفة. مولده ووفاته فيها. شهد وقعة دير الجماجم مع ابن الأشعث. وصنَّف كتابًا في تفسير القرآن. وهو ضعيف الحديث. انظر: الزركلي: الأعلام، ١٣٣/٦.

وقال الفرَّاء وغيره: إنَّما قــال ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ﴾ ولم يقع ذلك و«إِذْ» إنَّما تكون للماضي؛ لأنَّ أخبــار الله ﷻ كلَّها لا يجوز فيها اختــلاف، وكأنَّ ما يخبر عنــه قبل وقوعه حاضر مشــاهَدٌ، كقوله تعالــى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ﴾ (سبأ: ٥١) لَمَّا كان ذلك كائنًا لا بدَّ منه كان كالشاهد.

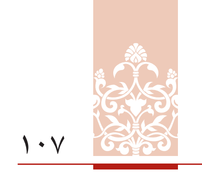
مسألة: [في قوله تعالى: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾]

فإن قال: فقوله تعالى: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾ (المائدة: ١١٦)، كيف يسأله عن شــيء قد علم أنَّه لم يقله؟ قيل: قال المفضّل: قال الحسن: إنَّما يقول ذلك وإنَّما قد علم ﷻ أنَّه لم يقله ليردَّ عليه عيسى ما حكى عنه ﷻ: ﴿سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ (المائــدة: ١١٦) فيكــذِّب الذيــن ادَّعوا أنَّ عيسى ابن الله على رؤوس الخلائق.

مسألة: [في قوله تعالى: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾]

فإن قال: فقوله: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ (الحجر: ٣٩) ﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ (هــود: ٣٤) كيف جاز الإغواء من الله ﷻ؟ قيل له: قال المفضّل: ﴿أَغْوَيْتَنِي﴾: ألفيتني غاويًا، أي: ضالًّا بمخالفتي أمرك بالســجود لآدم عليه السلام. وقال الكلبيّ: ﴿أَغْوَيْتَنِي﴾: أضللتني عــن الهدى بمخالفتي أمرك. وقال بعض المفسِّــرين: ﴿أَغْوَيْتَنِي﴾: ســمَّيتني غاويــا بمخالفتي أمرك. وقال الحســن: ﴿أَغْوَيْتَنِي﴾: لعنتني.

وأمَّــا ﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ فمعناه: أن يضلَّكــم /٥٤/ ويمنعكم الرشد. وقال الحســن: يعذِّبكم، أي: لا ينفعكم نصحي بما أدعوكم إليه من الإيمان إذا نزل بكم عذاب الله وآمنتم لم ينفعكم يومئذٍ.



مسألة: [في قوله ﷻ: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ﴾]

فإن قال: فقوله ﷻ: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ (الأعراف: ١٥٦) كيف ولم تَسَع الكافر الذي لم يرحمه؟ قيل له: قد قال المفضّل: قال الكلبيّ: لَمَّا قال الله تعالى ذلك تطاول لها إبليس وقال: أنا من ذلك الكلِّ، فأخرجه الله تعالى من ذلك وجنَّبه بقوله تعالى: ﴿فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ...﴾ الآية[1]. فقالت اليهود: فنحن منهم، نحن أصحاب الكتاب والعلم القديم، فأكذبهم الله تعالى فقال: بل هم ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ...﴾ الآية[2]. وقال غيره[3] ـ وأظنُّه ابن عبَّاس ـ: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ يقول: في الدنيا، يعني قد عمَّت الناس، فسأكتبها في الآخرة للمؤمنين، يقول: فسأجعلها لهم دون الكفَّار، يعني الجنَّة.

مسألة: [في قوله ﷻ: ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ﴾]

فإن قال: فقوله: ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ﴾ (الأعراف: ١٧٩) وفي موضع آخر: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦) وفي موضع آخر: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡ﴾ (هود: ١١٩)، كيف جاز أن يقول: لعبادي[4] ثُمَّ قال: خلقت كثيرًا منهم لجهنَّم؟ قيل له: لَمَّا كان مصيرهم

(١) الأعراف: ١٥٦. وتمامها: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ﴾.
(٢) الأعراف: ١٥٧. وتمامها: ﴿ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡ﴾.
(٣) وهذا المعنى هو الذي تقتضيه وتفسره آيات القرآن الأخرى.
(٤) كذا في النسخ، ولعلَّ الصواب: «أن يقول: خلقتهم لعبادتي...».

إليها بعلمهم[١] كأنَّهم كانوا خلقوا لها. وذلك من كلام العرب واسع، كقولك للرجل إذا بعثته في أمر فعاد إليك بضرر: إنَّما بعثتك لتضرَّني!. وليس لذلك بعثه. قال سماك بن عمر العاملي:

أم سماك فلا تجزعي فللموت ما تلد الوالدة[٢]

وإنما تطلب الوالدة الولد لينفعها فلمَّا كان مصيره إليه جعل ولادتها له. ومثله قول الكميت[٣]:

فللموت تغدو الوالدات سخالها كما لخراب الدور تبنى المساكن[٤]

والوالدة لا تغدو أولادها للموت ولا تبنَى المساكن للخراب وإنَّما للعمارة، ولكن لَمَّا كانت العاقبة للموت والخراب جاز ذلك. ومثله قول الأخطل:

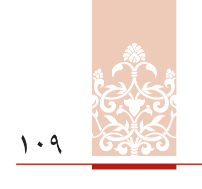
(١) كذا في النسخ، ولعلَّ الصواب: «بعلمه».

(٢) أورده الميداني في مجمع الأمثال، بصيغة: «فَأَمَّ سماك...»، في شرح المثل القائل: «تطلب أثرًا بعد عين». وأورد الأبيات التي قالها سماك بن عمرو العاملي حين ظنَّ أنَّه مقتول على يد أحد ملوك غسان، بعد أن أُسر هو وأخوه مالك بن عمرو. الميداني: مجمع الأمثال، ١٢٨/١.

استشهد به الزجاجي على لام العاقبة أو الصيرورة، ولم ينسبه. أبو القاسم عبدالرحمٰن بن إسحاق الزجاجي: كتاب اللامات، ص١٢١.

(٣) أبو المستهل، الكميت بن زيد بن خنيس الأسدي (ت: ١٢٦هـ): شاعر الهاشميّين، من أهل الكوفة. كان عالمًا بآداب العرب ولغاتها وأخبارها وأنسابها، ثقةً في علمه، منحازًا إلى بني هاشم، كثير المدح لهم، متعصبًا للمضريَّة على القحطانيَّة، وهو من أصحاب الملحمات. أشهر قصائده (الهاشميات ـ ط). اجتمعت فيه خصال لم تجتمع لشاعر: كان خطيب بني أسد، وفقيه الشيعة، فارسًا شجاعًا، سخيًّا، راميًا لم يكن في قومه أرمى منه. انظر: الزركلي: الأعلام، ٢٣٣/٥. الموسوعة الشعريَّة.

(٤) البيت من الطويل. نسبه المناوي إلى سابق بن عبدالله البربري (ت: ١٣٢هـ)، وقال: «وأنشد البيهقي بسنده إلى سابق البربري...». وكذا لجنة الموسوعة الشعرية. المناوي: فيض القدير، ٤٨٥/٥.



أموالنا لـذوي الميراث نجمعها ودورنا لخراب الدهـر نبنيها(١)

ولم نجمع المال للوارث، ولم نبن الدور للخراب، ولكن لنسكنها، ومن ذلك قوله: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ (القصص: ٨)، وليس لذلك التقطوه، ولكن ليُسَرُّوا به، ﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ﴾ (القصص: ٩)، ولكن لَمَّا كان ذلك عاقبة أمره جاز أن يجعل الالتقاط له.

مسألة: [في قوله ﷻ: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا...﴾]

فإن قال: فقوله ﷻ: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ...﴾ /٥٥/ الآية (الأعراف: ١٧٩)، ما معنى هذا والقلوب يُعقل بها، والأعين يُبصر بها، والآذان يُسمع بها؟ قيل له: إنَّه لَمَّا لم يفقهوا بقلوبهم، ولم يبصروا بأعينهم، لم ينتفعوا بجوارحهم. ومثل ذلك قول مسكين الدارمي(٢):

أعمى إذا ما جارتي خرجت حتَّى يوارى جارتي الستر

(١) البيت من البسيط. نسبه الزجاجيُّ ولجنة الموسوعة الشعريَّة إلى سابق بن عبدالله البربري (ت: ١٣٢هـ)، من قصيدة مطلعها:

النفسُ تَكلَفُ بالدنيا وقد عَلِمَت أن السَّلامةَ منها تَركُ ما فيهَا

ونسبته اللجنة أيضًا إلى عليٍّ بن أبي طالب، من قصيدة مطلعها:

النَّفسُ تَبكي عَلى الدُنيا وَقَد عَلِمَت أَنَّ السَّلامَةَ فيها تَركُ ما فيها

ينظر: الزجاجي: كتاب اللامات، ص١٢٠. الموسوعة الشعرية.

(٢) مسكين الدارمي: ربيعة بن عامر بن أُنيف التميمي (٨٩هـ): شاعر عراقي شجاع من أشراف تميم. له أخبار مع معاوية، وكان متصلًا بابنه يزيد وزياد بن أبيه وكانت بينه وبين الفرزدق والأخطل وعبدالرحمٰن بن الحكم وعبدالرحمٰن بن حسان وشائج مودة وهجاء. انظر: الزركلي: الأعلام، ١٦/٣. الموسوعة الشعرية.

وأصــــمُّ عــمَّــا كــــان بينهما ســــمعي، وما ســــمعي به وقر[١]

فجعل نفسه أعمى أصمَّ لِمَا لم يبصر ولم يسمع. وقال آخر:

وكــــلامٌ بسيِّئ قــد وُقِـــرَتْ أُذُنَيَّ عنه وما بِــيَ من صمم[٢]

ومثل هذا كثير في كلام العرب وأشعارها.

مسألة: [في قوله ﷻ: ﴿ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ ﴾]

فإن قال: فقوله ﷻ: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ ﴾ (هود: ٧٤) كيف جاءت المجادلة من إبراهيم عليه السلام وهو نبيٌّ؟ قيل له: قال قوم: معنى ﴿ يُجَٰدِلُنَا ﴾ يكلِّمنا؛ لأنَّ إبراهيم عليه السلام لا يجادل الله تعالى بل يكلِّمه ويســأله، وقيــل: ﴿ يُجَٰدِلُنَا ﴾ أي: يجادل رســلنا. وقال المفضّــل: ﴿ يُجَٰدِلُنَا ﴾ هو من كلام الرســل، قالوا: لَمَّا ذهــب عنه الروع ﴿ يُجَٰدِلُنَا ﴾، أي: يُحَاجُّنَا في قوم لوط، وهو قوله حين قالوا: ﴿ لِنُرۡسِلَ عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴾ (الذاريــات: ٣٣): إنَّ فيهــم لوطًا وأهله، كيــف تفعلون بهم ذلك؟!.

---

(١) أوردته لجنة الموسوعة الشعرية بالصيغة الآتية:

أَعمــى إِذا ما جارتــي خرجت حتَّــى يــواري جارتــي الخدرُ

وَيصـــمُّ عمَّـــا كان بينهمــا سَــمعي وَمــا بــي غيــره وقرُ

من قصيدة مطلعها:

إن أَدع مســكينًا فمــا قصــرت قــدري بيــوت الحــي والجدرُ

(٢) ذكره ابن فارس وأبو هلال العســكري ولم ينســباه. انظر: أبو الحســين أحمدُ بن فارِس: الصاحبي في فقه اللغة العربية وسنن العرب فِي كلامها، باب نفي الشيء جملة. العسكري: جمهرة الأمثال، ١٨٣/٢.



مسألة: [في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴾]

فإن قال: فقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴾ (يوسف: ٧٠) كيف جاز ليوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يُسَرِّقَ قومًا لم يسرقوا؟ قيل له: قال قطرب[١] فيه بوجهين:

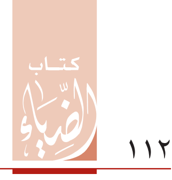
- **أحدهما**: إنَّكم سارقو يوسف يوم سرقوه من أبيه ورموا به في الجبِّ، فيكون ذلك صدقًا من يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ.
- **والوجه الآخر**: أن يكون المنادي نادى بغير أمر يوسف، فحكى الله عَزَّ وَجَلَّ ذلك عن المنادى. ويجوز أن يكون يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ أمر بوضع الصاع في وعاء أخيه بغير علم الذي ناداهم بالسرقة، فلا يكون المنادي تعمَّد كذبًا.

وقال المفضّل: [قال] الفرَّاء: هو من مكايد الأنبياء، ولعمري إنَّ الأنبياء ليكيدون حتَّى يبلغوا ما يريدون، وذلك مِمَّا يحسن ويجوز. ومنه ما روي عن النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أنَّه كان إذا أراد سفرًا ورَّى عنه بغيره»[٢].

---

(١) قطرب، هو: أبو علي محمَّد بن المستنير بن أحمد (٢٠٦هـ)، اشتهر بقطرب: نحويٌّ، عالم بالأدب واللغة، من موالي البصرة. كان يرى رأي المعتزلة النظامية. وهو أوَّل من وضع (المثلَّث) في اللغة. من كتبه: «معاني القرآن» و«النوادر» في اللغة، و«غريب الحديث» ... انظر: الزركلي: الأعلام، ٩٥/٧.

(٢) نصُّه عند البخاري: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَلَّمَا يُرِيدُ غَزْوَةً يَغْزُوهَا إِلَّا وَرَّى بِغَيْرِهَا حَتَّى كَانَتْ غَزْوَةُ تَبُوكَ فَغَزَاهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ وَاسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا وَمَفَازًا، وَاسْتَقْبَلَ غَزْوَ عَدُوٍّ كَثِيرٍ، فَجَلَّى لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ لِيَتَأَهَّبُوا أُهْبَةَ عَدُوِّهِمْ، وَأَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِ الَّذِي يُرِيدُ». البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب من أراد غزوة فورى بغيرها...، ر٢٧٨٨، ١٠٧٨/٣. مسلم في كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه، رقم٢٧٦٩، ٢١٢٨/٤.



والكذب فيما يجلب منفعة أو يدفع[1] مضـرَّة، أو أقام[2] لله تعالى حجَّة لا بأس به. فقد حكى الله ﷻ عن إبراهيم ﵇ فيما أراد من كسـر الأصنام فقال: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ (الصافَّات: ٨٩)، ولم يكن سقيمًا في ذلك /٥٦/ الوقت.

قال: وفيه عندي وجه آخـر ما هو بدون هذا، وهو أنَّـه عارضهم بقولٍ يتوهَّم من لا يعلم معناه أنَّه كذب، وهو حقٌّ. قال: ﴿إِنَّكُمْ لَسَـٰرِقُونَ﴾ أي: في قومكم من يَسْرِقُ، وأضاف السَّرْقَ إلى جميعهم، وإنَّما هو في بعضهم. كما يقال: قتـل أهلُ الكوفة رجـلًا، وإنَّما قتله بعضهم، ومنـه قوله ﷻ: ﴿فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ (آل عمـران: ١٨٣) وإنَّما قتلهم أسلافهم. من ذلك قول جليلة بنت مُرَّة[3] أخت جسَّـاس بن مُرَّة قاتل كليب وهي امرأة كليب قالت:

إنَّــنـــي قــاتــلــةٌ مـقـتـولـةٌ　　فلعـلَّ الله أن يرتـاح[4] لــي[5]

فجعلت نفسها أنَّها قاتلة لأنَّ أخاها قَتَلَ، ومقتولة لأنَّ زوجها قُتِل.

---

(١) في (د): «نفع»، وفوقه بخط الناسخ: «لعله: يدفع»، فأثبتنا الصواب.

(٢) في (د): «قام».

(٣) جليلة بنت مُرَّة الشـيبانيَّة (٨٧ ق.هـ) شـاعرة جاهليَّة فصيحة، وهي أخت جسـاس قاتل كُليب بن ربيعـة (زوجها) فلما قَتَلَ أخوهـا زوجها كليبًا انصرفت إلـى منازل قومها، ثم أنشأت قصيدتها المشهورة التي مطلعها:

يـا ابنـة الأقـوام إن لمت فلا　　تعجلـي باللـوم حتَّى تسـألي

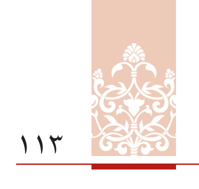
الموسوعة الشعرية.

(٤) كتب الناسخ فوق الكلمة: «خ: أن يعطف».

(٥) البيت من الرمل. ورد في الأغاني وفي المثل السـائر بنفـس الصيغة، مع تفاصيل قصَّتها. وورد في الموسوعة الشعرية بصيغة:

فـأنـا قــاتــلــةٌ مـقـتـولـةٌ　　ولـعـلَّ اللهَ أن ينـظـر لـــي

أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ٥/٦٧ ـ ٦٩. الموصلي: المثل السائر، ١/٣٠٨ ـ ٣٠٩.



مسألة: [في قوله ﷻ: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾]

فإن قال: فقوله ﷻ: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ (يوسف: ١٠٦) كيف يؤمنون وهم مشركون؟ قيل له: قال الكلبيّ(١): يعني أهل مكَّة، يقول: إذا سألتهم من خلقكم؟ قالوا: الله، ومن يرزقكم؟ قالوا: الله، وهم مشركون بالله يعبدون الأصنام. فمعنى إيمانهم هاهنا الإقرار بالله ﷻ فقط، لا الإيمان التام، بإقامة الشرائع وأداء الفرائض.

وفي تفسير ابن عبَّاس في هذه الآية قال: كانت العرب في الجاهليَّة إذا لبَّى أحدهم قال: «لبَّيك اللَّهُمَّ لبَّيك، لبَّيك لا شريك لك، إلَّا شريك هو لك، تملكه وما ملك».

مسألة: [في قوله ﷻ: ﴿هَٰذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴾]

فإن قال: فما معنى قوله ﷻ: ﴿هَٰذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴾ (الحجر: ٤١)؟ قيل له: قد اختلف القرَّاء في ذلك، فأكثرهم بفتح الياء من «عَلَيَّ»، ويروى عن زياد بن أبي مريم(٢) وعبد الله بن كثير(٣) أنَّهما قرآها كذلك، وقالا: (عَلَيَّ) هي إِلَيَّ. وقال ابن الكلبيّ(٤): هو كما تقول: الطريق عليَّ، وأنا عليَّ الطريق.

---

(١) أبو النضر، محمد بن السائب بن بشر الكلبي (ت: ١٤٦هـ)، وقد تقدَّمت ترجمته.

(٢) زياد بن أبي مريم، وقد يذكر باسم زياد بن الجراح. من التابعين، ثقة. انظر: ابن حجر: تهذيب التهذيب، ٣٣٠/٣.

(٣) عبد الله بن كثير بن عمرو بن عبد الله بن زاذان (ت: ١٢٠هـ): إمام، مقرئ مكَّة، وأحد القرَّاء السبعة، والمشهور تلاوته على مجاهد ودرباس مولى ابن عباس. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٣١٨/٥ ـ ٣٢٢.

(٤) أبو المنذر، هشام بن محمد أبي النضر ابن السائب الكلبي (ت: ٢٠٤هـ): مؤرخ عالم بالأنساب وأخبار العرب وأيَّامها، كأبيه، كثير التصانيف. من أهل الكوفة، ووفاته فيها. له نيِّف ومائة وخمسون كتابًا، منها «جمهرة الأنساب»، و«الأصنام» و«نسب الخيل» و«بيوتات قريش»، وغيرها كثير ... انظر: الزركلي: الأعلام، ٨٧/٨.

وقال الفرَّاء: يقول: مرجعكم إِلَيَّ فأجازيهــم[1]. وهو كقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ (الفجر: ١٤). وروي عن ابن ســيرين[2] وقتادة[3] وقيس بن عباد[4]: (صِرَاطٌ عَلِيٌّ) بإعراب الياء، يجعله نعتًا للصراط، أي: رفيع شريف.

مسألة: [في قوله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم﴾]

فإن قال: فقولــه تعالــى: ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم﴾ (النحل: ٢٥)، ومثله: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ (العنكبــوت: ١٣) كيف جاز على الحكيم مع قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ (الأنعام: ١٦٤. الإسراء: ١٥. فاطر: ١٨. الزمر: ٧)؟ قيل له: قال قطرب[5] في ذلــك: ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ﴾ إضْلَالِ ﴿ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾، وهــذا شــبيه بقولــه تعالــى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ (يوسف: ٨٢) أي: أهل القرية.

---

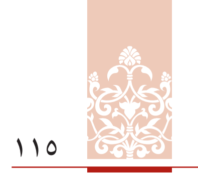
(١) كذا في النسخ، ولعلَّ الأصوب: «مرجعهم إِلَيَّ فأجازيهم»، أو «مرجعكم إِلَيَّ فأجازيكم».

(٢) أبو بكر، محمَّد بن سيرين البصري، الأنصاري بالولاء (ت: ١١٠هـ): إمام وقته في علوم الدين بالبصرة. تابعي. من أشراف الكتَّاب. مولده ووفاته في البصرة. نشأ بزازًا، في أذنه صمم. وتفقه وروى الحديث، واشتهر بالورع وتعبير الرؤيا. ينسب له كتاب «تعبير الرؤيا» و«منتخب الكلام في تفسير الأحلام» ينسب إليه أيضًا، وليس له. انظر: الزركلي: الأعلام، ١٥٤/٦.

(٣) أبو الخطَّاب، قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي البصري (ت: ١١٨هـ): مفسِّر حافظ أكمه، كان مع علمه بالحديث رأسًــا في العربيَّة ومفردات اللغة وأيَّام العرب والنسب. مات في واسط بالطاعون. انظر: الزركلي: الأعلام، ١٨٩/٥.

(٤) قيس بن عباد الضبعي (ت: نحو ٨٥هـ): من ثقات التابعيــن وصالحيهم، قدم المدينة في خلافة عمر، وروى الحديث وسكن البصرة، وخرج مع ابن الأشعث فقتله الحجَّاج. انظر: الزركلي: الأعلام، ٢٠٧/٥.

(٥) قطرب هو: أبو علي محمَّد بن المستنير بن أحمد (٢٠٦هـ)، وقد تقدَّمت ترجمته.



وقال المفضّل: ﴿لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ﴾ أي: يأتوا بآثامهم فيعاقبوا عليها، ﴿وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم﴾ /٥٧/ أي: يأتوا أيضًا بآثام من أضلُّوا فيعاقَبوا عليها من غير أن ينقص من آثام أولئك شيء. وكذلك كلُّ من أضلَّ إنسانًا كان عليه مثل وزره من غير أن ينقص من وزر ذلك شيء. وكذلك من هدى أحدًا إلى خير فعمل به كان له مثل أجره من غير أن ينقص ذلك من أجره شيئًا .

مسألة: [في قوله تعالى: ﴿أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا﴾]

فإن قال: فقوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا﴾ (الإسراء: ١٦) أيأمر بالفسق، وهو تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ (النحل: ٩٠)؟ قيل له: قال قطرب وغيره: المعنى أمرناهم بالطاعة ففسقوا فيها، وهي قراءة أبي عمرو بن العلاء[١]، «أمرنا» يُخَفَّف على الأمر. ووجه آخر وهي قراءة الحسن[٢]: «آمَرْنَا» وهي ممدودة، أي: كثَّرنا. وقراءة أبي العالية: «أَمَّرْنَا»، أي: سلَّطنا. وقالوا في معنى الكثرة: أَمِرَ القوم يَأْمَرُونَ أمرًا، أي: كثروا. وقالوا في مَثَلٍ لهم: «الشرُّ أَمِرٌ»، أي: تامٌّ زائد[٣]. وقال لبيد[٤]:

(١) أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان التميمي المازني البصري (ت: ١٥٤هـ): شيخ القرَّاء والعربيَّة. اختلف في اسمه على أقوال أشهرها زبان وقيل: العريان. حدَّث باليسير عن أنس بن مالك ويحيى بن يعمر ومجاهد وأبي صالح السمان وأبي رجاء العطاردي ونافع العمري وعطاء بن أبي رباح وابن شهاب، وقرأ القرآن على سعيد بن جبير ومجاهد ويحيى بن يعمر وعكرمة وابن كثير وطائفة. اشتهر بالفصاحة والصدق وسعة العلم. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٤٠٧ ـ ٤١٠. انظر: الزركلي: الأعلام، ٤١/٣.

(٢) الحسن بن يسار البصري (ت: ١١٠هـ)، وقد تقدَّمت ترجمته.

(٣) لتفصيل هذه القراءات ومعانيها، انظر: الطبري: جامع البيان، ٥٤/١٥ ـ ٥٨. ابن منظور: اللسان، مادَّة: «أمر»، ٢٨/٤ ـ ٢٩.

(٤) أبو عقيل، لَبيد بن ربيعة بن مالك العامِري (ت: ٤١هـ) من أهل عالية نجد. أحد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهليَّة، ومن أصحاب المعلَّقات. أسلم ووفد على النبي ﷺ، وكان =

إِن يُغبَطوا يُهبَطــوا[١] وَإِن أَمِروا ... يَومًا يَصيروا لِلهُلــكِ وَالنَكَدِ[٢]

معناه وإن كثروا يومًا. قال زهير[٣]:

وَالإِثــمُ مِن شَــرٍّ ما يُصــالُ بِهِ ... وَالبِــرُّ كَــالغَيــثِ نَبتُــهُ أَمِرُ[٤]

أي: كثير.

مسألة: [في قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَ﴾]

فإن قــال: فقولــه تعالــى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَ﴾ (الإسراء: ٥٩) أليس قد أرسل بالآيات، فقال تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ

= من المؤلَّفة قلوبهم. اعتزل الشعر فلم يقل في الإسلام إلا بيتًا واحدًا. سكن الكوفة وعاش عمرًا طويلًا. انظر: الزركلي: الأعلام، ٥/٢٤٠. الموسوعة الشعرية.

(١) يُغبَطوا: يصلوا إلى مرتبة من الشرف يغبطهم عليها سواهم. ويُهبَطوا: يُذلُّوا وينحطُّوا. وفي الحديث: «اللهمَّ غبطًا لا هبطًا»، أي: نســألك الغِبْطَة، ونعوذ بــك أن نَهْبِطَ عن حالنا. ابن منظور: اللسان، مادَّة: «هبط»، ٧/٤٢٢ ـ ٤٢٣.

(٢) البيت من المنسرح، من قصيدة مطلعها:

ما إِن تُعَــرِّي المَنونُ مِــن أَحَدِ ... لا والِــــدٍ مُـشـفِـقٍ وَلا وَلَــدِ

انظر: ديوان لبيد في الموسوعة الشعرية.

(٣) زُهَير بن أبي سُــلمَى ربيعة بن رباح المزني، من مُضَر (ت: ١٣ ق.هـ) حكيم الشعراء في الجاهليَّة. كان يقيم في الحاجر (من ديار نجد). وكانت أسرته من الشعراء. قيل: كان ينظم القصيدة في شهر وينقِّحها ويهذِّبها في ســنة فكانت قصائده تسمَّى «الحوليَّات»، وأشهرها معلَّقته التي مطلعها:

أَمِــن أُمِّ أَوفــى دِمنَةٌ لَــم تَكَلَّمِ ... بِحَومانَــةِ الــدُرّاجِ فَالْمُتَثَلَّــمِ

الموسوعة الشعرية.

(٤) البيت من المنسرح، من قصيدة مطلعها:

فيــمَ لَحَــت إِنَّ لَومَهــا ذُعُــرُ ... أَحَميــتِ لَومًــا كَأَنَّــهُ الإِبَــرُ

انظر: ديوان زهير في الموسوعة الشعريَّة.

﴿وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝ وَإِن يَرَوْاْ ءَايَةً يُعْرِضُواْ﴾ (القمر: ١ ـ ٢)، وقال تعالى: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ (الأنعام: ٤)؟ قيل له: قيل معنى ذلك: ما منعنا أن نرسل بالآيات التي سألك قومك إلَّا أن كذَّب بها الأوَّلون، فأهلكناهم لَمَّا كذَّبوا بها، يقول تعالى: فلو أتيناهم بآية فلم يؤمنوا أهلكتُهُم كما أهلكتُ من كان قبلهم.

مسألة: [«من» في قوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ﴾]

فإن قال: فقوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ﴾ (الإسراء: ٨٢) بعضه شفاء دون بعض؟ قيل له: قال المفضّل: معناه: الذي ننزِّله إليك من القرآن أوَّلًا فأوَّلًا هو شفاء لهم دون استكماله؛ لأنَّه لم ينزل جملة واحدة، فأراد ﷻ أنَّ ما ينزل منه شفاء ورحمة للمؤمنين إلى أن يستكملوا تنزيله.

قال: وقال قطرب[١]: معنى «مِنْ» الطرح، كقوله تعالى: ﴿وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ (البقرة: ٢٧١)، ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ (البقرة: ١٢٥) المعنى: نُكَفِّرْ عَنكُم سَيِّئَاتِكُمْ، وَاتَّخِذُوا مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى.

والأوَّل أحسن وأصحُّ في المعنى؛ لأنَّ «من» إنَّما /٥٨/ تدخل في الكلام التامِّ، فأمَّا في الناقص فلا، وهذا مفصَّل بقوله ﷻ: ﴿مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ﴾، ألا ترى أنَّك لو قلت: ننزل القرآن ما هو شفاء لم يجز، كما تقول: نُكَفِّرْ عَنكُم سَيِّئَاتِكُمْ، وَاتَّخِذُوا مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى؟. يقول ذو الرمَّة[٢]:

---

(١) قطرب هو: أبو علي محمَّد بن المستنير بن أحمد (٢٠٦هـ)، وقد تقدَّمت ترجمته.

(٢) ذو الرُمَّة غيلان بن عقبة بن نهيس العدوي (١١٧هـ) من فحول الطبقة الثانية في عصره. قال أبو عمرو بن العلاء: فتح الشعر بامرئ القيس وختم بذي الرمة. أكثر شعره تشبيب وبكاء أطلال. وكان مقيمًا بالبادية، يختلف إلى اليمامة والبصرة كثيرًا. توفي بأصبهان، وقيل: بالبادية. انظر: الزركلي: الأعلام، ١٢٤/٥. الموسوعة الشعرية.

تَبَسَّمنَ عَن نَوْرِ الأَقاحي في الثَّرى وَفَتَّرنَ مِن أَبصارٍ مَضروجَةٍ كُحلِ[(١)]

أراد: وفتَّرن أبصارًا مضرَّجة أي: ملطَّخة.

مسألة: [في قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾]

فإن قال: فقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾ (الإسراء: ٩٧)، ثُمَّ قال في آية أخرى: ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ (فاطر: ٣٦) والْخُبُوُّ: السكون؟ قيل له: قال المفضّل: معنى ذلك ـ والله أعلم ـ: أنَّها إذا أكلت جلودهم ولحومهم فلم يكن لها ما تلتهب فيه خَبَتْ، فلم يبق من حرِّها إلَّا ما يصل جلودهم فيستعر فيها، لا أنَّها تطفأ عنهم ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾، فقال: خَبَتِ النارُ تَخْبُو خُبُوًّا إذا سكن لهيبها. قال القطامي[(٢)]:

وكنَّا كالحريقِ أصابَ غابًا فيخبو ساعةً وَيَهُبُّ ساعا[(٣)]

ساع: جمع ساعات.

---

(١) البيت من الطويل، ينسب لذي الرمة في ديوانه بلفظ: «نجل» بدل «كحل». وانظر الزاهر، ١٧/١، ٢٦٩.

(٢) هو: أبو سعيد عُمير بن شُييم، من بني جُشَم بن بكر، التغلبي الملقب بالقطامي (ت: ١٣٠هـ): شاعر غزل فحل، كان من نصارى تغلب في العراق، وأسلم. ونقل أنَّ القطامي أوَّل من لُقِّب «صريع الغواني». من شعره البيت المشهور:

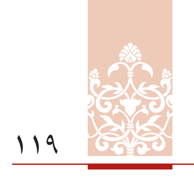
قد يدرك المتأنِّي بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل

الموسوعة الشعرية.

(٣) البيت من الوافر، من قصيدة مطلعها:

قِفي قَبلَ التَفَرُّقِ يا ضُباعا ولا يَكُ مَوقِفٌ مِنكِ الوَداعا

انظر: ديوان القطامي في الموسوعة الشعرية.



مسألة: [في قوله تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾]

فإن قال: فقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ (الأنبياء: ٩٨) أليس قد عُبدت الملائكة وعُبد عيسى ابن مريم عليه السلام، فما معنى ذلك؟ قيل له: قال الكلبيّ[1] عن ابن عبَّاس: إنَّ النبيَّ ﷺ قام مِمَّا يلي الكعبة، ثُمَّ قرأ هذه الآية فوجد منها أهلُ مكَّة، فدخل عليهم عبد الله بن الزِّبِعْرَى[2] الشاعر وهم يخوضون فيها فقال: لو كنت هاهنا لخصمته، فلقيه فقال: يا محمَّد أرأيت ما قلت لقومك آنفا، أخاصٌّ لهم أم عامٌّ؟ فقال: **بل عامٌّ لمن عبد شيئًا من دون الله**، قال: هذه النصارى تعبد عيسى فعيسى والنصارى في النار، واليهود تعبد عُزيرًا فعزير واليهود في النار، وبنو مليح من خزاعة يعبدون الملائكة فالملائكة وهم في النار. فسكت ﷺ ولم يجبهم، فقال ابن الزبعرى: خصمتك، فضحكت قريش، فذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ (الزخرف: ٥٧)، أي: يضحكون، فأنزل الله في جواب قولهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠١) الحسنى الجنَّة، يعني عيسى ابن مريم والملائكة عليهم السلام، فأخبره النبيُّ ﷺ بذلك فقال: هلَّا إذْ سألتك قلت هذا، ولكن تذكَّرت إذ خلوتَ.

---

(١) أبو النضر، محمد بن السائب بن بشر الكلبي (ت: ١٤٦هـ)، وقد تقدَّمت ترجمته.

(٢) في (د): «الزعبرا»، وقد تكرر هذا الخطأ، ولم يذكر بهذا الاسم في ما بين أيدينا من مصادر.

قال ابن حجر: «عبد الله بن الزِّبِعْرَى (بكسر الزاي والموحدة وسكون المهملة بعدها راء مقصورة) ابن قيس بن عدي القرشي السهمي ... كان من أشعر قريش وكان شديدًا على المسلمين ثم أسلم في الفتح ... ومدح النبي ﷺ فأمر له بحلَّة». توفي سنة ١٥هـ. ابن حجر: الإصابة، ترجمة ر٤٦٨٢، ٨٧/٤. وينظر: الزركلي: الأعلام، ٨٧/٤. الموسوعة الشعرية.

وقال /٥٩/ قطرب[١]: العرب إنَّما توقع «مَا» في أكثر كلامها على غير الآدميِّين، فكأنَّه قال ﷻ: إنَّكم وما تعبدون من دون الله من الأصنام والحجارة ـ يعني: الحجارة التي عبدوها من دون الله ـ تعذَّبون في جهنَّم.

مسألة: [في قوله ﷻ: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾]

فإن قال: لقوله ﷻ: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ (طه: ٧٤) فيكون شيء ليس بحيٍّ ولا ميِّت؟ قيل له: قال المفضّل وقطرب: أي: لا يموت فيستريح، ولا يحيى حياة تنفعه.

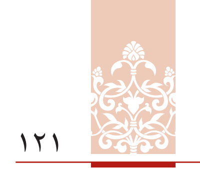
مسألة: [في قوله ﷻ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾]

فإن قال: قوله ﷻ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۞ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ (المؤمنون: ١٠ ـ ١١) كيف جاز أن يسمِّيهم وارثين وإنَّما الميراث للحيِّ من الميِّت؟ قيل له: قال ابن عبَّاس: إنَّه ليس أحد من ولد آدم إلَّا وقد أعدَّ الله ﷻ له أهلًا ومنزلًا في الجنَّة على العمل بطاعته، فمن أطاع منهم صار إلى ذلك الأهل والمنزل الذي أعدَّ له في الجنَّة، ومن عمل منهم بمعصية الله صار إلى النار، وكان ما أعدَّ له لأهل الجنَّة إلى منازلهم التي أعدها الله تعالى لهم، وذلك قوله ﷻ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾[٢].

---

(١) قطرب هو: أبو علي محمَّد بن المستنير بن أحمد (٢٠٦هـ)، وقد تقدَّمت ترجمته.

(٢) قد ورد هذا في حديث مرفوع عند ابن ماجه: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا لَهُ مَنْزِلَانِ: مَنْزِلٌ فِي الْجَنَّةِ وَمَنْزِلٌ فِي النَّارِ؛ فَإِذَا مَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ وَرِثَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مَنْزِلَهُ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾». ابن ماجه: السنن، كتاب الزهد، باب صفة الجنَّة، ر٤٣٤١، ٢/١٤٥٣.



مسألة: [في قوله ﷻ: ﴿وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾]

فإن قال: فقوله ﷻ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ (المؤمنون: ٦١) كيف يسبقون الخيرات؟ قيل له: المعنى غير ذلك، كأنَّه قال تعالى: وهم إليها سابقون، ومثله في القرآن كثير، ومنه ﴿إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ﴾ (آل عمران: ١٩٣) أي: إلى الإيمان، ومثله ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا﴾ (الزلزلة: ٥) أي:[١] أوحى إليها. قال الأعشى[٢]:

وما عَدَلَتْ[٣] من أهلها لسوائكا[٤]

ووجه آخر ﴿وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ أي: من أجلها سابقون، كقولك: فعلت هذا لزيد، أي: من أجل زيد. قال النَّمِرُ بن تَوْلَب[٥]:

ما كنت أخدع للخليل بِخُلَّة ... حتَّى يكون لي الخليل خَدُوعا[٦]

---

(١) فوق «أي» كتب الناسخ: «خ: المعنى».

(٢) ميمون بن قيس (ت: ٧هـ)، وقد تقدَّمت ترجمته.

(٣) في (د): «عبدت»، واخترنا رواية ابن منظور: «عَدَلَتْ». ابن منظور: اللسان، مادَّة: «سوا»، ١٤/٤١٢ ـ ٤١٣.

(٤) شطر بيت من الطويل، ورد في الموسوعة الشعرية بصيغة:

تَجانَفُ عَن جُلِّ اليَمامَةِ ناقَتي ... وَما قَصَدَتْ مِن أَهلِها لِسِوائِكا

من قصيدة مطلعها:

أَتَشفيكَ تَيّا أَم تُركتَ بِدائِكا ... وَكانَت قَتولًا لِلرِّجالِ كَذَلِكا

انظر: ديوان الأعشى من الموسوعة الشعرية.

(٥) النَّمِرُ بن تَوْلَب بن زهير (ت: ١٤هـ): شاعر جاهليٌّ أدرك الإسلام وهو كبير فأسلم وعُدَّ من الصحابة وروى حديثًا عن الرسول. نشأ بين قومه في بلاد نجد، ثم نزلوا ما بين اليمامة وهجر. وما عرف له في المدح إلَّا قصيدة واحدة مدح فيها الرسول ﷺ، وكذلك كان هجاؤه نادرًا. انظر: الزركلي: الأعلام، ٨/٤٨. الموسوعة الشعرية.

(٦) البيت لم نجد من نسبه، انظر: زاد المسير، ٤٠٧/١. وتفسير البحر المحيط لابن حيان، ٥١٨/٢.



وقال عمر بن أبي ربيعة[١]:

وخطة خسف يجعل الموت دونها   يقول لها للموت أهلًا ومرحبا[٢]

الخسف الضيم. وقال آخر:

وَقُميرٌ بَدا ابن خَمسٍ وَعِشـريـ   ـنَ لَهُ قالَتِ الفتاتان[٣] قوما[٤]

أي: بسبب طلوعه.

مسألة: [في قوله ﷻ: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾]

فإن قال: فقوله ﷻ: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ (الروم: ٢٧) أيكون شيء أهون عليه من شيء؟ قيل له: قال ابن عبَّاس وغيره: يقول كلٌّ /٦٠/ هيِّن، أوَّل

---

(١) أبو الخطاب، عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي القرشي (ت: ٩٣هـ). أرق شعراء عصره، من طبقة جرير والفرزدق. ولد في الليلة التي توفي بها عمر بن الخطاب، فسمي باسمه. وكان يفد على عبد الملك بن مروان فيكرمه ويقربه. رُفع إلى عمر بن عبد العزيز أنَّه يتعرَّض للنساء ويشبِّب بهنَّ، فنفاه إلى دهلك، ثمَّ غزا في البحر فاحترقت السفينة به وبمن معه، فمات فيها غرقًا. انظر: الزركلي: الأعلام، ٥٢/٥.

(٢) لم أجده فيما بين يدي من المصادر منسوبًا إلى عمر بن أبي ربيعة. وقد نسبه الطبريُّ في تاريخه (٤٢٤/٤) والزمخشري في ربيع الأبرار (١٧٣/١) إلى سلامة بن جندل إذ تمثل بهذا البيت أبو جعفر المنصور حين أتاه خروج إبراهيم بن عبد الله بالبصرة:

وخطة (وسومة) ذلٍّ نجعل الموت دونها   نقول لها للموت أهلًا ومرحبا

(٣) هكذا ورد في كل المصادر التي بين أيدينا، ولكن في الأصل كتب الناسخ: «القناتان».

(٤) قال ابن منظور: «قُومَا: أَراد قُومَنْ فوقف بالأَلف». اللسان، باب الألف اللينة. البيت من الخفيف، نسبه الأصفهاني إلى ابن سريج. أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ٣٠٣/١. ونسبته لجنة الموسوعة الشعرية إلى عمر بن أبي ربيعة، من قصيدة مطلعها:

ذَكَّرَتني الدِيارُ شَوقًا قَديمًا   بَينَ خَيصٍ وَبَينَ أَعلى يَسوما

انظر: ديوان عمر بن أبي ربيعة في الموسوعة الشعرية.

خلقه إذ لم يكن شيئًا، وآخره إذ لا يكون شيئًا . وذلك موجود في الشعر، وقال ذو الرُّمَّة:

أَخا قَفَراتٍ[١] دَبَّبَت[٢] في عِظامِه شُفافاتُ أَعجازِ الكَرى فَهوَ أَخضَعُ[٣]

يريد فهو خاضع، والشفافات بقيّات، والشفافة[٤] الباقية من كلِّ شيء، وأعجاز الكرى[٥]: أواخره. قال لبيد:

لَعَمرُكَ ما أَدري وَإِنّي لأَوجَلُ عَلى أَيِّنا تَعْدُو الْمَنِيَّةُ أَوَّلُ[٦]

قوله: «أَوْجَلُ» يريد: وَجِلٌ، ومثله كثير.

قال ابن عبَّاس: لا يقال هذا هيِّن عليه وهذا شديد عليه، كلُّ شيء هيِّن عليه. وقال أبو عبد الله[٧]: هذا التفسير يسمَّى المختصر، يقول: وهو أهون عليكم أنتم يا بني آدم.

---

(١) في (د): «فقرات». وأثبتنا الصواب من المصادر اللغوية. والقَفْرَةُ: الخلاء من الأرض. والقَفِرَة من النساء: القليلة اللحم. اللسان، مادَّة: «قفر»، ٥/١١٠.

(٢) دبَّبَت: الدبيب: المشي البطيء. اللسان، مادَّة: «دبب»، ١/٣٦٩ ـ ٣٧٣.

(٣) أَخْضَعُ: متطامن العنق، أو ذليل، أو مائل. اللسان، مادَّة: «خضع»، ٨/٧٢ ـ ٧٣.
ينظر في نسبة البيت: ابن دريد: الجمهرة في اللغة، مادَّة: «خضع». الزمخشري: أساس البلاغة، مادَّة: «شفف».

(٤) في (د): «شقافات»، و«الشقافات»، و«الشقافة». وصحَّحناه من اللسان. انظر: مادَّة: «شفف»، ٩/١٨١.

(٥) الكرى: النوم أو النعاس. اللسان، مادَّة: «كرا»، ١٥/٢٢٢.

(٦) البيت من الطويل، وهو لمعن بن أوس المزني (ت: ٦٤هـ). ولم نجد من نسبه إلى لبيد فيما بين أيدينا من المصادر. انظر: الأزهري: تهذيب اللغة. ابن منظور: اللسان، مادَّة: «كبر»، ٥/١٢٧. مادَّة: «وجل»، ١١/٧٢٢.

(٧) أبو عبد الله محمَّد بن محبوب بن الرحيل (ت: ٢٦٠هـ)، وقد تقدَّمت ترجمته.

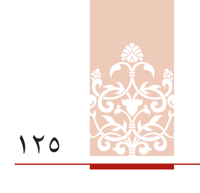
مسألة: [في قوله تعالى: ﴿ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ و﴿خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾]

فإن قال: فقوله تعالى: ﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ (السجدة: ٥) وفي آية أخرى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ (المعارج: ٤) ما معنى هذا الاختلاف؟ قيل: قال ابن عبَّاس وغيره: تنزل الملائكة ثُمَّ تصعد في يوم أو بعض يوم، وكان مقدارُ[١] مسيرةِ ذلك اليوم أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ؛ لأنَّ بُعْدَ ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام لابن آدم[٢]، فإذا قطعته الملائكة عليهم السلام نازلة وصاعدة في يوم واحد فقد قطعت مسيرة ألف سنة. وأمَّا قوله: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ فهو يوم القيامة. قال قطرب: يقول تعالى لو كان محاسبة العباد إلى غيره عز وجل لكان حَاسَبَهُم[٣] في خمسين ألف سنة، والله ـ تبارك وتعالى ـ يحاسبهم في أسرع من الطرف، كما قال جلَّ ثناؤه: ﴿وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (الرعد: ٤١).

(١) في (د): «مقداره».

(٢) هذا مجرَّد تخمين، غير مبني على يقين. وقد أثبتت الاكتشافات العلميَّة الحديثة أنَّ المسافات الفلكيَّة لا تقاس بمسيرة بني آدم، بل بمسيرة الضوء، لا بآلاف السنوات، بل بملايين السنين الضوئيَّة!. هذا ما توصَّلت البشريَّةُ إلى معرفته اليوم، ولا ندري ما سيكشفه الغدُ من أبعاد. مع الإشارة إلى أنَّ ما توصَّل إليه العلم لا يتجاوز السماء الدنيا ـ كما ألمح إليه فضيلة الشيخ أحمد الخليلي ـ وأمَّا ما وراء ذلك من السماوات الأخرى فلا يعلمه إلَّا الله!. يقول سماحة الشيخ: «على أنِّي لا أستبعد أن تكون هذه المجرَّات المذكورة ـ مع كلِّ ما فيها من أجرام ـ هي في طبقة السماء الدنيا». انظر: جواهر التفسير، ٤٢٨/٢.

(٣) كذا في النسخ، لعلَّ الصواب: «حسابهم».



قال الكلبيّ[١]: مقدار ذلك اليوم عند الخلق في فصل القضاء خمسون ألف سنة، وفي ساعة يفرغ الله ﷻ من القضاء بين الخلق.

مسألة: [في قوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾]

فإن قال: فما معنى قوله: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ قيل له: معناه تعرج إلى المكان الذي لا يتولَّى الحكم وإنفاذ الأمور فيه إلَّا هو.

فإن قال: لِماذا كان ما يصعد يقال: إنَّه يصعد /٦١/ ويعرج إليه، وما ينزل لا يقال: إنَّه ينزل إليه، بل يقال: إنَّه ينزل من عنده؟ قيل له: لأنَّه جعل مكانَ تدبيره ـ وما ينزل من وحْيِهِ إلى الأرض وأخبارِهِ ـ السماءَ، وإن لم تكن السماءُ مكانًا له، وكان ما ينزل من السماء إلى الأرض من أمره وأحكامه إنَّما يَمْلِكُ عِبَادُهُ الْحُكْمَ فيه والقيامَ بإنفاذه؛ فلهذا كان الأمر ينزل من قِبَلِهِ من السماء إذْ كان مكانُ الأمر السماءَ، وإن لم تكن السماء مكانًا له، وكان ما ينزل إلى الأرض لا يقال: إنَّه ينزل إلى الله، إذْ كان إذا أنزَلَه مَلَكَ عِبَادُهُ القيامَ به؛ فلهذا كان نازلًا إليهم لا إليه. فإذا عرج إلى السماء قيل له: ﴿يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾؛ لأنَّه لا يملك أحدٌ الحكمَ في ذلك غيرُهُ.

مسألة: [معنى قول الله تعالى: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾]

فإن قال: فما معنى قول الله تعالى: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ (المعارج: ٣)؟ قيل له: المعارج الأمكنة المرتفعة، ويدلُّ على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ (الزخرف: ٣٣)، يعني: أماكن مرتفعة والله خالقها، نحو السماء

(١) أبو النضر، محمد بن السائب بن بشر الكلبي (ت: ١٤٦هـ)، وقد تقدَّمت ترجمته.

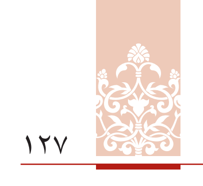
والعرش وغير ذلك، وإن لم تكن هذه الأماكن أماكن له؛ لأنَّه لا يحتاج إلى الأماكن، وهي أماكن لتدبيره ولصنعه ولمن أسكنهم فيها من ملائكته وخلقه، فهو ذو الأماكن المرتفعة إذ كان خالقًا لها، كما أنَّه لَمَّا كان خالقًا للفضل العظيم الذي أنعم به على عباده، قال: إنَّه ﴿ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (البقرة: ١٠٥)، وإن كان هذا الفضل هو فضله على عباده، وكان الله عنه غنيًّا.

وكذلك قوله تعالى: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ﴾ (غافر: ١٥)، يعني الدرجات التي يعطيها الله أنبياءه وأولياءه في الجنَّة؛ لأنَّها درجات رفيعة. وقوله: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ﴾ (غافر: ١٥)، يعني خالق العرش، ومالك العرش، وهو غنيٌّ عن العرش وعمَّا وصفه به المشبِّهة من الكون على العرش، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

مسألة: [معنى قوله ﷻ: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾]

فإن قال: فما معنى قوله ﷻ: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ ﴾ (السجدة: ٥)؟ قيل له: إنَّ الله تعالى جعل موضع تدبيره للأمور التي ينزلها إلى عباده السماءَ، فأنزل إليهم الأمور من السماء مع الملائكة عليهم السلام، ومَلَّكَهم القيام بها، فإذا كان يوم القيامة كانت الأمور كلُّها راجعة إليه؛ لأنَّه لا يملك إنفاذها في الآخرة غيره[1]؛ فلهذا جاز أن يقال: إنَّ الأمور /٦٢/ راجعة إليه، وعرجت إليه لأنَّها إلى المكان الذي لا ينفِّذ الأمور فيه غيره، وإن لم يكن معنى ذلك على ما تذهب إليه المشبِّهة من ذلك أنَّ الله تعالى في مكان مرتفع.

(١) إلَّا بإذنه لأن الله تعالى أوكل إنفاذ بعض الأمور في الآخرة إلى بعض ملائكته، كما هو شأن خزنة الجنَّة وخزنة النار.



مسألة: [معنى قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾]

فإن قال: فما معنى قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ (فاطر: ١٠)؟ قيل له: معنى ذلك أنَّه يصعد إلى المكان الذي لا يتولَّى الحكم وإنفاذ الأمور فيه إلَّا هو جلَّ وعزَّ.

فإن قال: فما معنى الصعود؟ قيل له: الصعود به مكتوبًا إلى المكان الذي [لا] يتولَّى الحكم فيه إلَّا هو تعالى؛ لأنَّه لا يحكم بين العباد يوم القيامة غيره.

وكذلك معنى قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾ (الزمر: ٣١) في المكان الذي لا يتولَّى الحكم فيه بينهم غيره عَزَّ وَجَلَّ.

فجميع ما بيَّنَّا من هذا التأويل لا يقدر أحد أن يردَّ صحَّة ذلك ومجازه من جهة اللغة، والله أعلم.

مسألة: [معنى قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ ﴾]

فإن قال: فما معنى قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ (الرعد: ٣٣)؟ قيل له: معنى ذلك أنَّه حافظٌ عليها كَسْبَهَا كقوله تعالى: ﴿ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ﴾ (آل عمران: ٧٥) حافظًا له. وقال الشاعر:

أتيتك لا مستعتبًا من إساءة يقوم بها قوم عليَّ ولا ذنب(١)

---

(١) لم أعثر عليه فيما بين يديَّ من المصادر.

مسألة: [«كان» في حقِّ اللّه عَزَّ وَجَلَّ]

فإن قال: فما معنى قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (النساء: ١٧ وغيرها) و﴿عَزِيزًا﴾، و﴿قَدِيرًا﴾ وما أشبهه، أو ليس «كَانَ» لِمَا مضى؟ قيل: قد تجيء «كان» على وجوه كثيرة: لِمَا مضى، ولِمَا حَدَثَ سَاعَتَهُ، ولِمَا لم يجئ بعدُ في موضع يكون. ويكون بمعنى الوجوب، فيكون دخولها وخروجها واحدًا، إلَّا أنَّ عملها في رفع الاسم ونصب الخبر. كقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (النساء: ٩٦ وغيرها) وأشباه ذلك ليس لشيء ماضٍ، ولكنَّه واجب دائم أبدًا. ومنه ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران: ١١٠)، ومنه ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ (مريم: ٢٩) أي: هو في المهد صبيًّا، ويكون صلة دخولها وخروجها سواء، والمعنى واحد. قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾ (الأعراف: ٨٦) والمعنى واحد؛ لأنَّ المخاطبين المؤمنين...[١]. قال الفرزدق[٢]:

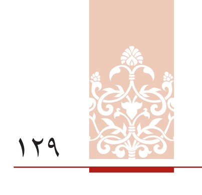
/٦٣/ فَكَيفَ إذا رَأَيتُ دِيارَ قَومٍ وَجيرانٍ لَنا كانوا كِرامِ[٣]

---

(١) في العبارة نقص واضح. لم أتمكَّن من إتمامه مِمَّا بين يديَّ من مصادر.

(٢) الفَرَزْدَق، أبو فراس همام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي (ت: ١١٠هـ): شاعر من النبلاء، من أهل البصرة، عظيم الأثر في اللغة. يشبَّه بزهير بن أبي سلمى، وكلاهما من شعراء الطبقة الأولى، زهير في الجاهليين، والفرزدق في الإسلاميِّين. وهو صاحب الأخبار مع جرير والأخطل، ومهاجاتُه لهما أشهرُ من أن تذكر. توفي في بادية البصرة، وقد قارب المائة. انظر: الزركلي: الأعلام، ٩٣/٨. الموسوعة الشعريَّة.

(٣) البيت للفرزدق من الوافر. استشهد به الخليل بصيغة: «فكيف إذا أتيت ديار قَوْمٍ». وابن منظور، بصيغة: «فكيف إذا مَرَرْتَ بدارِ قَوْمٍ». وقال: «وتقديره: وجيرانٍ لنا كرامٍ انْقَضَوْا وذهب جُودُهم». الخليل بن أحمد الفراهيدي: الجمل في النحو، ص١٥٠. ابن منظور: اللسان، مادَّة: «كون»، ٣٦٧/١٣.



فَألغَى «كان» كما ترى، ولو استعملها لَنَصَبَ كرامًا، فقول الله ﷻ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (النساء: ١٥٨ وغيرها) هو في قول بعضهم على معنى الوجوب، وقول بعضهم على إلغاء «كان» لأنَّها صلة، فالمعنى: الله عزيز حكيم، ودخول «كان» وخروجها سواء، والله أعلم.

مسألة: [معنى قوله ﷻ: ﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ﴾]

فإن قال: فما معنى قوله ﷻ: ﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ﴾ (الدخان: ٤٩) كيف جاز أن يمدحه وهو معذَّب؟ قيل له: ليس هذا بمدح إنَّما معناه ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ بزعمك. وعن ابن عبَّاس أنَّه قال: نزلت هذه الآية في أبي جهل بن هشام، وذلك أنَّه قال: أنا أَمْنَعُ أهلِ هذا الوادي وأَعَزُّهُ وأَكْرَمُهُ، يعني: مكَّة، فأنزل الله ﷻ فيه هذه الآية، ويكون هذا القول لأبي جهل وهو في النار توبيخًا له لا مدحًا، والله أعلم.

مسألة: [معنى قوله ﷻ: ﴿فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ﴾]

فإن قال: فما معنى قوله ﷻ: ﴿فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ﴾ (قٓ: ٢٢) وقوله تعالى في آية أخرى: ﴿خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرۡفٍ خَفِيّٖ﴾ (الشورى: ٤٥) فما مجاز ذلك؟ قيل له: قال المفضّل والفرَّاء وقطرب: البصر هاهنا العلم، تقول: كنت تكذِّب فأنت اليوم عالم بالأمر نافذ البصر فيه. وهذا كقول القائل: فلان له بصر نافذ بعمل كذا، أي: هو بصير به، ومثله قوله ﷻ: ﴿أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ يَوۡمَ يَأۡتُونَنَا﴾ (مريم: ٣٨) أي: ما أسمعهم وأبصرهم يومئذ، يقول: هم سمعاء بصراء؛ لأنَّ الشك قد زال عنهم.

وأمَّا قوله تعالى: ﴿خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ ...﴾ الآية فهو كما قال عزَّ ذكره.

مسألة: [معنى قوله ﷻ: ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴾]

فإن قال: فما معنى قوله ﷻ: ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴾ (الرحمٰن: ٣١) أَشَغَلَهُ شيء عن شيء؟ قيل له: هذا وعيد وتهدُّد، ليس فراغًا من شغل، كقولك للرجل: سأفرغ لك وأنت غير مشغول. والعرب تقول: أَتَفَرَّغُ وأَفْرُغُ. وقرأ جماعة: «سيفرغ» بالياء[1]، أي: سيفرغ الله لكم، واحتجُّوا بقوله تعالى: ﴿ كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ ﴾ (الرحمٰن: ٢٩).

وقال أبو عبيدة: ﴿ سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ ﴾ سنحاسبكم، لم يشغله شيء تبارك وتعالى. وقال ابن قتيبة[2]: سنقعد لكم. وقال ابن عبَّاس: سنفرغ لكم من محاسبتكم يوم القيامة، إن الله تعالى /٦٤/ لا يشغله شيء عن شيء من خلقه.

مسألة: [معنى قوله ﷻ: ﴿ وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ﴾]

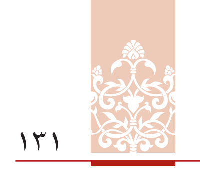
فإن قال: فما معنى قوله ﷻ: ﴿ وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ﴾ (الواقعة: ٨٢)؟ قيل له: معناه ما قال ابن عبَّاس قال: ﴿ وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ ﴾ أي: شُكْرَكُم لِمَا أنزلت عليكم أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ به، وهي لغة أزد شنوءة[3] فيما حكى الهيثم بن عديٍّ، يقال: ما رَزَقَ اللهَ فلانٌ، أي: ما شكره.

---

(١) ينظر أوجه القراءات عند القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ١٦٨/١٧ ـ ١٦٩.

(٢) ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ): من أئمة الأدب، ومن المصنِّفين المكثرين. ولد ببغداد وسكن الكوفة. ثم ولي قضاء الدينور مدة، فنسب إليها. وتوفي ببغداد. من كتبه «تأويل مختلف الحديث» و«أدب الكاتب» و«المعارف» و«المعاني»، و«عيون الأخبار» و«الشعر والشعراء» ... انظر: الزركلي: الأعلام، ١٣٧/٤.

(٣) في (د): «تنسوه». وصحَّحناه من كتب التفسير. انظر: الطبري: جامع البيان، ٢٠٧/٢٧. القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ٢٢٨/١٧.



مسألة: [مدح الله نفسه]

فإن قال: فقوله ﷻ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ﴾ (الحشر: ٢٣) وجميع ما مدح به نفسه تعالى في القرآن، أليس مدح النفس مذمومًا معيبًا عند أهل العقل؟ قيل له: قال قطرب في ذلك: إنَّ مدح النفس إنَّما قبح من الآدميِّ الناقص في كلِّ ما مدح به نفسه؛ لأنَّه إن قال: أنا الجواد، فَثَمَّ بُخْلٌ، وإن قال: شجاع، ففيه جبن، وإن قال: غنيٌّ، فَثَمَّ فقر، وإن قال: قويٌّ، فَثَمَّ ضعف.

والله ـ تبارك وتعالى ـ جائز أن يمدح نفسه من وجهين: **أحدهما**: أنَّه إذا قال: أنا الكريم الرحيم العليم الغنيُّ، وغير هذا من صفاته، كان فيه ذلك كلُّه، لا نقص ثَمَّ ولا حدَّ[1]، وهو كما وصف به نفسه. ومع ذلك إنَّه لا يريد بوصفه اجتلاب منفعة ولا دفع مضرَّة؛ لأنَّه الغنيُّ عن خلقه، وهم الفقراء إليه جميعًا. فلمَّا كان جلَّ ثناؤه وعزَّ ذكره مباينًا للمخلوقين بجميع صفاته حَسُنَ وجاز المدحُ منه، ليعرف ذلك خلقه ليعبدوه ويعظِّموه.

مسألة: [في قوله ﷻ: ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾]

فإن قال: فقوله ﷻ: ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ (نوح: ١٦)، أليس إنَّما هو نور في السماء الدنيا، وبينها وبين الثانية خمسمائة عام، وبينهما وبين الثالثة السماء الدنيا حجاب[2]، فكيف قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾؟ قيل له: قال الكلبيّ[3]: معنى ﴿فِيهِنَّ﴾ أي: معهنَّ وليس هو من شيء في السماء،

(١) في (د): «ولا خلد». ولا معنى له.
(٢) كذا في النسخ، ويبدو أنَّ في العبارة خللًا. وقد سبق التعليق على الأبعاد الفلكيَّة مع الاكتشافات العلميَّة الحديثة.
(٣) أبو النضر محمد بن السائب بن بشر الكلبي (ت: ١٤٦هـ)، وقد تقدَّمت ترجمته.

ولكنَّه على حِدَة، يضيء لهم بالليل والشمس سراج لهم بالنهار. قال قطرب: ومثله قولــه ﷻ: ﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ (التوبة: ٤٧)، أي: لو خرجوا معكم، وحروف الجــرِّ يدخل بعضها على بعــض، ويكون المعنى واحدًا. قال النابغة[١]:

فَــلا تَترُكَنِّــي بِالوَعيــدِ كَأَنَّني إِلى الناسِ مَطلِيٌّ بِهِ القارُ أَجرَبُ[٢]

أراد: كأنَّني مع الناس. وقال عكرمة: يضيء القمر فيهنَّ كلِّهنَّ، كما أنَّه لو /٦٥/ أنَّ سبع زجاجات بعضهنَّ فوق بعض، وأسفل منهنَّ شهاب أضأن كلُّهنَّ من صفائهنَّ. ومعنى الســراج الضوء، يقال: أسرج إسراجًا إذا أضاء، وأنشد الفرَّاء وغيره:

إذا ما بدا في الليل أَسْرَجَ وجهُهُ لنا في دجى الظلماء حتَّى تجلَّت[٣]

مسألة: [معنى قوله ﷻ: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَـٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾]

فإن قال: فمــا معنــى قولــه ﷻ: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَـٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ (الجن: ٣)؟ قيل له: قال ابن عبَّــاس: قال الكلبــيّ[٤]: ﴿تَعَـٰلَىٰ﴾: ارتفـــع، و ﴿جَدُّ رَبِّنَا﴾:

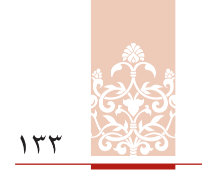
---

(١) النابِغَة الذُّبياني: أبو أمامة زياد بن معاوية (ت: ١٨ ق.هـ)، وقد تقدَّمت ترجمته.

(٢) البيت من الطويل. استشــهد به الزجاجــي لمجيء «إلى» بمعنى «فــي». انظر: حروف المعاني، ص٧٩.
وهو من قصيدة مطلعها:
أَتانــي أَبَيتَ اللَعنَ أَنَّــكَ لِمتَني وَتِلكَ الَّتي أهتَــمُّ مِنها وَأَنصَبُ
انظر: ديوان النابغة في الموسوعة الشعرية.

(٣) لم أعثر عليه فيما بين يديَّ من المصادر.

(٤) الأصوب: «قال الكلبي عن ابن عبَّاس». والكلبيُّ هو: أبو النضر محمد بن السائب بن بشر (ت: ١٤٦هـ)، وقد تقدَّمت ترجمته.
لتفاصيل الأقوال ينظر التفاسير، منها: الطبري: جامع البيان، ١٠٣/٢٩ ـ ١٠٥.



عظمتــه. وقال إبراهيم[١] وقتادة[٢] والســدِّي[٣]: أمر ربِّنا. قال أميَّة بن أبي الصلت[٤]:

تعالــى جــدُّ ربِّكــم فصلُّــوا   فـليس صلاة ربِّكــم تُـعَابُ[٥]

والجدُّ أيضًا: الحظُّ في كلامهم، وقال:

اغزوا بني ثغــل فالغزو جدُّكم   وابنوا المعالي ولا تبكوا لمن قتلا[٦]

مسألة: [معنى قوله ﷻ: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾]

فإن قال: فما معنى قوله ﷻ: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ (المزَّمِّل: ٥)؟ قيل له: قال الكلبيّ: أي: كلامًا شــديدًا. قال الحسن: أي: العمل به ثقيل،

(١) لم أتمكن من تحديده، ولعلهُ إبراهيم النخعي.
(٢) قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي البصري (ت: ١١٨هـ)، وقد تقدَّمت ترجمته.
(٣) إســماعيل بن عبد الرحمٰن الســدي (ت: ١٢٨هـ): تابعي، حجازي الأصل، سكن الكوفة، صاحب التفسير والمغازي والسير. انظر: الزركلي: الأعلام، ٣١٧/١.
(٤) أمية بن عبد الله أبي الصلت بن أبي ربيعة الثقفي (٥هـ): شاعر جاهليٌّ حكيم، من أهل الطائف. قدم دمشق قبل الإسلام. وكان مطَّلعًا على الكتب القديمة، يلبس المسوح تعبُّدًا. وهو ممَّن نبذوا الخمر وعبادة الأوثان في الجاهليَّة. بعد وقعة بدر عاد من الشام، يريد الإسلام، فعلم بمقتل أهل بدر وفيهم ابنا خال له، فامتنع. وهو أوَّل من جعل في أوَّل الكتب: «باسمك اللَّهُمَّ». الزركلي: الأعلام، ٢٣/٢.
(٥) لم أعثر عليه فيما بين يديَّ من المصادر.
(٦) البيت من البسيط، لحاتم الطائي. استشهد به الطبريُّ في جامع البيان (١٠٥/٢٩) بلفظ:

أُغــزوا بَني ثُعَــلٍ فَالغَزوُ جدُّكم   عُدُّوا الرَّوابي وَلا تَبكوا لِمَن قُتِلا

وورد في ديوان حاتم من الموسوعة الشعرية بصيغة:

أُغزوا بَني ثُعَلٍ فَالغَــزوُ حَظُّكُمُ   عُدُّوا الرَّوابي وَلا تَبكوا لِمَن نُكِلَا

من قصيدة مطلعها:

مَهلًا نَــوارُ أَقِلّي اللَّــومَ وَالعَذَلا   وَلا تَقولي لِشَــيءٍ فاتَ ما فَعَلَا.

إنَّ الرجل لَيَهُذُّ[١] السورة ولكنَّ العمل به ثقيل، وكذلك قال قتادة: ثقيلة فرائضه وحدوده.

مسألة: [معنى قوله ﷻ: ﴿ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ﴾]

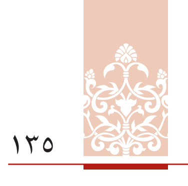
فإن قال: فما معنى قوله ﷻ: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ﴾ (الإنسان: ١)؟ قيل له: قال الكلبيّ: عن ابن عبَّاس: ﴿ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ﴾: أن يقال فلان فيُذكر، لكن كان شيئًا غير مذكور، ولو لم يكن شيئًا ما أتى عليه حين. قال قطرب: فهذا كقول القائل: أتى على فلان دهرٌ ولو لم يكن شيئًا، أي: لم يكن له ذكر عند الناس، وقد كان شيئًا، ولكنَّه يريد أنَّه لم يكن مذكورًا.

مسألة: [في قوله ﷻ: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ﴾]

فإن قال: فقوله ﷻ: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ﴾ (الغاشية: ١٧) كيف خصَّ الإبل من الحيوان وفيها ما هو أعظم خلقًا منها؟ قيل له: كان ابن عبَّاس يقول: إنَّه لا ينهض بِحِمْلِهِ وهو باركٌ غير البعير. وقال المفضّل: عَجَّبهم تعالى من الإبل تحمل وقرها باركةً، فيعلمون أنَّ لها صانعًا أفردها بذلك، ليعلم من له لبٌّ أنَّ للأشياء صانعًا يخالف بين خلقها، ولو لم تكن كذلك لكانت الدوابُّ وغيرها من الأجناس على خلق واحد.

---

(١) في (د): «ليهدوا». وصحَّحناه من كتب التفسير بما يوافق المعنى. والهذُّ: السرعة في القراءة. كما ورد في الحديث المتفق عليه أنَّ رَجُلًا قَالَ لِعَبْدِ اللهِ بن مَسْعُودٍ: قَرَأْتُ الْمُفَصَّلَ الْبَارِحَةَ. فَقَالَ: «هَذًّا كَهَذِّ الشِّعْرِ؟!...». البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب الترتيل في القراءة، ر٤٧٥٦، ١٩٢٤/٤. مسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب ترتيل القراءة واجتناب الهذ، ر٨٢٢، ٥٦٣/١. ابن منظور: اللسان، مادَّة: «هذذ»، ٥١٧/٣. الطبري: جامع البيان، ١٢٧/٢٩.



مسألة: [استعمال صيغة الجمع في حقّ اللّه تعالى]

فإن قال: فما معنى قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ (يس: ١٢) و﴿ نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ ﴾ (ق: ٤٣)، و﴿ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴾ (الصافَّات: ١١)، /٦٦/ و﴿ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾ (السجدة: ٢٢)، وأمثال ذلك مِمَّا في القرآن، وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وحده الفاعل لجميع ذلك، لم يشركه في فعله أحد سواه، فكيف يجوز أن يخبر عن نفسه على سبيل الإخبار عن الجميع، وإنَّما خبره هو عنه وحده؟ قيل له: قد يجوز ذلك في سعة اللغة؛ لأنَّ المخبر قد يجوز أن يذكر الخبر الذي مخرجه مخرج العامِّ ويريد به الخاصَّ، إذا بَيَّنَ المخبِرُ ما أراده من المخصوص، وأن يذكر الخبر الذي مخرجه الخبر الخاصُّ ويريد به العموم، إذا بيَّن المخبِر ما أراده من العموم. وذلك موجود في كلام أهل اللغة وفي القرآن، فمن ذلك قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (البقرة: ٤٧، ١٢٢) وهو يعني به عالم أهل زمانهم، ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (البقرة: ٦) وهو يعني بهم قومًا مخصوصين من الذين كفروا؛ لأنَّ من الكفَّار من قد آمن بعد ذلك. ومنه قولهم: «من حارب الأبطال قتل»، و«من يلق أبطال الرجال يُكْلَمِ»[(١)]؛ لأنَّ هذه الأخبار هي خصوص على سبيل الغالب في مجازهم، وليس يعنون به العموم؛ لأنَّهم قد يجدون من يحارب الأبطال فيسلم من القتل والجراح. وقد أخرجوا مع ذلك أخبارهم مخرج الأخبار العامَّة في سعة اللغة ومجازها.

---

(١) شطر بيت نسبه العسكري إلى عقيل بن علفة المري، وتمامه:
إنَّ بَنِيَّ ضرَّجوني بالدم ... من يلق أبطال الرجال يُكْلَمِ ... شنشنة أعرفها من أخزم
العسكري: تصحيفات المحدِّثين، ٩٠٨/٢.

وقد يُذكر الخبر الـذي مخرجه مخرج الخاصّ ويعنى به العموم سـعة ومجازًا، فمن ذلك:

- قوله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ (الأحقاف: ٣١. نوح: ٤) وهو يعني: يَغْفِرْ لَكُـمْ ذُنُوبَكُمْ كلَّها؛ لأنَّهم لا يسـتحقُّون الجنَّة كما وعدها إلَّا وذنوبهم مغفورة.

- وقولُـهُ ﷻ: ﴿يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ (غافر: ٢٨) ولا بدَّ من أن يصيبهم كلُّ الذي يعدهم؛ لأنَّ وعـده تعالى لا يكون له خُلْفٌ، فَذَكَرَ البعضَ وهو يريد الجميع.

- وقوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾ (النور: ٣٠) لأنَّه لم يبح للمؤمنين أن ينظروا إلى ما حرَّمه الله عليهم ببعض أبصارهم دون بعض.

- وكذلك قول لبيد:

تَـرَّاكُ أَمكِنَةٍ إِذا لَـمْ أَرضَها   أَو يَعتَلِقْ[١] بَعضَ النُفوسِ حِمامُها[٢]

والْحِمَـامُ لا يعتلق البعـضَ لأنَّه المـوت، والموت يأتـي على جميع النفوس[٣]. فلمَّا جاز في سـعة اللغة أن يخرج الخبـر الذي مخرجه مخرج

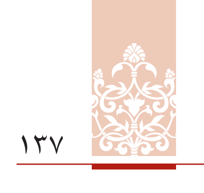
(١) يَعتَلِقْ: يمسـك به. «وأَمَّا جزم «أَو يَعْتَلِقْ» فإِنَّه رَدَّهُ على معنى الكلام الأَوَّل، ومعناه جزاء». ابن منظور: اللسان، مادَّة: «بعض»، ١١٩/٧.

(٢) البيت من الكامل، من قصيدة مطلعها:

عَفَـتِ الدِيـارُ مَحَلُّهـا فَمُقامُها   بِمِنًـى تَأَبَّـدَ غَولُهـا فَرِجامُهـا

انظر: ديوان لبيد في الموسوعة الشعرية.

(٣) قال ابن منظور: «قال ابن سـيِّده: وليـس هذا عندي على ما ذهب إِليـه أَهل اللغة من أَن البَعْضَ في معنى الكلِّ، هذا نقض، ولا دليل في هذا البيت؛ لأَنَّه إِنَّما عنى ببعض النفوس نَفْسَـه. قال أَبو العباس أَحمد بن يحيى: أَجمع أَهل النحو على أَنَّ البعض شيءٌ من أَشياء أَو شيءٌ من شيء إِلَّا هشامًا...». ابن منظور: اللسان، مادَّة: «بعض»، ١١٩/٧.



الخبر الخاصِّ وهو يريد العموم، وأن يذكر الخبر الذي مخرجه مخرج العامِّ وهو يريد الخصوص جاز في سعة اللغة أن يقول الله تعالى: إنَّا خلقنا، وإنَّا فعلنا، وإن كان يريد بذلك الإخبار عن نفسه وحده دون غيره.

وقد وجدنا مثل ذلك في كلام أهل اللغة؛ لأنَّ السيِّد منهم قد يقول لبعض أتباعه: أكرمناك فما كافأتنا، وجنيت علينا فما كافأناك، وهو يعني نفسه بهذا القول على سبيل ما بيَّنَّا من جواز ذلك في سعة اللغة. قال الشاعر:

إنَّا وما أعني سواي يا بني ... شهاب بني عجلان في المجد ثاقب[1]

مسألة: [معنى قوله ﷻ: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾]

فإن قال: فما معنى قوله ﷻ: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ (التوبة: ٦٧)؟ قيل له: النسيان على وجهين: **أحدهما**: نسيان إغفال وسهوة، **والآخر**: نسيان ترك. فالله سبحانه منفيٌّ عنه الإغفال والسهوة، فأمَّا النسيان الذي بمعنى الترك فنحو قوله تعالى: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾، يعني: أنَّهم تركوا طاعة الله فترك الله ثوابهم. وكذلك ﴿وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا﴾ (الجاثية: ٣٤)، أي: نترككم من الخير والرحمة كما تركتم العمل لمعادكم. وكذلك ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ﴾ (طه: ١١٥)، أي: فترك أمر الله ﷻ.

مسألة: [معنى قوله ﷻ: ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾]

فإن قال: فما معنى قوله ﷻ: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ (الشورى: ٢٣)؟ قيل له: معناه: لا أسألكم إلى ما دعوتكم إليه

(١) لم أعثر عليه فيما بين يديَّ من المصادر.

أجـرًا، ولا المودَّة فـي القربـى، ولا أن تَوَدُّوني في قرابتـي جزاء لما أدعوكم إليه، فتكون تلك المودَّة جـزاء لذلك. ومعنى «إلَّا»: «وَلَا». قال عمرو بن معدي كرب[(١)]:

وكُـلُّ أَخٍ مُـفَـارِقُـهُ أخـوهُ   لَعَـمرُ أَبِـيـكَ إِلَّا الفَـرقَدانِ[(٢)]

يقول: ولا الفرقدان بباقيين ولا بد أن يفترقا. وقال أبو عبيدة وغيره: «إلَّا الفرقدان» أي: والفرقدان يفترقان أيضًا، والألف في موضع الواو.

مسألة: [معنى قوله ﷻ: ﴿ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾]

فإن قـال: فمـا معنـى قولـه ﷻ: ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ (البقرة: ٢٥٧) و﴿ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ (البقرة: ٢٥٧) وهم كفَّار لم يكونوا في نور قـطُّ، فكيف يخرجون مِمَّا لم يكونـوا فيه؟. قال قطرب: المعنى في ذلك كما يقول الرجـل لصاحبه أو لأبيه: أخرجتني من مالك أو من بيتك، ولم يكن فيهما قطُّ، ويشبه به في مذهبه قولُه ﷻ: ﴿ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ ﴾ (النحل: ٧٠. الحـج: ٥) ولـم يكن في تلـك الحال قطُّ، وقولـه ﷻ: ﴿عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴾ (يسٓ: ٣٩) كأنَّـه قـال: حتَّى صار مثل ذلك. قول الشاعر:

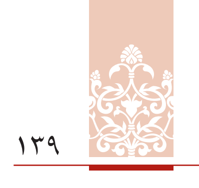
---

(١) عمرو بن معدي كرب بن ربيعة الزبيدي (ت: ٢١هـ): فارس من شجعان اليمن. أسلم سنة ٩هـ. ولَمَّا توفِّي النبيُّ ﷺ ارتدَّ. ثم رجع إلى الإسـلام، فبعثه أبو بكر إلى الشـام، فشهد اليرموك، وذهبت فيها إحدى عينيه. وبعثه عمر إلى العراق، فشـهد القادسـية. توفِّي على مقربة من الريّ. وقيل: قتل عطشًا يوم القادسيَّة. انظر: الزركلي: الأعلام، ٨٦/٥.

(٢) البيت من الوافر، ينسب لعمرو بن معدي كرب الزبيدي في ديوانه من قصيدة مطلعها:

أَلَـم تَأرق لِـذا البَـرق اليَماني   يَلـوح كَـأَنَّـهُ مصبـاحُ بـانِ

انظر: الموسوعة الشعرية.



أطَعْتُ العِرْسَ[١] في الشهوات حتَّى أعادتني عسيفًا[٢] عبدَ عَبْدِ[٣]

/٦٨/ ولم يكن عبدًا قطُّ. قال امرؤ القيس[٤]:

وماء كلون البول قد عاد آجنًا كبير به الأصوات في كلأ محلي[٥]

---

(١) عِرْسُ الرجل: امرأته. الفراهيدي: العين، ١/٣٢٨.

(٢) العسيف: الأجير والعبد المستهان به. ابن منظور: اللسان، مادَّة: «عسف»، ٩/٢٤٦.

(٣) البيت من الوافر، نسبه الجاحظ لابن أذينة الثقفي. انظر: البخلاء، ٢/١٣٧. ونسبه ابن منظور لنبيه بن الحجاج، اللسان مادة عسف. وذكره الزمخشري ولم ينسبه، انظر: الفائق، ٢/١٨٦.

(٤) امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي (ت: ٨٠ ق.هـ): شاعر جاهليٌّ، أشهر شعراء العرب. يمانيُّ الأصل، مولده بنجد. كان أبوه ملك أسد وغطفان. قال الشعر وهو غلام، وجعل يشبِّب ويلهو ويعاشر صعاليك العرب، فبلغ ذلك أباه، فأبعده إلى حضرموت. ثمَّ جعل ينتقل مع أصحابه في أحياء العرب، إلى أن ثار بنو أسد على أبيه فقتلوه، فبلغه ذلك وهو جالس للشراب فقال: «رحم الله أبي! ضيَّعني صغيرًا، وحمَّلني دمه كبيرًا، لا صحو اليوم ولا سكر غدًا، اليوم خمر وغدًا أمر». ثمَّ ثأر لأبيه من بني أسد. طاف قبائل العرب حتى انتهى إلى السموأل، فأجاره ومكث عنده مدَّة. ثمَّ ولَّاه قيصرُ الروم إمارة فلسطين، فلمَّا رحل إليها، مات بأنقرة. انظر: الأصفهاني: الأغاني، ٢/٤٧٣ ـ ٤٨٠. انظر: الزركلي: الأعلام، ٢/١١.

(٥) كذا في النسخ. والبيت من الطويل، منسوب إلى قيس بن عمرو بن مالك النجاشي الحارثي (ت: ٤٩هـ)، من قصيدة مطلعها:

وَرَكْبٍ يُحِبُّونَ الرقَادَ بَعَثْتُهُمْ عَلَى لاحبٍ يَعْلُو الأحِزَّةَ بِالسَّحْلِ

انظر: ديوان قيس بن عمرو النجاشي الحارثي في الموسوعة الشعرية.

وقد أورده ابن قتيبة في المعاني الكبير بصيغة:

وماء كلونِ البولِ قد عاد آجنًا قليلٌ به الأصوات ذي كلأ مخلي

وذكره البغدادي في خزانة الأدب بصيغة:

وَمَاءٍ كَلَوْنِ الغِسْلِ قَدْ عَادَ آجِنًا قَليلٌ بِهِ الأصواتُ فِي بَلَدٍ مَحْلِ

«والغِسْل: ما غسلت به رأسك من سِدْر أو طين». ابن دريد: الجمهرة في اللغة، مادَّة: «غسل». انظر: برنامج المكتبة الشاملة.

فقال: «عاد آجنًا» يريد: صار آجنًا. وقال الغنوي(١):

فــإن تكن الأيّـــام أحســـنَّ مرَّة إليَّ فقــد عادت لهـــنَّ ذنوب(٢)

وقال المفضّل: قال الحســـن: أخرجهم إيَّاهم ما يأمرون به، وهذا لا يقال له إخراج ولكنَّ مَنْعَهُمْ إيَّاهم من الدخول فيه إخراجٌ، وهذا من كلام العرب أن يقول الرجـــل لصاحبه: قد ضمنت القوم دمَ فـــلانٍ أخرجْتُك منه، أي: لم أدخلك فيه. ومثله كثير.

وقال ابن عبَّاس: كان المؤمنون قبل أن يســـلموا في ظلمة الشرك، فلمَّا أسلموا أخرجهم الله من ظلمة الشرك إلى نور الإيمان. ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ يعني: اليهـــود، ﴿أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ﴾: يعني: كعب بـــن الأشـــرف وأصحابه من الأحبار، أخرجوا ســـفلة اليهود من نور الإسلام، وكتموهم بعث محمَّد ﷺ، ونهوهم عن اتِّباعه؛ فهـــو قوله تعالى: ﴿يُخۡرِجُونَهُم﴾ هؤلاء الأحبار مِنَ النُّورِ إلى الكفر والإنكار، وأمروهم بلزوم اليهوديَّة، ومنعوهم الإسلام.

مسألة: [معنى قوله ﷻ: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ﴾]

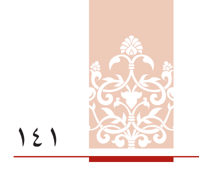
فإن قال: فما معنى قوله ﷻ: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ﴾ (المائدة: ٢٩)، وهو تعالى يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ﴾ (فاطر: ١٨)؟ قيل له: قال المفسِّرون

(١) كعب بن سعد بن عمرو الغنوي (ت: ٥ ق.هـ). شاعر مخضرم مجيد، وشعره يحتجُّ به عند أهل اللغة. اشـــتهر بقصيدة في رثـــاء أخيه أبي المغوار. قال عنـــه الأصمعي بين أصحاب المراثـــي: ليس في الدنيا مثلـــه. وكان يكثر من اقتباس الأمثال في شـــعره، فعرف بكعب الأمثال.

(٢) البيت من الطويل، من قصيدة مطلعها:

تَقولُ ابنَة العَبسِيِّ قَد شِبتَ بَعدَنا وَكُلُّ امرِئٍ بَعدَ الشَّـــبابِ يَشيبُ

انظر: ديوان الغنوي في الموسوعة الشعرية.



في ذلك: ﴿بِإِثۡمِي﴾ أي: بإثم قتلي، ﴿وَإِثۡمِكَ﴾: الذي تقدم، مثل قوله تعالى: ﴿وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ﴾ (يوسف: ٨٢)، أي: سَلْ أهلها.

فإن قال: أكان يريد كون المعصية من أخيه؟ قيل له: قال المفسِّرون: ما أراد ذلك، ولا كان قوله تمنِّيًا لذلك، ولكنَّه ضَعُف عن الانتصار وطلب السلامة، فعبَّر عن هذه الحال بالإرادة. وقال قطرب: كأنَّه قال: إن قتلتني فأنا أريد أن يلزمك إثم قتلي. وقال المفضّل: إنَّما أراد ذلك لَمَّا كفر بالله ولم يطع أمره أراد قتله ليموت شهيدًا، ويبوء قابيل بالشرك والقتل ليكون أشدَّ لعذابه، وذلك من الغيظ عليه لَمَّا خالف أمر الله عز وجل.

وقال ثعلب[1] غير ذلك كلِّه، قال: المعنى إنِّي لا أريد أن تبوء بإثمي وإثمك، كقوله تعالى: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْ﴾ (النساء: ١٧٦) يعني: ألَّا تضلُّوا. وقال المفضّل في هذه الآية: أي لئلَّا تضلُّوا. وتصلح /٦٩/ في موضع «أَنْ» «لَا» و«لِئَلَّا»، و«كَيْلَا»[2]، فإذا رأيتها يصلح مكانها «لئلَّا» صلحت فيها هذه الوجوه؛ وإذا صلح في مكانها «لأَنْ» لم تصلح فيها. وقال ابن الأنباريِّ[3] في معنى هذا: قال الله عز وجل: ﴿رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ﴾ (النحل: ١٥. لقمان: ١٠) معناه: أن لا تميد بكم. قال الشاعر:

(١) ثعلب هو: أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني (ت: ٢٩١هـ)، وقد تقدَّمت ترجمته.

(٢) في (د): «في موضع أن لا وليلا ولا». وصحَّحناه من معاني القرآن للفراء، ١/٢٧٥.

(٣) أبو بكر، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، الأنباري (ت: ٣٢٨هـ): من أعلم أهل زمانه بالأدب واللغة، ومن أكثر الناس حفظًا للشعر والأخبار، قيل: كان يحفظ ثلاثمائة ألف شاهد في القرآن. وُلد في الأنبار وتوفي ببغداد. من كتبه: «الزاهر» في اللغة وقد اعتمد عليه العوتبي كثيرًا في كتابه هذا «الضياء»، و«شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات» و«إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل»، و«غريب الحديث»... انظر: الزركلي: الأعلام، ٦/٣٣٤.

رأينــا ما يــرى البصيــر[1] فيها فـآلينــا عـليــهــا أن تـبـاعـا[2]

معناه: أن لا تباع. قال عمرو بن كلثوم[3]:

نزلتــم منــزل الأضيــاف منَّا فعجَّلنا الـقِرَى أن تشــتمـونا[4]

معناه: أن لا تشتمونا. وقال الراعي[5]:

أيَّام قَومــي وَالجَماعَــة كَالَّذي لَزِمَ الرِّحالَةَ أَن تَميــلَ مَمِيلا[6]

---

(١) ورد بصيغة: «عرفنا ما يرى البُصَراءُ»، انظر: الهامش الآتي.

(٢) البيت من الوافر. نُسب إلى القطامي التغلبي (ت: ١٣٠هـ) من قصيدة مطلعها:

قِفــي قَبــلَ التَّفَــرُّقِ يــا ضُباعا ولا يَــكُ مَوقِفٌ مِنــك الوَداعا

انظر: ديوان القطامي في الموسوعة الشعرية.

(٣) أبو الأســود، عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتَّاب (ت: ٣٩ق.هـ) شــاعر جاهلي، من بني تغلب، ولد في شــمالي جزيرة العرب في بــلاد ربيعة وتجوَّل فيها وفي الشــام والعراق ونجد. كان من أعزِّ الناس نفسًا، وهو من الفتَّاك الشــجعان، ساد قومه (تغلب) وهو فتًى، وعمِّر طويلًا، وهو الذي قتل الملك عمرو بن هند. اشتهر بمعلَّقته التي يقال: إنَّها في نحو ألف بيت، مطلعها:

أَلا هُبِّــي بِصَحنِــكِ فَاصبَحينــا وَلا تُبقــي خُمــورَ الأَندَرينــا

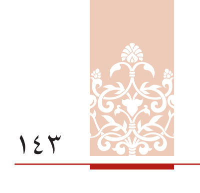
انظر: الموسوعة الشعرية.

(٤) البيت من الوافر. انظر: معلَّقة عمرو بن كلثوم من ديوانه في الموسوعة الشعرية.

(٥) أبو جندل، عُبَيد بن حُصين بن معاوية بن جندل، النُّمَيري (ت: ٩٠هـ): من فحول الشعراء المحدثيــن، كان من جلَّة قومه، ولقِّب بالراعي لكثرة وصفــه الإبل. وقيل: كان راعي إبلٍ من أهل بادية البصــرة. عاصر جريرًا والفرزدق وكان يفضِّل الفــرزدق فهجاه جرير هجاءًا مُرًّا وهو من أصحاب الملحمات. وسمَّاه بعض الرواة: حصين بن معاوية. انظر: ابن سلام: طبقات فحول الشــعراء، ٥٠٢/٢ ـ ٥٢١. انظــر: الزركلي: الأعلام، ١٨٨/٤. الموســوعة الشعرية.

(٦) المميل: مالَ الشــيءُ يَمِيلُ مَيْلاً ومَمالاً ومَمِيلاً وتَمْيالاً: العُدول إلى الشيء والإِقبالُ عليه. ابن منظور: اللسان، مادَّة: «ميل»، ٦٣٦/١١.

البيت من الكامل. ذكره ابن سلام في طبقات فحول الشعراء (٥٠٨/٢)، بلفظ: «أزمان». =



معناه: أن لا تميل. يقول: أيَّام قومي وتمسُّكهم بالجماعة كالذي لزم الرِّحالة أن [لا] تميل من النعاس. والرِّحالة مركب للبعير من مراكب النساء، والرحالة أيضًا في أشعار العرب السرج[1]. ويروى: «أزمان قومي»، ويروى: «الجماعَةَ» بالنصب، فمن نصب أراد مع الجماعة، ومن رفع نسقه على القوم، رَفَعَهُمَا جميعًا بما في الكاف من الذكر.

مسألة: [معنى قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾]

فإن قال: فما معنى قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ (الأنفال: ٦٦) أَعلِمَ الله الآن وقبل ذلك لم يعلم؟ قيل له: ليس الأمر على ما توهَّمتَ، والمعنى في ذلك: قد علم الله أنَّ فيكم ضعفًا فالآن خفَّف الله عنكم، والآن وقع على التخفيف لا على العلم، وإن كان قدَّم التخفيف ثُمَّ عطف على العلم، وإنَّما أراد: قد عَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فالآنَ خَفَّفَ اللهُ عَنكُمْ، وهو على التقديم والتأخير، كقوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝ قَيِّمًا﴾ (الكهف: ١ ـ ٢) فقدم عِوَجًا ثُمَّ قال: ﴿قَيِّمًا﴾، فهذا معنى قوله تعالى. وهذه مسألة يغالط فيها الملحدون وغيرهم.

= وهو من قصيدة مطلعها:

ما بالُ دَفِّكَ بِالفِراشِ مذيلا أَقَذًى بِعَينِكَ أَم أَرَدتَ رَحيلا

انظر: ديوان الراعي في الموسوعة الشعرية.

(١) الرِّحالَة: «أكبر من السَّرْج، وتُغَشَّى بالجلود، وتكون للخيل والنجائب من الإبل». ابن منظور: اللسان، مادَّة: «رحل»، ٢٧٥/١١.

مسألة: [كيف يقول إبليس: «إنِّي أَخافُ اللّه»]

فإن قال: فما معنى قوله تعالى حكاية عن إبليس ـ لعنه الله ـ: ﴿ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ﴾ (الأنفال: ٤٨) كيف يقول: «إِنِّي أَخَافُ اللّهَ» وهو كافر؟ قيل له: إنَّه ظنَّ أنَّ الوقت الذي أُنظِرَ إليه قد حضر.

مسألة: [معنى قوله تعالى: ﴿ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾]

فإن قال: [فما] معنى قوله تعالى: ﴿فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴾ (التوبة: ٥٥) فكيف يعذِّبهم /٧٠/ بها في الحياة الدنيا وهي ليست بعذاب عليهم، إنَّما هي سرور؟ قيل له: يكون ذلك على التقديم والتأخير، كأنَّه قال تعالى: فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا إنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فـي الآخـرة. وكذلـك قولـه: ﴿فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ ﴾ (النمل: ٢٨) وإنَّما المعنى: فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ. وقال أوس بن حَجَر[١]:

أَمَّا حَصانٌ فَلَم تضرب بِكِلَّتِها[٢] قَد طُفتُ في كُلِّ هَذا الناسِ أَحوالي

---

(١) أبو شـريح، أوس بن حَجَر بن مالك التميمي (ت: ٢ ق.هـ): شاعر تميم في الجاهليَّة، أو من كبار شـعرائها، أبوه حجر هو زوج أمِّ زهير بن أبي سـلمى، كان كثير الأسفار، وأكثر إقامته عنـد عمرو بن هند في الحيرة. عمِّر طويلًا ولم يدرك الإسـلام. في شـعره حكمة ورقة، وكانت تميم تقدمه على سـائر الشـعراء العرب. وكان غزلًا مغرمًا بالنسـاء. انظر: الزركلي: الأعلام، ٣١/٢. الموسوعة الشعريَّة.

(٢) الكِلَّة: «سِـتْر مربَّع يضرَب على القبور، وقال أَبو عبيد: الكِلَّة من السُّـتور ما خِيطَ فصار كالبيت ... والكِلَّة: السِّـتر الرقيق يُخاط كالبيت يُتَوَقَّى فيه من البَقِّ». ابن منظور: اللسان، مادَّة: «كلل»، ٥٩٥/١١.

عَلى اِمرِئٍ سوقَةٍ[(١)] مِمَّن سَمِعتُ بِهِ   أَندى وَأَكمَلَ مِنهُ أَيَّ إِكمالِ[(٢)]

وقد يجوز فيه وجه آخر ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا﴾: بما يكلِّفهم من فرضها وحقوقها، ليكون ذلك عذابًا عليهم، للنفاق وخبث القلوب.

مسألة: [معنى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ...﴾]

فإن قال: [فما] معنى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ (الضحى: ٦ ـ ٧)؟ قيل له: معناه ـ والله أعلم ـ يقول: ألم تكن يتيمًا فعرفك وأكرمك بالنبوَّة؟ ولا أنَّه كان غير واجد به ثُمَّ وجده، هذا لا يجوز على الله تعالى. والواجد في اللغة هو العالم بالشيء، فهذا جائز، بأنَّه وجد الأشياء بأن علمها. والواجد في اللغة أيضًا من يرى الشيء بعد إذ لم يره، وأصابه أمر لم يكن أصابه قبل ذلك، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾ (النور: ٣٩) يقول: وجد ما وعده الله حقًّا، ﴿فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ﴾ يقول: كافأه على قدر فعله. فهذا معنى لا يجوز على الله، لا يقال: وجد الله الشيء بعد إذ لم يجده، كما وجد الكفَّار ما وعدهم الله وتوعَّدهم في وقت دون وقت.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ (صٓ: ٤٤) قال بعضهم: المراد أي: إنِّي علمته صابرًا. وقال بعضهم: إنَّه كان صابرًا ولم يَخْفَ ذلك

---

(١) «السُّوقة بمنزلة الرعية التي تَسُوسُها الملوك، سُمُّوا سُوقة لَأنَّ الملوك يسوقونهم فينساقون لهم. يقال للواحد: سُوقة». ابن منظور: اللسان، مادَّة: «سوق»، ١٠/١٧٠.

(٢) البيتان من البسيط. ورد بلفظ: «تُحجَب»، بدل «تضرب»، من قصيدة مطلعها:

عَينيَّ لا بُدَّ مِن سَكبٍ وَتَهمالِ   عَلى فَضالَةَ جَلِّ الرِّزءِ وَالعالي

انظر: ديوان أوس بن حجر في الموسوعة الشعرية.

علينا، فقدَّم وأخَّر، كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ﴾[(١)]، وقوله: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۞ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ﴾ (آل عمران: ١٦٦ ـ ١٦٧)[(٢)] المعنى في ذلك أنَّ من آمن منكم ليس يخفى على الله. فكذا قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَـٰهُ صَابِرًا﴾ ولم يخف ذلك على الله تعالى. ولا يجوز أن يقال: إنَّه يجد في وقت دون وقت، كما قال: ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا﴾ (الكهف: ٤٩) و﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾ (آل عمران: ٢٩)؛ لأنَّ هذا وجود فجاءة ينزل عليهم ما لم يكونوا يعلمونه ولا يحسبونه، وهذا لا يجوز على الله جلَّ وعزَّ.

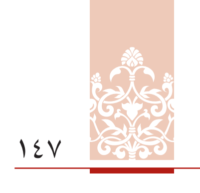
/٧١/ وقوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ قال الفرَّاء: أي: فهداك، فحذف الكاف. قال ابن عبَّاس: أي: في قوم ضُلَّال فهداك لدينه. وهذا في كلام العامَّة[(٣)] يقال: فلان قاتل فلان، أي: من القوم الذين قتلوه. وقالت جليلة بنت مُرَّة[(٤)] أخت جسَّاس بن مُرَّة وهي امرأة كليب، وقَتَلَ جسَّاسٌ كليبًا، وقُتل ابنُ كليب وهو ابنها، فقالت:

إنَّني قاتلةٌ مقتولةٌ فلعلَّ الله أن يعطف لي[(٥)]

«قاتلةٌ»: أنَّ أخاها قَتَلَ كليبا، و«مقتولة» أنَّ زوجها[(٦)] قُتِل. وهو كثير في كلام العرب.

---

(١) محمَّد: ٣١. وتمام الآية: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ﴾.
(٢) في (د): «وليعلم الذين آمنوا منكم». ولا وجود لآية بهذه الصيغة.
(٣) في (د): «العام».
(٤) تقدَّمت ترجمتها.
(٥) تقدم تخريج البيت.
(٦) في (د): «أخاها». صحَّحناها من مصادر اللغة وممَّا سبق. ولم يُذكر أنَّ ابنَ كليب ـ وهو ابنها ـ قُتل. انظر: أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ٥/٦٧ ـ ٦٩. الموصلي: المثل السائر، ١/٣٠٨ ـ ٣٠٩.



وما ضلّ رسول الله ﷺ قطُّ.

وقال الحسن: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا ﴾ أي: واقفا لا تهتدي للنبوَّة فهداك لها، وكذلك قال الضحاك[١]. قال المفضّل: وهذان التفسيران عندي دالآَّن على أنَّه ﷺ كان معصومًا ما ضلَّ قطُّ. ويقال: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا ﴾ أي: غافلا، كقوله تعالى: ﴿فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ (الشعراء: ٢٠) أي: من الغافلين. وقال ثعلب[٢] وأهل السُّنَّة: زوَّج ابنته في الجاهليَّة.

[نفي الأشباه والأنداد عن الله تعالى][٣]

وقال الله ﷻ يصف نفسه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ (الشورى: ١١) فنفى أن يشبهه شيء، وقال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ (مريم: ٦٥) يعني: مِثْلًا ونظيرًا. وقال ﷻ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ٢٢) أي: أمثالًا وأشباهًا، واحدهم ندٌّ ونديد. قال جرير[٤]:

أَتَيمًا تَجعَلونَ إِلَيَّ نِدًّا ... وما تَيمٌ لِذي حَسبٍ نَديدُ[٥]

وقوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ معناه وَأنتُم تَعْلَمُونَ أنَّه لا مثل له ﷻ.

(١) أبو القاسم، الضحَّاك بن مزاحم البلخي الخراساني (ت: ١٠٥هـ): مفسر. ويقال: كان في مدرسته ثلاثة آلاف صبي يؤدِّبهم. له كتاب في التفسير. توفِّي بخراسان. انظر: الزركلي: الأعلام، ٣/٢١٥.

(٢) ثعلب هو: أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني (ت: ٢٩١هـ)، وقد تقدَّمت ترجمته.

(٣) انتقال فجائي من موضوع تفسير الآيات إلى موضوع نفي الأشباه والأنداد عن الله تعالى.

(٤) جرير بن عطية بن حذيفة (ت: ١١٠هـ)، وقد تقدَّمت ترجمته.

(٥) البيت من الوافر، من قصيدة مطلعها:

أَلا زارَت وَأَهلُ مِنًى هُجودُ ... وَلَيتَ خَيالَها بِمِنًى يَعودُ

انظر: ديوان جرير في الموسوعة الشعريَّة.

وقال يخبر عن بعض الهالكين يقولون في النار: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (الشعراء: ٩٧ ـ ٩٨) فأخبروا أنَّهم كانوا في ضلال مبين، إذ سوَّوا الخالق بالمخلوقين، وشبَّهوا القديم بالمحدثين. وقد روي عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**تفكَّروا في الخلق، ولا تفكَّروا في الخالق**»[١]، ألاَ إنَّ التفكُّر في الخلق يدلُّ على أنَّه مخلوق، وأن للمخلوق خالقًا بائنًا من صفات المخلوقين.

وعن عبد الله بن مسعود عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**أشدُّ الناس عذابًا المصوِّرون**»[٢]. وروي عن الحسن أنَّه قال: هم الذين صوَّروا الله في قلوبهم.

وعن عبد الله بن مسعود أنَّه قال: «مَا عَرَفَ اللهَ مَنْ شَبَّهَهُ بِخَلْقِهِ»[٣].

/٧٢/ نافع: أنَّ عبد الله بن عمر كان جالسًا في أناس، فأتى رجل فقال: أيُّكم عبد الله؟ فقال: أنا، فقال الرجل: إنِّي تاجر أبتغي من فضل الله، وإنِّي قدمت هذه البلدة فإذا أنا برجل فتوسَّمت فيه[٤] الخير، فقعدت إليه، فحدَّثني حديثًا ضاق به صدري، فقال عبد الله: وما هو؟ فإنَّه لا إثم عليك

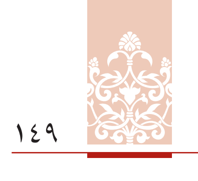
---

(١) روي في مسند الربيع، بلفظ: «تَفَكَّرُوا فِي الْخَلْقِ وَلاَ تَتَفَكَّرُوا فِي الْخَالِقِ، فَإِنَّهُ لاَ يُدْرَكُ إِلَّا بِتَصْدِيقِهِ». بَاب السُّنَّةِ فِي التَّعْظِيمِ للهِ ﷻ، ر٨٢٣، ٣٠٩/٣. ورواه هناد في الزهد، باب التفكر لله جلت قدرته وحديث النفس، ر٩٤٥، ٤٦٩/٢.

(٢) رواه البخاري في كتاب اللباس، باب عذاب المصوِّرين يوم القيامة، ر٥٦٠٦، ٢٢٢٠/٥. ومسلم في كتاب اللباس والزينة، بَاب تَحْرِيمِ تَصْوِيرِ صُورَةِ الْحَيَوَانِ ... ر٢١٠٩، ١٦٧٠/٣.

(٣) مسند الربيع، بَابُ مَا رُوِيَ عَنْ عُمَرَ بن الْخَطَّابِ رضي الله عنه، وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بن مَسْعُودٍ رحمه الله فِي تَنْزِيهِ الْبَارِي سُبْحَانَهُ، ر٨٥٠، ٣٢١/٣.

(٤) كتب الناسخ فوقها: «خ: قد وسمت».



إن حدَّثت عن غيرك. قال: قال: إنَّ الله ـ تبارك وتعالى ـ لَمَّا أراد أن يخلق آدم لم يدر كيف يخلقه حتَّى خلق مرآة، فنظر فيها إلى وجهه فخلق مثاله، فقال ابن عمر: تعالى الله! تعالى الله! لا مثل لله!. ألا إنَّ هذا الشيطان أراد أن يدخلك في دينه، ألا وإنَّ الشيطان قد يئس منكم أن تتَّخذوا صنمًا ظاهرًا فتعبدونه، ولكنَّه يأتي الإنسان فيقول: كيف ربُّك؟ فلا يزال حتَّى يصف ربَّه بصفة الخلق، فيَضلَّ ويُضلَّ، فإن لقيته فأخبره أنَّ عبد الله بن عمر بريء من دينك، ألا وإنَّ نبيَّ الله ﷺ سئل عن الله فقال الله ﷻ: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ...﴾ السورة، فقولوا كما قال رسول الله ﷺ.

وعن معاذ بن جبل أنَّه قال: سيرجع أقوام من هذه الأمَّة عند اقتراب الساعة كفَّارًا. فقال رجل: يا أبا عبد الرحمٰن، أبالإحداث كفرهم أم بالجحود؟ قال معاذ: لا، ولكن بالجحود، يجحدون خالقهم فيصفونه بالصورة والأعضاء والمفاصل، وأولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولهم عذاب عظيم.

قال المجبر بن محبوب[1]: أُحبُّ أن يُسأل عن معنى الجحود.

---

(١) المجبّر (المحبر) بن مَحبوب بن الرحيل (ق: ٣هـ): عالم فقيه من العائلة الرحيلية. ولد بالبصرة وانتقل إلى عُمان في أوائل القرن الثالث، وكان أصغر سنًا من أخويه سفيان ومحمد، وقد وكل هو وأخوه أبا صفرة أن يبيع لهما بيتًا بالبصرة قبل بلوغهما. له آراء وأجوبة بينه وبين أخيه محمد. انظر: إتحاف الأعيان، ١٦٥ ـ ١٦٦. بابزيز: الإمام محمد بن محبوب حياته وآثاره، ص٤٢.

مسألة: [حكم من شبَّه اللّه تعالى]

قال المسلمون: من شبه الله تعالى فهو كافر منافق وليس بمشرك، كذلك رفع عن أبي عبيدة[(١)] ومحبوب[(٢)]. ويوجد في الأثر عن محمَّد بن محبوب[(٣)] أنَّه قال: إذا قالوا: إنَّ لله تعالى يدًا كيد المخلوقين فقد أشركوا، والله أعلم. وإنَّما لم يلحقوهم بالشرك لأنَّهم تأوَّلوا آيات الله ﷻ على غير تأويلها في اجتهاد منهم على أن يوافقوا العدل فيها، وهم مصدِّقون بتنزيل ما جهلوا تأويله، متمسِّكون بما عرفوا، طالبون لِمَا لم يعرفوا.

---

(١) أبو عبيدة، مسلم بن أبي كريمة التميمي بالولاء (ت حوالي: ١٤٥هـ) أصله من فارس، عالم جليل وسياسي محنك. الإمام الثاني للإباضية في العلم السياسة. أخذ عن جابر بن زيد وصحار العبدي وجعفر بن السماك وضمام بن السائب، وعن كثير من الصحابة، منهم: عائشة أم المؤمنين، وابن عباس، وأنس بن مالك، وأبو هريرة. طلب العلم أربعين سنة، ودرَّس أربعين سنة أخرى. سجنه الحجَّاج، ثم خرج حين هلك سنة ٩٥هـ. أنشأ مدرسة في سرداب قرب البصرة، وادَّعى صنع القفاف وتعليمها حتَّى سمِّي بالقفاف. من تلاميذه: مؤسسو دول ومحدِّثون وفقهاء وقضاة في المشرق والمغرب، منهم: الربيع بن حبيب، ومحبوب بن الرحيل، وأبو حمزة المختار بن عوف، وعبدالله بن يحيى طالب الحق، والجلندى بن مسعود، وسلمة بن سعد، وأبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري، وعبدالرحمٰن بن رستم، وإسماعيل بن درار الغدامسي، وأبو داود القبلي النفزاوي، وعاصم السدراتي. من آثاره: «مجموعة أحاديث»، و«مسائل أبي عبيدة» و«كتاب في الزكاة». انظر: التراث: معجم أعلام إباضيَّة المغرب، (نق).

(٢) أبو سفيان، محبوب بن الرحيل بن يوسف المخزومي القرشي (ق٢هـ) من كبار العلماء والمؤرِّخين، يعدُّ من حملة العلم إلى عُمان. كان مقرُّه بصحار. تتلمذ على الإمام أبي عبيدة، ثمَّ لازم الربيع بن حبيب، وأخذ عنه. صار إمام الكتمان عند الإباضية بعد الربيع. ترك آثارًا فقهية كثيرة مبثوثة في كتب الفقه الإباضي. وهو ممَّن روى عنهم أبو غانم مدوَّنته. وكان حجَّة في رواية السيرة عند الإباضيَّة. من آثاره كتاب «السير» ـ مفقود. وتنسب إليه سيرتان بعث بإحداهما إلى هارون بن اليمان، وبالأخرى إلى الإمام المهنا بن جيفر (ت: ٢٢٦). انظر: معجم أعلام إباضيَّة المشرق، (نق).

(٣) مُحمَّد بن محبوب بن الرحيل (ق: ٣هـ)، وقد تقدَّمت ترجمته.

فصل: [روايات في تنزيه الباري ﷻ]

سعيد بن جبير أنَّه قال: أتى رهط من يهود إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمَّد، هذا الله خلق الخلق فمن خلقه؟ فغضب ﷺ حتَّى انتقع لونه، ثُمَّ ثاورهم غضبًا لربه. قال: فجاء جبريل صلى الله عليهما فسكَّنه، فقال: خفِّض عليك /٧٣/ يا محمَّد، وجاء من الله جوابًا لِمَا سألوه عنه، فـ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ...﴾ السورة.

وبلغنا أنَّ عبد الله بن مسعود مرَّ بحلقة فيهم رجل يحدِّثهم، فقال: ما يحدِّثكم؟ قالوا: يحدِّثنا عن التوراة وعن ربِّنا، قال: وعن ربِّكم بماذا؟ قالوا: إنَّه لَمَّا خلق الله السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ صَعَدَ إِلَى السَّمَاءِ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَوَضَعَ رِجْلَهُ عَلَى الصخرة التي فيه، وإنَّه ينزل إلى السماء الدنيا في النصف من شعبان. فقال ابن مسعود: «إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» ثلاث مرَّات. ثُمَّ قال: لا كفر بعد إيمان ﴿وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗ﴾ (النساء: ٨٩)، فَهَلَّا قُلْتُمْ كَمَا قَالَ إِبْرَاهِيم خليل الرحمٰن ﷺ: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾ (الأنعام: ٧٦)، يعني: الزائلين المنتقلين، ألا فاتَّهموا اليهود والنصارى على دينكم، ولا تصدِّقوهم على ما يخالف كتابكم، فإنَّهم سيُضلُّون من هذه الأمَّة. ألا إنَّ ربَّكم ليس بزائل، ألا إنَّ من وصف الله زائلًا فقد كفر، ومن شبَّه به شيئًا من الأشياء فقد كفر(١).

فصل: [نفي ما قد يخطر بالبال في حقِّ الله تعالى]

قال أبو المؤثر(٢): من خطر بباله أنَّ الله ـ تبارك وتعالى ـ جسم أو ليس بجسم، أو محدود أو غير محدود، أو يعاين بالأبصار أو لا يعاين بالأبصار،

(١) روي جزء منه في مسند الربيع، بَابُ صَخْرَةِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ر٨٧٩، ٣/٣٣٧.

(٢) أبو المؤثر، الصلت بن خميس الخروصي (ت: ٢٧٨هـ) عالم جليل، وفقيه كبير، من قرية بهلا، كان كفيف البصر. يقال: رجعت عُمَان إلى أصمَّ وأعرج وأعمى، فكان أبو المؤثر هو الأعمى. أخذ العلم عن محمَّد بن محبوب، ونبهان بن عثمان وغيرهما. كان من أصحاب =

أو ســـمع يُذكَر هذا، فعليه أن يعلم أن ليس كذلك. فإن جهل فلم يدر أجسمٌ هو أم ليس بجسم، أو محاط به، أو يرى أو لا يرى فقد هلك.

وقال بشير بن محمَّد بن محبوب[1] ـ رحمهم الله ـ: إذا خطر ببالك خاطر في الله عز وجل أنَّه يشبه شـيئًا أو يشبهه شـــيء فَانْفِ ذلك عنه عز وجل، فإنَّه تعالى يقول: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ (الشورى: ١١).

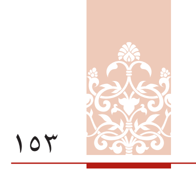
وإن دعاك الخاطر أن الله تعالى في معزل، أو كيف هو؟ ومثل ما هو؟ أو هو نور من الأنــوار، أو ذو طول أو عرض، أو جســـم، أو مؤلَّف، أو مماسٌّ للأشـــياء، أو مباين لها في معزل، فانف ذلك كلَّه عنه عز وجل، فإنَّ هذه الأشياء لا يجوز شيء منها على الله عز وجل، ومن كان فيه خصلة من هذه الخصال فهو محدَث، والله تعالى قديم لم يزل.

وإن دعاك الخاطر إلى أنَّ الله تعالى يظلم أو يجور، أو يأخذ أحدًا بفعل أحد، أو يعـــذِّب الوالد بفعل الولد، أو يعذِّب الولـــد بفعل الوالد، أو يعذِّب من لم تكن منه معصية في الدنيـــا؛ /٧٤/ فانف ذلك عن الله عز وجل. فإنَّ هذه الأشـــياء لا يجوز شـــيء منها على الله؛ لأنَّ فاعلها لا يســـتحقُّ أن يوصف بالحكمة والرحمة، والله عز وجل حكيم رحيم.

فإن دعاك الخاطر إلى أنَّ الله جلَّ ثناؤه يقول الكذب، أو يخلف الميعاد، أو يخبر بخبر لا يكون المخبَر عنه كما أخبر، فانف ذلك عن الله عز وجل فإنَّه لا يجوز عليه شيء من هذا؛ لأنَّ من كان منه هذا الفعل كان سفيهًا غير عالم بالغيب.

= المشورة في اختيار الإمام الصلت بن مالك الخروصي سنة ٢٣٧هـ. وكان ممَّن استمسك بإمامته لما عزله موسى بن موســـى وراشـــد بن النضر. له أجوبة وفتاوى كثيرة تزخر بها كتب الفقه والتاريخ. من مؤلَّفاته: كتـــاب «الأحداث والصفات». انظر: معجم أعلام إباضيَّة المشرق، (نق).

(١) أبو المنذر، بشير بن محمَّد بن محبوب بن الرحيل (حيّ في: ٢٧٣هـ)، وقد تقدَّمت ترجمته.



فصل: [في النفي المطلق للمشابهة بين الخالق والمخلوق]

إنَّ الله عزَّ ذكره نفى عن نفسه شبه المخلوقين بجملة انتظمت نفي كلِّ شبه، آية محكمة غير متشابهة، ولا منصرفة في المعاني، وهو إخباره أنَّه ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ (الشورى: ١١)، وفي هذه الآية دليل على تشابه الأشياء وتفاوتها والتفافها[١]، إذْ مدح نفسه تعالى أنَّه ليس كواحد منها، ولم يستثن لطيفًا من جليل، ولا مضيئًا من ظلام، ولا حيًّا من ميِّت. أشرك في قوله الملائكةَ والجنَّ والإنس، والنور والظلمة، والشمس والقمر، فقضى على جميعها بأنَّها لا تشبهه وأنَّه لا يشبهها، فتعالى اللهُ رَبُّ العَالَمِين.

وإنَّما شبَّه اللهَ عَزَّلَ مَنْ جَهِلَ اللغة ومعانِيَهَا واتِّساع العرب فيها، حين وجدوا ذكر النفس والوجه والعين واليد والقبضة واليمين، ولكلِّ شيء من هذا معانٍ تُبطِل ما ذهبوا إليه من التشبيه، وسنأتي ببيان ذلك بأدلَّة واضحة إن شاء الله.

[معنى النفس في حقِّ اللّه تعالى]

النفس في لغة العرب على معان مختلفة:

منها: ما يراد به النفس المنفوسة، وهو قوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ (آل عمران: ١٨٥. الأنبياء: ٣٥. العنكبوت: ٥٧). ومنها ما يراد به التوكيد، وهو قولهم:[٢] هو الحقُّ نفسه، يريد: هو الحقُّ، وكذلك لقيته بنفسي، يريدون لقيته بنفسي [كذا]، ومنه قول موسى عليه السلام: ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِى ﴾ (القصص: ١٦) أي: ظلمت لا غيره.

(١) في الهامش كتب الناسخ: «خ: واتفاقها».
(٢) من هنا تبدأ النسخة (ز).

والنفس: الرأي والإرادة، كقولهم: نفس فلان في كذا وكذا، أي: إرادته فيه. وهو بين نفسين، أي: بين رأيين وإرادتين. ومنه قول الكُمَيْت يذكر الحمار، قال:

تَذَكَّر مِنْ أَنَّى ومِنْ أين شربه يؤامر نفسيه كذي الْهَجْمَة[1] الأَبِل[2]

والنفس: الضمير وما في قلب الإنسان.

والنفس: العين التي تصيب /٧٥/ الإنسان.

والنفس: الدم، ومنه قولهم: نفست المرأة، وامرأة نفساء.

فالنفس المنفوسة عن الله تعالى منفيَّة؛ لأنَّها لا تكون إلَّا للمخلوقين؛ لأنَّهم بها يحيون وبها يموتون، والله ـ تبارك وتعالى ـ لا يشبهه شيء من خلقه تعالى عن ذلك. فمن زعم أنَّ لله تعالى نفسًا غيره هي حالَّة فيه فقد أعظم على الله الفرية، جلَّ عمَّا يقول[3] المبطلون.

مسألة: [معنى قوله تعالى: ﴿... وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَ﴾]

فإن قال: فما معنى قوله: ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَ﴾ (المائدة: ١١٦) وقوله ﷻ: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ﴾ (آل عمران: ٢٨)؟ قيل له: معنى ذلك في التفسير: تعلم غيبي ولا أعلم غيبك، ويحذِّركم الله عقوبته.

---

(١) الْهَجْمَة: القطعة الضخمة من الإبل. قيل: ما بين الثلاثين والمائة. ابن منظور: اللسان، مادَّة: «هجم»، ١٢/٦٠٢.

(٢) الأَبِلُ والآبل: الحاذق في رعاية الإبل والشاء. ابن منظور: اللسان، مادَّة: «أبل»، ١١/٤.
البيت من الطويل. ذكره ابن منظور (المصدر نفسه). وينظر: ديوان الكميت في الموسوعة الشعريَّة.

(٣) في (ز): قال.

وقيل: ﴿وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَ﴾ أي: لا أطّلع على غيبك. ويقال: لا أعلم ما في علمك. وقال المبرّد[١]: تعلم ما أعلم ولا أعلم ما تعلم. وقال المفضّل: تعلم ما عندي ولا أعلم ما عندك. وقال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ﴾ أي: يخوفكم الله إيَّاه، ونفس الشيء هو الشيء، ومنه ﴿وَلَوۡ أَنَّا كَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَنِ ٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ أَوِ ٱخۡرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم ...﴾[٢]، أي: ليقتل بعضهم بعضًا. وهو كثير في الكلام، قال الأعشى[٣]:

يَومًا بِأَجوَدَ نائِلًا مِنهُ إِذا ... نَفسُ البَخيلِ تَجَهَّمَت[٤] سُؤالَها[٥]

المعنى: إذا البخيل تجهَّم[٦] سُؤاله.

وقوله ﷻ: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ﴾ (الأنعام: ٥٤) أي: على ذاته لا على شيء سواه. ومنه ﴿إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ﴾ (الإسراء: ٧) أي: لذاتكم ولكم لا لغيركم. ومنه قول ذي الرمَّة[٧] حين احتضر، قال:

---

(١) الْمُبَرَّد، أبو العبَّاس محمَّد بن يزيد الأزدي (ت: ٢٨٦هـ)، وقد تقدَّمت ترجمته.

(٢) النساء: ٦٦. وتمامها: ﴿مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٞ مِّنۡهُمۡ﴾.

(٣) ميمون بن قيس (ت: ٧هـ)، وقد تقدَّمت ترجمته.

(٤) في (د): «تهجمت». وصحَّحناها من الصاحبي في فقه اللغة، ومن الموسوعة الشعريَّة. «وتَجَهَّمَه وتَجَهَّم له كجَهِمَه: إذا استقبله بوجه كريه». ابن منظور: اللسان، مادَّة: «جهم»، ١١١/١٢.

(٥) رَجُل سُوَلةٌ: سَؤول. وسُوَال وأَسولة. ابن منظور: اللسان، مادَّة: «سأل»، ٣٥٠/١١. والبيت من الكامل. أورده ابن فارس في الصاحبي في فقه اللغة، ولم ينسبه. وهو للأعشى، من قصيدة مطلعها:

رَحَلَت سُمَيَّةُ غُدوَةً أَجمالَها ... غَضبى عَلَيكَ فَما تَقولُ بَدا لَها

انظر: ديوان الأعشى في الموسوعة الشعريَّة.

(٦) في (د): «تهجَّم».

(٧) ذو الرُمَّة، غيلان بن عقبة بن نهيس العدوي (ت: ١١٧هـ)، وقد تقدَّمت ترجمته.

يا قَابِضَ الرُّوحِ مِن نَفْسِي إذا احْتَضَرَتْ وغَافِرَ الذَّنبِ زَحْزِحْنِي عن النَّارِ[١]

يعني: يـا قابض الروح من جسـدي وذاتـي وجملتي لا غيـر[٢] ذلك ولا سواه. وقال جرير في الفرزدق[٣]:

وشـبَّهتَ نفسَكَ أشـقى ثمود فقالـوا: ضَلَلْـتَ ولـم تَهتدِ[٤]

يقول: شبَّهتَ أنت أشقى ثمود، لا أنَّ نفس الفرزدق غيره.

وقوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ هي مثل ذلك، يقول: حكم ربُّكم بالرحمة لمن أطاعه. ولا يجوز أن يقال: فرض الله على نفسـه؛ لأنَّ الكتابة فرض، ألا تـرى إلى قوله تعالـى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ (المائدة: ٤٥). وقوله تعالـى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ (البقرة: ١٨٣)؟ هذه كتابة فرض، وقوله تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ﴾ (المجادلة: ٢١) يقول: حَكَمَ الله.

والنفس أيضًـا: القوَّة، /٧٦/ تقول العرب: ما له نفـس، أي: قوَّة، ويقال منه بيت امرئ القيس:

---

(١) البيت من البسيط لذي الرمة ذكره الثعلبي في تفسـيره، ٢٣٨/١. وابن خلكان في وفيات الأعيان، ١٦/٤. والقرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ٣٥/٢.

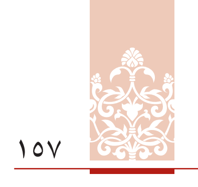
(٢) في (د): ـ «لا غير».

(٣) جرير، هو ابـن عطية بن حذيفـة (ت: ١١٠هـ). والفَرَزْدَق: همام بـن غالب بن صعصعة (ت: ١١٠هـ)، تقدَّمت ترجمتهما.

(٤) البيت من المتقارب، من قصيدة مطلعها:

زارَ الفَـرَزدَقُ أَهـلَ الحِجـازِ فَلَم يحـظَ فيهـم وَلَـم يُحمَدِ

انظر: ابن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء، ٣٧٣/٢. الأصفهاني: الأغاني: ٤٠٥/١٠؛ ١٧٧/١٦؛ ٤٠٥/٢١. وديوان جرير في الموسوعة الشعرية.



فَلَو أَنَّها نَفسٌ تَموتُ سَويَّةً ... وَلَكِنَّها نَفسٌ تُساقِطُ أَنفُسًا[(١)]

[معنى الوجه في حقِّ الله تعالى]

الوجه في لغة العرب على معان:

- **أحدها**: يراد [به] الشيء نفسه، تقول العرب: هذا وجه الأمر، ووجه الرأي، ووجه القوم، ووجه المتاع، إذا أخبرت عن الشيء بعينه، وهذا وجه الطريق: هو الطريق نفسه. ويقولون: إني لأكره أن أردَّ وجهك، يراد به: إنِّي لأكره أن أردَّك.
- **والمعنى الثاني**: يقول: ما أَعرَضَ وَجهَ فلان، ولفلان وجه في شرفه، يراد به الانبساط في تجارته، والقدر عند قومه.
- **والمعنى الثالث**: من الوجه في الرأس.
- **والمعنى الرابع**: يقال: كيف وجه العمل في هذا الأمر؟ يراد: من أيِّ السُّبل يؤتى له؟.
- **والمعنى الخامس**: يقال: هو من وجوه قومه، يراد: من عظمائهم.

فكلُّ هذه المعاني عن الله عَزَّوَجَلَّ منفيَّة، إلَّا المعنى الأوَّل، وأنَّ وجه الشيء هو الشيء لا غيره.

---

(١) البيت من الطويل، من قصيدة مطلعها:

أَلِمَّا عَلى الرَّبعِ القَديمِ بِعَسعَسا ... كَأَنِّي أُنادي أَو أُكَلِّمُ أَخرَسا

انظر: ديوان امرئ القيس في الموسوعة الشعريَّة. البيان والتبيين، ٣٨٧/١. ومعاني القرآن للنحاس، ٤٩٥/٣. وتفسير الثعلبي، ٢١٣/٥.



مسألة: [معنى قوله ﷻ : ﴿إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ﴾]

فإن قال: فما معنى قوله ﷻ: ﴿إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ﴾ (الإنسان: ٩)؟ قيل له: قال الكلبيّ: طلب ثواب الله. وقال المفضّل: أي: لقصد رضا الله ﷻ.

الوجه: القصد إلى المعنى والعمل فيه، وأنشد الفرَّاء:

الحمد لله شكرًا لا انقطاع له ربِّ العباد إليه الوجه والعمل[١]

قال غيره: لوجه الله، أي: لله.

وقال زيد بن عمرو بن نفيل[٢] في الجاهليَّة الجهلاء، قال:

وَأَسلَمتُ وَجهي لِمَن أَسلَمَتْ لَهُ الْمُزنُ تَحمِلُ عَذبًا زُلالا[٣]

---

(١) لم أعثر عليه بهذه الصيغة. وإنَّما ورد الشطران في بيتين مختلفين:
الشطر الأوَّل ذكره ابن عاشور في التحرير والتنوير، ونسبه إلى أميَّة بن أبي الصلت، وهو:
الحمد لله حمدًا لا انقطاعَ له فليس إحسانُه عنَّا بمقطوع
والشطر الثاني ذكره ابن هشام في شرح شذور الذهب، وبعض المفسِّرين، ولم ينسبوه، وهو:
أستغفر الله ذنبًا لست محصيه رب العباد إليه الوجه والعمل
ابن هشام: شرح شذور الذهب، ٤٧٩. الطبري: جامع البيان، ١/٧٣؛ ٤/٧٢. القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ٢/٨٤؛ ١٣/٣٢٢.

(٢) زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزَّى القرشيُّ العدويُّ (ت: ١٧ ق.هـ): نصير المرأة في الجاهليَّة، وأحد الحكماء، وهو ابن عمِّ عمر بن الخطَّاب، كان يكره عبادة الأوثان، ولا يأكل ممَّا ذبح عليها. رحل إلى الشام باحثًا عن عبادات أهلها. فلم تستمله اليهوديَّة ولا النصرانيَّة فعاد إلى مكَّة فَعَبَدَ الله على دين إبراهيم. لقي من قريش أذى لمعارضته إشراكهم بالله. وكان عدوًّا لوأد البنات، لا يعلم ببنت يراد وأدها إلَّا قصد أباها وكفاه مؤنتها فيربِّيها، حتَّى إذا ترعرعت عرضها على أبيها فإن لم يأخذها بحث لها كفؤًا فزوَّجها به. رأى النبيَّ ﷺ قبل النبوَّة. وسئل النبيُّ عنه بعدها فقال: «يبعث يوم القيامة أمَّة وحده». انظر: الزركلي: الأعلام، ٣/٦٠. الموسوعة الشعريَّة.

(٣) البيت من المتقارب. ينظر بقية الأبيات من شعر زيد بن عمرو بن نفيل في الموسوعة الشعرية.

«أسلمت وجهي» أي: نفسي لمن انقادت له المزن.

وقوله ﷻ: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ (البقرة: ١١٥)، فيه قولان: أحدهما: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾: فَثَمَّ اللهُ، والآخر: فَثَمَّ الوَجْهُ إلى اللهِ، يراد به: فثمَّ تلقاء الكعبة والوجه إلى الله ﷻ.

وقوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۞ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (الرحمٰن: ٢٦ ـ ٢٧) معناه: وَيَبْقَى رَبُّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ.

وقيل في قوله ﷻ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ (القصص: ٨٨) كل الأعمال تضمحلُّ، زائلٌ نفعُها إلَّا ما التُمِس به وجهُ الله ﷻ، وتُقُرِّبَ به إليه. وقيل: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾: إلَّا الله ﷻ.

فصل منه [في تأويل الوجه في حقِّ اللّه تعالى]

لا يجوز أن يكون لله ﷻ وجهٌ على ما يعقل من وجوه الأجسام؛ لأنَّ الله تعالى ليس بجسم، ولا يجوز عليه /٧٧/ التبعيض، فيكون وجهُهُ[(١)] بعضَهُ؛ لأنَّ من كان كذلك كان ذا تركيب وتصوير، وكان تركيبه قاضيًا على حدوثه، كما كان تركيب الأجسام قاضيًا على حدوثها؛ لأنَّ من جاز عليه الاجتماع جاز عليه الافتراق والاجتماع، والاجتماع والافتراق هما غير المجتمع والمفترق، فلا بدَّ من أن يكونا محدَثَيْنِ، فلمَّا كان الله ﷻ قديمًا لم يجز عليه الاجتماع والافتراق، ولم يجز أن يكون ذا أبعاض ولا أن يكون جسمًا، [و]لم يجز أن يكون ذا وجه على ما يعقل من وجوه الأجسام، وكان قوله ﷻ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۞ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾ و﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ إنَّما هو على جهة التوسُّع والمجاز إذ كان عندهم مستعملًا معروفًا، وهو يعني ﴿إِلَّا وَجْهَهُ﴾: إلَّا هو، ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾.

(١) في (د): «وجه».

مع أنَّ بعض المشبِّهة من أهل الكوفة يُحكى عنهم أنَّهم يقولون: إنَّ إلٰهَهم له وجه، وأنَّه يعني سائره إلَّا وجهه. وفي هذا المذهب شعر مرويٌّ يذكر فيه هذا المذهب عنهم. وإنَّما أُتُوا في ذلك من سوء التأويل، ومِنْ جَهْلِهِمْ بالله جلَّ وعلا، كما أُتِيَت المشبِّهة من سوء تأويلها وجهلها بربِّها، تعالى عمَّا يقولون علوًّا كبيرًا.

[معنى العين في حقِّ اللّه تعالى]

العين في كلام العرب على معان مختلفة كثيرة، يطول بذكرها الباب، وأنا ذاكر بعضها للحاجة إليه، منها ما يراد به الجارحة، وهي العين المركَّبة في الرأس، ومنها ما يراد به الحفظ والمشاهدة، ومنها ما يراد به الدلالة، ومنها ما يراد به العقوبة، ومنها ما يراد به الجودة، ومنها ما يراد به الجاسوس، وغير هذا تركتُهُ.

فالعين المركَّبة في الرأس المصوَّرة فهي عن الله تعالى منفيَّة من قِبَلِ أنَّ كلَّ ذي جارحة محدود، والله تعالى ليس بمحدود ولا مختلف ولا متغاير ولا مؤتلف؛ فهو قدير بذاته لا بقدرة سواه، وعليم بذاته لا بعلم سواه، وسميع بذاته لا بسمع سواه، وبصير بذاته لا ببصر سواه؛ وهذه صفة من ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾. وإنَّما احتجَّت المشبِّهة في إثباتهم لله عينًا جارحة[١] بقوله ﷻ: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ (طه: ٣٩)، وبقوله تعالى: ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ (القمر: ١٤). وأنا ذاكرٌ ما قاله أهل العلم في التفسير في ذلك، وبالله التوفيق.

/٧٨/ فأمَّا ما يراد به الحفظ فهو قولهم: أنت بعين الله، يعنون: أنت في حفظ الله ومشاهدته، أي: أنت لست بخفيٍّ على الله هو معك يحفظك.

(١) في (د): ـ «وإنَّما احتجَّت المشبِّهة في إثباتهم لله عينًا جارحة».

وأمَّا العين التي يراد بها العقوبة فقولهم: أصابتك عين من عيون الله، أي: عقوبة ونقمة من نقماته.

وأمَّا العين التي يراد بها الدلالة فهو قولهم: هذا عين العدوِّ، وهذا عين الخليفة، ويريدون بالعين هاهنا: الإنسان نفسه.

وأمَّا العين التي يراد بها الجودة فهو قولهم: هذا عين مالنا وإبلنا وبقرنا وغنمنا، وعين السوق، يريدون: هذا خير مالنا، وخير شيء في سوقنا.

ويقال أيضًا لكلِّ شيء: عين، ألا ترى أنَّهم يقولون: عين من الأعيان مثل: شيء من الأشياء؟.

فصل: [تأويل العين في حقِّ اللّه تعالى]

وأمَّا تأويل قوله ﷻ: ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾ فقد قال ابن عبَّاس: لتُرَبَّى بكلاءتي. وقال غيره: على علمي وحفظي. وقال المفضّل: تربَّى وتغذَّى على عيني، أي: بمرأى منِّي، لا أَكِلُكَ إلى غيري. يقال: صنعت الصبيَّ والفَرَسَ إذا أحسنت غذاءه حتَّى يستوي. قال زهير يصف فرسًا:

تميم صنعناه فَأُكمِلَ صُنعُهُ فَتَمَّ وَعَزَّتهُ يَداهُ وَكاهِلُه[1]

وقال أبو عبيدة: ﴿عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾ أي: على ما أريد وأحبُّ، وأنشد في صفة درع:

وقد نسجت على عيني[2]

(١) البيت من الطويل، ورد بصيغة: «تَميمٍ فَلَوناهُ فَأُكمِلَ صُنعُهُ»، من قصيدة مطلعها:
صَحا القَلبُ عَن سَلمى وَأَقصَرَ باطِلُه وَعُرِّيَ أَفراسُ الصِّبا وَرَواحِلُه
انظر: ديوان زهير في الموسوعة الشعريَّة.

(٢) لم أعثر عليه فيما بين يديَّ من مصادر.

أي: على ما أحببت وأردت. كذلك ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾ معناه: بحفظنا وعلمنا، حيث لا يخفى علينا مكانها. وكذلك ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾ (الطور: ٤٨) كلُّ هذا على الحفظ والمشاهدة والكلاءة. والأشياء كلُّها بعون الله وبنظره على الإحاطة بها لا على الجارحة، تعالى الله علوًّا كبيرًا.

[معنى اليد في حقِّ الله تعالى]

اليد في كلام العرب على معان مختلفة كثيرة، منها ما يراد به الشيء نفسه، ومنها ما يراد به الملك والقدرة، ومنها ما يراد به المنَّة والعطية.

فأمَّا ما يراد به الشيء نفسه فهو قوله ﷻ: ﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ﴾ (صٓ: ٧٥) أي: لِمَا وليت أنا خلقه دون غيري. **واليد** صلة في الكلام، وهو مثل قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ﴾ (الحج: ١٠) يريد: ما قدَّمت أنت أيُّها العبد. ويقال في اللغة: هذا ما جنته يداك. /٧٩/ ومثله ﴿فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ (الشورى: ٣٠).

وقال الشاعر:

سأبكيك للدنيا وللدين إنَّني ... رأيتُ يَدَ المعروف بعدَكَ شُلَّت[1]

وإنَّما يريد المعروفَ نفسَه، وكذلك قوله ﷻ: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَٰمٗا﴾ (يسٓ: ٧١) أي: خلقنا نحن.

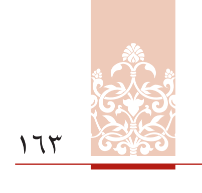
وأمَّا **اليد** التي يراد بها الملك فقولهم: المال في يد فلان، والمال الأمر، ونحو ذلك، يريدون فلانًا لذلك مالِك، وعليه قادر.

---

(١) البيت من الطويل. للكميت بن زيد الأسدي (ت: ١٢٦هـ)، من أبيات مطلعها:

أتانا بموتِ ابن الخليفة حادثٌ ... بهِ أسِيَت منَّا القلوبُ وغُلَّتِ

انظر: ديوان الكميت في الموسوعة الشعريَّة.



وأمَّا **اليد** التي يراد بها المنَّة والعطيَّة فهو قول القائل: لي عندك يد ولك عندي مثل ذلك، يعني: نعمته ومنَّته، وتصديق ذلك قوله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ (الفتح: ١٠) يعني: منَّة الله فوق منَّتهم، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسْلَٰمَكُم بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ﴾ (الحجرات: ١٧). واليد: النعمة السابغة وهي الأيادي.

وأمَّا اليد المحدودة التي هي أداة وجارحة فهي عن الله منفيَّة، تعالى الله عن صفات المحدودين.

مسألة: [معنى قوله ﷻ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾]

فإن قال قائل: فما معنى قوله ﷻ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ (المائدة: ٦٤)؟ قيل له: قال المفسِّرون: نعمته وقدرته دائمتان لا يقبضهما شيء، واليد هاهنا النعمة. وقال الحارث بن خالد المخزومي[١]:

وَلَـهـا عَـلَينا نِعـمَةٌ سَـلَفَت ... لَسـنا مـع الهجـران نَجحَدُها
لَو تَمَّمَـت أَسـبابَ نِعمَتِها ... تَـمَّـت بِذَلِكَ عِنـدَنـا يَدُها[٢]

---

(١) الحارث بن خالد بن العاص بن هشام المخزومي (ت: ٨٠هـ)، من قريش. شاعر غزل، كان لا يتجاوز الغزل إلى المديح ولا الهجاء. وكان يهوى عائشة بنت طلحة ويشبِّب بها. ولَّاه يزيد بن معاوية إمارة مكَّة، فظهرت دعوة عبدالله بن الزبير، فاستتر الحارث خوفًا، ثمَّ رحل إلى دمشق وافدًا على عبدالملك بن مروان فلم ير عنده ما يحبُّ، فعاد إلى مكَّة وتوفِّي بها. انظر: الزركلي: الأعلام، ١٥٤/٢. الموسوعة الشعريَّة.

(٢) البيتان من الكامل. ورد بلفظ: «على الأيام» بدل: «مع الهجران»، من أبيات مطلعها:

مـا ضَرَّكُـم لَـو قُلتُـمُ سَـدَدًا ... إِنَّ الْـمَـنـيَّـةَ عـاجِـلٌ غَـدُهـا

انظر: ديوان الحارث المخزومي من الموسوعة الشعريَّة.

وقال آخر:

يَكُنْ لَكَ في قَومي يَدٌ يَشكُرونَها ... وَأيدي النَّدى في الصالِحينَ قُروضُ(١)

وإنَّما يريد: نِعَمَه. وقال جرير(٢):

يا ابنَ الخَليفَةِ يــا مُعاوِيَ إِنَّني ... أَرجو فُضولَكَ فاتَّخِذْ عِندي يَدا(٣)

يقول: اِتَّخذ عندي نعمة.

وقيل: معنــى ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ يعني: نعمتيــه: نعمة الدين ونعمة الدنيا، وقالوا: النعمة الظاهرة والنعمة الباطنة.

وتُجمع اليــد على أَيْدٍ وأَيَــادٍ، وتُجمع: يَدِيًّا، على فعيــل، مثل عَبْدٍ وعَبِيدٍ(٤)، وأنشد شعرًا:

يـديـهـم بـيـض إذا ذكــرت ... عمــت وطالت فــوق كلّ يد(٥)

(١) يمكن أن تُقرأ: «فروض». البيت من الطويل، لبشر بن أبي خازم (ت: ٢٢ ق.هـ). وقبله:

فَإِن تَجعَلِ النَّعمــاءَ مِنكَ تِمامَةً ... وَنُعمــاكَ نُعمى لا تَــزالُ تَفيضُ

من أبيات مطلعها:

تَدارَكَني أَوسُ بن سُعدى بِنِعمَةٍ ... وَقَد ضاقَ مِن أَرضٍ عَلَيَّ عَريضُ

انظر: ديوان بشر بن أبي خازم في الموسوعة الشعريَّة.

(٢) في (ز): «آخر». وجرير هو: ابن عطية بن حذيفة (ت: ١١٠هـ)، وقد تقدَّمت ترجمته.

(٣) البيت من الكامل، لجرير (ت: ١١٠هـ)، من قصيدة مطلعها:

أَمســى فُؤادُكَ ذا شُجونٍ مُقصَدًا ... لَــو أَنَّ قَلبَــكَ يَســتَطيعُ تَجَلُّدا

انظر: ديوان جرير في الموسوعة الشعريَّة.

(٤) قال ابن منظــور: «الجوهريُّ: اليَدُ أَصلها يَدْيٌ على فَعْل، ســاكنة العيــن؛ لأَن جمعها أَيْدٍ ويُدِيٌّ، وهذا جمع فَعْــلٍ مثل فَلْسٍ وأَفْلُــسٍ وفُلُوسٍ، ولا يجمع فَعَلٌ علــى أَفْعُل إلا في حروف يسيرة معدودة مثل: زَمَنٍ وأَزْمُنٍ وجَبَلٍ وأَجْبُلٍ وعصًا وأَعْصٍ، وقد جمعت الأَيْدي في الشــعر على أَيادٍ... قال أَبو الهيثم: وتجمع اليَــدُ يَدِيًّا مثل عَبْــدٍ وعَبِيد». ابن منظور: اللسان، مادَّة: «يدي»، ١٥/٤١٩ ـ ٤٢٠.

(٥) لم أجده فيما بين يدي من مصادر.

وأنشد الفرَّاء:

فَلَن أَذكُرَ النُّعمانَ إِلَّا بِصالِحٍ فَإِنَّ لَهُ عِندي يدِيًّا وَأَنعُما[١]

وتثنَّى اليد يَدْيَانِ على صورتهما، ويَدَيَانِ وَيَدَانِ يردُّ إلى الأصل فتظهر الياء التي هي لام الفعل، وكذلك يفعلون في كلِّ اسم ناقص، وأنشد الفرَّاء:

/٨٠/يدَيان بَيْضاوانِ عِنْدَ مُحَلِّمٍ[٢] قَدْ يَمْنَعانِك بَيْنُهُمْ أَن تُهْضَما[٣]

فعلى هذا المعنى قوله ﷻ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ لا على إثبات اليد التي هي جارحة، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

فصل: [نقض قول المشبهة]

ومن قال من المشبِّهة: إنَّ الله تعالى يريد بقوله: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ (صٓ: ٧٥) لزمه أن يقول: إنَّ الله له أيديًا[٤]، لقوله تعالى: ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا﴾ (يسٓ: ٧١)، وهم لا يقولون ذلك، ويناقضون ولا يشعرون.

---

(١) البيت من الطويل. ينسب إلى النابغة الذبياني. ينظر ديوانه في: الموسوعة الشعريَّة. ومثله:
ولن أذكر النُّعمانَ إلا بصالحٍ فإنَّ له فضلًا علينا وأنعُما
وينسب إلى ضُمَرَة النهشلي. انظر: المرجع نفسه.

(٢) الْمُحَلِّم: هو الرجل الذي يعلِّم الحِلم. ابن منظور: اللسان، مادَّة: «حلم»، ١٢/١٤٩.

(٣) البيت من الكامل. أورده ابن منظور ولم ينسبه. انظر: المصدر نفسه.
قال البغدادي في خزانة الأدب: «وعجزه: قد يمنعانك أن تضام وتضهدا [...] ورواه الجوهري:
يديان بيضاوان عند محرِّق قد تمنعانك منهما أن تهضما
[...] وروى ابن الشجري: ... عند محلم ... قد تمنعانك أن تذل وتقهرا
وأنشده ابن الأعرابي وأبو عمر الزاهد: ... عند محلم ... قد تمنعانك بينهم أن تهضما
وروي أيضًا على غير ما ذكر. ومع كثرة تداوله في كتب اللغة والنحو لم ينسبه أحدٌ إلى قائله ولا ذكر تتمة له. والله أعلم». البغدادي: خزانة الأدب. برنامج المكتبة الشاملة.

(٤) في النسخ: «أيدينا».

اليمين [في حقِّ اللّه تعالى]

واليمين في كلام العرب على معان مختلفة؛ فمنها ما يراد به الشيء نفسه، ومنها ما يراد به القدرة، ومنها ما يراد به الرفعة، ومنها ما يراد به الحَلْف، ومنها ما يراد به القوَّة.

فأمَّا التي[١] يراد بها الشيء نفسه فهو قولهم: هذا ملك يميني، يعني: هذا ملكي.

وأمَّا **اليمين** التي يراد بها القدرة فهو قوله ﷻ: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ (الزمر: ٦٧).

وأمَّا **اليمين** التي يريد بها القوَّة [فهي] قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ۝ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ﴾ (الحاقَّة: ٤٤ ـ ٤٥) أي: بقوَّة منَّا عليه.

وأمَّا **اليمين** التي هي جارحة فهي منفيَّة عن الله تعالى؛ لأنَّها من صفات المخلوقين، وليست من صفات ربِّ العالمين.

مسألة: [معنى قوله ﷻ: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾]

فإن عارض معارض بقوله ﷻ: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾؟ قيل له: ليس ذلك كطيِّ الناسِ الشيءَ بيد ونصبٍ وعلاج، بل الطيُّ: الفناء والذهاب، قال الشاعر:

طَوى الْمَوتُ ما بَيْنِي وَبَينَ مُحَمَّدٍ ۝ وَلَيسَ لِما تَطوي الْمَنِيَّةُ ناشِرُ[٢]

(١) في (ز): «ما».

(٢) البيت من الطويل، وهو مطلع لأبيات لأبي نواس. ينظر ديوانه في: الموسوعة الشعريَّة.

وقال آخر:

مُرُّ الليالي أسرعت في نقضي طوين طولي وطوين عرضي[١]

«طوين» أي: أفنين. وأمَّا قوله: ﴿بِيَمِينِهِۦ﴾ فإنَّه إخبار عن القدرة والملك، قال الشماخ[٢]:

إِذا ما رايَةٌ رُفِعَت لِمَجدٍ تَلَقَّاها عَرابَةُ بِاليَمينِ[٣]

أي: بالقدرة والقوَّة، وهذا قول الأشعريّ[٤]. قال: ومن الناس من يقول ﴿مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ أي: ذاهبات بِقَسَمِهِ؛ لأنَّه تعالى أقسم ليفنيها. وقال قتادة[٥] وغيره: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ أي: في ملكه وسلطانه؛ لأنَّ اليد واليمين قد تستعملان كثيرًا في اللغة على معنى الملك، ومنه قوله: «كن بما في يد الله أوثق منك بما في يد غيره»[٦]، يريدون[٧]: بما يملكه الله ﷻ. ومنه

---

(١) ورد بصيغة: «طول الليالي». ذكره الخليل بن أحمد الفراهيدي ولم ينسبه. ونسبه الطبريُّ إلى العجاج. انظر: الفراهيدي: الجمل في النحو، ٢٩٤. الطبري: جامع البيان، ٤/٣٧.

(٢) الشماخ بن ضرار بن حرملة بن سنان المازني الذبياني الغطفاني (ت: ٢٢هـ): شاعر مخضرم، أدرك الجاهليَّة والإسلام، وهو من طبقة لبيد والنابغة. كان شديد متون الشعر، وكان أرجز الناس على البديهة. شهد القادسيَّة، وتوفِّي في غزوة موقان. قال البغدادي وآخرون: اسمه معقل بن ضرار، والشماخ لقبه. انظر: الزركلي: الأعلام، ٣/١٧٥. الموسوعة الشعريَّة.

(٣) البيت من الوافر، من قصيدة مطلعها:

كِلا يَومَي طُوالَةَ وَصلُ أَروى ظَنونٌ آنَ مُطَّرَحُ الظَّنونِ

ينظر: ديوان الشماخ في الموسوعة الشعريَّة.

(٤) تقدَّمت ترجمته.

(٥) قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي البصري (ت: ١١٨هـ)، وقد تقدَّمت ترجمته.

(٦) روى الحاكم في المستدرك مرسلًا: «ومن أحبَّ أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله أوثق ممَّا في يده». الحاكم: المستدرك على الصحيحين، ر٧٧٠٧، ٤/٣٠١.

(٧) كذا في النسختين، ولعل الأصوب: «قولهم. ... يريدون»، أو «قوله. ... يريد». بصيغة الجمع في كلتا الكلمتين، أو بصيغة المفرد في كلتيهما.

قوله ﷻ: ﴿ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾ (النساء: ٣٦) معناه: وما ملكتم. وقال لنبيه ﷺ: ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ﴾ (الأحزاب: ٥٠) يريد: ما ملكْتَ، وليس يريد أنَّه مَلَكَ الشيءَ بيمينه دون شماله، وهذا توسُّع ومجاز في اللغة، إذْ كان معروفًا في كلامهم.

[معنى القبضة في حقِّ الله تعالى]

القبضة في كلام العرب على معان مختلفة: منها ما يراد به الملك والقدرة، ومنها ما يراد به النفس، ومنها ما يراد به إفناء[1] الشيء، ومنها ما يراد به قبضه الأرواح.

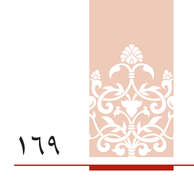
فأمَّا ما يراد به الملك والقوَّة فقولهم: ما فلان إلَّا في قبضتي، يريد: إلَّا في ملكي وقبضتي. وقولهم: قد قبض فلان الأرض، ليس أنَّه قبضها بيده، وإنَّما يعني أنَّ ذلك قد صار في ملكه، أي: قدر عليه.

وأمَّا **القبضة** التي هي إفناء الشيء فهو قولهم: قد قبضه الله إليه، يعنون: قد أفناه الله من الدنيا، لا أنَّه قبضه القبضة المعقولة بيننا باليد التي هي جارحة، تعالى الله عن هذه الصفة وجلَّ.

مسألة: [معنى قوله ﷻ: ﴿ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾]

فإن قال: فما معنى قوله ﷻ: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ (الزمر: ٦٧)؟ قيل له: قد روي[2] عن ابن عبَّاس والحسن وقتادة[3] أنَّها في قدرته وملكه وسلطانه. وقال غيرهم: يعني ذاهبة فانية يوم القيامة بقدرة الله تعالى على إفنائها. ويقال: الأشياء في قبضة الله ﷻ، أي: في ملكه، لا قبضة جارحة، إذ الجوارح عن الله تعالى منفيَّة.

(١) في (د): «فناء».
(٢) في (ز): «يروى».
(٣) قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي البصري (ت: ١١٨هـ)، وقد تقدَّمت ترجمته.



مسألة: [معنى قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ﴾]

فإن قال: فما معنى قولـــه: ﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ﴾ (البقـرة: ٢٤٥)؟ قيل له: معناه: يقتِّر ويوسِّع على من يشـــاء، ليس يعني قبضة اليد التي فيها الأصابع ولا بســـطتها. ولو كان ذلك كذلك لَمَا جاز[١] أن يكون قابضًا وباســـطًا في حالة واحدة، والله ـ تبـــارك وتعالى ـ في حالٍ واحدة يقبض الرزق ويبســـط على من يشـــاء، وفي الحال التي هو فيها قابض عن هذا باســـط على هذا، ويفعل أفاعيل مختلفة في حال واحدة، ولا يعجزه شـــيء مِمَّا يريده، بل هو تعالى على كلِّ شيء قدير.

فصل: [معنى أنَّ قلب ابن آدم بين إصبعي اللّه]

فأمَّا ما رووا «أنَّ قلب ابن آدم بين إصبعي الله يمثِّله كيف يشـــاء»[٢]، فإن كان الحديث حقًّا فمعناه عندنا أنَّه مثَّل لهم قدرته بأوضح ما يعرفون من أنفســـهم؛ لأنَّ الرجل منهم لا يكون على شيء أقدر منه على الشيء إذا كان بيـــن إصبعيه، ألا ترون إلى قولهم: ما فـــلان إلَّا في /٨٢/ يدي، وإلَّا في كفِّـــي وإلَّا في خنصري؟. وإنَّما يريدون تثبيـــت القدرة، أي: أنا عليه قادر، وله قاهر، لا يمنعه منِّي شـــيء، ليس يريد أن الخنصر يحويه. ولعلَّه يكون أشدَّ منه بطشًـــا، وأعظم جسمًا، ولكنَّهم أرادوا بذلك تثبيت

---

(١) في (د): ـ «لَمَا جاز».

(٢) لـــم نعثر عليه بلفظ: «يمثلـــه»، وإنَّما رواه بلفـــظ: «يصرفه»، أو «يقلبه» مســـلم، والترمذي وابن ماجه وأحمد. ولفظه عند مســـلم: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْـــنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَـــاءُ»، ثُمَّ قَالَ رَسُـــولُ اللهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ». مســـلم في كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف يشاء، ر٢٦٥٤، ٢٠٤٥/٤. الترمذي: السنن، كتاب الدعوات، باب منه، ر٣٥٢٢، ٥٣٨/٥. ابن ماجه: السنن، كِتَاب الْمُقَدِّمَةِ، بَاب فِيمَا أَنْكَرَتِ الْجَهْمِيَّةُ، ر١٩٩، ٧٢/١.

القدرة عليــه. فأمَّا القبضة بالجوارح فهي منفيَّــة عن الله ﷻ. وقد ذهب بعضهــم إلى أنَّ قولــه ﷺ: «بَينَ إِصبِعَيْــنِ» أي: بين نعمتيــن من نعمه: إحداهما هي سَــوْقُ الخير إليه والفســحة في التماس الرزق، والأخرى صرف الشــرّ عنه. قال أبو عمرو الشــيباني[1]: يقال: إنَّ لفلان على إبله إصبعًا، إذا أسمنها وأحســن إليها. وقال الراعي يصف إبلًا أحسن رعيَّتها حتَّى سمنت:

يُسَــوِّقها بادي العُروقِ تَرى لَهُ ... عَلَيها إذا ما أَجدَبَ الناسُ إِصبَعا[2]

ويُروى: «ضَعيفُ الغَضَا»[3]، ويروَى: «إذا مــا أمحل الناس». إصبعًا: أي: أثرًا حسنًا. وقال آخر:

أَغَرُّ كَلَوْنِ البَدْرِ في كلِّ منصب ... من الناس نُعْمَى يَحْتَذِيهَا وإصبع[4]

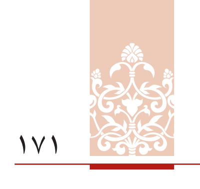
---

(١) أبو عمرو إســحاق بن مرار الشــيباني بالولاء (ت: ٢٠٦هـ): لغويٌّ أديــب، من رمادة الكوفة. ســكن بغداد ومات بها. من الموالي، جاور بني شــيبان فنسب إليهم. وجمع أشــعار نيف وثمانين قبيلة من العــرب ودوَّنها. أخذ عنه جماعة كبــار منهم أحمد بن حنبل. ومن تصانيفه «كتاب اللغات» و«كتاب الخيل» و«غريب الحديث». انظر: الزركلي: الأعلام، ٢٩٦/١.

(٢) البيت مــن الطويل، وهو مطلع لقصيــدة للراعي النميري. انظر: ديوانه في الموســوعة الشعريَّة.

(٣) كذا في النســختين. وورد في الموسوعة الشــعريَّة بلفظ: «ضَعيفُ العَصا». وأمَّا الغضا فقد قــال ابن منظور: «والغَضَا: مــن نَباتِ الرمل له هَــدَب كهَدَبِ الأَرْطَى؛ ابن ســيِّده. وقال ثعلب: يُكْتَبُ بالأَلِفِ ولا أَدْرِي لِمَ ذلك، واحِدتُه غَضاةٌ؛ قال أَبو حنيفة: وقد تكونُ الغضاة جَمْعًا». ابن منظور: اللسان، مادَّة: «غضا»، ١٢٨/١٥ ـ ١٢٩.

(٤) فــي (د): «وإصبعا». والبيت من الطويل، أورده الخليل بــن أحمد بلفظ: «في كلِّ منكب»، ولم ينسبه. كتاب العين، ٣١٢/١.



الإصبع: الأثر الحسن. وقال:

مـن يجعـل الله عليـه إصبعًا في الخير أو في الشرِّ يلقاه معًا[١]

الإصبع هاهنا: هي النعمة والمنَّة، لا غيرهما.

[هل الله محتجب عن عباده؟]:

ذكر أهل الجهل أنَّ الله تعالى احتجب بِحُجُبٍ ساترة له، وَكَذَبُوا؛ ليس بين الله ﷻ وبين خلقه حجاب، ولو كان محتجبًا بِحُجُبٍ لم يحجب بالْحُجُبِ؛ لأنَّ الْحُجُبَ خلقٌ من خلقه، والله ﷻ لا يحتجب عن خلقه بخلقه ولا بشيء غيره. ولو جاز أن يحتجب بخلقه كان بما احتجب به مرتفقًا[٢]، وإليه محتاجًا. وَمَن وَصَفَ اللهَ تعالى بهذا أَلزَمَهُ الحاجةَ والفقر، وهذا الكفر بالله مع التحديد له؛ لأنَّ من كان محجوبًا كان محدودًا.

وأمَّا قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ (الشورى: ٥١)، فعن عليٍّ في هذا: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾ يقول: ما ينبغي لبشر، كما قال: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ﴾ (مريم: ٣٥) يقول: ما ينبغي لله أن يتَّخذ ولدًا. نظيره: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ (الأحزاب: ٥٣). فذكر أنَّ الله حَجَبَ الكلامَ الذي سمعه موسى عن أهل السماء والأرض، فلم يسمع ذلك إلَّا موسى عليه السلام. وهذا أحسن ما قيل في هذا الباب، وهو قول عليٍّ.

وقال بعض العلماء: إنَّ الحجاب في اللغة على ضربين: حجاب ساتر، وهو مَثَلٌ للستر[٣]، وحجابٌ هو منعٌ وإن لم يكن سترٌ. فلمَّا أن كان

(١) لم أعثر عليه فيما بين يدي من مصادر.
(٢) في (د): «مرتفعًا» ولعلَّ الصواب: «مفتقرا»، كما تدلُّ عليه العبارة الواردة بعدها.
(٣) في (د): «مثلُ السترِ».

موســى عَلَيْهِ السَّلَامُ غير جائز منه الرؤية لله تعالى[١]، ولم يكن الله يجوز عليه /٨٣/ ذلك؛ جاز أن يقال: موســى محجــوب عن الله. كما أن الرجــل قد يريد أن يتكلَّم فيمنعه مانع، فيقول[٢]: حَجَبَنِي فلانٌ عن الكلام. ويقال: حَجَبَنِي خوفُ الله عن المعاصي. ويقال: الضرير محجــوب البصر، وليس هنالك[٣] حجابٌ ســاتر. وكذا عندهم موســى عَلَيْهِ السَّلَامُ محجوب عن الله، إذ كان تبــارك وتعالى لا تجوز عليه الرؤية. وقد يجوز أن يُرفع العجزُ[٤] عن الضرير فيبصر، فليس هنالك[٥] علَّة في موســى عَلَيْهِ السَّلَامُ من أجلها لم يــر الله، والله تعالى لا يُرى لأنَّه قديم.

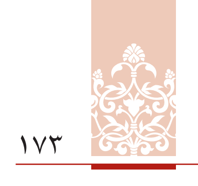
مسألة: [لِمَ لا يُرى اللّه تعالى؟]

فإن قــال قائل: فما له لا يُرى؟ قيل له: لأنَّ نَفْسَــهُ نفسٌ لا تُرى لا لعلَّة من الأشــياء، فلمَّا كان لنفســه لا يُرى كان لا يرى في آخرة ولا دنيا؛ لأنَّه لا يتغيَّر أبدًا، ولو كان لغيرٍ[٦] لا يُرى كانت به الحاجة إلى غيره، وكان فقيرًا عاجزًا أبدًا.

ويقال لهم: هل يُرَى ذلك الغيرُ الذي من أجله لا يُرى؟ فإن قالوا: يُرى. قيل: فما هو؟ فإن أشاروا إلى شيء من الأشــياء لزمهم أن يُلزِموا معبودَهم الحاجةَ إلى الأشياء، تعالى الله الغنيُّ عن جميع الأشياء.

---

(١) في (د): «على الله عَزَّ وَجَلَّ».
(٢) في (د): «قال».
(٣) في (د): «هناك».
(٤) في (د): ـ «العجز».
(٥) في (د): «هناك».
(٦) في (د): «الغير».



فصل: [تأويل أحاديث الدُّنوّ]

وأمَّا ما رووه من الحديث في الدُّنوِّ من الله تعالى إلى غيره، والقرب منه[٧]، فإنَّما ذلك [كناية] على سرعة الإجابة والمنزلة، ألا ترى أنَّ العرب يقولون: أتينا فلانا فأسرع إلينا، يعنون: أجابنا إلى ما سألنا.

وقال عزَّ ذكره: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾ (البقرة: ١٨٦) أي: فليستجيبوا إلى طاعتي. وقال المفسِّرون: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا﴾ أي: فليجيبوني إلى ما أمرتهم به، يقال: أجابه واستجاب له بمعنًى. وقال كعب بن سعد الغنوي[٨]:

وَداعٍ دعا يَا مَن يُجيبُ إلى النَّدى فَلَم يَستَجِبْهُ عِندَ ذَاكَ مُجيبُ[٩]

[معنى التجلّي في حقِّ اللّه تعالى]

التجلِّي في لغة العرب: هو ظهور الشيء. والشيء قد يظهر بوجهين مختلفين: فيظهر جهرة، ويظهر بدلالة؛ ألا ترى إلى قول القائل: قد ـ والله ـ

(٧) وذلك في الحديث القدسيِّ عند البخاري بلفظ: «يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ. وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً». البخاري في كتاب التوحيد، باب قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ ... ر٦٩٧٠، ٦/٢٦٩٤. مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب الحثِّ على ذكر الله تعالى، ر٢٦٧٥، ٤/٢٠٦١.

(٨) تقدَّمت ترجمته باسم: كعب بن سعد الغنوي.

(٩) البيت من الطويل، من قصيدة مطلعها:

تَقولُ ابنَة العَبسِيِّ قَد شِبتَ بَعدَنا وَكُلُّ امرِئٍ بَعدَ الشَّبابِ يَشيبُ

انظر: ديوان الغنوي في الموسوعة الشعرية.

تجلَّى لي هذا الشـيء. والذي يتجلَّى جهرة لا يكون إلَّا جسمًا أو هيئةً أو فعلًا مشهودًا؛ لأنَّ الأبصار لا تدرك إلَّا ما كان كذلك.

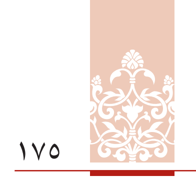
والتجلِّي من الخالق تعالى إنَّما هو بالدلالات والبيِّنات ليس هو بجسم ولا عَرَضٍ فيتجلَّى جهرة. وإنَّما معنى قوله ﷻ: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ (الأعراف: ١٤٣) أي: تجلَّى بآية من /٨٤/ آياته فلم يطق الجبل حمل تلك الآية وصار دكًّا، كما قال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ (الحشر: ٢١)؛ ولذلك كان الجبل دكًّا على ما ذكر من خشوع الجبل. والآية التي تجلَّى للجبل هي من أعلام القيامة، وحال الآخرة، وهي غير الله، والله المتجلِّي، والتجلِّي غيره، والمتجلِّي خالق، والتجلِّي والمتجلَّى له مخلوقان؛ لأنَّهما غير الله تعالى.

وقد قالوا في لغاتهم: خلقتَ من آياتك وعجائب تدبيرك ما تجلَّيت به لخلقك، فأوصلت إلى القلوب من معرفتك ما آنستها من وحشة الفكر فيك. فهذا على سعة كلامهم، لا أنَّ الله ﷻ انكشف أو ظهر، تعالى الله عن ذلك. وقال الشاعر:

تجلَّى لنا بالمشرفِيِّ وبالقنا ... وإن كان عن وقع الأسنَّة نائيًا[1]

يريد: تجلَّى وكشف لنا عن أمره وشدَّته حتَّى بان لنا ذلك، ولم يرد بذلك انكشافه وظهوره، وإنَّما هو على سعة الكلام، والمعنى مختصر على غير اللفظ.

(١) لم أجده فيما بين يديَّ من المصادر.



فصل[١] [تأويل نزول الله تعالى]

زعمت المشبِّهة «أنَّ الله ـ تبارك وتعالى ـ ينزل ليلة النصف من شعبان»[٢]، فوصفوه سبحانه بالحدود والزوال والحركة من مكان إلى مكان؛ لأنَّ النازل لا يكون إلَّا في مكان دون مكان، وكلُّ من حوته الأماكن فهو محدود، وكلُّ محدود مختلف، وكلُّ مختلف فبعضه لا يشبه بعضًا. وكلُّ من كان زائلًا متنقلًا كان[٣] عن بعض تدبيره بنفسه غائبًا؛ لأنَّه إذا زال إلى المشرق زال عن تدبيره بالمغرب، وإذا غاب إلى المغرب غاب عن تدبيره بالمشرق، وإذا كان في سماء الدنيا غاب عن تدبيره في سائر السماوات، وكانت الأشياء به محيطة، والأماكن له حاوية، وقد قال ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ (الحديد: ٤)، وقال ﷻ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ...﴾ الآية[٤].

سؤال [يُطرح على المشبِّهة]:

يقال لهم: ألستم تزعمون «أنَّ الله ﷻ ينزل ليلة النصف من شعبان»؟ فإن قالوا: نعم، يقال لهم: أليس قد مضى شعبان؟ فإن قالوا:

---

(١) في (د): «مسألة».

(٢) نصُّ الرواية عند الترمذي: «إِنَّ اللهَ ﷻ يَنْزِلُ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَغْفِرُ لأَكْثَرَ مِنْ عَدَدِ شَعْرِ غَنَمِ كَلْبٍ». قال الترمذي: «وَفِي الْبَاب عَنْ أَبِي بَكرٍ الصِّدِّيقِ قَالَ أَبُو عِيسَى: حَدِيثُ عَائِشَةَ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ مِنْ حَدِيثِ الْحَجَّاجِ، وسَمِعْت مُحَمَّدًا يُضَعِّفُ هَذَا الْحَدِيثَ، وقَالَ: يَحْيَى بن أَبِي كَثِيرٍ لَمْ يَسْمَعْ مِنْ عُرْوَةَ، وَالْحَجَّاجُ بن أَرْطَاةَ لَمْ يَسْمَعْ مِنْ يَحْيَى بن أَبِي كَثِيرٍ». الترمذي: السنن، كتاب الصوم، باب ما جاء في ليلة النصف من شعبان، ر٧٣٩، ١١٦/٣. وروى ابن ماجه نحوها في سننه، كتاب إقامة الصلاة والسُّنَّة فيها، باب ما جاء في ليلة النصف من شعبان، ر١٣٨٩، ٤٤٤/١.

(٣) في (د): ـ «كان».

(٤) المجادلة: ٧. وتمامها: ﴿وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

نعم[١]، يقال لهم: فقــد علمتم أنَّه عاد إلى العرش بعد الزوال؟ فإن قالوا: نعم، قيل: وما علَّمكم أنَّه عاد؟ لعله في بعض السماوات؟ فإن قالوا: قد علمنا أنَّه عاد إلى العرش، قيل: أفــي حديثكم الذي رويتم أنَّه ينزل وأنَّه يعود؟ فإن قالوا: لا[٢]، قيل: فما علَّمكم بأنَّه ينزل ويعود، وليس ذلك في حديثكم؟.

[يُطرح على المشبِّهة سؤال] آخر:

/٨٥/ ويقال لهم: ألستم تروون أنَّ الســماوات السبع والأرضين السبع في جنب العرش كحلقة في أرض فــلاة[٣]؟ فإن قالوا: نعم، قيل لهم: فكيف تزعمون أنَّه ينزل إلى سماء الدنيا مع صغرها في جنب العرش؟!

ويقال لهم: ســماء الدنيا أعظم أم العرش؟ فإن قالوا: العرش، قيل لهم: العرش أعظم[٤] أم من تعبدون؟ فإن قالوا: من نعبد، قيل لهم: تعقلون شــيئًا عظيمًا يحويه أصغر منه ويحيط به؟!. تعالى عمَّا يقولون علوًّا كبيرًا.

فصل: [تأويل قوله ﷻ: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾]

وأمَّا تأويل قوله ﷻ: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ (الفجر: ٢٢) و﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ ﴾ (البقـرة: ٢١٠) يقول: جاء ربُّك بقضائه والحساب،

(١) في (د): ـ «يقال لهم: أليس قد مضى شعبان؟ فإن قالوا: نعم». انتقال نظر.
(٢) في (د): ـ «لا».
(٣) روى ابن حبان في صحيحه أنَّ رســول الله ﷺ قال لأبي ذرّ في حديــث طويل: «... يا أبا ذرّ، ما السماوات الســبع مع الكرســيّ إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وفضل العرش على الكرســيّ كفضل الفلاة على الحلقة...». ابن حبان في ذكر الاستحباب للمرء أن يكون له من كلِّ خير حظٌّ رجاء التخلُّص في العقبى بشيء منها، ر٣٦١، ٢/٧٧.
(٤) في (د): ـ «أعظم».



و﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ بالثواب والعقاب والملائكة والجزاء، وغير ذلك من أمور الآخرة. ﴿ فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ ﴾ يقول: يجعل ذلك الغمام عَلَمًا بينه وبين خلقه، إذا جاء الغمام علموا أنَّه قد جاء القضاء والجزاء، كما جعل الغمام في الدنيا علمًا للغيث، وغير ذلك من الأشياء. ليس له أن يجيء ويذهب منتقلًا ولا زائلًا، تعالى من ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ﴾. وقال الكلبيّ[١]: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾ أي: جاء أمر ربِّك والملك معه. وقال الحسن: وَعْدُ ربِّك. ومعناهما قريب.

فصل: [رواية جلوسه ﷻ للقضاء، وكشف الساق]

رووا أنَّه جلَّ ثناؤه «**ينزل يوم القيامة حتَّى يجلس على كرسيٍّ للقضاء، ثُمَّ يقول: أنا ربُّكم، فينكرونه ويكادون يباطشونه - عزَّ الله عن ذلك -، فيكشف لهم عن ساقه فيخرُّون له سجَّدًا**»[٢]. وهذا الكفر بالله العظيم؛ لأنَّهم وصفوه جلَّ ثناؤه جسمًا محدودًا. ثُمَّ زعموا أنَّ المؤمنين لا يعرفون ربَّهم إلَّا كذلك، وهي صفة المحدودين، تعالى الله عن ذلك.

جواب [حول رواية الكشف عن الساق]:

يقال لهم: أمَّا قوله ﷻ: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾ (القلم: ٤٢) فإنَّ معناه: عن شدَّة أهوال يوم القيامة. وقال ابن عبَّاس: عن الأمر الشديد، وأنشد فيه:

---

(١) أبو النضر محمد بن السائب بن بشر الكلبي (ت: ١٤٦هـ)، وقد تقدَّمت ترجمته.

(٢) نصُّ الرواية عند الحاكم، بعد كلام طويل: «... ثمَّ يتمثَّل الله تعالى للخلق حتَّى يمرَّ على المسلمين. قال: فيقول: من تعبدون؟ فيقولون: نعبد الله ولا نشرك به شيئًا، فينتهرهم مرَّتين أو ثلاثًا، فيقول: من تعبدون؟ فيقولون: نعبد الله ولا نشرك به شيئًا، قال: فيقول: هل تعرفون ربَّكم، قال: فيقولون: سبحانه إذا اعترف لنا عرفناه، قال: فعند ذلك يكشف عن ساق، فلا يبقى مؤمن إلَّا خرَّ لله ساجدًا، ويبقى المنافقون ظهورهم طبقًا واحدًا كأنَّما فيها السفافيد...». الحاكم: المستدرك على الصحيحين، ر٨٥١٩، ٥٤٢/٤.

قد قامت الحرب بنا على ساق[١]

وقال ابن أحمر[٢]: هي أشدُّ ساعة في القيامة. وقال الحسن: أي عن ساق الآخرة، وهو الستر الذي بين الدنيا والآخرة. ويقال: كشفت الحرب عن ساق إذا اشتدَّ أمرها. وأنشد أبو عبيدة لقيس بن زهير العبسي[٣]:

إذا شَـمَّرَت لَكَ عَن سـاقِهـا　　　فَـوَيـهًـا[٤] رَبـيـعٌ ولا تـسـأم[٥]

ورواه غيره: «إذا كشـفت /٨٦/ لك» وهو واحد. وكشف اليومُ عن ساقه إذا اشتدَّ. وقال سعد بن مالك جدُّ طَرَفَة[٦]:

(١) لم أجده فيما بين يديَّ من المصادر. والرواية في مسـند الربيع: «... وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ عَنِ الأَمْرِ الشَّدِيدِ: أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ الأَوَّلِ: قَامَتِ الْحَرْبُ عَلَى سَاقٍ، أَيْ: عَلَى شِدَّةٍ؟...». الربيع في بَابٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾، ر٨٧٨، ٣٣٧/٣.

(٢) يوجد عدة أعلام بهذا النسـب: «ابن الأحمـر»، ولم نتمكَّن من تحديـده. انظر: الزركلي: الأعلام، ٢٧٦/١.

(٣) قيس بن زهير بن جذيمة بن رواحة العبسـي (ت: ١٠هـ): فارس شـاعر داهية يضرب به المثل فيقال: «أدهى من قيس»، وهو أمير عبـس. كان يلقَّب بقيس الرأي لجودة رأيه، وله شـعر جيد فحل، زهد في أواخر عمره فرحل إلى عُمان ومـا زال إلى أن مات فيها. وهو صاحب الحروب بين عبس وذبيان، إذ اشـتعلت الحرب سـنين طويلـة حتى ضرب بها المثل: حرب داحس والغبراء. انظر: الزركلي: الأعلام، ٢٠٦/٥. الموسوعة الشعريَّة.

(٤) وَيْهًا: كلمة تقال للتحضيض والإغراء. نقل ابن منظور عن الأزهري: «فإِذا أَسْـكَتَّهُ وكَفَفْتَهُ قلت: إِيهًا عَنَّا، فإِذا أَغْرَيْتَهُ بالشـيء قلت: وَيْهًا يا فلانُ، فإِذا تعجَّبت من طِيب شيء قلت: واهًا». ابن منظور: اللسان، مادَّة: «أيه»، ٤٧٤/١٣.

(٥) البيت من المتقارب، ورد بصيغة:

فَإِن شَـمَّرَت لَـكَ عَن سـاقِها　　　فَوَيهًـا رَبيـعٌ وَلَـم يَسـأَموا

من أبيات مطلعها:

إِن تَـكُ حَـربٌ فَلَـم أَجـنِهـا　　　جَنَتـهـا خِـيـارُهُـمُ أَو هُـمُ

انظر: ديوان قيس بن زهير في الموسوعة الشعريَّة.

(٦) سـعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة البكري الوائلي (ت: ٩٥ ق.هـ): من سـراة بني =

كَشَفَتْ لكم عن سَاقِهَا ... وبدا من الشَّرِّ البراح[١]

وقال آخر:

ليت شعري عن خليلي إذا ... شمَّرت عن ساقها الحرب ضَحَّى[٢]

وقال آخر:

أَخو الْحَربِ إِن عَضَّت بِهِ الْحَربُ عَضَّها ... وَإِن شَمَّرَت عَن ساقِهَا الْحَربُ شَمَّرا[٣]

يريد: عن شدَّتها. وقال عبد الله بن يزيد بن معاوية[٤]:

أتتك الرجال رجال العراق ... تقود إلى الشام قبا عتاقا

ودارت رحاها على قطبها ... جهارًا وشمَّرت الحرب ساقا[٥]

فهذا تأويل الآية لا ما ذهبتم إليه، تعالى الله عن صفة خلقه علوًّا كبيرًا.

= بكر وفرسانها المعدودين، في الجاهليَّة. قال البغدادي: له أشعار جياد في كتاب بني قيس بن ثعلبة. قُتل في حرب البسوس. انظر: الزركلي: الأعلام، ٨٧/٣. الموسوعة الشعريَّة.

(١) ورد بلفظ المؤلف في: تهذيب اللغة، (سوق). وورد البيت بصيغة: «الصُّراحُ». وأمَّا البراح: فهو البيِّن الواضح. يقال: برح الخفاء: زال. وجاء بالكفر براحًا: أي بيِّنًا. ابن منظور: اللسان، مادَّة: «برح»، ٤٠٨/٢ ـ ٤١٢.
وهو من مجزوء الكامل، من قصيدة لسعد بن مالك البكري مطلعها:
يَابُؤْسَ لِلْحَرْبِ الَّتي ... وَضَعَت أَراهِطَ فَاسْتَراحوا
انظر: ديوان سعد البكري في الموسوعة الشعريَّة.

(٢) لم أعثر عليه فيما بين يديَّ من مصادر.

(٣) البيت من الطويل، لحاتم الطائي، من قصيدة مطلعها:
حَنَنتُ إِلى الأَجبالِ أَجبالِ طَيِّئٍ ... وَحَنَّت قَلوصي أَن رَأَت سَوطَ أَحمَرا
انظر: ديوان حاتم في الموسوعة الشعريَّة.

(٤) لم أعثر له على ترجمة مستقلة فيما بين يدي من المصادر. وله أخبار متفرقة في عصر الأمويين، وبخاصة في عهد عبد الملك بن مروان. ينظر مثلًا: الأصفهاني: الأغاني، ٢٠٩/١٩.

(٥) لم أجدهما فيما بين يدي من مصادر.

[تأويل النظر إلى الله تعالى]:

النظر في كتاب الله ﷿ وفي لغة العرب على معان مختلفة، منها:

نظر على جهة الانتظار، ومنها على جهة الاتِّكال، ومنها على جهة الاختيار، ومنها على جهة الحكم، ومنها على جهة التثبيت، ومنها على جهة العائدة والرحمة، ومنها على جهة التوقيف، ومنها على جهة العلم، ومنها نظرة جهرة.

فأمَّا النظر على جهة الانتظار فقولهم: ما أنظُرُ إلَّا إلى الله ثُمَّ إلى فلان، ولعلَّ فلانًا غائب عنه في أرض أخرى، وإنَّما يعني ما يكون من تأويله والآية.

وأمَّا **النظر** على جهة الاتِّكال فقولهم: إنَّما أنظر إلى ما يرزقني الله تعالى ويعطيني، وإلى ما يُجري من ذلك على يدك، أي: فأنا أتَّكل على ذلك.

وأمَّا نظر الاختيار فقولهم: انظر لي، أي: اختر لي.

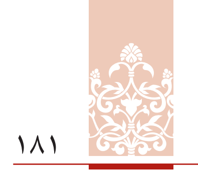
وأمَّا نظر الحكم فقولهم: انظر بيننا، أي: احكم بيننا. وقد يقول القائل: ما أحسن ما نظرتَ بيننا! يعني: ما حكمت بيننا.

وأمَّا نظر التثبيت فهو قولهم: انظر إلى قول فلان، وما صنع فلان، أي: اِعْلَمْ ذلك. ومنه قوله ﷿: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ (الإسراء: ٢١)، و﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ﴾ (الإسراء: ٤٨) ونَحْوَ ذلك يريد. والله أعلم.

وأمَّا نظر الجهرة فهو معاينة الشيء ورؤيته، والإدراك له، والإحاطة به. وذلك عن الله تعالى منفيٌّ.

وأمَّا نظر الله تعالى إلى خلقه فهو على معنيين:

- **أحدهما**: مشاهدته إيَّاهم بأنَّهم لا يَخْفَوْنَ عليه ولا يغيبون عنه، لا على المعنى الذي يتوهَّمونه من أنفسهم.



- **والمعنى الثاني** من النظر: هو بالرأفة والرحمة والصلة والعائدة. /٨٧/ وترك النظر إليهم انتفاء[1] ذلك عنهم. ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (آل عمران: ٧٧) معناه: لم ينظر إليهم برحمته.

ونظر الخلق إلى الله تعالى انتظار فضله ورزقه وعطيَّته وكرامته في الدنيا والآخرة. وليس لأحد من الخلق أن ينظر إليه جهرة، لا في الدنيا ولا في الآخرة، ولأنَّ الأبصار لا تدرك إلَّا الأجسام المحدثة، أو ما يكون في معنى من معانيها، مِنْ قِبَلِ أنَّها محدَثة؛ فلا يُدرَك ولا يُرَى إلَّا ما كان محدودًا، والمحدود لا يكون إلَّا جسمًا أو هيئةً لجسم أو صنعًا، والجسم صنعة مصنوع، وكلُّ مصنوع فله صانع، والصانع لا يشبه المصنوع؛ فمن زعم أنَّه يَرَى الله تعالى جهرة فقد زعم أنَّه محيط بالله؛ لأنَّ الأبصار إذا رأت شيئًا فقد أحاطت بما رأت وعليه وقعت، فلا يعدو أن يكون ما وقعت عليه بعضًا، فقد جزَّأته وبعَّضته، والله يتعالى عن كذلك علوًّا كبيرًا.

[معنى الرؤية]:

وأمَّا الرؤية فمعناها المعرفة، إلَّا ما كان من جهة ما تدرك الأبصار فإنَّ ذلك رؤية جسم، وما سواه فمعناه المعرفة؛ قال الله تعالى عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ (الفرقان: ٤٥) ومثله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ (الفيل: ١) ومثله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ (مريم: ٨٣) ومثله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ (البقرة: ٢٤٣)، ومثله في القرآن كثير، وكلُّ ذلك لم يره النبيُّ ﷺ، ولا كان إذ ذاك، وإنَّما المعنى: ألم تعلم ذلك وتعرفه بالخبر الذي خبَّرتك؟.

---

(١) في النسخ: «انفاذلك»، وصحَّحناها بما يوافق السياق.

واللغة ناطقة شاهدة[١] بذلك؛ يقول القائل: قد أرى ما يجيء منك، وأرى الحقَّ كما أراك، يعني: أعرف الحقَّ كما أراك[٢] بعيني. ألا تســمع إلى قول الله ﷿: ﴿ أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ ﴾ (يسٓ: ٣١)، وهــم إذ ذاك لم يكونوا وإنَّما خُلقوا مــن بعدهم، وقوله تعالى: ﴿قَبْلَهُم﴾ دليل على أنَّهم لم يكونــوا إذ ذلك. ولكــنَّ المعنى: ألم يعرفــوا ذلك بالأخبــار؟. وقوله ﷿: ﴿ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ (آل عمران: ١٤٣)، والموت لا يُرى جهرة، وإنَّما رؤيته بالمعرفة له.

---

(١) في النسخ: «مشاهدة».
(٢) في (ز): «يعرف الحقَّ كما يــراك بعيني». وفي (د): «يعرف الحقَّ كمــا أراك بعيني». وفي كلتيهما خلل.

باب ٤ نفي الرؤية

/٨٨/ قال الله ﷻ: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾ (الأنعام: ١٠٣)، فامتدح بذلك، ومدائح الله تعالى لا تزول في الدنيا ولا في الآخرة، فمن زعم أنَّ الأبصار تدركه فقد زعم أنَّ هذا المدح يزول عنه في الآخرة، ومن زعم ذلك فقد جعل أنَّه منقوص، وهذا كفر بالله؛ لأنَّ كل من كان النقص من صفته فليس بإلٰه، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا. وقد نفى الله ﷻ أن تدركه الأبصار، وأن يُرى الله جهرة، فهو لا يُرى في الدنيا ولا في الآخرة. فإن قال قائل: إنَّه لا يُرى في الدنيا ويُرى[1] في الآخرة كان عليه الدليل.

ولَمَّا كان قوله تعالى: ﴿وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾ على كلتا[2] الدارين كان قوله تعالى: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ على الدارين كلتيهما. وَلَمَّا كان نافيًا أن يشبهه[3] شيء كان نافيًا أن تدركه في كلتا الدارين على الجهرة؛ لأنَّه لا يشبهه شيء في كلتا الدارين.

وفيما عقلنا أنَّ كلَّ مدرَك له شبه ونظير، وكلُّ مدرَك بِبَصَرٍ فَذُو لَوْنٍ، وكل ذي لون[4] فيحتمل التركيب لحلول اللون في ذاته، وكلُّ شيء حلَّ في

(١) في (د): «ولا يُرى». وهو خطأ.
(٢) في النسخ: «كلي». في هذا الموضع، وفي الموضعين الآتيين من هذه الفقرة.
(٣) في (د): «لا يشبهه».
(٤) في (د): «لونين».

شيء فمصنوعٌ؛ لأنَّه احتمل حلول الشيء فيه، وما قَبِلَ لونًا من الألوان ـ إن احتمــل ـ قَبِلَ الألــوانَ كلَّها، وما كان فيــه معنى واحد منهــا كان محتملًا للتغيير، لاحتماله القبولَ لِمَا ليس فيه.

ولا يجوز في حجَّة العقل أن يُرى الله تعالى جهرة بالأبصار، من قِبَلِ أنَّه لا يخلو الناظر إليه من أن يكون يراه في مكان أو يراه في كلِّ مكان:

- فإن كان يراه في مكان دون مكان، فمــا فضل الخالق على المخلوق إن[1] كان المخلــوق في مــكان دون مكان والخالــق كذلك؟ وهذه الصفــة محــدودة، وكلُّ محدود فمعــدود، وما جرى عليــه[2] العدد فمنقوص.
- وإن كان يراه في كلِّ مــكان فالمخلوق إذًا أعظم من الخالق إذا كان ـ وهو في مكان ـ ينال ببصره من كان في كلِّ مكان.

وأيضًا: فلا يعدو مــن أن يكون يراه حتَّى لا يخفى عليه منه شــيء، أو يخفى عليه منه شيء:

- فــإن كان لا يخفى عليــه من خالقه شــيء إلَّا ويراه فقــد أحاط به، والمحاط به صغير، والمحيط به أكبر.
- وإن كان يخفى عليه منه شــيء فالذي خفي عنه غير الذي /٨٩/ لم يَخْفَ، وهذه صفة المحــدودِ والمتغايرِ المختلفِ الــذي بعضُهُ غَيرُ بعض، تعالى الله عن هذه الصفات علوًّا كبيرًا.

---

(١) في (د): «إذ».

(٢) هنا يبدأ خرم في النســخة (د)، مقــداره ورقة واحدة، وهي الصفحــات: ٢١١ ـ ٢١٤ من المخطوط، مع وجود خلل في ترقيم الصفحات فيما يبدو.



[أخبار تعلّق بها مثبتو رؤية الله تعالى]

وإنَّما تعلقت المشـبِّهة بأخبار غير صحيحة، وتأويلات فاسدة. رووا عن جرير بن عبد الله[١] أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**إنَّكم ستـرون ربَّكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر، لا تضامُّون في رؤيته**»[٢]. ولم يكن النبيُّ ﷺ ليخبر جريرًا بذلك من بين الخلق؛ لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ (المائدة: ٦٧) والنبيُّ ﷺ لم يكن ليتكلَّم إلَّا بوحيٍ إليه من ربِّه، ولم يؤمر أن يخصَّ بالوحي أحدًا دون أحد، بل هم في ذلك شركاء، فإن كان النبيُّ ﷺ قال لأصحابه كلِّهم ذلك إلَّا جريرًا، أو قال لجرير دون أصحابه فقد وصفوه بترك البلاغ عن الله عَزَّ وَجَلَّ إلى الناس كافَّة، ومَن وَصَفَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بهذا فقد كفر. وكيف ينبغي لجرير أن يسمع هذا الخبر من النبيِّ ﷺ وهو كان من آخر الصحابة إسلامًا؟![٣].

فصل: [تأويل خبر: «إنَّكم سترون ربَّكم»]

وتأويل هذا الخبر عندنا ـ إن صحَّ ـ «**إنَّكم ترون ربَّكم كما ترون هذا القمر**»، يقول: تعرفون ربَّكم اضطرارًا، معرفة لا شكَّ فيها ولا دفاع يدعو إلى إخلافها، كما أنَّ معرفتكم بالقمر اضطرارًا لا شكَّ فيها؛ لأنَّ معرفة الله عَزَّ وَجَلَّ

---

(١) هو: أبو عمرو جرير بن عبد الله البجلي: أحد الصحابة، أقام بالكوفة، وتوفي بقديد سنة ٥١هـ وقيل: سنة ٥٤هـ. انظر: البخاري: التاريخ الكبير، ٢١١/٢. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٥٣٠/٢ ـ ٥٣٧.

(٢) ورد بألفاظ متقاربة عند المحدِّثين. منها: البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر، ر٥٢٩، ٢٠٣/١. مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الفجر والعصر والمحافظة عليهما، ر٦٣٣، ٤٣٩/١.

(٣) أسلم في السنة العاشرة، أي: في العام الذي توفِّي فيه النبيُّ ﷺ. انظر: البخاري: التاريخ الكبير، ٢١١/٢. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٥٣٢/٢.

في الدنيا باكتســـاب يقع فيها الاختلاف، وفي الآخرة يقع الاضطرار، ويزول الشكُّ. وهذا التأويل أصحُّ في اللغة، وأليق بصفات الله ﷿؛ لأنَّ الرؤية في اللغة على وجهين:

- رؤية هي إدراك البصر، وقد نفى الله تعالى عن نفسه درك الأبصار.
- ورؤية أخرى، وهي معرفــة القلب، وقد تقدَّم ذكرهــا، ومنها[١] قوله تعالــى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن نُّطْفَةٍ﴾ (يسٓ: ٧٧) أي: ألم يعلم ذلك؟ لأنَّ الإنسان لم ير نفسه حين خُلق من نطفة.

[أدلَّة نفي رؤية الله تعالى]

وقد جاءت أخبار تؤيد ما تأوَّلناه، وتردُّ قول من خالفنا. منها:

- ما روى أبو الزبير[٢] عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ أحدًا لن[٣] يرى ربَّه في الدنيا ولا في الآخرة**»[٤].
- وروي أنَّ أبا ذرٍّ قال: قيل: يا رســول الله، هل رأيت ربَّك؟ قال: «**نور أنَّى أراه؟!**»[٥]. فنفى أن يكون نورًا مرئيًّا. وقوله: «**أنَّى**» على وجه النفي، لقوله تعالى: /٩٠/ ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ (الأنعام: ١٠١).

---

(١) هنا ينتهي خرم النسخة (د).

(٢) أبو الزبير محمد بن مسـلم بن تدرس القرشــي الأســدي المكــي (ت: ١٢٨هـ): مولى حكيم بن حــزام. الإمام الحافظ الصــدوق. روى عن جابر بن عبــد الله وابن عباس وابن عمر... كان أحفظ لحديــث جابر بن عبد الله. اختلف في توثيقــه وتضعيفه. انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ترجمة ر١٧٤، ٣٨٠/٥ ـ ٣٨٦.

(٣) كتب الناسخ فوقها: «خ: لا».

(٤) لم أعثر عليه فيما بين يدي من مصادر.

(٥) رواه مسلم، والترمذيُّ وحسَّنه. مسلم في كتاب الإيمان، باب في قوله: «نور أنَّى أراه»، ر١٧٨، ١٦١/١. الترمذي: السنن، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة والنجم، رقم، ٣٩٦/٥.



- وعن عليّ بن أبي طالب في قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ (الأنعام: ١٠٣) قال: لَا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ في الدنيا ولا في الآخرة.

- وعن عائشة أنَّها سئلت: هل رأى محمَّد ربَّه؟ فقالت: سبحان الله! لقد قفَّ شعري لِمَا قلتم! من حدَّثكم أنَّ محمَّدًا رأى ربَّه ﷻ فقد كذب، ثُمَّ قرأت إنَّ الله تعالى يقول: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾، ومن حدَّثكم أنَّه كان يعلم ما في غد فقد كذب، ثُمَّ قرأت: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ...﴾ الآية[1]، ومن حدَّثكم أنَّ محمَّدًا كتم شيئًا من الوحي فقد كذب؛ لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ...﴾[2] الآية[3].

- وقد روي عن النبيِّ ﷺ أنَّه سئل: هل رأيت ربَّك؟ فقال: «لن تراه الأبصار بالمشاهدة في الدنيا والآخرة، ولكن رأته[4] القلوب بحقائق الإيمان»[5].

---

(١) لقمان: ٣٤. وتمام الآية: ﴿وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾.

(٢) المائدة: ٦٧. وتمامها: ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

(٣) رواه البخاري في كتاب تفسير القرآن، باب وقال مجاهد: ذو مرَّة، ر٤٥٧٤، ٤/١٨٤٠. مسلم في كتاب الإيمان، باب معنى قوله الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ (النجم: ١٣)، ر١٧٧، ١/١٦٠.

(٤) في (د): «رؤية».

(٥) لم أعثر عليه فيما بين يدي من مصادر الحديث. وقد أورد خميس الشقصي الرواية أيضًا مرفوعة إلى النبيِّ ﷺ في منهج الطالبين، ١/٣١٢، ٣١٤.
ولكن جاء في تفسير حقِّي أنَّ بعضًا منها من كلام الإمام عليٍّ كرَّم الله وجهه، وفيها ما يأتي: «روي أنَّ عليًّا ﷺ صعد المنبر يومًا وقال: سلوني عمَّا دون العرش... وكان في المجلس رجل =

- وللقلب رؤية كما للعين رؤية، وقد جاء ذلك في أشعارهم، قال امرؤ القيس:

تَنَوَّرتُها مِـن أَذرُعـاتٍ وَأَهلُها   بِيَثْرِبَ أَدْنَى دارَهـا نَظَرٌ عالِ[١]

تَنَوَّرتُها: نظرت إلى نارها، وأنا بأذرعات: يعني: الشـام، وأهلها بيثرب: يعني: المدينة. وأنشد أبو عبيدة:

أليسَ بصيرًا من يَرَى وهو قاعدٌ   بمكَّة أهـلَ الشَّـامِ يَخْتَبِزُونا[٢]

وإنَّما يراهم بقلبه.

- وقال الله ﷻ لنبيِّه ﷺ: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَـٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾ (النساء: ١٥٣) فعلمنا أنَّه تعالى ليس مِمَّن يجوز أن يُرى جهرة، ولا تدركه الأبصار.

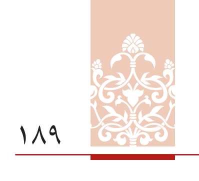
= يماني فقال: ... هل رأيت ربَّك يا علي؟ قال: ما كنت أعبد ربًّا لم أره، فقال: كيف رأيت؟ قال: لم تره العيون بمشاهدة العيان، ولكن رأته القلوب بحقيقة الإيمان. ربِّي أحد واحد لا شريك له، أحد لا ثاني لـه، فرد لا مثل له، لا يحويه مكان، ولا يداولـه زمان، ولا يدرك بالحواس، ولا يقاس بالقياس». تفسير حقِّي، تفسـير قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَـٰهُمَا﴾ (الأنبياء: ٣٠)، ٢٦٠/٨؛ وتفسـير قوله تعالى: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (الذاريات: ٢١)، ١٨٨/١٤. (ش). وينظر: الإنصاف للباقلاني، ص٣٧.

(١) البيت من الطويل، من لامية امرئ القيس الشهيرة، والتي مطلعها:

أَلا عِـم صَباحًا أَيُّهـا الطَلَـلُ البالي   وَهَل يَعِمن مَن كانَ في العُصُرِ الخالي

انظر: ديوان امرئ القيس في الموسوعة الشعريَّة.

(٢) تناقله الأدباء ولم ينسبوه. منهم المرزوقي في شرح ديوان الحماسة نقله عن الأصمعي ولم ينسبه. انظر: المرزوقي: شـرح ديوان الحماسة، ٩٣/١. عبد القادر البغدادي: خزانة الأدب، ٢١/١. ابن قتيبة: المعاني الكبير، ص١٠٤. النشابي الإربلي: المذاكرة في ألقاب الشعراء، ص٢٨. (المكتبة الشاملة).



- وقال ﷻ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ لَقَدِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ (الفرقان: ٢١)؛ لأنَّهم سألوا ما لا يجوز على الله سبحانه وتعالى.
- وأجمعت الأمَّة على أنَّ[1] الدعاء والتعظيم لله بقولهم: «من يَرى ولا يُرى»، ولا يجوز أن يكون معظَّما في وقت، ويُعطَّل[2] تعظيمه في وقت.

مسألة: [معنى قوله ﷻ: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾]

فإن قال قائل: فإذا نفيتم الرؤية عن الله تعالى فما معنى قوله ﷻ: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾ (القيامة: ٢٢ ـ ٢٣)؟ قيل له: قد قال في ذلك أهل العلم والتفسير، ومنهم ابن عبَّاس /٩١/ وأبو صالح[3] والضحَّاك والحسن ومجاهد، قالوا: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ﴾: حسنة، [﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾] إلى ثواب ربها ناظرة. وعن عليٍّ بن أبي طالب وابن مسعود وسعيد بن جبير: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ﴾ أي: مشرقة ناعمة، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾ يعني: منتظرة لِمَا يأتيها من خيره وإحسانه.

وما قالوه معروف في القرآن واللغة، قال الله ﷻ: ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ (صٓ: ١٥)، و﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ﴾ (الزخرف: ٦٦) أي: ينتظرون.

---

(١) في (د): ـ «أنَّ».

(٢) في (ز) وفي هامش (د): «وبطل».

(٣) لعلَّه: أبو صالح باذام (باذان) الهاشمي الكوفي: محدث مفسر يروي عن مولاته أم هانئ بنت أبي طالب وأخيها علي وأبي هريرة وابن عباس. حدث عنه أبو قلابة والأعمش والسدي وابن السائب الكلبي ومحمد بن سوقة وسفيان الثوري وعمار بن محمد وهو آخر من روى عنه. انظر: سير أعلام النبلاء، ر١١، ٣٧/٥.

فقوله تعالى: ﴿نَّاضِرَةٌ﴾ الأولى من النضارة والْحُسْن، وهي بالضاد. و﴿نَاظِرَةٌ﴾ الثانية من الانتظار، وهي بالظاء. يقال منه: نضر وجهه ينضر نضرًا ونضورًا ونضارة، ونضَّره الله. وأنشد الفرَّاء:

نَضَّرَ اللهُ أَعظُمًا دَفَنوها بِسِجِستانَ طَلحَةِ الطَلَحاتِ[(١)]

ومن الانتظار قول الشاعر:

فإنْ يَكُ صدْرُ هذا اليومِ وَلَّى فإنَّ غدًا لناظِره قريبُ[(٢)]

يريد: لِمُنتَظِرِهِ. وقال آخر:

كل الخلائق ينظرون سجاله نظر الحجيج إلى طلوع هلال[(٣)]

وإنما ينتظرون سجاله. وقال الآخر:

وَكُنَّا ناظِريكَ بِكُلِّ فَجٍّ كَمن لِلغَيْثِ يَنتَظِرُ الغَمامَا[(٤)]

ويُروَى: «[كَمَا] لِلغَيْثِ يُنتَظَرُ الغَمامُ». وقال آخر:

---

(١) البيت من الخفيف. وهو مطلع قصيدة لعبيد الله بن الرُّقيَّات (ت: ٨٥هـ). انظر: ديوانه في الموسوعة الشعريَّة.

(٢) البيت من الوافر، ينسب إلى شاعرين جاهليين هما: قُراد بن أجدع الكلبي (ت:؟) وهدبة بن الخشرم (ت: ٥٠ ق.هـ)، من قصيدة لهذا الأخير مطلعها:

طَرِبتَ وأَنتَ أَحيانًا طَروبُ وَكيفَ وَقد تعَلَّاكَ الْمَشيبُ

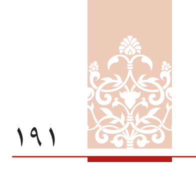
انظر: ديوانهما في الموسوعة الشعريَّة.

(٣) لم أجده في المصادر رغم شهرته في كتب العقيدة، منها المواقف للإيجي (١٦٦/٣)، ولم ينسبه.

(٤) البيت من الوافر. وهو لأشجع بن عمرو السلمي (ت: ١٩٥هـ)، من أبيات مطلعها:

عَلى قَبرٍ بِجُرجانَ السَّلامُ وَإن بَعُدَ المَلامُ فَلا مَلامُ

ورد بالرواية الثانية: «كَمَا لِلغَيْثِ يُنتَظَرُ الغَمامُ». انظر: ديوانه في الموسوعة الشعريَّة.



لَسـنا كَمَن جَعَلَت إِيـادٌ دارَها تَكريتَ تَنظُرُ حَبَّها أَن يُحصَدَا[(١)]

يعني: تنتظره.

وقال امرؤ القيس:

فَإِنَّكُما إِن تَنْظُـرانِـيَ سـاعَـةً مِنَ الدَهرِ تَنفَعني لَدى أُمِّ جُندَبِ[(٢)]

أي: تنتظراني.

وقال الله ﷻ: ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ (الحديد: ١٣) فمعناه: انتظرونا.

ويقال: نَظَرتُ الرجلَ أَنْظُرُهُ، إذا انتظرته.

قال الأعشى:

فَخَرَت وانتَمَـت فَقُلتُ انْظُرِيني لَيـس جَهـلٌ أَتَيتُـهُ بِبَديـعِ[(٣)]

(١) البيت من الكامل. ينسب إلى المتلمس الضبعي جرير بن عبد العزى (ت: ٤٣ ق.هـ)، بصيغة: «كَمَن حَلَّت». ينظر ديوانه في: الموسوعة الشعريَّة. وورد بصيغة:

لَسـنا كَمَن جَعَلَت إِيـادٌ دارَها تَكريتَ تَمنَعُ حَبَّهـا أَن يُحصَدا

من قصيدة مطلعها:

أَثـوى وَقَصَّـرَ لَيلَـةً لِيُـزَوَّدا وَمضى وَأَخلَفَ مِن قُتَيلَةَ مَوعِدا

ينظر: ديوان الأعشى في الموسوعة الشعريَّة.

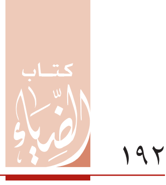
(٢) البيت من الطويل، من قصيدة مطلعها:

خَليلَيَّ مُرّا بي عَلـى أُمِّ جُندَبِ نُقَضِّ لُبانـاتِ الفُـؤادِ الْمُعَذَّبِ

انظر: ديوان امرئ القيس في الموسوعة الشعريَّة.

(٣) أتى ببديع وببدْعٍ؛ أي: أتى بشيء لم يُسبق إليه.

البيت من الخفيف. ينسب إلى الأحوص عبد الله بن محمَّد الأنصاري (ت: ١٠٥هـ). وقد ورد أيضًا بصيغة: «فَقُلتُ ذَريني». انظر: ابن منظور: اللسان، مادَّة: «بدع»، ٦/٨. والموسوعة الشعريَّة.



قال الحطيئة[١]:

وَقَد نَظَرتُكُمُ أَعشاءَ[٢] خامسة[٣] للورد طالَ بِها حَبسي وَتَنساسي[٤]

التَّنْساس سَوْقٌ شديد.

قال عمرو بن كلثوم:

أَبا هِندٍ فَلا تَعجَلْ عَلَينا وَأَنظِرنا نُخَبِّركَ اليَقينا[٥]

أي: انتظرنا.

تقول العرب: أنظرنا بمعنى انتظرنا. وقد قُرئ: ﴿ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ﴾ و«انتَظِرُونَا» جميعًا. فقد دلَّ الكتاب واللغة والسُّنَّة وحجَّة العقل على صحَّة ما ذهبنا إليه من تأويل الآية وبطلان مذهب مخالفينا، وبالله التوفيق.

---

(١) الْحُطَيئَة هو: أبو ملكية جرول بن أوس بن مالك العبسي (ت: ٤٥هـ). شاعر مخضرم أدرك الجاهليَّة والإسلام. كان هجَّاءً عنيفًا، لم يكد يسلم من لسانه أحد، وهجا أمَّه وأباه ونفسه. وأكثر من هجاء الزبرقان بن بدر، فشكاه إلى عمر بن الخطاب، فسجنه عمر بالمدينة، فاستعطفه بأبيات، فأخرجه ونهاه عن هجاء الناس. انظر: الزركلي: الأعلام، ١١٨/٢. الموسوعة الشعريَّة.

(٢) قال «الأزهري: العِشْيُ ما يُتَعَشَّى به، وجَمْعه أَعْشاء». ابن منظور: اللسان، مادَّة: «عشا»، ٦٢/١٥.

(٣) قال ابن منظور: «الخِمْسُ، بالكسر، من أَظماء الإبل، أَن ترعى ثلاثة أيَّام وتَرِدَ اليوم الرابع، والإبل خامسَة وخَوامِسُ». ابن منظور: اللسان، مادَّة: «خمس»، ٦٩/٦.

(٤) والبيت من البسيط، من قصيدة مطلعها:

وَاللهِ ما مَعشَرٌ لاموا امرَأً جُنُبًا في آلِ لأْيِ بن شَمَّاسٍ بِأَكياسِ

ينظر ديوانه في: الموسوعة الشعريَّة. وأورده ابن منظور أيضًا بلفظ:

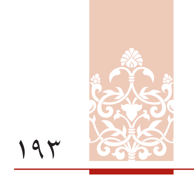
وقَدْ نَظَرْتُكُمْ إِيناءَ صادِرَةٍ لِلْخِمْسِ طال بها حَوْزي وتَنْساسي

وقال: «الْحَوْز: السَّوق قليلًا قليلًا. والتَّنْساس: السوق الشديد». لسان العرب، مادَّة: «نسس»، ٢٣٠/٦.

(٥) البيت من الوافر، من قصيدة مطلعها:

أَلا هُبّي بِصَحنِكِ فَاصبَحينا وَلا تُبقي خُمورَ الأَندَرينا

انظر: ديوان عمرو بن كلثوم في الموسوعة الشعريَّة.



فصل: [رواية بروز الله ﷻ على كثيب من كافور]

وأمَّا ما رووا من حديثهم «أنَّ الله ﷻ /٩٢/ يبرز لخلقه يوم القيامة على كثيب من كافور»[٧] فليس يخفى على أهل العقل أنَّ الكثيب محدود، ولا يبرز على المحدود إلَّا محدود، والله جلَّ ثناؤه ليس بمحدود. والذي يبرز لا يبرز إلَّا من اكتنان واجتنان، ومن كان كذلك كان جسمًا محدودًا أو شبحًا مشهودًا[٨]، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

فإن كان حديثهم حقًّا فإنَّه يُبرز لهم كرامته وخيره، كنحو ما فسَّرنا من الآيات المتشابهات والأحاديث المنقولات.

[نقد «حديث الزيارة»]

وقد رووا في حديثهم الذي يسمُّونه «حديث الزيارة» «أنَّهم يزورون ربَّهم تعالى الله، فيركب إليه قوم على النجائب، وقوم في السفن، وقوم على الخيل، ثمَّ يقول لهم ـ بزعمهم ـ: ما تشاءون؟ فيقولون: قد سمعنا كلامك فأرنا وجهك، قالوا: فيرفع لهم الحجب ويتجلَّى لهم فيرونه»[٩]. وهذا كفر

(٧) رواه عبد الله بن أحمد بن حنبل في السُّنَّة، والطبراني في الكبير عن عبد الله بن مسعود موقوفًا أنَّه قال (واللفظ للطبراني): «سارعوا إلى الجمع، فإنَّ الله ﷻ يبرز إلى أهل الجنَّة في كلِّ جمعة في كثيب من كافور، فيكونوا على قدر تسارعهم إلى الجمعة...». عبد الله بن أحمد بن حنبل في السُّنَّة، ر٤٧٥، ٢٥٩/١. الطبراني: المعجم الكبير، ر٩١٦٩، ٢٣٨/٩.

(٨) في (د): «محدودًا».

(٩) أورد المنذري رواية معضلة مرفوعة طويلة عن أهل الجنَّة جاء فيها: «فبينا هم يومًا في ظلِّها يتحدَّثون إذ جاءتهم الملائكة يقودون نجبًا ... فأناخوا لهم تلك النجائب، ثمَّ قالوا لهم: إنَّ ربَّكم يقرئكم السلام ويستزيركم لتنظروا إليه وينظر إليكم، وتكلِّمونه ويكلِّمكم، وتحيُّونه ويحيِّيكم ... فلمَّا دفعوا إلى الجبَّار ﷻ أسفر لهم عن وجهه الكريم، وتجلَّى لهم في عظمته العظيمة...». وعقَّب المنذري قائلًا: «رواه ابن أبي الدنيا وأبو نعيم هكذا معضلًا ورفعه منكر». المنذري: الترغيب والترهيب، ر٥٧٤١، ٣٠٦/٤.

بالله العظيم؛ لأنَّهم يصفونه بالحدود والاستتار والغيبوبة في مكان دون مكان، والله جلَّ وعزَّ غير محدود، وهو معهم أينما كانوا، وليس بغائب عنهم؛ فإن كان كذلك فمن أين يرونه تبارك وتعالى؟!.

والحديث إن كان له أصل فتفسيره عندنا أنَّه مُحْدِثٌ لهم في تلك المواضع كرامة سوى الكرامة التي يُكرمون بها في سائر الأوقات، وهذا معناه عندنا، كقول القائل: زرنا الله إلى بيته، يعنون مكَّة، فأكرم وغفر لمن آمن واتَّقى. فإن كان الحديث حقًّا فهذا معناه، وإلَّا فباطل.

مسألة: [هل يُرى اللّه في مكان دون مكان أم في كلِّ مكان]

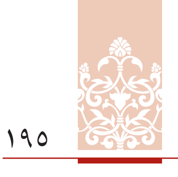
يقال لهم: أتقولون: إنَّ الله تعالى يُرى بالأبصار؟ فإن قالوا: نعم، يقال لهم: أفترونه في مكان دون مكان[١] أم في كلِّ مكان؟ فإن قالوا: نراه بكلِّ مكان، قيل لهم: فيجوز أن يَروا كلَّ مكان في وقت واحد كما يرون من هو بكلِّ مكان في وقت؟ فإن قالوا: لا يجوز أن يروا كلَّ مكان في وقت واحد، قيل لهم: وكذلك لا يجوز أن يروا من هو بكلِّ مكان في وقت واحد. فلا يجدون إلى الفصل بين ذلك سبيلًا.

مسألة: [كيف يُرى اللّه مع قُربه منَّا، وهل بحركة أم بسكون؟]

ويقال لهم: أليس الله عَجَّلَ أقرب إلى الإنسان من نفسه إلى نفسه، ومن نظره إلى عينيه، فهل يجوز لعين أن تنظر إلى نفسها؟ فكيف إلى من هو أقرب إليها من نظره؟!.

---

(١) في (د): «الأماكن».



ويقال لهم: أوجدونا عن شيء يقع أعينكم[١]، على حركة أو سكون، فإن قالوا: بالحركة أو بالسكون، /٩٣/ فقد وصفوه بما خَلَقَ، وأجروا عليه ما جرى على خلقه من الفناء والزوال، عزَّ الله وجلَّ عن ذلك. وإن قالوا: حالَةٌ بينهما، فقل لهم: فأوجدوا لي[٢] ما لا حركة ولا سكون. وفيه انقطاعهم.

فصل: [محاسبة اللّه تعالى لخلقه لا تعني رؤيتهم إيَّاه]

زعمت المشبِّهة أنَّا إذا قلنا: إنَّ الله تعالى لا يُرى، فقد قلنا: إنَّه لا يحاسِب الخلق، وهم يزعمون أنَّ الله تعالى قد كلَّم موسى عليه السلام في الدنيا ولم يره. قلنا: فما أنكرتم أن يحاسبهم ويسائلهم وهم لا يرونه كما كلَّم موسى عليه السلام ولم يره؟.

فصل: [حجَّة الأشعري في ردِّ تأويل النظر بالانتظار]

الأشعريُّ ـ وهو عليُّ بن إسماعيل[٣] ـ يقول بالرؤية، ويحتجُّ عليها بالآية ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ (القيامة: ٢٣)، ويحتجُّ على من عارضه بأنَّ معنى ﴿ نَاظِرَةٌ ﴾: منتظرة، بأنَّ نظر الانتظار لا يجوز أن يكون منوطًا بقول القائل: «إلى»، في كتاب الله تعالى، ولا في كلام الفصحاء، ولا في شعر الشعراء؛ قال الله: ﴿ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً ﴾ (يسٓ: ٤٩) يعني: ما ينتظرون، ولم يقل: إلَّا إلى صيحة واحدة. وقال تعالى مخبرًا عن بلقيس: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ (النمل: ٣٥) يعني: منتظرة، ولم يقل: فَنَاظِرَةٌ إِلَى بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ، يعني: منتظرة.

---

(١) كذا في النسختين، ولعلَّ صوابها: «حدِّثونا على أيِّ شيء تقع أعينكم».
(٢) في (د): «فأوجدوني».
(٣) تقدَّمت ترجمته.

قال: وكذلك يقول نفطويه[١]: إنَّ النظــر إذا كان مذكورًا[٢] مع الوجه لم يكن معنــاه إلَّا الرؤية بالعين، ألا ترى أنَّ الله ﷻ ذكــر تقلُّب الوجه، فقال: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ (البقــرة: ١٤٤)، وإنَّمــا أراد تقلُّــب العين. وكذلك إذا ذكــر النظر مع ذكر الوجه وإنَّما يراد بــه العينان[٣]. ولم أذكر أنا قوله هذا اتِّباعًا ولا تصويبًا له، وإنَّما ذكرته كما ذكرت قول غيره من مخالفينا ليُعلم إن شاء الله.

مسألة: [كيفية كلام الله تعالى لموسى عليه السلام]

اختلف الناس في كلام الله ﷻ لموســى ﷺ؛ فقال قوم: إنَّه أسمعه نفسَه متكلِّمًا. وقال آخرون: أســمعه صوتًا أَفهَمَهُ به الكلام. وقــال قوم: إنَّه كلَّمه بالوحي، وقد قال الله ﷻ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾ (النساء: ١٦٤) وذلك حقٌّ من الله، وقد كلَّمه كما قال، كما شاء، على ما شاء من ذلك.

ومن حجَّــة من قال: إنَّ كلامه له بالوحي قولــه تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا﴾ (الشــورى: ٥١) وهــذا خبــر غير منســوخ؛ لأنَّ الأخبار لا تُنسخ، فيجوز أن يكون كلَّمه بالوحي منه إليه. وقد سمَّى الله التوراة كلامه فقــال تعالــى: ﴿وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ...﴾ الآية[٤]، وقد ســمَّى القرآنَ كلامَه /٩٤/ بقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥ﴾ (التوبة: ٦)، وقد كان الوحي إلى النبــيِّ ﷺ، والاتِّفاق أنَّ القرآن

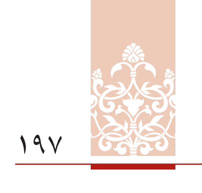
---

(١) أبــو عبد الله، إبراهيم بن محمَّد بــن عرفة الأزدي العتكــي (ت: ٣٢٣هـ): إمام في النحو، فقيه، رأس في مذهب داود، ثقة في الحديث، وُلد بواسط ومات ببغداد. ينسب إليه كتاب «التاريخ» و«غريب القرآن»، و«الوزراء»، و«أمثال القرآن». انظر: الزركلي: الأعلام، ٦١/١.

(٢) في النسخ: «إلى النظر إذا كان منكورًا». وصحَّحناه بما يلائم المعنى.

(٣) انظر: الأشعري: الإبانة، ص٣٧ ـ ٣٩.

(٤) البقرة: ٧٥. وتمامها: ﴿... ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾.



وحي، وقد سمَّاه كلامَهُ، فقال لنبيِّه ﷺ: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ...﴾ (النساء: ١٦٣) [إلى] تمام القصَّة، فذلك بالوحي[1] كما قال تعالى. وهذا عن أبي الحسن[2] رَحِمَهُ اللَّهُ.

غيره قال: إنَّ الله تعالى أوصل إلى موسى عليه السلام كلامًا لم يكن بين موسى وبينه تعالى منه رسول، وليس هكذا كلامه للأنبياء، إنَّما كلَّمهم بجبريلَ والملائكةِ عليهم السلام. ألا تسمعه يقول: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ (النمل: ٩) ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ (طه: ١٤)، المكلِّم لك، وقال: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ (القصص: ٣٠). وأمَّا قوله تعالى: ﴿نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا﴾ (النمل: ٨) فقد يحتمل أن يكون يعني موسى، ولم يكن نارًا ـ في قول ابن عبَّاس ـ إنَّما كان نورًا، ولكنَّه تشبيهًا إلى ما ظنَّها موسى.

وأمَّا التكليم فمصدر كلَّم، تقول: كلَّمه تكليمًا.

مسألة: [في قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ﴾]

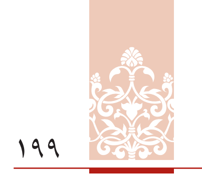
إن سأل سائل عن قول الله عز وجل حكاية عن موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ...﴾ الآية (الأعراف: ١٤٣)؟ قيل له: قد قيل: إنَّ بعض قوم موسى عليه السلام قالوا: ﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ﴾ (البقرة: ٥٥)، كما أخبر الله تعالى عنهم في كتابه، فلمَّا سألوه ذلك وعظهم وأخبرهم بغلطهم في ذلك وفي سؤالهم ما لا يجوز على الله تعالى، فأبوا أن يقبلوا ذلك منه وقالوا: ﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ﴾، فأراد موسى عليه السلام أن يأتيهم من قِبَلِ الله تعالى جوابٌ يبيِّن

(١) في (د): «الوحي».
(٢) انظر: البسيوي: الجامع، ص مخ ٦٢.

لهم به بطلانَ ما سألوا ويكون زجرًا لهم عن ذلك، وكانوا سألوه أيضًا أن يكلِّمه الله تعالى بحضرتهم حتَّى يسمعوا كلامه له، فقال لهم: اختاروا منكم سبعين رجلًا، فاختاروا واختارهم موسى، وسار بهم إلى الميقات، فلمَّا كلَّمه الله تعالى بحضرتهم قالوا: سل الله الرؤية لنبيِّن لقومك أنَّها لا تجوز عليه ولنزجرهم عن طلبتها، فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ﴾، ومراده في ذلك أن يأتيه الله تعالى بجواب عن هذا الكلام يكون زجرًا لبني إسرائيل عن الإقامة على هذا السؤال، وبيانًا لهم من قبل الله ﷻ أنَّ ذلك لا يجوز على الله، فقال الله ﷻ: ﴿لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِي﴾ (الأعراف: ١٤٣)، ثُمَّ جعل الجبل دكًّا وهم ينظرون إليه، وأتاهم عند ذلك /٩٥/ بالرجفة وبالصاعقة، فصعق موسى ﷺ، وصعق السبعون الذين اختارهم الله، وأدركت الصاعقةُ الذين سألوا موسى أن يريهم الله جهرة بظلمهم فماتوا، ثُمَّ بعثهم الله من بعد موتهم، كما قال الله ﷻ: ﴿ثُمَّ بَعَثۡنَٰكُم مِّنۢ بَعۡدِ مَوۡتِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ (البقرة: ٥٦). وهذه المرَّة الثانية التي كلَّم الله تعالى فيها موسى؛ لأنَّه كلَّمه في وقت ما بَعَثَهُ من الشجرة، وكلَّمه في هذا الوقت بحضرة هؤلاء السبعين عند الجبل، وهو الميقات، وفيه حدوث الرجفة والصاعقة اللتين وصفهما الله، وجوابه لموسى بأنَّك لن تراني زجرًا لقومه عن الإقامة على هذا السؤال، وعن تركهم القبول من موسى، وعن إجازتهم على الله من الرؤية ما لا يجوز عليه.

مسألة: [ممَّ تاب موسى عليه السلام إن كان السؤال لإقناع قومه؟]

فإن قال: فمماذا تاب موسى عليه السلام إن كان إنَّما سأل عمَّا وصفتم؟ قيل له: إنَّما تاب لأنَّ الله ﷻ لم يكن أذن له في هذا السؤال، فلمَّا تقدَّم في السؤال من غير أن يؤذن له تاب إلى الله ﷻ.



وصعق امتحانًا لا عقابًا؛ لأنَّ ذنبه كان صغيرًا مغفورًا، وكذلك الذين نالتهم الصاعقة من السبعين إنَّما نالتهم امتحانًا لا عقابًا، ويدلُّ على ذلك قول الله عَزَّوَجَلَّ مخبرًا عن موسى ﷺ: ﴿ فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ قَالَ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّٰيَۖ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ﴾ (الأعراف: ١٥٥)، ومعناه: الإنكار أن يفعل الله ذلك، وإن كان مخرجه الاستفهام، كقول القائل: هل عندي مال؟ إذا كان يعني أنَّه لا مال عندي. وكقول الله جلَّ ثناؤه لعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ (المائدة: ١١٦)، أخرج ذلك مخرج الاستفهام، ومعناه: التكذيب لمن نحل ذلك عيسى، وأراد: إنَّك لم تقل، فكذِّبهم. فبيَّن أنَّ السفهاء هم الذين نالتهم الصاعقة بظلمهم، ثُمَّ أحياهم الله تعالى.

ثُمَّ اتَّخذوا بعد ذلك العجل لَمَّا أبطأ عنهم موسى ﷺ، وأقام أربعين يومًا بعد رجوع السبعين إليهم، وقد دلَّ على ذلك قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلۡمِهِمۡۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ ﴾ (النساء: ١٥٣) فبيَّن أنَّ الصاعقة /٩٦/ إنَّما أخذتهم لقولهم: ﴿ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ ﴾ (النساء: ١٥٣) لا لاتِّخاذهم العجل.

ويدلُّ قول موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ﴾ أنَّ موسى والسبعين لم يسألوا الله تعالى الرؤية، وإنَّما سأل ذلك السفهاءُ من قومه؛ لأنَّه لو كان سأل هو ذلك ما قال: ﴿ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ﴾، فبيَّن أنَّه سأل ليبيِّن الله تعالى لقومه أنَّ هذا لا يجوز على الله، وليزجر عن مثل هذا السؤال بمثل ما زجرهم به وأحلَّه بهم من الرجفة والصاعقة التي حلَّت بهم.

باب ٥ في قول «لا إلٰه إلّا اللّه»

ثبت عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**أُمرت أن أقاتل الناس حتَّى يقولوا: لا إلٰه إلَّا الله، فإذا قالوها حقنوا منِّي دماءهم وأموالهم إلَّا بحقِّها، وحسابهم على الله**»[(١)]. وعنه ﷺ: «**لقِّنوا أمواتكم شهادة أن لا إلٰه إلَّا الله**»[(٢)].

قول الله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ (البقرة: ٢٥٥) وحَّد نفسه، وشهد[(٣)] أنَّه لا إلٰه إلَّا هو، كقوله ﷻ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ (آل عمران: ١٨). افتتح ربُّنا ﷻ الآية باسم من أسمائه وهو الاسم الأعظم الذي تفتتح به الصلوات والاستعاذات والتكبيرات وجميع المبتدآت من جميع الطاعات، ودلَّ بذلك على ما تواترت به الأخبار عن رسول الله ﷺ في شرف هذه الآية وفضلها

---

(١) روي الحديث بعدة طرق متقاربة في اللفظ، وأغلبها بلفظ: «عصموا» بدل: «حقنوا». والربيع في الجامع الصحيح، كِتَاب الْجِهَادِ، بَابُ جَامِعِ الْغَزْوِ فِي سَبِيلِ اللهِ، ر٤٦٤، ص١٨٨. البخاري في كتاب الإيمان، باب ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ﴾ (التوبة: ٥)، ر٢٥، ١/١٧. مسلم في كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتَّى يقولوا: لا إلٰه إلا الله...، رقم٢٠، ١/٥١. الترمذي: السنن، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الغاشية، ٣٣٤١، ٥/٤٣٩.

(٢) رواه مسلم بلفظ: «لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ». مسلم: كتاب الجنائز، باب تلقين الموتى لا إلٰه إلَّا الله، ر٩١٦، ٢/٦٣١. الترمذي: كتاب الجنائز، بَاب مَا جَاءَ فِي تَلْقِينِ الْمَرِيضِ عِنْدَ الْمَوْتِ وَالدُّعَاءِ لَهُ عِنْدَهُ، ر٩٧٦، ٣/٣٠٦.

(٣) في كلتا النسختين خلل في هذه العبارة، وصحَّحناهما حسب السياق. ففي (ز): «وحد نفسه ونشهد». وفي (د): «وحده نفسه ويشهد».

على سائر الآي، وأنَّها سيِّدة آي القرآن، وأنَّ البقرة فضلت بها سائر القرآن. ثُمَّ أتبع هذا الاسم بنفي كلِّ معبود سواه وهي كلمة التوحيد والإخلاص التي لا يقبل الله تعالى مِنْ عَبْدِهِ عملًا ولا دينًا ولا قولًا إلَّا بها. وبعث بها الرسل، فقال لنبيِّه ﷺ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ (الأنبياء: ٢٥).

وقال أبو هريرة: قال النبيُّ ﷺ: «**أعلى الإيمان قول لا إلٰه إلَّا الله، وأدناه إماطة الأذى عن**[(١)] **الطريق**»[(٢)].

جابر بن عبد الله عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الْحَمْدُ للهِ**»[(٣)].

و«الْقَيُّومُ» فيه ثلاث لغات قرئ بهنَّ[(٤)]، والعامَّة على قراءة «الْقَيُّومُ»، وهي القراءة المشهورة، وهي في وزن الفيعول، وكان في الأصل «قَيْوُوم»[(٥)]،

---

(١) في (د): «من».

(٢) ورد في مسند الربيع بلفظ: «الإِيمَانُ مِائَةُ جُزْءٍ، أَعْظَمُهَا قَوْلُ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى مِنَ الطَّرِيقِ»، بَابُ الْحُجَّةِ عَلَى مَنْ قَالَ: الإِيمَانُ قَوْلٌ بِلَا عَمَلٍ، ر٧٧٣، ٢٩٦/٣. ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان شعب الإيمان وأفضلها وأدناها...، ر٣٥، ٦٣/١. والترمذي: في السنن، كتاب الإيمان، باب ما جاء في استكمال الإيمان وزيادته ونقصانه، ر٢٦١٤، ١٠/٥.

(٣) رواه الترمذي وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ لاَ نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ مُوسَى بن إِبْرَاهِيمَ وَقَدْ رَوَى عَلِيُّ بن الْمَدِينِيِّ وَغَيْرُ وَاحِدٍ عَنْ مُوسَى بن إِبْرَاهِيمَ هَـذَا الْحَدِيثَ». كتاب الدعوات، باب ما جاء أنَّ دعوة المسلم مستجابة، ر٣٣٨٣، ٤٦٢/٥. ابن ماجه: السنن، كتاب الأدب، باب فضل الحامدين، ر٣٨٠٠، ١٢٤٩/٢.

(٤) قال البغوي في تفسيره: «قرأ عمرو بن مسعود: القيَّام، وقرأ علقمة: القيِّم، وكلُّها لغات بمعنى واحد». البغوي: معالم التنزيل، ٢٣٨/١.

(٥) في النسخ: «قيـيوم». وصحَّحناه بما يوافق علم الصرف، وحسب ما يأتي.

فأدغمت الياء في الواو الأولى؛ لأنَّ الياء والــواو إذا التقتا في كلمة واحدة وكانت الأولى ســاكنة أدغمت وصارت ياءين، وصــارت «قـيُّوم». و«القيَّام» /٩٧/ و«القيِّم» قراءتان شاذَّتان. «القيَّام» (بالألف) في وزن الفيعال، وهي في الأصل «قَيْوَام»، فأدغمت الواو في الياء فصارت ياء مشدَّدة. و«القيِّم» (بالياء) في وزن السيِّد.

وقيل: «الْقَيُّومُ»: القائــم في خلقه بما فيه صلاحهم ونفعهم ورشــدهم؛ لقوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ (الرعد: ٣٣). وقال مؤرج بن عمر[١]: والقيَّام: الدائم الذي لا يزول.

وقال أبو بكر المقرئ[٢]: «لا إلٰه إلَّا الله» في القرآن في تســعة وثلاثين موضعًا[٣]. ابن عبَّــاس في قوله تعالــى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾ (النحل: ٩٠) قال: العدل شــهادة أن لا إلٰه إلَّا الله. قال ابن مسعود: إن أجمع آية في القــرآن: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ... ﴾ الآيــة[٤]. قوله تعالى:

---

(١) لم نتمكَّن من تحديده.

(٢) أبو بكر، عتيق بن علي بن منصور المقــرئ (٤٧٧ ـ ٥٤٥هـ): من أهل مرو مولده ووفاته بها، صدر القرَّاء، فاضــل عارف بالقــراءات والفقه والأدب والحســاب ومجاري القمر. صنَّف التصانيف في علم القراءة والحســاب، وكان حســن الســيرة عفيفًا متواضعًا كثير العبادة. انتفع به الناس وقرأوا عليه القرآن، ســمع أبا المظفر وأبا القاسم بن عبد الرحمٰن الخرقي وغيرهما. انظر: عبد الكريم السمعاني: التحبير في المعجم الكبير، ترجمة ر٥٩٩، ٦٠٩/١ ـ ٦١٠.

(٣) القصد هو كلُّ ما فــي معنى «لا إلٰه إلَّا الله». وإلَّا فَإنَّ نفس الألفاظ لم ترد ســوى مرَّتين. إحداهما: فــي قولــه تعالــى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (الصافَّات: ٣٥)، والثانية: في قولــه تعالــى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ (محمَّد: ١٩).

(٤) تمام الآية: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾.

﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ﴾ (فصِّلت: ٣٤) قيل: الحسنة شهادة أن لا إلٰه إلَّا الله، والسيِّئة الشرك بالله.

ابن عبَّاس قال: إذا قال العبد: «لا إلٰه إلَّا الله» أخذت مع عمود فتخرق سماء سماء، وصفًّا صفًّا من الملائكة، ولها دويٌّ كدويِّ النحل حتَّى تبلغ العرش، فيقول لها حملة العرش: اسكني يا عظمة الله، فتقول: لا أسكن حتَّى ينظر الله إلى قائلي، فلا يلتئم الخرق الذي خرق قول «لا إلٰه إلَّا الله» حتَّى ينظر الله إلى قائلها. وقال ابن عبَّاس: من نظر إليه بالرحمة لم يعذَّب بها.

قوله ﷻ: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَـٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ (لقمان: ٢٠) قال: ﴿ظَـٰهِرَةً﴾ قول «لا إلٰه إلَّا الله»، ﴿وَبَاطِنَةً﴾: ستره معاصيكم. قيل: يا رسول الله ﴿ظَـٰهِرَةً﴾ قد عرفناها، فالباطنة ما هي؟ قال عليه السلام: «**ما لو رآك الناس عليها مقتوك**»[(١)]. ومن قرأ: «نِعْمَةً» على واحدة[(٢)]: ظاهرة على اللسان وهو قول «لا إلٰه إلَّا الله»، وباطنة في القلب.

قال عبد الله بن المفرح[(٣)]: أحصيت لله تعالى عليَّ في كلِّ يوم وليلة من وجهٍ واحدٍ أربعةَ عشر ألف نعمة. قيل: كيف يا أبا محمَّد؟ فقال: أحصيت [نَفَسي] في يومي وليلتي فإذا هو أربعة عشر ألف نَفَس.

---

(١) لم أعثر عليه فيما بين يديَّ من المصادر والمراجع. إلَّا ما أورده ابن عطيَّة في تفسير هذه الآية، إذ قال: «وفي الحديث: قيل: يا رسول الله، قد عرفنا الظاهرة فما الباطنة؟ قال: ستر ما لو رآك الناس عليه لقتلوك». ابن عطية: المحرَّر الوجيز، ٢٧٢/٥. (المكتبة الشاملة).

(٢) قال الطبري: «واختلفت القرَّاء في قراءة ذلك، فقرأه بعض المكِّيِّين وعامَّة الكوفيِّين (وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعمَةً) على الواحدة، ووجَّهوا معناها إلى أنَّه الإسلام، أو إلى أنَّها شهادة أن لا إلٰه إلا الله. وقرأته عامَّة قرَّاء المدينة والبصرة: ﴿نِعَمَهُۥ﴾». الطبري: التفسير، ٧٨/٢١.

(٣) لم أتمكن من تحديده.

عن سليم[١] قال: ســمعت أبا بكر الصدِّيق يقول: قال لي رسول الله ﷺ: «**اخرج فناد: من شــهد أن لا إلٰــه إلَّا الله وجبت له الجنَّــة**»، قال: فخرجت، فلقيني عمر وقــال: ما لك يا أبا بكر؟ فقلت: قال لي رســول الله ﷺ: اخرج فنادِ: من شــهد أن لا إلٰــه إلَّا الله وجبت لــه الجنَّة، فقال عمــر: ارجع إلى رســول الله فإنِّي أخــاف أن يتَّكلــوا /٩٨/ عليهــا، قال: فرجعــت فقال لي رسول الله ﷺ: «**ما ردَّك يا أبا بكر؟**» فأخبرته بقول عمر، فقال عمر[٢]: نعم يا رسول الله، اترك الناس فليعملوا، فقال رسول الله: «**صدق عمر**»[٣].

أنس بن مالك قال: سمعت رســول الله ﷺ يقول: «**من قال: لا إلٰه إلَّا الله مخلصًا خرقت سبع سقوف السماوات السبع، فلم تلتئم خروقهنَّ حتَّى ينظر الله إلى قائلها فيغفر له**»[٤].

---

(١) هو: أبو عامر سليم. في رواية اللالكائي ـ الآتي ذكرها ـ ولم أتمكن من تحديده.

(٢) في (د): ـ «عمر». وفي كلا الوجهين من النسختين خلل. ينظر التخريج أدناه.

(٣) أورد اللالكائيُّ الروايةَ بلفظ: «فأخبرتُ رســول الله ﷺ بقول عمر فقال لي رسول الله: «صدق عمر، فاســكت». وقال الهيثميُّ: «رواه أبو يعـلى، وفي إســناده ســويــد بن عبدالعزيز وهو متــروك». اللالكائي: اعتقاد أهــل السُّــنَّة، ٨٤١/٤. الهيثمي: مجمع الزوائد، ١٥/١. وأثر الوضع في هذه الرواية ظاهر، إذ كيف يسوغ للرسول ﷺ أن يتراجع عن التبليغ ـوقد أُمر به ـ بمجرَّد معارضة عمر. ثمَّ كيف تسرَّبت الرواية إلى تراثنا إذا كان النبيُّ ﷺ أقرَّ عمر على إخفائها؟!. كما أنها مصادمة لنصوص القرآن إلَّا أن تعانق الشــهادة العمل الذي هو من مستلزماتها.

(٤) لم أعثر عليه بهذا اللفظ فيما بين يديَّ من المصادر والمراجع.
وفي الكامل لابن عــديٍّ رواية مرفوعة عن جابر جاء فيها: «من قرأ آية الكرســيِّ في دبر كلِّ صلاة خرقت ســبع ســماوات فلم يلتئم خرقها حتَّى ينظر الله ﷻ إلــى قائلها فيغفر له، ثمَّ يبعث الله ﷻ ملكًا فيكتب حســناته ويمحي ســيِّئاته إلى الغد من تلك الســاعة». وفيها إســماعيل بن يحيى بن عبيد الله التيمي، قال ابن عــديٍّ: «مدنيٌّ يحدِّث عن الثقات بالبواطيل». ابن عدي: الكامل في الضعفاء، ر١٢٩، ٣٠٥/١.

الضبِّي[1] في قوله تعالــى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ (فاطر: ١٠) قال: قول «لا إلٰه إلَّا الله».

عِتْبَانُ بن مالك الأنصاريُّ[2] قال: قال رسول الله ﷺ: **«لن يوافي عبد يوم القيامة وهو يقــول: لا إلٰه إلَّا الله يبتغي بذلك وجــه الله تعالى إلَّا حرَّمه الله تعالى على النار»**[3].

وعن أنس بن مالك عن معاذ بن جبل عن النبيِّ ﷺ قال: **«مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ صَادِقًا مِنْ قَلْبِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ»**[4].

وعنه ﷺ أنَّه قال: **«لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ كَلِمَةٌ أَلَّــفَ اللهُ بِهَا الْمُؤْمِنِينَ، فَمَنْ قَالَهَا وَأَتْبَعَهَا بِالْعَمَلِ فقد أوجب العمل [كــذا]، وأمَّا من قالها ولم يتبعها بالعمل لم ينتفع»**[5].

---

(١) يوجد عدَّة أعلام بهذه النسبة، منهم: جرير بن عبد الحميد بن قرط الرازي الضبي (ت: ١٨٨هـ) محدِّث الري في عصره، محــدِّث ثقة. انظــر: الزركلي: الأعــلام، ١١٩/٢. ومنهم: أبو يحيى زكريا بن عبدالرحمٰن بــن محمَّد الضبي البصــري، محدث البصرة في عصــره، من الحفاظ الثقات، له كتاب في علل الحديث، وكتاب «اختلاف الفقهاء». انظر: الزركلي: الأعلام، ٤٧/٣...

(٢) «عِتْبَانُ بن مالك بن عمرو بن الحارث الأنصاريُّ السالمي المدنيُّ الأعمى: كان إمام قومه على عهد رســول الله ﷺ، روى عنه محمود بــن الربيع في الصلاة وقــال الواقدي: مات في وسط من خلافة معاوية بن أبي ســفيان». الكلاباذي: رجال صحيح البخاري، ترجمة ر٩٣٨، ٥٩٢/٢.

(٣) رواه البخاري وأحمد، مع اختلاف بسيط في اللفظ. البخاري في كتاب الرقاق، باب العمل الذي يبتغى به وجه الله، ر٦٠٥٩، ٢٣٦٠/٥. أحمد: المســند، باقي مسند الأنصار، حديث عتبان بن مالك، ر٢٣٨٢١، ٤٤٩/٥.

(٤) رواه أحمد بزيادة: «وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ». المسند، مسند الأنصار، حديث معاذ بن جبل، ر٢٢٠٥٦، ٢٢٩/٥.

(٥) رواه الربيع في مسنده، ولفظه: جَابِرُ بن زَيْدٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ كَلِمَةٌ أَلَّفَ اللهُ بِهَا بَيْنَ قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ، فَمَنْ قَالَهَا وَأَتْبَعَهَا بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ قَالَهَا وَأَتْبَعَهَا =

وقيل: يا سول الله، إنَّ الناس قالوا «لا إلٰه إلَّا الله»، فعمي علينا بها الكافر من المؤمن، فقال: «**أنـــا أدلُّكم على الفرق في ذلك، إنَّ المؤمن إذا قال لا إلٰه إلَّا الله أتبعها العمل الصالـــح، وإذا أصبح فهمُّه الله والجنَّة والنار، وإنَّ الكافر إذا قال لا إلٰه إلَّا الله أتبعها الفجور، وإذا أصبح فهمُّه بطنه وفرجه ودنياه**»[(١)].

فصل: [في تلفُّظ فرعون بكلمة التوحيد]

قيل في قول الله ﷻ: ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ (عبـــس: ٣)[(٢)] يقول: «لا إلٰه إلَّا الله». ابن عبَّاس عن النبيِّ ﷺ قال: «**لَمَّا قال فرعون: لا إلٰه إلَّا أنت، جعل جبريلُ[(٣)] عَلَيْهِ السَّلَامُ يحشو في فيه الطين والتراب**»[(٤)].

أبو هريرة قال رســـول الله ﷺ: «**قال لي جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ لو رأيتني وأنا آخذ من حال[(٥)] البحر فأدسُّه في فِي فرعون مخافة أن يثني فتدركه الرحمة**»[(٦)].

= بِالْفُجُورِ فَهُوَ مُنَافِقٌ». الأَخْبَارُ الْمَقَاطِيعُ عَنْ جَابِرِ بن زَيْدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الإِيمَانِ وَالنِّفَاقِ، ر٩٢٤، ٣٦٠/٤.

(١) رواه الربيع في مســـنده، في الأَخْبَارِ الْمَقَاطِيعِ عَنْ جَابِرِ بن زَيْدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الإِيمَانِ وَالنِّفَاقِ، ر٩٢٥، ٣٦٠/٤.

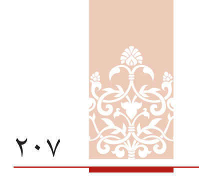
(٢) ويبدو أنَّ السياق في فرعون، فالآية الأنســـب بالموضوع هي قوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾ (طه: ٤٤).

(٣) في (د): «جبرائيل». وكذا فيما يأتي.

(٤) أورده الطبريُّ بســـنده. وذكره ابن طاهر المقدسيُّ ولم يســـنده، وقال: «فيه عمر بن حكام لا يحتجُّ به إذا انفرد». الطبري: جامع البيان، ١٦٣/١١. ابن طاهر المقدســـي: كتاب معرفة التذكرة، ١٨٤/١.

(٥) «الحال: التراب اللَّـيِّن الذي يقال له السَّهْلة. والحالُ: الطينُ الأَسود والْحَمْأَةُ». ابن منظور: اللسان، مادَّة: «حول»، ١٩٠/١١.

(٦) رواه الترمذي بلفظ: «لَمَّـــا أَغْـــرَقَ اللهُ فِرْعَـــوْنَ ﴿قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ فَقَالَ جِبْرِيلُ: يَا مُحَمَّدُ، فَلَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا آخُذُ مِنْ حَالِ الْبَحْرِ فَأَدُسُّـــهُ فِي فِيهِ مَخَافَةَ =



ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قال لي جبريل** عليه السلام**، يا محمَّد، ما غضب ربُّك على أحد غضبه على فرعون، إذ قال:** ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ (القصص: ٣٨)، **وإذ حَشَرَ** ﴿فَنَادَىٰ ۝ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ (النازعات: ٢٣ ـ ٢٤)، **فلمَّا أدركه الغرق ما فككت أحشو فاه رملا مخافة أن تدركه الرحمة!**»[1].

فصل: [روايات في فضل «لا إله إلَّا اللّه»]

قيل: قال موسى[2] ﷺ: «**إلٰهي علِّمني عملًا أنجو به من النار وأدخل به الجنَّة، فأوحى الله إليه: يا موسى، /٩٩/ قل: لا إلٰه إلَّا الله، فقالها**

= أَنْ تُدْرِكَهُ الرَّحْمَةُ». وقَالَ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ». الترمذي: السنن، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة يونس، ر٣١٠٧، ٣١٠٨، ٢٨٧/٥.

(١) رواه الطبراني في مسند الشاميين، مسند محمد بن سليمان بن أبي ضمرة السلمي، ر١٥٦٩، ٣٩٦/٢.

ومن العجب العجاب كيف يذكر الشيخ هذه الروايات في فرعون وبعض التي تليها ويُمرّرها دون التعليق عليها، ومن الواجب النظر فيها من عدَّة جوانب:

أ ـ هي تناقض ما ثبت من أنَّ مجرَّد التلفُّظ بـ«لا إلٰه إلَّا الله»، لا ينفع.

ب ـ فيها تصوير بأن الرحمة شيء منفلت زمامه عن قدرة الله تعالى وإرادته، فهي تحلُّ أو ترتفع بإرادتها لا بإرادة الله عزَّ وجلَّ، فيبادر جبريل إلى منعها قبل أن تسبقه!.

ج ـ توحي بنوع من العبث، تعالى الله عنه، بحيث يخشى جبريل أن تدرك الرحمةُ فرعونَ بمجرَّد كلام يقوله في الغرغرة، فيحشو فمه بالتراب!.

د ـ تناقض مبدأ أنَّ التوبة لا تقبل في حال الغرغرة، فالله تعالى يقول: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ (النساء: ١٨)، ويقول: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ (الأنعام: ١٥٨)!.

هـ ـ ثمَّ ما فائدة حشو التراب إذا كان قد سبق وأن تلفظ بكلمة التوحيد؟.

(٢) في (ز): «رسول الله».

فأوحى إليه: قل قالها ثلاثًا [كذا]، فأوحى الله تعالى إليه: يا موسى استحققت بقول: لا إلٰه إلَّا الله الجنَّة، يا موسى لو وضع قول لا إلٰه إلَّا الله في كفَّة ووضع جميع ما خلقت في كفَّة لرجح قول: لا إلٰه إلَّا الله بذلك كلِّه»[٣].

أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا إلٰه إلَّا الله تطفئ غضب الربِّ ما لم يؤثروا صفقة دنياهم على دينهم، فإذا آثروا صفقة دنياهم على دينهم قالوا: لا إلٰه إلَّا الله، ردَّت عليهم، وقال الله ـ تبارك وتعالى ـ كذبتم»**[٤].

قوله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓ﴾ (الزمر: ١٨) قال ابن زيد[٥]: نزلت في ثلاثة نفر كانوا في الجاهليَّة يقولون: «لا إلٰه إلَّا الله»؛ زيد بن عمرو بن نفيل، وأبو ذرٍّ الغفاري، وسلمان الفارسي، لم يأتهم كتاب ولا نبيٌّ، إلَّا أنَّهم استمعوا أقاويل الناس وكان أحسنها قول «لا إلٰه إلَّا الله»، فاتَّبعوه[٦].

(٣) لم أعثر عليه فيما بين يديَّ من مصادر.

(٤) ورد بلفظ: «تمنع العباد من سخط الله». رواه أحمد في الزهد، ر٢٨٨، ص١٤٤. والبيهقي في الشعب، ر١٠٤٩٧، ١٠٤٩٨، ٣٣٧/٧ ـ ٣٣٨. وفي سند الحديث علَّة، ذكره ابن أبي حاتم، وقال: «هذا خطأ، إنما هو أبو سهيل عن مالك بن أنس عن النبيِّ ﷺ مرسل». ابن أبي حاتم: العلل، ر١٨٥٧، ١٢١/٢.

(٥) هو: عبدالرحمٰن بن زيد، قال البخاري: «عبدالرحمٰن بن زيد بن أسلم مولى عمر بن الخطاب القرشي المديني عن أبيه وأبي حازم ضعفه عليٌّ جدًّا. وقال إبراهيم بن حمزة: مات سنة ثنتين وثمانين [ومائة]». البخاري: التاريخ الكبير، ترجمة ر٩٢٢، ٢٨٤/٥.

(٦) قال ابن كثير: «قال عبدالرحمٰن بن زيد بن أسلم عن أبيه ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا﴾ (الزمر: ١٧) نزلت في زيد بن عمرو بن نفيل وأبي ذر ﭫ. والصحيح أنها شاملة لهم ولغيرهم ممن اجتنب عبادة الأوثان وأناب إلى عبادة الرحمٰن فهؤلاء هم الذين لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة». ابن كثير: التفسير، ٤٩/٤.

﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ ﴾ (الزمر: ٣٣) قيل: هو قول «لا إلٰه إلَّا الله».

زعم هاشم بن مهاجر[١] أنَّ خير الكلام «لا إلٰه إلَّا الله».

زيد بن أسلم[٢] قال: قال موسى ﵇: «يا ربِّ، مَنِ الأمَّة المرحومة؟ قال: أمَّة محمَّد ﷺ، يرضون بالقليل من العطاء، وأرضى منهم بالقليل من العمل، وأدخلهم الجنَّة بأن يقولوا: «لا إلٰه إلَّا الله»».

ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليس على أهل قول لا إلٰه إلَّا الله وحشة في القبور ولا في النشور، وكأنِّي بهم وهم ينفضون التراب عن رؤوسهم وهم يقولون:** ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ﴾ (فاطر: ٣٤)»[٣].

وعن أنس بن مالك عنه ﷺ: «**ليس على أهل قول لا إلٰه إلَّا الله مُخلِصًا**

---

(١) في النسخ: «زعم هاشم عن مهاجر»، ولم نجد هاشمًا يروي عن مهاجر، ولعلّ الصواب ما أثبتنا، وهاشم هو: أبو المهاجر هاشم بن مهاجر (المهاجر) الحضرمي (ق٢هـ): عالم فقيه من حضرموت. أخذ العلم في البصرة عن أبي عبيدة مسلم (ت ١٤٥هـ) ثم انتقل إلى الكوفة بعد وفاة شيخه. قال عنه ابن سلام: «فقيه مفت من أهل الكوفة من علمائنا فيها». وكان مِمَّن روى عنهم أبو غانم مدونته. له أقوال كثيرة منثورة. انظر: معجم أعلام إبَاضِيّة المشرق، (ن.ت).

(٢) أبو أسامة أو أبو عبدالله، زيد بن أسلم العدوي العمري (ت: ١٣٦هـ)، فقيه مفسِّر من أهل المدينة، كان مع عمر بن عبدالعزيز أيَّام خلافته. ثقة كثير الحديث، له حلقة في المسجد النبويِّ. له كتاب في التفسير رواه عنه ولده. انظر: الزركلي: الأعلام، ٥٦/٣ ـ ٥٧.

(٣) رواه الطبراني في الأوسط، ر٩٤٧٨، ١٨١/٩. والبيهقي في شعب الإيمان، ر١٠٠، ١١١/١. وعلَّق الهيثميُّ على روايتيْ الطبراني وقال: «وفي الرواية الأولى يحيى الحماني، وفي الأخرى مجاشع بن عمرو وكلاهما ضعيف». وأورده ابن الجوزي وقال: «قال ابن حبَّان: هذا حديث لا يعرف إلا من حديث عبدالله بن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر حدَّثناه أبو يعلى قال نا الحماني قال نا عبدالرحمن بن زيد، وعبد الرحمن ليس بشيء في الحديث، وبهلول يسرق الحديث لا يجوز الاحتجاج به بحال». انظر: الهيثمي: مجمع الزوائد، ٨٣/١٠. ابن الجوزي: العلل المتناهية، ر١٥٢٦، ٩١٤/٢.

وحشةٌ عند الموت ولا وحشة في القبور ولا وحشة في النشور، وكأنِّي أنظر إليهم عند النفخة وقد خرجوا من قبورهم ينفضون التراب عن رؤوسهم وهم يقولون: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَ﴾[١].

الحسن: «لا إلٰه إلَّا الله» ثمن الجنَّة.

عن عمَّار أنَّه قال لعمر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنِّي لأعلم كلمة لا يقولها العبد حقًّا من قلبه فيموت على ذلك إلَّا حرم على النار**»، وقُبض ولم يبيِّنها لنا ﷺ، فقال عمر: أنا أخبرك عنها هي التي أَلَاصَ عليها عمَّهُ[٢] عند الموت، شهادة أن لا إلٰه إلَّا الله[٣]. قوله: «ألاص عليها عمَّه» أي: أداره عليها، يقال أَلَصْتُهُ على كذا أَلِيصُهُ إِلَاصَةً، إذا أنت أدرته على شيء تطلبه منه. /١٠٠/ وأنا ألاوصه مثل أداوره.

وفي الحديث أنَّ رجلًا قتل رجلًا يقول: «لا إلٰه إلَّا الله»، فقال له النبيُّ ﷺ: «**أقتلته بعد أن قالها؟!**»، فقال: يا رسول الله، إنَّما قالها متعوِّذا، فقال النبيُّ ﷺ: «**فهلَّا شققت عن قلبه؟!**». فقال الرجل: هل كان يبين لي ذلك شيئًا؟ فقال عليه السلام: «**فإنَّما كان يعرب عمَّا في قلبه لسانه**»[٤].

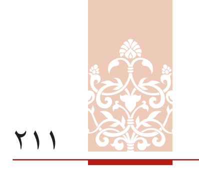
---

(١) ينظر الهامش السابق.

(٢) في (د): «الارض عليها غمة». وفيها تصحيف وتحريف.

(٣) رواه أحمد، مسند العشرة المبشرين بالجنَّة، مسند عثمان بن عفان، ر٤٤٧، ٦٣/١. والحاكم بلفظ: «... هي كلمة الإخلاص التي أمر بها رسول الله ﷺ عمَّه أبا طالب عند الموت، شهادة أن لا إلٰه إلَّا الله وهي الكلمة التي أكرم الله بها محمَّدًا وأصحابه». الحاكم: المستدرك على الصحيحين، ر١٢٩٨، ٥٠٢/١.

(٤) رواه مسلم بدون الزيادة الأخيرة، ولفظه عنده: «أَفَلاَ شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لاَ؟! فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي أَسْلَمْتُ يَوْمَئِذٍ...». مسلم في كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إلٰه إلَّا الله، ر٩٦، ٩٦/١. ولم أجد الزيادة فيما بين يديَّ من المصادر.



ومنـه الحديث أنَّهم كانوا يسـتحبُّون أن يلقِّنوا الصبـيَّ حين يعرب أن يقول: «لا إلٰه إلَّا الله» سـبع مرار. معناه: يبيِّن لك القولُ ما في قلبه[١]، وليس هو من إعراب الكلام.

فصل: [في فضلها أيضًا ومعناها]

عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**بَيـنَ قَبري وَمِنبَرِي رَوضَة مِـن رِيَاضِ الجَنَّة**»[٢]. فبلغنا أنَّ رجلًا قام هنالك فركع ثُمَّ أخذته السِّـنَة، فـرأى بين القبر والمنبر سـنبل ذهب، بعضه لازق بالأرض، وبعضه مرتفع، وآخر قد علا حتَّى خرق السـماء مصعدًا، فقال: ما هذا؟ فقال له قائل: هذا قول: «لا إلٰه إلَّا الله»، قال: فما لي أرى منه شـيئًا أعلى من شـيء؟ قال له: هذا لازق بالأرض إذا قالها العبد في نفسـه، وهذا الذي ارتفع منـه إذا جهر بقولها العبـد، وهذا الذي مصعدًا إذا قالها العبد بنيَّة صادقة مخلصًا صعدت حتَّى تخرق سبع سماوات، حتَّى تكون تحت العرش فتقول: إلٰهي، اِعتق قائلي من النار، فيقول الله تعالى: وعزَّتي وَعُلُوِّي فوق خلقي ما أنطقت لسـان عبدي بهذه الكلمة مخلصًا وأنا أريد عذابه. قيل: كان هِجِّير[٣] أبي بكر الصديق [قول][٤] «لا إلٰه إلَّا الله».

---

(١) في (ز): «قلبك».

(٢) رواه أحمد بلفظ: «قبري»، باقي مسـند المكثرين، مسند أبي سـعيد الخدري، ر١١٦٢٨، ٦٤/٣. ورواية صحيحة جـاءت بلفظ: «بَيْتِي»؛ لأنَّ النبـيَّ ﷺ لا يعرف أين يموت، ﴿وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ﴾ (لقمـان: ٣٤). البخاري في كتاب الجمعـة، باب فضل ما بين القبر والمنبر، ر١١٣٧، ٣٩٩/١. مسـلم في كتاب الحج، باب ما بين القبر والمنبر روضة من رياض الجنَّة، ر١٣٩٠، ١٠١٠/٢.

(٣) يقال: «وما زال ذلـك هِجِّيراه وإِجْرِيَّـاه وإِهْجِيـراهُ وإِهْجِيراءَه، بالمـدِّ والقصر، وهِجِّيره وأُهْجُورَتَهُ ودَأْبَـه ودَيْدَنَهُ؛ أَي: دأْبه وشـأْنه وعادته». ابن منظور: اللسـان، مادَّة: «هجر»، ٢٥٤/٥.

(٤) بياض في النسختين.

ومعنى «لا إلٰه إلَّا الله» أي: لا ثاني معه، ولا أحد يســتحقُّ العبادة سواه. ويقال: هو إقرار بعد نفي. ويكره أن يقول الإنســان: «لا إلٰه» ثُمَّ يقطع حتَّى يصلها بـ«لا إلٰه إلَّا الله».

وهِجِّيرُ الرجل: عادته ودأبه، قال ذو الرمَّة[١]:

رَمــى فَأَخطــأَ وَالأَقــدارُ غالِبَةٌ ... فانصاع وَالويلُ هِجِّيراهُ وَالْحَرَبُ[٢]

انصاع أي: ذهب مسرعًا. وقال آخر:

فقــام هجيــراه لَمَّــا أن غــدا ... عند الصباح يحمد القوم السُّــرى[٣]

قال: هِجِّيرَاهُ وأهجورته[٤] في معنى هِجِّيرَاهُ.

فصل: [في فضلها أيضًا]

عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**لقِّنوا موتاكم شهادة أن لا إلٰه إلَّا الله**»[٥].

وعنه ﷺ /١٠١/ أنَّه قال لحذيفة: «خيرٌ لعبدٍ عند موته يقول[٦]: **لا إلٰه إلَّا الله دخــل الجنَّة، ومن ختــم عمله[٧] عند موتـه بإطعـام مســكين أو**

(١) ذو الرُمَّة، غيلان بن عقبة بن نهيس العدوي (ت: ١١٧هـ)، وقد تقدَّمت ترجمته.

(٢) البيت من البسيط. ورد بلفظ: «فانصعن»، من قصيدة مطلعها:

ما بالُ عَينِكَ مِنها الماءُ يَنسَكِبُ ... كَأَنَّهُ مِــن كُلــى مَفرِيَّة سَــرِبُ

انظر: ديوان ذي الرمَّة من الموسوعة الشعريَّة.

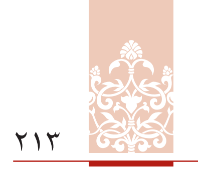
(٣) لم أجده فيما بين يديَّ من المصادر.

(٤) في (ز): «هجورته».

(٥) تقدَّم تخريجه.

(٦) كذا في النسختين، وفي مسند الحارث: «من خُتم له بقول لا إلٰه إلَّا الله».

(٧) في (ز): ـ «عمله».



صيام يوم دخل **الجنَّة**». قال له حذيفة: أكتم هذا أو أعلنه؟ قال: «**بل أعلنه بل أعلنه**»[١].

[قصَّة الحسن البصري مع جابر بن زيد عند احتضاره]

وروي أنَّ الحسن دخل على جابر بن زيد وهو يجود بنفسه فقال له: يا أبا الشعثاء، قل: «لا إلٰه إلَّا الله»، فسكت، فاشتدَّ ذلك على الحسن، ثُمَّ أعاد عليه القول ثانية فلم يجب، فاشتدَّ على الحسن، وقال: رجل مثل جابر بن زيد لا يرزق عند موته شهادة أن لا إلٰه إلَّا الله!. ثُمَّ أعاد عليه القول ثالثة فقال جابر: «قد طالما قلناها إن تُقُبِّلَت»، ثُمَّ تلا قول الله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ...﴾ الآية[٢]، فقال الحسن: عالم وربِّ الكعبة!. ولَمَّا دفن جابر وقف الحسن على قبره فقال: اليوم دفن ربَّانيُّ هذه الأمَّة. هكذا روي، والله أعلم.

مسألة: [قول «لا إله إلَّا اللّه» أوَّل واجب، ولا يكفي وحده]

وقول «لا إلٰه إلَّا الله» كسائر العبادات، وأوَّل المفترض على المكلَّفين، فمن لم يقصد بقولها إلى توحيد الله تعالى لإنفاذ العبادة على سبيل الفرض الذي أُمر به أو النفل الذي نُدب إليه بعد دخوله في الجملة لم يكن مطيعًا بل يكون عاصيًا.

ومن أقرَّ بأن لا إلٰه إلَّا الله وحده لا شريك له وصدَّق به لم يثبت له الإسلام بهذا وحده حتَّى يقرَّ بالجملة بأن لا إلٰه إلَّا الله، وأن محمَّدًا رسول الله، وأنَّ ما جاء به محمَّد ﷺ عن الله حقٌّ.

---

(١) روي في مسند الحارث (زوائد الهيثمي)، باب فيمن خُتم له بخير، ر٢٥٨، ١/٣٦٠، وفيه مقال.

(٢) الأنعام: ١٥٨. وتمام الآية: ﴿... أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا ﴾.

مسألة: [حكم قول «لا إله إلَّا اللّه» عند المعاملات]

ولا يجوز لمن يبيع السـمك أن يجعل قول «لا إلٰه إلَّا الله» علامةً لبيع سـمكه، وذلك أن يقوله ويرفع صوته ليُعلم أنَّ معه سمكًا فيصل إليه من يريد شراءه.

وكذلك يكره لمن يعمل عمـلًا أن يقول عند فراغه منه: «لا إلٰه إلَّا الله»، فيجعل ذلك علامة لفراغه من عمله؛ كالبنَّاء والكيَّال والعدَّاد وكلِّ ذي عمل إذا فرغ من عمله أو بلغ منه شـيئًا، وأراد رفع يده عنه قال: «لا إلٰه إلَّا الله»؛ فهذا لا يجوز.

وقـد قيـل: إنَّ الكيَّـال إذا كال وطفَّف وقـال: «لا إلٰـه إلَّا الله» تقول الملائكة عليهم السلام: كذبت لعنك الله، لست تعرف «لا إلٰه إلَّا الله». وتفسيره[١] أنَّه لم يعرف «لا إلٰه إلَّا الله» فيضيِّع ما أمر الله بـه، وركب ما نهاه الله عنه، ولو عرف حقَّ «لا إلٰه إلَّا الله» لم يركب نَهْيَ الله تعالى، ويضيِّعْ أمره، ويُصِرَّ على /١٠٢/ ذلك.

فصل: [مباحث لغوية: هيلل، بسمل، حولق...]

تقول[٢]: قد هيلل فلان إذا أكثر من قول: «لا إلٰه إلَّا الله».

وقد أكثر من البسملة إذا أكثر من قول: «بسم الله»، قال:

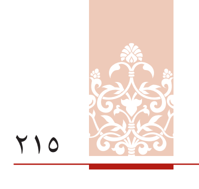
لَقَدْ بَسْـمَلَتْ ليلى غَدَاةَ لَقِيتُها ... ألا حَبَّذا ذاك الحبيبُ الْمُبَسْمِلُ[٣]

---

(١) في النسخ: «وتفسير أنه».

(٢) في (د): «يقال».

(٣) البيت من الطويل. أورده القرطبيُّ في تفسـيره، ونسـبه إلى عمرو بن أبي ربيعة. أبو عليٍّ القالي: الأمالي، ص٢٥٧. القرطبـي: الجامع لأحكام القرآن، ٩٧/١. الماوردي في النكت والعيون، ٢/١. (المكتبة الشاملة).



وقد أكثر من الحولقة إذا أكثر من قول: «لا حول ولا قوَّة إلَّا بالله العليِّ العظيم»[١]، وقال:

فِداكَ من الأَقْـوام كُلُّ مُبَخَّـل[٢] يُحَوْلِقُ إِمَّا سالهُ العُرْفَ سائلُ[٣]

ويقال: حولق وحوقل إذا قال: «لا حول ولا قوة إلَّا بالله العليِّ العظيم»، وفيه خمسة أوجه: «لا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا بالله»، والثاني: «لا حولٌ ولا قوَّةٌ إلَّا بالله»، والثالث: «لا حـولُ ولا قوَّةُ إلَّا بالله»، والرابـع: «لا حولَ ولا قوَّةٌ إلَّا بالله»، والخامس: «لا حولُ ولا قوَّةً إلَّا بالله».

ويقال: قد أكثر من الحمدلة إذا أكثر من قول[٤]: «الحمد لله».

وقد أكثر من الجعفلة إذا أكثر من قوله: «جُعلتُ فداك».

وأكثر من الحيعلة إذا أكثر من قوله: «حـيَّ على الصلاة» أو: «حيَّ على كذا»، وقال الشاعر:

أَقـولُ لها ودمـعُ العيـنِ جارٍ أَلَمْ تُحْـزِنْك حَيْـعَلَةُ الْمُنـادِي[٥]

---

(١) في (د): ـ «العليِّ العظيم».

(٢) البخَّال والمبخَّل: الشديد البخل. ابن منظور: اللسان، مادَّة: «بخل»، ١١/٤٧.

(٣) لم أعثر على قائل البيت، وقد أنشـده أبو علي القالي وابن الأنبـاري. وأورده ابن منظور ولم ينسبه. لسان العرب، مادَّة: «هلل»، ١١/٧٠٥. الزبيدي: تاج العروس، مادَّة: «حلق».

(٤) في (د): «قوله».

(٥) البيت مـن الوافر، أورده الخليل وابن منظور والزبيدي ولم ينسـبوه. انظر: العين ولسـان العرب، وتاج العروس، مـادَّة: «هلل»، ١١/٧٠٨. وأورده المعـرِّي بلفظ: «أقول لها وضوء الصبح بـاد»، وقال: «ولا أدفع أن يكون هذا الشـعر مصنوعًا». المعري: رسـالة الملائكة، ص٤٥. (المكتبة الشاملة).

وقال آخر:

أَلا رُبَّ طَيْفٍ منكِ باتَ مُعانِقِي   إِلَى أَن دَعَا داعي الصلاة فَحَيْعَلا[(١)]

مسألة: في العدل

قــال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ﴾ (النســاء: ٤٠)، و﴿لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا﴾ (يونــس: ٤٤)، ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ﴾ (غافر: ٣١) ومثل هذا في القرآن كثير، فلا يجوز على الله العادل الكريم الرؤوف الرحيم ضدُّ ما وَصَفَ نفسَــه به، ولو لم نصفه بالعدل لكان موصوفًا بضدِّه، فلمَّا نفينا عنه الجور وصفناه بالعدل.

فإن قال قائل: ما معنى العدل؟ قيل له: أمَّا في اللغة فهو الحكم بالعدل والحقِّ، تقول: هو يعدل في حكمــه. وأمَّا قول الفقهاء فهو فعل ما [عليه] له أن يفعله في الحكمة، وإعطاء المستحقِّ ما يجب له.

والجور [ضدُّ] العدل، وهو منع المســتحقِّ ما يجب لــه، فلمَّا نفينا عنه تعالى الأضداد وصفناه عادلًا.

(١) البيت لم نجد من نســبه، أورده بلفظ المؤلف: ابن الأنباري فــي الزاهر، ١/١١. والخليل بلفظ: «داعي الفلاح»، العين، ١/٦٠. وابن منظور بصيغة: «داعي الصَّباح». لســان العرب، مادَّة: «هلل»، ١١/٧٠٨.

باب ٦ في القضاء والقدر

القضاء في اللغــة على أربعة وجوه: قضاء خلــق، وقضاء حكم، وقضاء أمر، وقضاء إخبار وإعلام.

فأمَّا قضــاء الخلــق: فهو كقولــه تعالــى ﷻ: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ﴾ (فصِّلت: ١٢) أي: خلقهــنَّ. ويقال: قضيت الأمر: فرغت منــه وأحكمته، وكلُّ /١٠٣/ شيء أحكمته فقد قضيته، وقال أبو ذؤيب[١]:

وَعَلَيهِما مَســرودَتانِ[٢] قَضاهُما ... داودُ أَو صَنَعُ[٣] السَــوابِغِ تُبَّعُ[٤]

قضاهما: أي صنعهما وأحكمهما.

وأمَّا قضاء الحكم، فهو كقوله تعالــى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ (يونس: ٩٣. الجاثية: ١٧) أي: يحكم بينهم.

---

(١) أبو ذُؤيب، خويلد بن خالد الهذلي (ت: ٢٧هـ)، وقد تقدَّمت ترجمته.

(٢) قال ابن منظور: «سَرَد الشيء سَرْدًا سرَّده وأَسْرَده: ثقبه ... الْمَسرودَةُ: الدرع المثقوبة». لسان العرب، مادَّة: «سرد»، ٢١١/٣.

(٣) قال ابــن منظور: «رجلٌ صَنَعُ اليدِ وصَنَــاعُ اليدِ من قوم صَنَعَي الأَيْــدِي وصُنُع وصُنْع ... ورجل صَنِيعُ اليدين وصِنْعُ اليدين، بكسر الصاد، أَي: صانِعٌ حاذِقٌ». اللسان، مادَّة: «صنع»، ٢٠٩/٨.

(٤) البيت من الكامل، من قصيدة مطلعها:

أَمِــنَ الْمَنــونِ وَريبِهــا تَتَوَجَّعُ ... وَالدَهرُ لَيــسَ بِمُعتِبٍ مِن يَجزَعُ

انظر: ديوان أبي ذؤيب في الموسوعة الشعريَّة.

وأمَّا قضاء الأمر: فهو كقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ (الإسراء: ٢٣) أي: أمر ربُّك، وهي في قراءة عبد الله[١]: (وَأَوْصَى رَبُّكَ). وقال الفرَّاء: قال ابن عبَّاس: هي (وَوَصَّى رَبُّكَ)، التصقت واوها بالصاد فصارت قافًا. قال: والعرب تقول: تركته يقضي بين الناس أي: يأمر فينفذ أمره.

وأمَّا قضاء الخبر: فهو قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾ (الإسراء: ٤) أي: أخبرناهم وأعلمناهم.

ومن ذلك قضاء الله وقدره، أي: قد أتقن الأشياء وأحكمها وأبرمها وفرغ منها. وإنَّما سمِّي القاضي قاضيًا لهذا المعنى، يقال: قضى بين الخصمين، أي: فَصَلَ بينهما وفرغ. ومنه قيل للميِّت: قد قضى، أي: فرغ من الدنيا وفصل منها. وقيل للموت: قضاء؛ لأنَّه إمضاء وفرغ. وقال الحارث بن حِلِّزة[٢]:

وَثَمانونَ مِن تَميمٍ بِأيديـ ... ـهم رِماحٌ صُدُورُهُنَّ القَضاءُ[٣]

يعني الموت، يقول: في أسنَّتهن الموت.

فقضاء المعصية قضاء خلق لا قضاء أمر ولا رضًا[٤].

---

(١) أي: عبد الله بن مسعود. انظر: الطبري: جامع البيان، ١٥/ ٦٢.

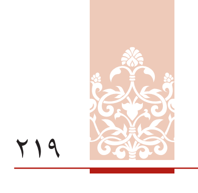
(٢) الحارث بن حِلِّزَة بن مكروه بن يزيد اليشكري الوائلي (ت: ٥٤ ق.هـ): شاعر جاهليٌّ من أهل بادية العراق، وهو أحد أصحاب المعلَّقات. كان أبرص فخورًا، ارتجل معلقته بين يدي عمرو بن هند الملك بالحيرة، جمع بها كثيرًا من أخبار العرب ووقائعهم حتى صار مضرب المثل في الافتخار، فقيل: أفخر من الحارث بن حلِّزة. انظر: الزركلي: الأعلام، ٢/ ١٥٤. الموسوعة الشعريَّة.

(٣) البيت من الخفيف، من قصيدة مطلعها:

آذَنَتنا بِبَينِها أَسماءُ ... رُبَّ ثاوٍ يُمَلُّ مِنهُ الثَواءُ

انظر: ديوان الحارث بن حلِّزة في الموسوعة الشعريَّة.

(٤) في (د): «ولا نهي». ولا يصحُّ هذا؛ لأنَّ المعصية منهيٌّ عنها.



مسألة: [ما معنى أنَّ الله تعالى قضى المعصية والطاعة؟]

فإن قال قائل: أفتقولون: إنَّ الله قضى المعصية على العبد؟ قيل له: نعم.

فإن قال: فما معنى قضى المعصية؟ قيل له: معناه خَلَقَ المعصية من مكتسِبِهَا. وقضى الطاعةَ: أمر بها وحثَّ عليها.

فإن قال: أفقضى عليه الكفر ثُمَّ يعذبه بما قد قضاه عليه؟ قيل له: قد قلنا: إنَّ القضاء يتصرَّف على وجوه، فإن أردت أنَّه قضى عليه الكفر، أي: خلق الكفر من الكافر قبيحًا فاسدًا مذمومًا متناقضًا فكذلك نقول. وإن أردت أنَّه قضى عليه: أجبره عليه أو أمره به أو رضيه منه، فلا.

وقد ذُكر أنَّ وفد نجران قالوا للنبيِّ ﷺ: يكتب الله علينا الذنب ثُمَّ يعذِّبنا؟! فقال ﷺ: «**أنتم خصماء الله**»[1].

[القدر لغة]

القدر فيه لغتان: تقول العرب: قَدَرُ الله وقَدْرُهُ (بفتح الدال وجزمها)، وهو القضاء المؤقَّت، وقد جاء باللغتين /١٠٤/ القرآنُ، قال ﷻ: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ (القمر: ٤٩) وقال الله تعالى: ﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ (الطلاق: ٣). وليلة القدر: هي ليلة تقدير الأشياء كلِّها إلى حول السنة القابلة، قال ﷻ: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ (الدخان: ٤)، وقال ابن أحمر[2]:

ولكل أمر واقع قدره[3].

---

(١) لم أجده في مصادر الحديث. وقد أورده القرطبي في تفسيره ولم يعزه. القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ١٧/١٤٨.

(٢) يبدو أنه: عمرو بن أحمر الباهلي (ت: ٧٥هـ)، وقد سبقت ترجمته.

(٣) لم أجده فيما بين يديَّ من مصادر.

وقال الفرزدق[١]:

وَمَا صَبَّ رِجْلِي في حديد مُجَاشِعٍ   مع القَدْرِ إلَّا حـاجةٌ لي أُرِيدُهَا[٢]

ويقـال للقَدر: كتاب، كان كلُّ شـيء قـد قدَّره الله فقـد كتبه. وقال الجعدي[٣]:

يا ابْنَةَ عَمِّي كِتابُ اللهِ أَخرَجَني   عَنكُم وَهَل أَمنَعَنَّ اللهَ ما فَعَلا[٤]

والقدر في كلام العرب: التقدير، يقال: قدَّرتُ الشـيءَ وقَدَرْتُهُ (بالتثقيل والتخفيف)، وهو من التقدير.

ومن أسـماء القدر: الْمَنْيَة، تقول العرب: مَنَى لَكَ الْمَانِي، أي: قَدَّرَ لَكَ الْمُقَدِّرُ[٥]. وقال صَخْرُ الغَيِّ[٦]:

---

(١) الفَرَزْدَق، همام بن غالب بن صعصعة (ت: ١١٠هـ)، وقد تقدَّمت ترجمته.
(٢) ذكره ابن السكيت في إصلاح المنطق، ص٩٦.
(٣) النَّابِغَـة الْجَعدِيُّ هو: أبو ليلى قيس بن عبد الله بن عُـدَس، الجعدي العامري (ت: ٥٠هـ): شاعر مفلق، صحابيٌّ من المعمَّرين، اشـتهر في الجاهلية. وكان ممَّن هجر الأوثان، ونهى عن الخمر قبل ظهور الإسـلام. أسـلم، وأدرك صفِّين فشـهدها مع عليٍّ كرم الله وجهه، ثمَّ سكن الكوفة فَسَـيَّره معاوية إلى أصبهان مع أحد ولاتها، فمات فيها، وقد كُفَّ بصره وجاوز المائة. انظر: الزركلي: الأعلام، ٢٠٧/٥. الموسوعة الشعريَّة.
(٤) البيت من البسيط، من قصيدة مطلعها:

باتَـت تُذَكِّرُنـي بِـاللهِ قاعِـدَةً   وَالدَمعُ يَنهَلُّ مِن شَـأنَيهِما سَبَلا

انظر: ديوان النابغة الجعدي في الموسوعة الشعريَّة.
(٥) انظر: ابن منظور: اللسان، مادَّة: «مني»، ٢٩٣/١٥ ـ ٢٩٤.
(٦) صخر بن عبد الله الخيثمي الهذلي (ت:؟هـ): شـاعر جاهليّ. قال الأصفهاني: لقِّب بصخر الغيِّ لخلاعته وشدَّة بأسه وكثرة شرِّه. كانت بينه وبين شـاعر من هذيل يدعى أبا المثلم مناقضات وقصائد. أغار صخر علـى بني المصطلق من خزاعة، فقُتـل، فرثاه أبو المثلم. انظر: الزركلي: الأعلام، ٢٠١/٣. الموسوعة الشعريَّة.

لعَمرُ أَبي عمرو لقَدْ ساقَه الْمَنى إِلى جَدَثٍ يُوزَى[١] لهُ بالأَهاضِبِ[٢]

أي: ساقه القدر. وقال آخر:

وَلا تَقولَنْ لِشَيءٍ سَوفَ أَفعَلُهُ حَتّى تَبَيَّنَ ما يَمني لَكَ الْمَاني[٣]

أي: يُقَدِّرُ لَكَ الْمُقَدِّرُ. وقال آخر:

منت لك أن تلاقيني المنايا أحاد أحاد في شهر حلالي[٤]

وعن عكرمة عن ابن عبَّاس أنَّه سئل عن القدر فقال: الناس فيه على ثلاثة منازل: من جعل للعباد في الأمر مشيئة فقد ضادَّ الله في أمره. ومن أضاف إلى الله شيئًا مِمَّا يُنزِّه الله عنه فقد افترى على الله عظيمًا. ورجل قال: [إن] رُحِمتُ فبفضل الله، فذلك الذي سلم له دينه ودنياه جميعًا، ولم يظلم الله في خلقه، ولم يجهله في حكمه.

وفي حديث النبيِّ ﷺ أنَّه كان إذا مرَّ بهدف مائل أسرع المشي، فقيل له: يا رسول الله أتفرُّ من قضاء الله؟ قال: «**أفرُّ من قضاء الله إلى قدره**»[٥].

---

(١) يُوزَى: يُقَاسُ له على قدره. انظر: الخليل بن أحمد: معجم العين، مادة: «منا».

(٢) الأهاضب أي: الأهاضيب، حذفت الياء اضطرارًا، جمع أهضوبة، وهي الْهَضْبة والْهَضْبُ: الجبل المنبسط، وقيل: الجبل الطويل الممتنع. ابن منظور: اللسان، مادَّة: «هضب»، ٧٨٤/١ ـ ٧٨٥.

البيت من الطويل. وهو مطلع قصيدة صخر الغي. انظر: ديوانه في الموسوعة الشعريَّة.

(٣) البيت من البسيط، من أبيات لأبي قلابة الهذلي، مطلعها:

يا دارُ أَعرِفُها وَحشًا مَنازِلُها بَينَ القَوائِمِ مِن رَهطٍ فَأَلبانِ

انظر: الموسوعة الشعريَّة.

(٤) أورده الطبريُّ في تفسيره، ولم ينسبه. جامع البيان، ٢٣٧/٤.

(٥) رواه البيهقي في الشعب، دون زيادة السؤال، ولفظه: «كان إذا مر بهدف مائل أو صدف مائل أسرع المشي». وقال: «قال أبو عبيد: قال الأصمعيُّ: الهدف كلُّ شيء عظيم مرتفع. وقال غيره: الصدف نحو الهدف». البيهقي: شعب الإيمان، ر١٣٦١، ١٢٤/٢.

وعن بعض أصحاب جعفر بن محمَّد[(١)] قال: كنت معه فقلت في كلامي: ما شـــاء الله وأراد الله وقَدَّرَ وقضى. [فقالَ]: إنَّ الله إذا أراد شـــيئًا شاءه، فإذا شاءه قَدَّره، فإذا قَدَّره قضاه، فإذا قضاه أمضاه[(٢)].

مسألة: [يعذِّب الله على المقدور لا على القدر، وآثار في الموضوع]

فإن قال قائل: فما القدر؟ قيل له: هو الخلق.

فإن قال: فيعذِّب على القدر؟ قيل له: لا، إنَّما يعذِّب على المقدور.

فإن قال: فما الفرق بينهما؟ قيل له: القدر /١٠٥/ فعل الله تعالى، والمقدور هو فعل العبد. وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ (الأحزاب: ٣٨)، فالقَدَرُ فعله ﷻ، والمقدور فعل خلقه، والمقادير من الله ﷻ.

وقـــد روي أنَّ النبـــيَّ ﷺ قال: «**ســـيكون في هـــذه الأمَّة قـــوم يعملون بالمعاصي ثُمَّ يقولون: هي من الله قضاء وقدر، فإذا لقيتموهم فأعلموهم أني منهم بريء**»[(٣)].

وروي أنَّ رجلا قال [لرســـول الله][(٤)] ﷺ: بأبي أنت وأمِّي يا رســـول الله، متى يرحم الله عباده ومتى يعذِّبهم؟ قال: «**يرحم الله عباده إذا عملوا بالمعاصي**

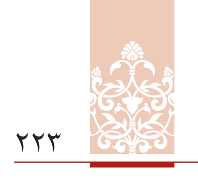
---

(١) هو الإمام أبو عبدالله جعفر بن محمَّد الصادق بن محمَّد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط الهاشمي القرشي، سادس الأئمة الاثني عشر عند الإماميَّة، من أجلَّاء التابعين. ولد وتوفِّي بالمدينة. كان رفيع المنزلة في العلـم، أخذ عنه الإمامان أبو حنيفة ومالك. كان جريئًا في الحقِّ، وله أخبار مع خلفاء بني العبَّاس. له رسائل مجموعة في كتاب. انظر: الزركلي: الأعلام، ١٢٦/٢.

(٢) انظر هذه المقولة بتصرُّف عند: المجلسي: بحار الأنوار، ١٢٢/٥.

(٣) لم أجده فيما بين يديَّ من مصادر.

(٤) في النسخ: «قال له ﷺ».



فقالوا: هي منَّا؛ ويعذِّب الله عباده إذا عملوا بالمعاصي فقالوا: هي من الله قضاء وقدر»[(١)].

فالطاعة والمعصية هما من الله خلق ومن العباد عمل.

وقد روي عن الأصبغ بن نباتة[(٢)] أنَّه قال: لَمَّا رجع عليٌّ بن أبي طالب من صفِّين قام إليه شيخ فقال: يا أمير المؤمنين أخبرنا عن مسيرنا إلى الشام أكان بقضاء وقدر؟ قال: والذي فلق الحبَّة، وبرأ النسمة، ما وطئنا موطئًا، ولا هبطنا واديًا، ولا علونا تلعة[(٣)] إلَّا بقضاء وقدر. فقال الشيخ: أحتسب عنائي، والله ما رأى لي من الأجر شيئًا. فقال له عليٌّ: بل أيُّها الشيخ لقد عظم[(٤)] أجركم في مسيركم وأنتم سائرون، وفي منصرفكم وأنتم منصرفون، ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين[(٥)]، ولا إليها مضطرِّين. فقال الشيخ: كيف لم نكن مضطرِّين والقضاء والقدر إذًا[(٦)] ساقنا، وعنهما كان مسيرنا وانصرافنا؟ فقال عليٌّ: ويلك أيُّها الشيخ! لعلَّك ظننت قضاء لازمًا، وقدرًا حاتمًا، لو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب، والوعد والوعيد، والأمر والنهي، ولم تكن تأتي لائمة لمذنب، ولا مَحْمَدة لمحسن، ولم يكن المحسن أولى بالمدح من المسيء، ولا المسيء أولى بالذم من المحسن، تلك مقالة عبدة الأوثان، وجند الشيطان، وخصماء الرحمٰن، وشهود الزور،

(١) لم أجده فيما بين يديَّ من مصادر.

(٢) أبو القاسم أصبغ بن نباتة التميمي الحنظلي الدارمي المجاشعي الكوفي، تابعيٌّ وثَّقه العجلي، وضعَّفه غيره لاتِّهامه بالرفض. انظر: المزي: تهذيب الكمال، ٣/٣٠٨ ـ ٣١١.

(٣) «التَّلْعَةُ: مَجْرَى الماء من أَعلى الوادي إلى بُطون الأَرض، والجمع التِّلاعُ». ابن منظور: اللسان، مادَّة: «تلع»، ٨/٣٦.

(٤) في (د): «أيُّها الشيخ، بل عظم».

(٥) في (د): «مكروهين».

(٦) في (د): «فإذا».

وأهل العمى عن الصواب، وهم قدريَّة هذه الأمَّة ومجوسها. إنَّ الله تعالى أمر تخييرًا، ونهى تحذيرًا، وكلَّف يسيرًا، ولم يُعْصَ مغلوبًا، ولم يُطَعْ مُكْرَهًا[١]، ولم يرسل الرسل عبثًا، ولم يخلق السماوات والأرض ما بينهما باطلًا، ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ (صٓ: ٢٧). فنهض /١٠٦/ الشيخ مسرورًا وهو يقول:

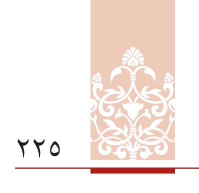
أنت الإمام الذي نرجو بطاعته[٢] — يوم النشور من الرحمٰن رضوانا
أوضحت من ديننا ما كان ملتبسا — جزاك ربُّك عنَّا فيه إحسانا[٣]

ومعنى كلام عليٍّ: أن الله تعالى لم يجبر عباده على طاعة. ولم تكن معصية العاصي لغلبة، ولا طاعة المطيع على كره وجبر، تعالى الله وجلَّ. وقوله: «قدريَّة هذه الأمَّة ومجوسها»، أمَّا القدريَّة فلأنَّهم يكذِّبون بالقدر ويقولون: لا قدر. وقالت المجبرة: إنَّما سمُّوا بالمجوس لأنَّهم ضاهوا المجوس في قولهم حين قالت: إنَّ الله خلق الخير ولم يخلق الشرَّ ولم يُرِدْهُ، وإنَّ الشيطان يخلق الشرَّ. تعالى الله خالقُ كلِّ شيء!. وللقدريَّة آراء مختلفة ومذاهب كثيرة تأتي بعد هذا عند ذكر الفرق والمذاهب إن شاء الله.

فصل: [قول أصحابنا في القدر، ونفي اتِّهامهم بالجبر]

قال أبو عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يسمُّون أصحابَنا المجبرةَ، يقولون: إنَّهم يقولون: إنَّ الله تعالى جبر العباد على المعصية، وليس ذلك من قول أصحابِنا. وأصحابُنا يقولون: إن الله تعالى خلق الطاعة والمعصية، وأمر بالطاعة

(١) في (د): «مكروهًا».
(٢) في (د): «شفاعته»، وفوقها كتب الناسخ: «بطاعته».
(٣) أورده المعافى بن زكريا، مع نص القصَّة نفسها في الجليس الصالح والأنيس الناصح، ٣٩١/١ (ش).



ونهى عن المعصية، وعلم من يعمل بالطاعة والمعصية، فَنَفَذَ علمُ الله تعالى كما علم.

وقول أصحابنا: إنَّ الله تعالى ما أجبر أحدًا على طاعة ولا معصية، وإنَّه تعالى أمر بالطاعة وأحبَّها ورضيها وزيَّنها، فمن عمل بها فبعلم الله، والله المانُّ عليه. وإنَّه تعالى نهى عن المعصية وأبغضها وكرهها وقبَّحها، فمن عمل بها فبعلم الله، ولله الحجَّة عليه.

وقال أبو عبد الله[1]: إنَّ القدر مِمَّا يسع جهله حتَّى يركب الجاهل به شيئًا مِمَّا يوجب على من ارتكبه الكفر.

فصل: [آيات وأحاديث وآثار في الإيمان بالقدر]

روي عن جعفر بن محمَّد: وسأله رجل فقال له: العباد مجبورون؟ فقال: إنَّ الله تعالى هو أعدل من أن يجبر خلقه على المعاصي ثُمَّ يعاقبهم عليها. قال: فمفوَّض إليهم؟ قال: هو أعزُّ من أن يكون لأحد في ملكه سلطان، قال: فكيف هو؟ قال: هو أمر بين أمرين: لا جبر ولا تفويض.

عمر بن سعيد عن جدِّه عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**لا يؤمن عبد أبدًا حتَّى يؤمن بالقدر كلِّه خيره وشرِّه**»[2].

وعن عليِّ بن أبي طالب عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**لا يؤمن عبد أبدًا**

(١) أبو عبد الله، محمَّد بن محبوب بن الرحيل (ت: ٢٦٠هـ). تقدَّمت ترجمته.

(٢) رواه الترمذي بلفظ: «لاَ يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ وَأَنَّ مَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ». وقال الترمذي: «وَهَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بن مَيْمُونٍ. وَعَبْدُ اللهِ بن مَيْمُونٍ مُنْكَرُ الْحَدِيثِ». الترمذي: السنن، كتاب القدر، باب ما جاء في الإيمان بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، ر٢١٤٤، ٤٥١/٤.

حتَّى يؤمــن بأربع: لا إلٰــه إلَّا الله، وأنَّ محمَّدا عبده ورســوله، وبالبعث، وبالقدر كلِّه»[١].

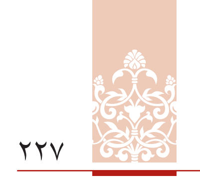
وعن ابن عبَّاس أنَّه قال: لا يأتينِّي رجل مــن هؤلاء الذين يتكلَّمون في القدر فيزعمون أنَّ أعمــال العباد مفوَّضة إليهم، أَمَا يقرؤون هذه الآية: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ (الإنســان: ٣٠. التكوير: ٢٩)، ﴿يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦ﴾ (الشورى: ٨. الإنســان: ٣١)، يعني في دينه. و﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ (الأنعام: ٣٩) وقــال: قاتلهم الله! أَمَا يقرؤون: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٌ﴾ (القمر: ٥٣)، و﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ﴾ (القمر: ٤٩).

سئل عامر الشــعبيُّ[٢]: ما تقول في القدر؟ قال: أقول ما قال الله تعالى في كتابه، وما قال رسوله ﷺ يوم الجمعة، قال الرجل: وما قال الله تعالى في كتابه؟ قال عامر: ﴿مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ بِفَٰتِنِينَ ۝ إِلَّا مَنۡ هُوَ صَالِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ (الصافَّات: ١٦٢ ـ ١٦٣). قال: فما هذه الآية؟ قال: ما أنتم بمضلِّين إلَّا من ســبقت له الشــقوة ومن هو صال الجحيم. قــال: فما قال النبيُّ ﷺ يوم الجمعة؟ قال: **«مــن يهد الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له»**.

---

(١) لم أعثر عليه فيما بين يدي من المصادر بهذا اللفظ. وفي مســند أحمــد رواية قريبة من هذه، جاء فيها: «لَنْ يُؤْمِنَ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِأَرْبَعٍ: يُؤْمِنُ بِاللهِ، وَأَنَّ اللهَ بَعَثَنِي بِالْحَقِّ، وَيُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَيُؤْمِنُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَــرِّهِ». وفي سنده رجل مبهم. أحمد: المسند، مسند العشرة المبشرين بالجنَّة، مسند عليِّ بن أبي طالب، ر١١١٢، ١٣٣/١.

(٢) أبو عمرو، عامر بن شــراحيل بن عبد ذي كبار، الشــعبي الحميري (ت: ١٠٣هـ): راوية، من التابعين، يضرب المثل بحفظه. ولد ونشــأ ومات فجأة بالكوفة. اتصل بعبدالملك بن مروان، فكان نديمه وســميره ورســوله إلى ملك الروم. وكان ضئيلًا نحيفًا، ولد لســبعة أشهر. وهو من رجال الحديث الثقات، اســتقضاه عمر بن عبدالعزيز. وكان فقيهًا شاعرًا. انظر: الزركلي: الأعلام، ٢٥١/٣.



مسألة في العلم [وأنَّه ليس غيرَه عَزَّ وَجَلَّ]

قولنا: إنَّ الله تعالى عالم، وإنَّ له علمًا بمعنى أنَّه العالم بالأشـيـاء، لا أنَّ له علمًا هو غيرُهُ به عَلِمَ الأشـيـاءَ. وقولنا[1]: إنَّ له تعالى علمًا كما قال عَزَّ وَجَلَّ في كتابه: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦ﴾ (النساء: ١٦٦)، أي: أنزله وهو العالم به. ونقول: إِنَّ له قدرة بمعنى أنَّه القادر، لا أنَّ له قدرة هي غيره.

مسألة: [اعتراض وجواب في كون علم الله ليس غيره تعالى]

فإن قال قائل: ما أنكرتم أن يكون عالمًا بعلم إذ لم نشاهد عالمًا إلَّا بعلم؟

قيل له: ولم نشـاهد عالمًا إلَّا وقد كان قبل ذلـك غير عالم، فيجب أن لا نقضي بالشاهد على الغائب.

فإن قال: فما أنكرت أن يكون ما تقولونه: إنَّه عالم بنفسـه لا معنى له؛ لأنَّه لا يخلو من أن يكون عالمًا بنفسـه أو عالمًا بعلم، فإن كان عالمًا بعلم فهو ما نقوله، وإن كان عالمًا بنفسه وجب أن يكون نفسُهُ عِلْمًا، فلمَّا استحال أن يكون نفسُهُ عِلْمًا وجب أن يكون عالمًا بعلم؟

قيل له: إنَّ العالم إنَّما كان عالمًا بوجود علمه، وقولنا: عالم بنفسه إثباتٌ للذات. الذي أنكرناه أنَّه غيره [إمَّا] أن يكون قديمًا أو محدثًا، فإن كان قديمًا [وجـب أن يكونا قديمين فـي الأزل، وإن كان محدثًـا][2] وجب أن يكون القديم قد كان غير عالم بما علم، فلمَّا فسد هذان الوجهان صحَّ ما نقوله: إنَّه عالم بنفسه.

---

(١) في (د): «وقوله».

(٢) عبارة ساقطة في النسختين أضفناها من منهج الطالبين، ليستقيم الاستدلال. انظر: الشقصي: منهج الطالبين، ١/٣٧٢ (ش).

مسألة: [علم اللّه بنعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار]

فإن قال: هل يعلم الله نعيم أهل الجنَّة وعــذاب أهل النار؟ قيل له: نعم يعلم ذلك إلــى غير غاية ولا نهاية ﷻ، هو العالم بمــا كان وما يكون وما لا يكون أن لو كان كيف كان يكون، لا يخفى عليه.

فإن قال: فما الدليل على أنَّه يعلم ما يكون من الأشــياء قبل أن يكون؟ /١٠٨/ قيل له: لو كان غير عالم بهــا قبل كونها كان يكون جاهلًا بها، فلمَّا كانت أفعاله على مقدار علمه بها علمنا أنَّه عالم بها قبل كونها.

مسألة: [هل علم اللّه بأفعال العباد يعني الجبر؟]

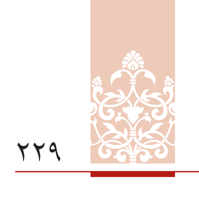
فإن قال: فالعلم ســاق العباد إلى ما عملوا من المعاصــي؟ قيل له: إنَّا لا نقول كذلك، لكن ســوَّلت لهم أنفسهم، وزيَّن لهم الشــيطان، حتَّى كان منهم ما علم الله ﷻ.

فإن قال: فيقدر من علــم الله تعالى منه المعصية أن يفعل خلاف ما علم الله؟ قيل له: لا.

فإن قال: فإذًا هو مجبور؟ قيل له: ليس مجبورًا[1]، وإنَّما قلنا: إنَّه لا يقدر على فعل ما علم الله أنَّه لا يفعله لتشــاغله بفعل ما أُمِر به أو نُهِيَ عنه، فأمَّا إنْ تَرَكَ ما اختار فهو قــادر على فعل ما اختار في الحــال التي يختار فيها الفعل الثاني، فهو يشغله بفعل لا يقدر على فعل آخر، ولكنَّه قادر على ترك ذلك في حال تركه مــن غير مانع له من تركه، ولا جابــر يجبره، ولا حائل بينه وبينه من قِبَل الله تعالى، وإنَّما أوتي من قِبَل نفسه.

---

(١) في النسخ: «قيل له: هو مجبور». وصحَّحناه بما يوافق السياق.



فإن قال: فما الدليل على أنَّه إذا لم يفعل ما أُمر به كان فاعلًا خلافه؟ قيل له: إنَّ العبد لا يخلو من أحد أمرين: إمَّا حركة أو سكون، فهو إن كان متحرِّكًا أو ساكنًا فهو فاعل لأحد الأمرين، وبأيِّهما كان مأمورًا فَفَعَلَ خلافَه فقد فعل خلاف ما كُلِّف، ومن لم يعمل بما أُمر به فليس بقادر عليه؛ لأنَّه لا يقدر في وقت واحد على فعل شيء وتركه، وذلك محال، والقدرة على المحال محال.

فإن قال: أليس قد علم الله تعالى من يكون مؤمنًا ومن يكون كافرًا قبل أن يعملوا؟ قيل له: بلى.

فإن قال: فقد كانوا كفَّارًا قبل أن يعملوا؟ قيل له: هذا محال، وليس كلُّ من علم الله تعالى أنَّه يعمل شيئًا يكون فاعلًا له قبل فعله، وهذا ما لا تجهله العقول، ومن اعتقد هذا فقد أَثِمَ وجار عن الحقِّ؛ لأنَّ علم الله تعالى في العبد أنَّه يعمل غير علم العبد أنَّه قد عمل؛ لأنَّ علمه أنَّه قد عمل إنَّما هو كان بعد أن لم يكن، وعلم الله تعالى لم يزل عالمًا بما يكون قبل كونه وفي حال كونه وبعد كونه، فهو العالم بالأشياء لا يخفى عليه شيء منها.

فصل: [في محاجة الجهميَّة]

سل الجهميَّة عن الله ـ تبارك وتعالى ـ: أكان قَبْلَ عِلْمِهِ أم لم يزل معه عِلْمُهُ؟ فإن قالوا: لم يزل معه عِلْمُهُ، والعلم هو الله؛ لأنَّ ما لم يزل /١٠٩/ ينبغي أن يكون هو الله.

فإن قالوا: علمه مخلوق، فقل لهم: قد كان ولا علم له.

فإن قالوا: نعم، فقل: قد كان ولم يعلم شيئًا . ثُمَّ قل لهم: هل كان يعلم أنَّه ليس معه شيء قبل أن يخلق شيئًا ويعلم أنَّه ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾؟

فإن قالوا: نعم، فقل لهم: قد وصفتم أنَّ له علمًا.

وسـلهم عن الإرادة والعلـم المخلوقين أيُّهما قبل صاحبـه؟ فإن قالوا: العلم كان قبل الإرادة، فَسَـلْهُم: [هل] خَلَقَ العلمَ وهـو لا يريد أن يخلقه؟ وكيف يخلق شـيئًا وهو[1] لا يريد خَلْقَهُ؟. ثُمَّ قل لهم: إن زعمتم أنَّ الإرادة قبل العلم فقد زعمتم أنَّ هنالك شيئًا مخلوقًا لم يعلمه، وأنَّ الإرادة مخلوقة، فقد كانت وهو لا يعلمها في قولكم.

[احتجاج] آخر:

وسـلهم عن حاله تعالى قبل أن يخلق شيئًا، هل كان يعلم شيئًا أو يريد شيئًا؟ فإن قالوا: نعم، وأعطوك ذلك فقد دخلوا في قولك، وإن زعموا أنَّه لم يكن يعلم شيئًا فمن سَمَّى يومئذ عالمًا أو سـميعًا أو بصيرًا أو ربًّا أو خالقًا فهو مشرك.

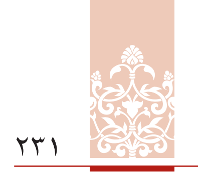
فصل: [في محاججة القدريَّة]

سل القدريَّة: أيُّما أحبُّ إلى الله تعالى، نفاذ علمه في ترك أمره، أو الأخذ بأمره في إبطال علمه؟ فإن قالوا: لا يحبُّ واحـدًا منهما، فقل: أخبرونا ماذا أَحَبَّ؟ فأنتم مقرُّون بأنَّه قد علم قبل أن يَخلُق أنَّه سـيُعصَى، إلَّا أن يكفروا فلا يقرُّوا بأنَّـه لم يزل يعلم قبل خلـق الخلق أنَّهم سـيَعصُون، فقد تركتم قولكم: إنَّ الله تعالى أحبَّ وأراد وشـاء أن ينفذ علمه فـي أن يُعصَى، فقد تركوا قولهم رأسًا، ودخلوا فيما عابوا علينا.

فإن قالوا: أَحَبَّ وشـاء وأراد الأخذ بأمره في إبطال علمـه، فقل: أليس قد أحبَّ ورضي وشـاء وأراد أن يكـون فرعون وهامـان وجنودهما ومَـن أَهْلَكَ

---

(١) في (د): ـ «وهو».



بالْمَثُلَاتِ من القرون الأولى ـ من المؤمنين؟ فإن زعموا أنَّه أراد ذلك فقد زعموا أنَّه أراد تعالى لنفسه الجهلَ والخلفَ والكذبَ، فهذا الكفر بالله لمن قال به.

وإن زعموا أنَّ الله تعالى أحبَّ وأراد أن ينفذ علمه ويفي بما وعد فقد تركوا علمهم رأسًا، ودخلوا فيما عابوا على من خالفهم، وأقرُّوا بأنَّ الله قد أحبَّ وأراد وشاء ورضي أن يكون ما قد علم من المعصية.

مسألة: [أدلّة علم اللّه السابق في خلقه]

فإن قالوا: ما هذا العلم الذي أخبر الله تعالى به والوعد الذي وعد؟ فقل: /١١٠/ قوله تعالى لنبيِّه ﷺ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (يونس: ٩٦) وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ...﴾ الآية[١]، وقوله تعالى لنوح عليه السلام: ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ...﴾ الآية[٢]. في آيات كثيرة من القرآن يخبر تعالى فيها بعلمه فيمن سبق عليه الشقاء؛ كلُّ ذلك يكذِّب مقالتهم أنَّه لم يحبَّ أن يكونوا مؤمنين مهتدين.

فصل: [آية الإشهاد]

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ سئل عن قول الله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ...﴾ الآية[٣]، فقال عليه السلام: «**إنَّ الله ـ تبارك وتعالى ـ خلق آدم فاستخرج ذرِّيَّة من قومه فقال:**

---

(١) البقرة: ٦ ـ ٧. وتمامها: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

(٢) هود: ٣٦. وتمامها: ﴿... فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾.

(٣) الأعراف: ١٧٢. وتمامها: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ...﴾.



خلقت هؤلاء للجنَّة وبعمل أهل[١] الجنَّة يعملون، ثُمَّ استخرج منه ذرِّيَّة فقال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون»، فقيل: يا رسول الله، فما العمل؟ فقال ﷺ: «**إنَّ الله تعالى إذا خلق أحدًا للجنَّة استعمله بعمل أهل الجنَّة حتَّى يموت على عمل من أعمال أهل الجنَّة فيدخله[٢] الجنَّة، وإذا خلق أحدًا للنار استعمله بعمل من أعمال أهل النار حتَّى يموت على أعمال أهل النار فيدخله النار**»[٣].

وقال: «كتاب كتبه الله فيه أهل الجنَّة بأسمائهم، مجمل عليهم لا يزاد فيهم ولا ينتقص منهم، وكتاب كتبه الله في أهل النار بأسمائهم، مجمل عليهم لا يزاد فيهم ولا ينتقص منهم، وقد يسلك بأهل السعادة طريق أهل الشقاء، حتَّى يقال: كأنَّهم منهم، بل هم منهم، ثُمَّ يخرجهم الله قبل الموت ولو بفواق ناقة، ثُمَّ يسلك بهم طريق أهل السعادة. وقد يسلك بأهل الشقاء طريق السعادة حتَّى يقال: كأنَّهم هم، بل هم هم، ثُمَّ يخرجهم الله قبل الموت ولو بفواق ناقة حتَّى يسلك بهم طريق أهل الشقاء. فالسعيد من سعد بقضاء الله، والشقيُّ من شقي بقضاء الله، والأعمال بخواتمها[٤].

(١) في (ز): ـ «أهل».

(٢) في (د): «فيدخل».

(٣) رواه الترمذي وأبو داود وأحمد بلفظ قريب منه. الترمذي: السنن، كتاب التفسير، باب ومن سورة الأعراف، ر٣٠٧٥، ٢٦٦/٥. أبو داود: السنن، كتاب السُّنَّة، باب في القدر، ر٤٧٠٣، ٢٢٦/٤. أحمد: المسند، ر٣١١، ٤٤/١.

(٤) أورده اللالكائي بهذا اللفظ تقريبًا، في اعتقاد أهل السُّنَّة، في قوله تعالى: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ﴾ (القمر: ٤٣)، ر١٠١٧، ٥٧٢/٣. وأورد الهيثمي حديثًا قريبًا منه وقال: «رواه الطبراني وفيه عبدالرحمٰن بن أيوب السكوني، روى حديثًا غير هذا فقال العقيلي فيه: لا يتابع عليه، فضعَّفه الذهبيُّ من عند نفسه لكن في إسناده بقيَّة وهو متكلَّم فيه بغير هذا الحديث أيضًا». الهيثمي: مجمع الزوائد، ١٨٧/٧.

وقال أبو بكر يرفع الحديث: «**خلق الله الخلق قبضتين، فقال: هؤلاء في الجنَّة فهنيئًا لهم، وهؤلاء في النار ولا أبالي**»(١).

وعن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**إنَّ العبد ليعمل بعمل أهل الجنَّة حتَّى لا يبقى بينه وبين الجنَّة إلَّا مقدار ذراع أو باع، ثُمَّ يدركه العلم السابق فيعمل بعمل أهل النار فيموت على ذلك فيصير إلى النار. وإنَّ العبد ليعمل بعمل أهل النار حتَّى لا يبقى بينه بين النار إلَّا مقدار ذراع أو باع، ثُمَّ يدركه العلم السابق فيعمل بعمل أهل الجنَّة فيموت على ذلك فيدخل الجنَّة**»(٢).

مسألة: في الإرادة

قال الله ﷿: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ (يسٓ: ٨٢)، وقال ﷿: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ (الحج: ١٤) وهذه صفة ذات؛ لأنَّ كلَّ ما علمه الله فقد أراده، وليست إرادته تعالى فعلًا من أفعاله، ولا نقول بذلك كما قال من جار عن الحقِّ. ولو كان فاعلًا إرادة(٣) محدثة بها خلق لم يخل أن يكون أحدث إرادته في نفسه أو في غيره أو قائمة بنفسها. فإن قال: إنَّه أحدثها في نفسه فليس هو محلًّا للحوادث، وإن قال: أحدثها في غيره كان ذلك الغير

(١) رواه أحمد عن معاذ بدون لفظة: «فهنيئًا لهم». قال الهيثمي: «رواه أحمد وفيه البراء بن عبدالله الغنوي قال ابن عدي: وهو أقرب عندي إلى الضعف، وبقيَّة رجاله رجال الصحيح إلا أنَّ الحسن لم يسمع من معاذ». الهيثمي: مجمع الزوائد، ١٢٠/٧.

(٢) رواه البخاري بلفظ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ... فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ. وَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ». البخاري في كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، ر٣٠٣٦، ١١٧٤/٣. مسلم في كتاب القدر، باب كيفيَّة خلق الآدميِّ في بطن أمِّه...، ر٢٦٤٣، ٢٠٣٦/٤.

(٣) كذا في النسختين، ولعلَّ الأصوب: «بإرادة».

مريدًا. وإن قال: أحدثها قائمة بنفسـها كان مسـتحيلًا لأنَّهـا صفة، والصفة لا تقوم بنفسها. فلمَّا فسـدت هذه الوجوه صحَّ أنَّه تعالى لم يزل مريدًا، كما أنَّه لم يزل قادرًا عالمًا.

وممَّا يدلُّ على فسـاد ما قالوا من أنَّ الله تعالى خلـق إرادة له بها أراد، قوله تعالـى: ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (النحل: ٤٠) فلمَّا لم يجـز أن يكون قوله مقولًا لـم يجز أن يخلق إرادته، فلـو جاز أن يقول لقوله جاز أن يريد إرادته، وكان قـد أراد إرادة، وإرادة بإرادة إلى ما لا نهاية له، وهذا قول فاسد لا يجوز لقائله.

مسألة: [في قوله تعالى: ﴿أَرَدْنَٰهُ ﴾]

فإن قال قائل: إنَّ قوله تعالـى: ﴿ أَرَدْنَٰهُ ﴾ إرادة، إنَّما هو فعلناه؟ قيل له: إن كان معناه إرادة بها أراد إذا كان إنَّما هو فعل من غير إرادة.

مسألة: [حول العلم والإرادة]

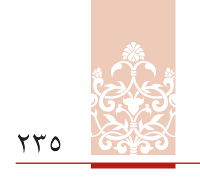
فإن قال: ما أنكرتم أنَّ الله تعالـى لم يكن يريد ثُمَّ أراده؟ قيل له: أنكرنا ذلك لأنَّه لو لم يكن مريدًا لكان موصوفًا بضدِّ الإرادة من الترك، والأضداد عن الله تعالى منفيَّة.

ويقال له[1] أيضًا: ما الفرق بينك وبين من قال: لم يكن عالمًا ثُمَّ علم؟

فإن قال: إنَّ المريد غير العالم كذَّبـه الإجماع؛ لأنَّ الاتِّفاق أنَّ الله تعالى هو المريد العالم، وهذه الصفات له تعالـى ثابتة في كتابه ﷻ، والقول بأنَّه لم يكن مريدًا ثُمَّ أراد لا يعدو منـزلتيـن: /١١٢/ إمَّا أن يكون مصيبًا في أن

---

(١) في (د): ـ «له».



لا يريد ثُمَّ أراد، فقد رجع عن الصواب إلى الخطأ إذا كان في أن لا يريد مصيبًا، فهو في أن يريد بعد أن [لا] يريد مخطئ، وإن كان مخطئًا في أن لا يريد ثُمَّ أصاب بأن أراد فقد انتقل عن الخطأ إلى الصواب، أو عن الصواب إلى الخطأ، وقد دخله الخطأ في الوجهين جميعًا؛ فلمَّا كان هذا هكذا فسد قول من يقول: إنَّه لم يرد ثُمَّ أراد؛ لأنَّ هذا معنى البداء، والله تعالى أن يحلَّه البداء والغفلة والنسيان، أو الخطأ أو الجهل، أو أن يشبهه شيء من خلقه.

فإن تجاهل وقال: إنَّ الله قد علم بكلِّ شيء ولم يرده؟ قيل له: ما الفرق بينك وبين من يزعم أنَّه أراد كون الشيء ولم يعلمه؟ لأنَّه فيما بيننا[1] أنَّ الإنسان قد يريد فعل الشيء ولا يعلم كيف يفعله، فإن لم يَجِبْ هذا لم يَجِبْ ما قلته.

فإن قال: إنَّ العلم لا يجوز أن يوصف بالقدرة عليه وعلى خلافه، والإرادة قد يوصف بها وبخلافها؟ قيل له: وكيف يكون ذلك؟

فإن قال: يجوز أن تقول: أراد ولم يُرِدْ، ولا يجوز أن تقول[2]: علم ولم يعلم، قيل لهم: فقد قال تعالى: ﴿ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ ﴾ (يونس: ١٨)، فما دليلك على ذلك وهو المريد بنفسه والعالم بنفسه، ولا فرق فيما اعتللت به؟. ويقال لهم: أتقولون: إنَّ الله تعالى يريد كون خلاف ما علم؟ فإن قالوا: نعم، كفروا، وإن قالوا: لا، [لم] يرد[3] إلَّا ما علم، قيل لهم: أفتقولون: إنَّهُ يعلم خلاف ما أراد؟ فإن قالوا: نعم، قيل لهم: وما ذلك؟ فإن قالوا: أراد الطاعة ولم يرد المعصية، قيل لهم: فعلى قولكم هذا إنَّه لم يرد إنفاذ ما علم.

(١) في (د): بيَّـنَّا».
(٢) في (د): «يقال».
(٣) في النسخ: «لا يرد».

مسألة: [حول العلم والإرادة أيضًا]

ويقال لهم: أتقولون: إنَّ الله تعالى قد علم الطاعة من المطيع، والمعصية من العاصي؟ فإن قالوا: نعم، قيل لهم: فأراد المعصية من العاصي والطاعة من المطيع؟! وإن قالوا: أراد الطاعة ولم يرد المعصية، قيل لهم: وعَلِمَ الطاعة ولم يعلم المعصية،؟! فإن قالوا: نعم، كفروا، وإن قالوا: قد علم جميع ذلك، قيل: أراد إنفاذ ذلك أم إبطاله؟ فإن قالوا: إبطاله، كفروا، وإن قالوا: إنفاذه، نقضوا قولهم.

فصل: [محاججة المعتزلة في الإرادة والأمر]

المعتزلة رجلان: **أحدهما**: يقول: إنَّ ما أراد الله تعالى من أفعال عباده الأمرُ بها، **والآخر**: يقول: إنَّ ما أراد /١١٣/ الله تعالى من أفعال عباده غيرُ الأمرِ بها.

فمن ذهب إلى الأمر لزمه ـ إذا لم يكن الباري أَمَرَ بأفعال الأطفال والمجانين ـ أن يكون كارهًا لها إن كان يَجِبُ أن[1] تَنْفِيَ أفعالُ العباد الكراهةَ، والله تعالى لا يَكرَهُ إلَّا معصية، كما لا ينهى إلَّا عن معصية، وإن[2] لم يكن هذا هكذا عندهم بطل ما قالوه. وهذا يوجب أنَّ كلَّ مباح معصية.

ومن ذهب إلى [أنَّ] إرادةَ الله ﷻ لأفعال عباده غيرُ الأمر بها، قيل له: إذا كان يجب [أن] تنفي الإرادةُ لأفعال عباده الكراهةَ، فهل أراد الله تعالى كون الأفعال التي ليست بمعاصي ولا طاعات.

فإن قال: نعم، قيل له: فيلزمك أن تكون طاعة؛ لأنَّ الطاعة عندي إنَّما كانت طاعة للمطاع لأنَّه أرادها.

(١) في (د): ـ «أن».
(٢) في (د): «وإذا».

فإن قال: لم يردها، قيل لــه: فيلزمك أن تقول: إنَّــه كاره لكونها، وهذا يوجب أن تكون معصية؛ لأنَّ ما كرهه الله تعالى فهو معصية عندك.

مسألة: [الإرادة صفة ذات]

والإرادة هي صفة ذات؛ لأنَّ الله ﷻ لم يزل مريدًا لِمَا يأمر به إرادة أمر لا إرادة حتم، فهو مريد لِمَا أمر به مِمَّــا علم أنَّه يكون أو أنَّه لا يكون، ولم يزل مريدًا لِمَا ينهى عنه.

فأمَّا أن يكون مريدًا له محبًّا له أو مختارًا له أو راضيًا به فلا، ولكن أراد أن يخلق مــا علم أنَّه يكون مِمَّا نهى عنه، ولم يرده طاعة ولا حُســنًا، وإنَّما كان[1] ما نهى عنه ذمَّه وهو غير مريد له طاعةً، وأراد خلقه ذميما فاسدًا مِمَّن فعله مخالفًا للإيمان، وهو غير مكره ولا مغلوب. ولو أراد أن لا يكون حتمًا لَمَــا كان ولا وُجِدَ، وهو خالق له مِمَّن فعلــه، والفاعل له مختار لفعله، غير مجبور عليه ولا ملجأ لفعله.

مسألة: [في خلق أفعال العباد]

فإن قال قائل: فتكليف مَنْ عَلِمَ الله تعالى أنَّه يؤمن أو أنَّه يكفر حســن؟ قيل له: نعــم، وإنَّما تكون الطاعة طاعــة والمعصية معصية مــن قِبَلِ الأمر والنهي، فأمَّا بموافقــة الإرادة والمراد فلا. ولا تكون طاعــة لموافقة العلم، وذلك أنَّ الله ﷻ مكَّننا وكلَّفنا الطاعة لحسنها، ونهانا عن المعصية لقبحها. وصُرِفَ العبدُ منَّا بتلك القوَّة وتلك الاســتطاعة إلى مــا أحبَّ واختار؛ لأنَّه مختار، كذلك[2] خُلِقَ ورُكِّب من غير إجبــار أجبره الله تعالى على فعل من

(١) في (د): «وإنما هو كان».
(٢) في (ز): «لذلك».

الأفعال، فهو محمود أو مذموم بما فعل مِمَّا أُمِر أو نُهِيَ. والله الخالق لجميع /١١٤/ ما يحدث من فعلــه في حاله وفعله؛ لأنَّا إذا نفينـــا الخلق عن فعله أحلنا في ذلك، وخَالَفْنَا الحقَّ، وأثبتنا الخلق، ونفينا الإرادة لِخَلْقِ ما عُلِمَ أنَّه خالِقُهُ في حالــه؛ لأنَّه إذا أثبتنا أنَّه خالق لِمَا يريـــد خلقه فقد جعلناه مكرهًا على خلق الخلق، فليس إلَّا أن نثبته مريدًا لخلق ما علم أنَّه خالقه في حاله أو غير مريد ولا خالق، فقد بيَّـنَّا فساد ذلك.

وأيضًا لو خلق ما لا يريد خلقه أو حدوثــه كان فاعلًا وعابثًا، تعالى الله عن ذلك. لو حدث في خلقه شـــيء لم يخلقه لجـــاز لطاعن أن يطعن فقال: لا يجوز أن يقال: لا خالق إلَّا الله، فتعالـــى الله علوًّا كبيرًا. وإنَّما الخلق مدح لله، والله تعالى إنَّما أراد أن يطيعه[1] عبادُهُ طوعًا لا كرهًا، ولو أراد غير ذلك ـ وإن كان لم يفعله ـ فهو قادر عليه.

مسألة: [هل يريد الله الكفر؟]

فإن قـــال: إنَّ مِمَّا يدلُّ علـــى أنَّ الله تعالى لا يريد الكفـــر والفجور أنَّ المريد لشتمه سفيه غير حليم، فلمَّا كان الله تعالى حكيمًا علمنا أنَّه لا يريد شـــتمه، قيل لـــه: إنَّ إرادة الله تعالى لا تشـــبه إرادة خلقه، وقد أراد شـــتم الشـــاتمين له معصيةً لا طاعةً، خلاف مدح المادحين له. والله تعالى[2] أراد ميل أهل الأهواء والشـــهوات عن الحقِّ معصيةً لا طاعـــةً، ولم يرد ميلهم طاعة له في ذلك. وأراد الله تعالى الصـــلاح مِمَّن أتى به مختارًا غير مكره طاعةً، ولم يرد أن يكون الصلاح معصيةً، ولم يـــرد الكفر والضلال إيمانًا

---

(١) في النسخ: «يطيعوه».

(٢) في (د): + «قد».

ولا طاعة، ولكن أراد الكفر مِنْ فِعْلِ الكافر معصيةً غير طاعة، وضلالًا غير هدى، وكفرًا غير إيمان.

مسألة: [هل يخرج الكفر عن إرادة الله وملكه؟]

يقال للقدرية: أليس لله ملكوت السماوات والأرض وما فيهما من شيء؟ فإن قالوا: لا، كفروا وكذَّبوا بكتاب الله تعالى، وجعلوا معه سبحانه من يملك شيئًا، لا إلٰه إلَّا الله، ودخلوا هاهنا في قول الزنادقة. وإن قالوا: بلى، فقل: أليس أراد الله تعالى وأحبَّ وشاء ورضي أن يكون الكفر في ملكه؟ فإن قالوا: نعم، خُصِمُوا وتركوا قولهم ودخلوا فيما عابوا على خصمهم، وأقرُّوا بأنَّ الله قد أحبَّ وأراد وشاء ورضي أن يكون الكفر، وذلك ترك قولهم ودخولهم فيما عابوا علينا.

وإن زعموا أنَّه تعالى لم يرد ولم يحبَّ ولم يشأ ولم يرض أن يكون الكفر في ملكه وسلطانه، فقل لهم: فمن بيده ملك الكفر وسلطانه، أَبِيَدِ الله ملكُ ذلك أو بيد غيره وفي ملك غير الله وسلطانه؟ /١١٥/ فإن قالوا: ليس بيد الله تعالى ملك الكفر وسلطانه وإنَّه بيد غيره وفي مُلكِ غَيْرِهِ كفروا وجعلوا مع الله من يملك شيئًا لا يملكه الله تعالى، وهكذا قالت الزنادقة. وإن أعظموا ذلك وزعموا أنَّ الكفر في ملك الله وسلطانه، فقل: أليس لم يزل تبارك وتعالى يريد أن يكون الكفر في ملكه أو لم يزل لا يريد ذلك؟ فإن قالوا: لم يزل يريد أن لا يكون الكفر في ملكه، فقل لهم: أليس الناس جاؤوا بشيء لم يزل الله يريد ألَّا يكون في ملكه، ولم يزل يريد ألَّا يملكه، فملَّكوه ما لم يكن في ملكه؟ فإن قالوا: فكيف يكون في ملكه ما لم يكن شيءٌ بعدُ؟ فقل: كما لم يَزَلْ[1] رَبَّ العالمين قبل أن يكون العالمون، وكما كان مَلِكَ يومِ الدِّينِ من قبل أن

(١) الله.

يكون يومُ الدِّينِ، فالله ـ تبارك وتعالى ـ لم يحدث له ـ بِخَلْقِ مَنْ خَلَقَ ـ مُلْكٌ لم يكن له قبلَ ذلك، ولا عِلْمٌ لم يكن يعلمه قبل ذلك.

وإن قالوا: لم يرد أن يملِّكه العبادُ شيئًا لم يكن يملكه فقد تركوا [قولهم: إنَّه] لم يــرد أن يكون الكفر في ملكــه. وإن أبوا إلَّا أن يقولــوا: لم يرد أن يكون الكفر في ملكــه[1]، فقل لهم: هل أراد الله أن يكون الكفر في ملكه أو لم يُرِدْ ذلك؟ فإن قالوا: لم يُرِدْ ذلك، فقل: فمن أكرهه وأجبره على أن يجعل في ملكه وســلطانه ما لم يزل يريد أن لا يكون في ملكــه؟ فأراكم تصفون ربَّكم بأنَّه مجبور مغلوب على أن يملك ما لم يزل يكره أن يكون في ملكه وســلطانه. فإن أتمُّوا على هذا القول كفروا بالله، وأشركوا به ما لم ينـزِّل به سلطانا، ووصفوه بأنَّه مجبور مغلوب على أن يملك ما هو كاره لملكه، فقد قالوا هاهنا أعظم مِمَّا عابوا على خصمهم، قالوا منكرًا من القول وزورًا.

مسألة: [هل تختلف إرادة الله في خلق الكون عن إرادته الطاعة والمعصية؟]

سل القدريَّة عن إرادة الله تعالى في خلقه، أَعَلَى غير معنى كانت من الله تعالى يريــد تمامها من العباد، أم علــى غير معنى يريد تمامــه؟ فإن قالوا: لا يقال لإرادة الله تعالى معنى، وليس إرادة الله كإرادة العباد، فقل لهم: صفوا لنا إرادة الله في خلقه مِمَّا أمرهم به ونهاهم عنه.

فإن قالوا: الإرادة من الله واحدة، فقل: أليس إرادته من الخلق في الطاعة أن يكون منهم كما أراد مِــنْ خَلْقِ الْخَلْقِ؟ فإن قالوا: بلى، فقل لهم: فما بال إرادته تمَّت فيما أراد مِنْ خَلْقِ الْخَلْقِ ولم تتمَّ فيما أراد من الخلق في الطاعة؟.

(١) في (د): ـ «وإن أبوا إلَّا أن يقولوا: لم يرد أن يكون الكفر في ملكه». انتقال نظر.

وإن قالوا: إرادته على غير وجه، منها حتمٌ، كخلق[١] السماوات وغيرها، ومنها أمره، فقل: /١١٦/ فمن أيِّ الأمرين إرادتُهُ للخلقِ الطاعةَ إذا أراد ذلك منهم فلم يكن؟ فإن قالوا: من إرادة الأمر، أو قالوا مِنْ إرادة الحتم[٢] فقد تركوا قولهم. وإن قالوا: ليس من إرادة الأمر ولا من إرادة الحتم، فقل: فما هذه الإرادة الثالثة، وما هي؟ فإنَّهم لم يأتوا بغيرها، ولا قوَّة إلَّا بالله.

فصل: [هل إرادة الله تعالى في جميع الأشياء إرادة واحدة؟]

زعم أهل القدر أنَّ الإرادة من الله تعالى في جميع الأشياء إرادة واحدة، أراد من العباد الإيمان كما أراد أن يخلق السماوات، فذلك قولهم في أصل كلامهم، فإذا اضطرُّوا رجعوا إلى أنَّ إرادته في خلق السماوات غير إرادته من العباد الإيمانَ، قلنا لمن أقام منهم على القول الأوَّل بأنَّ[٣] الإرادة من الله تعالى في جميع الأشياء واحدة: أَعَجَزَ الله أن يتمِّم ما أراد جمعًا على ما أراد، كما أراد من خلق السماوات والأرض، وخلق الإنسان والشمس والقمر لم يعجزه شيء مِمَّا أراد؟ فإن قالوا: بل أعجزه شيء، فقد كفروا بالله وعجَّزوه، وكذَّبوا بكلمات الله تعالى، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ (البقرة: ٢٠ وغيرها). وإن قالوا: لا يعجزه، وكلُّ ما أراد فهو كائن، قلنا: فما بال الخلق[٤] لَمْ يكن منهم ما أراد من الإيمان كما كان ما أراد من السماوات في تمام خلقها؟ فإن قالوا: بل إرادته في كلٍّ سواء، وليس كلُّ ما أراد بكائن؛ لأنَّ الإرادة من الله تعالى في خلقه حتم، والإرادة من الله فيما

(١) في (ز): «لخلق».
(٢) وردت العبارة مضطربة في النسخ: «من إرادة الأمر، وقالوا إرادة الحتم».
(٣) في النسخ: «فَإِنَّ».
(٤) في النسخ: «فما لم يكن».



أمر ليس بحتم، كما حتم خلق السـماء. فإن قالوا: هي إرادة أمر فقد زعموا كما زعمنا.

فصل: [في إرادة الأمر وإرادة الخلق]

ويقال: لهم: أفـإرادة الله من الأمر ما لم يتمَّ كونه أم مـا يتمُّ كونه؟ فإن قالـوا: إرادة الله من الأمر ما يتمُّ كونه، قلنا: فما دفـع إرادة الله فيما أراد من عباده فـي أمره؟ فإن قالـوا: إرادة الخلق دفعت إرادة الله، قلنـا: أوليس أنَّها كانت سَبَبَ دَفْعِ إرادةِ الله ما أراد الخلقُ لأنفسهم؛ لأنَّه لو لم يُحِبَّ ويُرِدْ الله تمكينَ الخلقِ من اسـتطاعة دَفْعِ ما أراد الله لم يكـن الخلقُ ليدفعوا ما أراد الله، ولا يسـتطيعون دفعه؟ فإن قالوا: إنَّما دفع العبـاد ذلك بما أعطاهم الله، فقد زعموا أنَّ الله دفع إرادته بإرادته، وأنَّه تعالى أراد ذلك جميعًا. وإن قالوا: إنَّما يسـتطيع العباد خلاف ما أراد الله منهم، ويفعلـون خلاف ما أراد بغير تمكين منه تعالى لهم فقد زعموا أنَّهم مسـتغنون عن الله تعالى، وأنَّهم هم الذين يفعلون ما يحبُّون /١١٧/ بلا سبب من الله تعالى لهم، ولا قوَّة أعطاهم إيَّاها، وهذا مِمَّا يدخل عليهم.

وإن قالوا: إنَّ الإرادة من الله تعالى ليسـت بواحدة، قلنا لهم: كم هي، فإن قالـوا: إرادات كثيرة: منها ما خلق تثبيت الخلـق حتما منه، ومنها ما ليس بحتم، قلنا لهم: أمَّا التي في حتم خلق الخلق فنحن وأنتم فيها سواء. وأمَّا التي ليست بحتم، وليست في قولكم بأمر كما قلنا، فما هي؟ وكيف إرادة أرادها من الخلق أن يأمرهم وينهاهم ولا يُجبرهم ولا يُكرههم؟ فإن قالوا: نعم، قلنا: فهل أحبَّ الله تعالى الذي أراد من الخلق في أمره ونهيه؟ فإن قالوا: نعم، قلنا: فهل كان كما أحبَّ أم إنَّما أراد وأحبَّ أن يكون الأمر منه أمرًا فكان كما أراد أمرًا، فيكونوا شـركاء فيما قلنـا، أم إنَّما أراد أمرًا

وأحبَّ خلافه، فإن قالوا: أراد أمرًا وأحبَّ خلافه، فقد تركوا قولهم، وإن قالوا: بل أراد أن يأمر العباد بما يحبُّ تمامه فقد رجعوا إلى أنَّها إرادة حتم مثل إرادة خلق السماوات، ولم تتمَّ إرادته في خلقه كما تمَّت في خلق السماوات.

فصل: [الإرادة والمشيئة بين القدريَّة والإباضيَّة]

زعمت القدريَّة أنَّ الله تعالى أراد شيئًا فلم يكن الذي أراد، وأنَّ إرادته لم تتمَّ كما أراد فيها، وأنَّ إبليس لعنه الله أراد من العباد الطاعة [له] فتمَّت إرادته فيما أراد منهم من معصية، وقصرت إرادته في بعض، وأنَّ الله تعالى أراد من العباد الطاعة فتمَّت إرادته في بعض وقصرت في بعض، فأقاموا الله في إرادته مقام إبليس، ولم يفرِّقوا بين الله جلَّ وعزَّ وبين إبليس اللعين في إرادته[1] فيما أمر به أو نهى.

ولسنا نقول في المشيئة كما قالت القدريَّة، وذلك أنَّهم قالوا: إنَّ المشيئة من الله تعالى في الطاعة إنَّما هي مشيئة أرادها من الخلق تكون على جهة البلوى وأنَّهم هم يختارون ما يريدون، ومفوَّض ذلك إليهم. قلنا لهم: أليس الله تعالى أراد وشاء أن يكون الإيمان بفعلكم، وإرادتُه لهذا إرادةُ حتمٍ هي أم ليست بحتم؟ فإن قالوا: ليست بحتم، قل: فما هي؟ وقد ميَّزتم الإرادة التي هي حتم عن الإرادة التي هي البلوى؟ فقل لهم: أليس إرادة الله في هذا الهدى من الله حتمًا أنَّه إنَّما أراد أن يكون هذا كذا؟ فقد رجعتم إلى أنَّ الإرادة من الله حتم في ذلك، وإلَّا فأنبئونا بالمخرج لكم من ذلك، غير أنَّا نقول: إنَّ لله تعالى في خلقه إرادتين ومشيئتين.

(١) في (ز): «إرادة».

ومعنى الإرادة والمشيئة واحد، غير أنَّهما اسمان يتضمَّنهما معنى واحد: **أحدهما**: مشـيئة الأمر /١١٨/ الذي أرسل الله به الرسـل وهدى به السبل، **والمشيئة الأخرى**: مشـيئةٌ في خلق الخلق وقسم الأرزاق، وما أراد في إنفاذ ما قد سبق عنده في علمه من الأمور، وما به الخلق عاملون، وإليه صائرون.

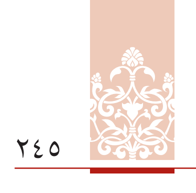
ولو كانت المشـيئة من الله تعالى واحدةً كما قالـت القدريَّة لم يُختلَف على الله تعالى فيمـا أراده مـن الخلق، كما لـم تَختَلِفْ إرادتـه في خلق السـماوات والأرض وغير ذلك، ولكان العباد فيما أمرهـم به مطيعين كما أطاعته السماوات والأرض إذ أجابتاه.

ونحن نفسِّـر بيان ما فيه الهدى، والتوفيق بالله، وذلك لو أنَّه كانت إرادته فيما أمـر به من الطاعة مثل إرادته فيما أراد مـن خلق الخلق لكان الذي قال لهم: ﴿كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ﴾ (النسـاء: ١٣٥) لا يكونون إلَّا كما أراد منها، كما زعموا أنَّه لـم يرد فيهم غيـر الطاعة، ولـكان الذي قال لهـم: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ (التوبة: ١١٩)، لا يكونون أبـدًا إلَّا مع الصادقين؛ لأنَّ أهل القدر زعموا أنَّ الله لم يرد في العباد ولا للعباد إلَّا إرادة واحدة وهي إرادة الإيمان، ولو كان ذلك كذلك لكان كلُّ من قال لهم[1]: كونوا كذا وكذا، كانوا يكونون كما قال لهم. وكما قال لليهود: ﴿كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ (البقرة: ٦٥. والأعراف: ١٦٦)، فكان كما أراد فيهم، فَلِمَ تتمُّ إرادتُهُ فـي بعضٍ، وبعضٌ لَا؟ وهم يزعمون أنَّ الله تعالى أراد من العباد الإيمان، لم يرد فيهم ولا منهم غيرَهُ!.

ولكـن ليعلمْ أهل اللـبِّ أنَّ الله تعالى لم يُعْصَ بقسـرٍ ولا باسـتكراه ولا بغلبة، ولكنَّ إرادته نفذت في كلِّ ما أراد. وكذلك وصف نفسه فقال جلَّ وعلا: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ (البقرة: ٢٨٤ وغيرها).

---

(١) في النسخ: «له».



مسألة: [بين علم الله تعالى وإرادته]

يقال لمن قال: إنَّ الله تعالى أراد خلاف ما علم: هل عَلِمَ اللهُ ما العباد عاملون، وإلى ما هم صائرون؟

فإن قال: لا، كَفَرَ وخرج من قول أهل الصلاة: إنَّ الله تعالى لم يزل عالمًا بما يكون قبل كونه. وإن قال: نعم، قيل له: فأراد إنفاذ ما علم أم إبطاله؟

فإن قال: لم يُرِدْ أن يكون ما عَلِمَ كما عَلِمَ، كَفَرَ. وإن قال: إنَّه أراد كون ما عَلِمَ انقطعت حجَّته التي يحتجُّ بها في الإرادة؛ لأنَّ الله تعالى قد علم أنَّ المعصية من العاصي معصية، وأرادها معصية مسخوطة، وقضاها قبيحة خلاف الطاعة والإيمان، وبالله التوفيق.

مسألة: في المشيئة

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا...﴾ الآية[1]، ففي ذلك دليل /١١٩/ على أنَّه لم يفوِّض الأمر إلى عباده ليستبدَّ كلُّ امرئ منهم بمراده، كما زعم الملحدون في آياته، المنكرون لأحكام كتابه، إذ قالوا: فقد شاء الله تعالى من الخلق أن يؤمنوا، وكره منهم أن يكفروا، فأحبَّ الكافرين لأنفسهم أن يكفروا، وكانت محبَّتهم غالبة لمحبَّته، ومشيئتهم ظاهرة على مشيئته، فهم إن شاؤوا أن لا يكفروا نفذت مشيئتهم، والله تعالى عندهم قد شاء من الخلق أن يكفروا فلم تنفذ مشيئته، وأراد أن يؤمنوا فلم تبلغ إرادته، فكيف يكون ذلك وهو عزَّ وجلَّ يقول: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ

(١) السجدة: ١٣. وتمامها: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا ...﴾ الآية[١]، أفليس في هذا القول دليل لأولي التمييز والأبصار على أنَّه لا يستطيع من سبق له الخذلان أن يدخل في ملَّة أهل الإيمان إلَّا بمشيئة الله تعالى؟ لا سابق لأمره، ولا رادَّ لحكمه، ولا مضادَّ له في مشيئته، خالق الخلق، ومدبِّر الأمر، تعالى عمَّا يقول المبطلون علوًّا كبيرًا.

وعن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**سبق العلم، وجفَّ القلم، وقُضي القضاء، وتمَّ القدر بتحقيق الكتاب، وتصديق الرسل والسعادة من الله لمن آمن واتَّقى، والشقاء لمن كذَّب وكفر، وبولايته للمؤمنين، وببراءته من المشركين، وبتوبته منه عليهم إن تابوا وآمنوا كما أُمروا**». ثُمَّ قال النبيُّ ﷺ عن الله جلَّ وعلا: «**يا ابن آدم، بمشيئتي كنت أنت تشاء لنفسك[٢] ما تريد، وبنعمتي قويتَ على معصيتي، وبقوَّتي أدَّيت إليَّ فرائضي، فأنا أولى بحسناتك منك، وأنت أولى بسيِّئاتك منِّي، لم أَدَعْ تحذيرك، ولم آخذك على غرَّتك، ولم أكلِّفك فوق طاقتك، ولم أحمِّلك من الأمانة إلَّا ما قدرت به نفسك**»[٣].

وعن ابن عبَّاس أنَّه قال: الخلق لِمَا علم الله منهم منقادون، وعلى ما سطَّر في المكنون من كتابه ماضون، لا يعملون خلاف ما منهم علم، ولا غيرَهُ يريدون، فلا مشيئة للعباد خلاف ما شاء الله.

وكذلك قال تعالى في كتابه: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾

(١) الأنعام: ١٢٥. وتمامها: ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

(٢) في (د): ـ «لنفسك».

(٣) لم أعثر عليه فيما بين يدي من المصادر. وقد أورد ابن قتيبة جزءًا منه، ولم يسنده، ودون زيادة: «فأنا أولى بحسناتك منك...» إلخ. انظر: تأويل مختلف الحديث، ص٢٧.

(التكوير: ٢٩)، وقد شاء العباد المعاصي، فلا يبلغون مشيئتهم حيث لم يشأ الله الذي شاؤوا.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ (الأنعام: ١١١)، وقوله تعالى: ﴿قُبُلًا﴾ أي: قبيلًا قبيلًا، وفسَّر بعضهم: /١٢٠/ أي: عيانًا، أي: يستقبلون. كذلك فهذا دليل على أنَّه لم يشأ أن يؤمنوا؛ لأنَّه لو شاء أن يؤمنوا لم يقل: ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾، وقد[1] شاؤوا هم فلم يكن ما شاؤوا.

ومن صفات الله تعالى أنَّه يفعل ما يشاء وما يريد، وليس لأحد أن يفعل ما يشاء وما يريد غيره، لقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، ففي هذا تثبيت لمشيئته وإرادته تعالى، وإبطال لقول من قال: إنَّ العباد يفعلون ما يشاؤون ويريدون، والقدرة والإرادة والمشيئة لله تعالى لا لغيره. ولم يعمل أحد من العباد عملًا من خير أو شرٍّ أو طاعة أو معصية إلَّا وقد شاءها الله تعالى، لا مشيئة محبَّة لكن مشيئة إرادة.

مسألة: [ما الأدلة على أنَّ الله تعالى شاء المعصية؟]

فإن قال قائل: الله تعالى شاء من المشركين الشرك؟ قيل له: نعم.

فإن قال: ما الدليل؟ قيل له: قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟﴾ (الأنعام: ١٠٧) ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾ (الأنعام: ١٣٧)[2] ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾ (السجدة: ١٣)، فهذا كلُّه دليل على أنَّه شاء ما فعلوه، وإذا شاء ذلك فقد أراده. والإرادة والمشيئة هما صفات ذات لا صفتَا فعلٍ، كالعلم

(١) في (ز): ـ «قد».
(٢) (د): «﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾». سورة الأنعام: ١١٢.

والقدرة. والدليل على أنَّ الله تعالى لم يشأ الإيمان من الخلق كلِّهم قوله عَجَلَّ: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ (يونس: ٩٩)، فهذا دليل على أنَّه لم يشأ أن يؤمنوا جميعًا؛ لأنَّه قد أخبر تعالى أنَّه لو شاء لآمنوا جميعًا، فلمَّا لم يؤمنوا جميعًا علمنا أنَّه لم يشأ أن يؤمنوا.

فإن قال[1]: لو شاء لآمنوا بالجبر؟ قيل له: إنَّ الإيمان قد يكون بجبر وغير جبر، فليس لك أن تزعم أنَّ معنَى هذا خاصٌّ إلَّا بآية تدلُّ على خصوص هذه الآية. فأمَّا الله تعالى لم يجبر أحدًا، وإنَّما آمن من آمن مختارًا غير مجبور وقد قال الله عَجَلَّ: ﴿إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ۞ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۞ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ (المدَّثِّر: ٥٤ ـ ٥٦)، ففي هذا تثبيتُ المشيئة وأنَّه لا يكون إلَّا ما علم وشاء وأراد، وإبطالُ قولِ من زعم أنَّهم يفعلون خلاف ما علم الله تعالى منهم[2] ما أراد.

مسألة: [الأدلَّة على أنَّه لا يقع شيء في الكون إلَّا بمشيئة الله]

وممَّا يدلُّ على أن لا شيء مخلوقًا إلَّا والله تعالى مريد له، قوله عَجَلَّ: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۞ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ (الكهف: ٢٣ ـ ٢٤) فخبَّر أنَّه لا يكون شيء في الأرض يشاؤه أحد إلَّا أن يشاء الله لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ﴾ يا محمَّد لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ إِلَّا أَنْ يَشَاءَه. وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ (الإنسان: ٣٠. والتكوير: ٢٩)، فخبَّر أنَّه لا إن نَشَأْ شيئًا فيكون إلَّا أن /١٢١/ يشاء الله كونه، وهذه آيات محكمات.

وأجمع أهل الفقه بأسرهم لو أنَّ رجلًا قال لرجل عليه له دين: لأعطينَّك

(١) في (ز): «قالوا».
(٢) في (ز): «منه».

حقَّك غدًا إن شـاء الله، ثُمَّ أصبح ولـم يعطه أنَّه غير حانـث بإجماع الأمَّة وفقهاء الأمصار والتابعين، لا خلاف بينهم في ذلك بأنَّ الله تعالى لو شاء أن يعطيه لأعطاه. فعُلِم بذلك وبكتاب الله تعالى أنَّه لا يكون ما لم يشأ؛ لأنَّ الله تعالى لو شـاء أن يعطيه حقَّه فلم يعطـه لكان العبد حانثًا فـي يمينه، فلمَّا أجمع فقهاء الأمصار أنَّه لـو جاء الوقت في غد ولم يعطـه كان حانثًا كان ذلك أدلَّ على أنَّ الله تعالى لو شاء[1] لكان معطيًا له.

فلا يكون في الأرض إلَّا ما شاء الله، ولو لم يكن إلَّا هذا الدليل لوجب كون الإرادة وإثبات القضاء والقدر لله تعالى تبارك وتعالى.

مسألة: [إرادة الله تعالى والفواحش]

فإن سـأل عن هذه الفواحـش مجملة أو متفرِّقة، هـل أرادها الله عَزَّ وَجَلَّ؟ فالجواب فيها: أنَّه أراد أن تكون قبيحة فاسدة، خلاف الطاعة والإيمان.

فإن قال: أفتقولون: إنَّ الله تعالى أراد أن يُكفر ويُشـتم؟ قيل له: لا نطلق ذلك، لئلَّا يتوهَّم علينا القول، ولكن يقال: إنَّ الله تعالى أراد شـتم الشاتمين له خلاف مدح المادحين معصيةً لا طاعةً.

مسألة: في خلق الأفعال

إن سأل سائل من أهل القدر عن أفعال العباد فقال: أتزعمون أنَّها مخلوقة لله تعالى؟ قيل له: نعم.

فإن قال: فما حجَّتكم فـي أنَّها مخلوقة وقد أمر الله تعالى ببعضها ونهى

---

(١) في (د): ـ «لو شاء أن يعطيه لأعطاه ... على أنَّ الله تعالى». انتقال نظر من «لو شاء» الأولى إلى الثانية.



عن بعــض، وأوجب الثواب والعقــاب عليها؟ قيل لــه: الحجَّة من الكتاب والإجماع وما لا تمتنع منه العقول، أنَّ الله تعالى خالقٌ وما ســواه مخلوقٌ، من خير وشرٍّ، ونفع وضرٍّ، قال الله ﷻ: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ (الأنعام: ١٠٢)، ووجدنا الأفعال شــيئًا موجودًا، فعلمنا أنَّها مخلوقة؛ لأنَّ مخرج الآية عموم، ولم نجد في كتاب الله تعالى ما يدلُّ أنَّه خاصٌّ.

فــإن قــال: فقــد قــال الله تعالــى: ﴿فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ﴾ (الأنعــام: ٤٤) و﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ﴾ (الأحقــاف: ٢٥)، ﴿وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ﴾ (النمــل: ٢٣)، مخرج الآية عموم وهي مخصوصة؟ قيــل له: أجمعت الأمَّة أنَّ هذه الآيات خصوص، وقوله تعالى: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ عموم. ولعمري إنَّ العرب قــد تضع «كلَّ» في موضع «بعض» إذا كانــت في الموضع الدالِّ على /١٢٢/ تخصيصها، وقد قال لبيد[1]:

أَلا كُلُّ شَــيءٍ ما خَلا اللهَ باطِلُ وَكُلُّ نَعيــمٍ لا مَحالَــةَ زائِــلُ[2]

ولم يرد أنَّ الخلق باطل، ولا كلُّ شيء باطل، وإنَّما أراد بعض الأشياء، للعلم بأنَّ بعضها ليس بباطل.

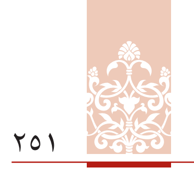
وممَّا يؤكد أنَّ قوله تعالى: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ عامٌّ في كلِّ شيء من أفعال العباد وغيره ـ قولُهُ تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ (الأنعام: ١) فالإيمان نور، والكفــر ظلمــة، لقولــه تعالــى: ﴿لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ (الأحزاب: ٤٣)، قال أهل التأويل: من الكفر إلى الإيمان.

(١) تقدَّمت ترجمته.

(٢) البيت من الطويل، من قصيدة للبيد مطلعها:

أَلا تَســأَلانِ الْمَرءَ مــاذا يُحاوِلُ أَنَحبٌ فَيُقضى أَم ضَلالٌ وَباطِلُ

انظر: ديوان لبيد في الموسوعة الشعريَّة.



وقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ (الروم: ٢١)، ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ (الحديد: ٢٧)، والمودَّة والرأفة والرحمة فعل العباد، يُحمدون عليه، ويُذمُّون على تركه، وقد أضاف جَعْلَ ذلك إليه، والجعل من الخالق خلقٌ كلُّه. ولا يكون الجعل من المخلوق خلقا، والجعل من العباد قول ووصفٌ، قال ﷻ: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا﴾ (الزخرف: ١٩) وذلك قول منهم.

والإجماع من المسلمين في الجملة أنَّ الله ـ جلَّ جلاله ـ خالق وما سواه مخلوق، ولا يستثنون شيئًا دون شيء. وعن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**لو رأيتم الرفق لرأيتم خلقًا لم تروا من خلق الله أحسن منه، ولو رأيتم خلق الخرق لرأيتم شيئًا لم تروا من خلق الله أقبح منه**»(١). والرفق فعل الرفيق يُحمد عليه، والخرق فعل الأخرق يُذمُّ عليه.

وسئل عليُّ بن أبي طالب عن أعمال العباد يستوجبون بها النار، أهي شيء من الله أم شيء من العباد؟ فقال: هي من الله خلق، ومن العباد عمل.

مسألة: [هل خَلَقَ الله الشركَ؟]

فإن قال: فَخَلَقَ الشرك في قلوب المشركين؟ قيل له: إن أردت خَلَقَ الشركَ في قلوبهم بأن اضطرَّهم إليه وحملهم عليه كما خلق أسماعهم وأبصارهم في رؤوسهم فلا، ليس كذلك نقول. وإن أردت أنَّه خلق الشرك الذي في قلوب المشركين متناقضًا فاسدًا خلافًا للتوحيد في قلوب الموحِّدين فكذلك نقول.

(١) لم أجده فيما بين يدي من الصحاح والمسانيد. وقد أورد العجلوني رواية قريبة منه، وعزاها إلى العسكري، ولم يعلِّق عليها. العجلوني: كشف الخفاء، ٢٠٩/٢.

فإن قال: فهل يَشْتُمُ الله نفسه إذ خَلَقَ الشتمَ؟ أم هل كذب إذ خلق الكذب؟ قيل له: تعالى الله عن ذلك، وكيف يكون شاتمًا لنفسه؟ وإنَّما خلق شتم الشاتمين له معصيةً لا طاعة، خلاف مدح المادحين له طاعةً.

مسألة: [هل يقال: إنَّ اللّه تعالى فَعَل القبح وصَنَعَهُ؟]

فإن قال: أليس ما خلق الله تعالى فقد فعله وصنعه؟ قيل له: نعم، فقد يقال هذا في جملة الأشياء ولا يقال ذلك في بعض الأشياء مطلقًا. /١٢٣/

فإن قال: أليس تقولون: إن الله خلق الكفر؟ قيل له: نعم.

فإن قال: أفتقولون إنَّ الله تعالى فعله وصنعه أم لا؟ قيل له[1]: لا. ألا ترى أنَّا نقول: إنَّ جهنَّم قذرة، ولا نقول: إنَّ الله صنع الأقذار، ويقال: خلقها؛ لأنَّ «خَلَقَهَا» اسمُ تعظيم في كلِّ شيء، و«صنع ودبَّر الأقذار والقبائح» تهجيرٌ، فنفينا عنه ـ جلَّ جلاله ـ كلَّ إضافة تهجير، والخلق صفة تعظيم مضاف إلى الله تعالى بالتعظيم. ألا ترى أنَّا نقول: إنَّ الله تعالى يجد كلَّ شيء، ولا يجوز أن يقال: يجد الحرَّ والبرد والأذى والمكروه؛ لأنَّ جملة القول: إنَّ الله تعالى يجد الأشياء يوجب العلم بالأشياء والإحاطة بها.

فإن قال: أفتقولون: إنَّ العبد فَعَلَ الكفر؟ قيل له: نعم، ومعنى ذلك أنَّه كَفَرَ.

فإن قال: أفتقولون: فَعَلَ خَلْقَ الله؟ قيل له: لا؛ لأنَّ ذلك يوهم أنَّه خَلَقَهُ. وقد يقال: أفسد المطرُ طعام فلان، والمطر تدبير الله، ولا يقال: تدبير[2] الله يفسد. ولا يقال: إنَّ الله تعالى قد أظهر في الأرض الفساد. ويقال: ما أقبح

(١) في (د): ـ «له».
(٢) في (د): ـ «تدبير».

القرد! وما أقبح جهنَّم! ولا يقال: ما أقبح تدبير الله!. ولو أنَّ قائلًا قال: ما أحسن جهنَّم! كان في ذلك مخطئًا، وهي من خلق الله. ولو قال: ما أحسن الخلق! كان مصيبًا، وجهنَّم خلقٌ، فجاز تحسين[1] الْحَسَن لِذِكْرِ الخلق، ولم يجز لِذِكْرِ جهنَّم.

مسألة: [اللّه تعالى خَلق الأفعال، والإنسان اكتسبها]

فإن قال: هل يخلو الفعل من ثلاثة: إمَّا أن يكون للعبد دون الله، أو لله دون العبد، أو للعبد ولله تعالى على الشركة؟ قيل له: نعم، الفعل قد خلا من هذه الثلاثة وجوه، ليس الفعل للعبد دون أن يكون خلقًا لله، ولم يكن خلقًا لله[2] دون أن يكون اكتسابًا من العبد، ولم يشتركا فيه جميعًا لأنَّهما لم يخلقاه جميعًا ولم يكتسباه، وإنَّما كانت تكون الشركة لو خلقاه جميعًا. وإنَّما قلنا: اكتسبه العبد وخلقه الله بجعله لا خلاف[3] غيره من الأجسام والأفعال.

مسألة: [علاقة خلق اللّه تعالى بالفعل الإنساني]

فإن قال: متى خلق الله تعالى الفعل، في حال ما اكتسبه العبد، أو قبل أن يكتسبه، أو بعد ما اكتسبه؟ قيل له: العين التي هي كسب هي التي خلقها الله تعالى كسبًا على ما هي عليه. فقولك: «قبل» أو «بعد» أو «مع» إشارةٌ منك إلى معنى ليس هو الكسب، ونحن فلم نجعل /١٢٤/ الكسب ـ الواحدَ الذي لا يتجزَّأ ولا ينقسم بالعدد ـ اسمًا، بل نقول: العين التي هي كسب

(١) في النسخ: «التحسن الحسن».
(٢) في (د): ـ «ولم يكن خلقًا لله». انتقال نظر.
(٣) كذا في النسختين، ولعلَّ الصواب: «بجعله خلاف غيره...». أو: «لَا خَلَّاقَ غيره...».

للعبد هــو المخلوق، وهو الذي اخترعه الله تعالى، فأنشــأه على ما هو عليه من حُسْنٍ: ما أحسنهُ، أو قُبْحٍ[١]: ما أقبحه!.

فإن قال: أفيجوز أن يخلقه ولا يكســبه العبد، أو يكسبه العبد ولا يخلقه الله؟ قيل له: لا يجوز أن يكســبه العبد ولا يخلقه الله تعالى[٢]؛ لأنَّ في ذلك إيجابًــا لفعل كان بعد أن لم يكن ولم ينشــئه الله تعالــى، ومحال أن يكون محدَثٌ وقــع وليس الله تعالــى مُحْدِثَهُ. وكأَنْ يســتحيل أن يكــون مملوكٌ ومربوبٌ في العالم لا يملكه الله تعالى ولا يكون ربَّه.

سؤال [وأسئلة جدلية موجَّهة إلى المعتزلة]

يقال لهم: الله تعالــى خَالِقُ كُلِّ شَــيْءٍ؟! فإن قالوا: نعــم، قيل لهم: فتعنون كلَّ الأشياء أو بعضها؟ فإن قالوا: كلَّها، أقرُّوا بخلق الأفاعيل، وإن قالوا: يعني بعض الأشياء، قيل لهم: فهل وجدتم خلقًا من الأُمَّة صغيرًا أو كبيرًا اســتثنى شيئًا دون شــيء في قول الله ﷻ: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ (الأنعام: ١٠٢)؟!

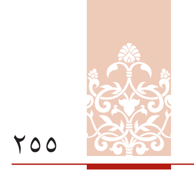
ويقال لهم: تقولون: إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَــيْءٍ قَدِيرٌ؟ فــإن قالوا: نعم، قيل لهم: فيقدر على بعض الأشياء أو على كلِّها؟ فإن قالوا: على كلِّها، قيل لهم: فهو قادر على خلق الأفعال؟ فإن قالوا: نعم، تركوا قولهم.

ويقال لهم: أخبرونا عن الإيمان، مَنْ خَلَقَهُ لَا مِنْ شيءٍ؟ فإن قالوا: الله، أقرُّوا بخلق الأفعــال، وإن قالوا: المؤمن هو أحدث الإيمانَ لا من شــيء، قيل لهــم: وكيف يمكن الإنســان أن يُحــدِثَ الإيمانَ لا من شــيء وهو

---

(١) في النسخ: «أقبح».

(٢) في (د): ـ «قيل له: لا يجوز أن يكسبه العبد ولا يخلقه الله تعالى». انتقال نظر.



لا يدري كيف كَانَ لَا مِنْ شيءٍ[١]، ولا يَتصوَّر ذلك في وهمه. مع أنَّ إحداث الأشياء لا من شيء من صفة الخالق تعالى؛ فقد وصفتم المخلوق بصفة الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ويقال لهم: أريتم الحركة التي تكون في الشجر؟ لم زعمتم أنَّها مخلوقة ولم تزعموا ذلك في حركة الإنسان وكلِّ عَرَضٍ؟ فإن قالوا: لو كانت أفعالنا مخلوقة لَمَا عذَّبنا الله عليها، قيل لهم: فيلزمكم أن تقولوا: إنَّ الإيمان مخلوق لأنَّه لا يعذَّب عليه، والكفر /١٢٥/ غير مخلوق لأنَّه يعذَّب عليه، وكلاهما فِعْلُكُم، فَتَنَاقَضَ فِعْلُكُم.

ويقال لهم: هل يكون للعبد أن يتكلَّم بكلمة ليس عليه لله تعالى في تلك الكلمة نعمة؟ فمن قولهم: لا يكون إلَّا بنعمة من الله عَزَّوَجَلَّ، فيقال: أفنعمة الله إلى عبده أزليَّة أم محدَثة؟ فلا بدَّ من [أن يقولوا:] محدَثة، فيقال لهم: هل يجوز أن تكون نعمة الله ليس هي من خلق الله؟ فلا بدَّ من نَعَمْ، إن شاء الله.

فصل: [استدلال عقلي على أنَّ حركات العباد مخلوقة]

جاء الأثر عن ربِّنا تبارك وتعالى قال: «أنا الله الذي لا إلٰه إلَّا أنا، خلقت الخير وقدَّرته، فطوبى لمن خلقته للخير وقدَّرته على يديه، أنا الله الذي لا إلٰه إلَّا أنا خلقت الشرَّ وقدَّرته، فويل لمن خلقته للشرِّ وقدَّرته على يديه؛ لأنِّي لا أُسأل عمَّا أفعل وهم يُسألون»[٢].

---

(١) في (ز): «وهو يدري كيف كان الأمر شيء». (د): «وهو لا يدري كيف كان الأمر شيء». وصحَّحنا العبارة من منهج الطالبين للشقصي.

(٢) رواه البيهقي، بلفظ: «وأجريته»، ودون زيادة: «لأنِّي لا أُسأل...» إلخ. البيهقي: الاعتقاد، ص١٤٥.

فسل أهل الشرك الآن عن حركات العباد التي زعموا أنَّها فعلهم ليس لله تعالى فيها صنعٌ، أكُلُّها طاعة، أم كلُّها معصية، أم بعضها طاعة وبعضها معصية، وما من الحركات طاعة، وما هو منها معصية؟ فقالوا: الشرك بالله والقتل والزنا وأشباه ذلك من المعصية. والطاعة: الإيمان بالله والصلاة والصيام وأشباه ذلك.

فقل لهم: أخبرونا عن الكفر، أكان قبل الحركات؟ فإن قالوا: بل الحركات هي الكفر، فقل: متى سمِّيت الحركات التي هي كفر، أَبَعْدَ ما كانت حركات أم من قبل أم في حال ما كانت الحركات؟

فإن قالوا: كانت الحركاتُ قبلُ، فقل: أليس كانت الحركات التي زعمتم أنَّها كفر لأنَّكم إنَّما فعلتم فعلًا لم تكونوا نُهيتم عن المعاصي، وفعلتم من الأمر فعلًا لم تكونوا أُمرتم به؛ لأنَّكم زعمتم أنَّ الحركات التي هي كفر وإنَّما كانت من العباد صنعا ليس لله تعالى فيها صنعٌ، فأين موضع النهي الذي نهاكم الله تعالى عنه قَبْلَ فِعْلِكُمْ أم بَعده؟ فإن قالوا: كان نهيُ الله قبلُ، فقل: فَعَمَّا نهاكم؟ عن الكفر نهاكم أم عمَّا ليس بكفر حتَّى كان منكم الكفر، فإن قالوا: نهانا عمَّا لم يكن كفرًا حتَّى كان كفرًا فقد زعموا أنَّهم في حال ما عملوا لم يكونوا منتهين. وإن قالوا: بل كان الأمر من الله والنهي قَبْلَ أفعال العباد، فقل لهم: أخبرونا عن الذي نَهَى عنه أَشَرٌّ هو أم هو خير، أم لَا خير ولا شرٌّ؟ وعن الأمر أَخَيْرٌ هو، أم لا خير ولا شرٌّ؟ فإن قالوا: بل الأمر خيرٌ أَمَرَنَا به، والنهي شرٌّ نهانا عنه، فقل: فمَنْ فَعَلَ هذا الخيرَ والشرَّ، وكلاهما قَبْلَ أفعال العباد؟. فهنالك تنقطع حجَّتهم /١٢٦/ في هذه المسألة إن شاء الله.



سؤال [آخر عقلي حول حركات العباد وأنها مخلوقة]

ويقال لهم: أخبرونا عن الحركات التي ذكرتم أن ليس لله تعالى فيها صنعٌ ما هي؟ فإن قالوا: منها زنا، فقل لهم: وكيف الزنا؟ فإن قالوا: هي الحركات التي تكون بين الذكر والأنثى، فقل: فهل تكون حركة ليس[١] من المعاصي بلا سبب من الله مخلوق؟ فإن قالوا: نعم، فقل: فأرونا ذلك، ولا يجدونه أيضًا إلَّا بصنع من الله تكون الحركة به، ولن تكون الحركة حتَّى تسمَّى حركةً إلَّا ولله[٢] تعالى ثَمَّ صُنعٌ، قال[٣] قالوا: لا تجوز حركة إلَّا بصنع من الله، فقل: أفليس من المحال أن تدَّعوا[٤] فعل ما لا يكون فعله إلَّا بفعله؟ فإن قالوا: فعل الله غير فعل العباد، فقل: ففعل الله الأجسام وفعل العباد الحركات التي ليست بأجسام. وقل لهم: فهل تكون حركات من العباد يفعلونها خارجة من صنع الله؟ فإن قالوا: نعم، قل: فأرونا ذلك، أوجدوه ولن تستطيعوا ذلك. وإن قالوا: لا، فقد رجعوا إلى قولنا، وهو قول المسلمين، ولا قوَّة إلَّا بالله.

فصل: [روايات وآثار في خلق الأفعال]

عن الحسن في قوله ﷻ: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ (الأنعام: ١) قال: خَلَقَ الكفرَ والإيمان. وعن مجاهد[٥] في قوله تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا

---

(١) كذا في النسختين، ولعلَّ الصواب حذف «ليس».
(٢) في (د): «بحركة إلَّا والله».
(٣) كذا في النسخ، ولعل الصواب: «فإن». ومع ذلك تبقى العبارة مضطربة لم نتمكَّن من تصحيحها.
(٤) في (ز): «أيدعوا».
(٥) أبو الحجَّاج، مجاهد بن جبر المكِّي (ت: ١٠٤هـ)، وقد تقدَّمت ترجمته.

﴿زَوْجَيْنِ﴾ (الذاريات: ٤٩) قال: الكفر والإيمان، والخير والشرَّ، والهدى والضلال. وقال حذيفة: إنَّ الله خلق كلَّ صانع وصنعته.

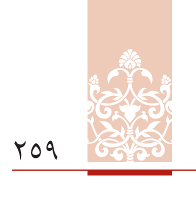
والدليل من السُّنَّة على خلق الفعل قولُ النبيِّ ﷺ لمعاذ: «**ما خلق الله خلقًا أحبَّ إليه من العتاق، ولا أبغض إليه من الطلاق**»[(١)].

وعنه ﷺ أنَّه صلَّى على جنازة رجل من الأنصار فقال: «**اللَّهُمَّ نقِّه من الذنوب والخطايا كما نقَّيت الثوب الأبيض من الدنس**»[(٢)]. والعباد هم الذين يُعتقون ويطلِّقون ويغسلون وينقُّون، فأضاف ذلك إلى الله تعالى؛ لأنَّه الخالق لأفعال الخلق.

---

(١) رواه البيهقي في الكبرى، باب الاستثناء في الطلاق والعتق والنذور، ر١٤٨٩٧، ٣٦١/٧. الدارقطني: السنن، كتاب الطلاق والخلع والإيلاء وغيرها، ر٩٤، ٣٥/٤. قال الزيلعي: «ذكره عبد الحق في أحكامه من جهة الدارقطني، وقال: في إسناده حميد بن مالك، وهو ضعيف. وقال البيهقي: هو حديث ضعيف، ومكحول عن معاذ منقطع. وقال ابن الجوزي في التحقيق: مكحول لم يلق معاذا، وابن عياش وحميد ومكحول كلُّهم ضعفاء. انتهى. وقال في التنقيح: الحمل فيه على حميد تكلَّم فيه أبو زرعة وأبو حاتم وابن عديٍّ والأزدي». الزيلعي: نصب الراية، فصل في الاستثناء، ٢٣٤/٣.

(٢) رواه مسلم والنسائي وابن ماجه، ونصُّه عند مسلم: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ، وَعَافِهِ وَاعْفُ عَنْهُ، وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ، وَوَسِّعْ مُدْخَلَهُ، وَاغْسِلْهُ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ، وَنَقِّهِ مِنَ الْخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ، وَأَبْدِلْهُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ، وَأَهْلًا خَيْرًا مِنْ أَهْلِهِ، وَزَوْجًا خَيْرًا مِنْ زَوْجِهِ، وَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ، وَأَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، أَوْ مِنْ عَذَابِ النَّارِ...». مسلم في كتاب الجنائز، باب الدعاء للميِّت في الصلاة، ر٩٦٣، ٦٦٢/٢. النسائي: السنن، كتاب الجنائز، باب الدعاء، ر١٩٨٣، ١٩٨٤، ٧٣/٤. ابن ماجه: السنن، كتاب الجنائز، باب الدعاء في الصلاة على الجنازة، ر١٥٠٠، ٤٨١/١.



وعنه ﷺ أنَّ رجلًا سـألـه فقال: إنِّي كنت صائمًا فأكلت[١] وشـربت، فقـال ﷺ: «**إنَّ الله أطعمك وسـقاك**»[٢]، والطاعم الشـارب هـو العبد، والطعم[٣] والشـرب هو فعلـه، فأضافه إلى الله تعالـى إذ كان هو خالقه جلَّ وعلا.

مسألة: [أفعال العباد إمَّا حسنة أو سيِّئة]

إن سأل فقال: هل يخلو العبد من نعمة وبليَّة؟ قيل له: لا يخلو من ذلك، فالنعمـة يجب عليه شـكرها، وكذلك قال تعالـى: ﴿وَسَنَجۡزِي ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ (آل عمـران: ١٤٥)، والبلايـا منها ما يجـب الصبر /١٢٧/ عليـه كالمصائب والأمراض وفي الأموال والأولاد وما أشـبه ذلك، ومنها ما لا يجب الصبر عليه كالكفر وسائر المعاصي. وليس بين الإيمان والكفر منـزلة ثالثة، ولا[٤] بين الطاعة والمعصية منـزلة ثالثة، ولا بين الجنَّـة والنار منـزلة ثالثة. وكلُّ فعل أو قول فلا يخلو من طاعة أو معصية.

وعن ابن عبَّاس قال: بينما حمَّار يسـوق حمـارًا إذ هو تكلَّم بكلمة، فقال صاحـب اليمين: والله ما هذه حسـنة فأكتبها حسـنة، وقال صاحب الشمال: والله ما هذه سيِّئة فأكتبها سيِّئة، فنودي من السماء: ما تركه صاحب اليمين فاكتبه.

---

(١) في (ز): «لعله: فأكلت». (د): «فماكلت لعله: فأكلت».

(٢) رواه أبو داود فـي: كتاب الصوم، باب مـن أكل ناسـيًا، ر٢٣٩٨، ٢/٣١٥. والبيهقي في الكبرى، باب من أكل أو شرب ناسيًا فليتمَّ صومه ولا قضاء عليه، ر٧٨٦٢، ٤/٢٢٩.

(٣) في (ز): «والمطعم».

(٤) في (ز): «وليس».

وفي خبـــر عنه: بينما رجل يســـوق جملًا إذ زاغ عن الطريـــق، فقال له: «حل»، فقال صاحب اليميـــن: الحيرة [كذا]. و«حل» كلمة زجر للإبل و«حو» كلمة زجر للحمار.

وقيل في قوله تعالى: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ ... ﴾ الآية[١] من جميع ما يتكلَّم[٢] به من الأشـــياء كلِّها. قال الحســـن: حتَّى إنَّه ليكتب قـــول الرجل: يا جارية ضعي لي وَضوءًا، يا جارية ناوليني نعلي، ناوليني ردائي. ويقال: حتَّى صفير الرجل لدابَّته تشرب، وحتَّى[٣] هذا أسود وهذا أبيض.

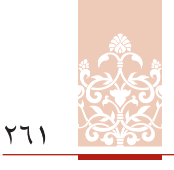
وبلغنا عن الملكين عليهما السلام أنَّهما أفرح بمحاسن العبد إذا تكلَّم وعمل من العبد بمحاسنه، وأنَّهما أشدُّ حزنًا بمساوئه منه بمساوئ نفسه، يقولان: اللَّهُمَّ وفِّقه وســـدِّده حتَّى يملي علينا خيرًا. ويقال: ما خطا خطوة قطُّ إلَّا كتبت له حسنة أو سيِّئة.

مسألة: في إعادة الخلق

الدليل على إعادة الخلق قولـــه عز وجل: ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ (يسٓ: ٧٩)، وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ (الحج: ٦٦)، وقوله عز وجل: ﴿ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ (الإسراء: ٥١)، وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴾ (الروم: ٢٧)، ومثله في القرآن كثير.

---

(١) قٓ: ١٨. وتمام الآية: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾.
(٢) في (د): ـ «من جميع ما يتكلم». بياض.
(٣) في (د): «وحتَّى إنَّ».



مسألة: [في وجوب الإيمان بالبعث]

ومن كان مؤمنًا بالجملة وهو شاكٌّ في البعث لم يجز له ذلك، وعليه أن يعلم ذلك. فإن كان أقرَّ بالجملة ولم يسمع ذلك من أحد ولا قامت عليه الحجَّة من كتاب الله تعالى ولا من خاطر قلبه ففي ذلك اختلاف، وإذا تليت عليه الآية أو سمعها، وهي قوله ﷻ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ (الأنعام: ٣٨) /١٢٨/ فقد قامت عليه الحجَّة، وعليه أن يعلم ذلك، فإن شكَّ كفر، وإن خطر بقلبه ذلك فلم يعلمه كفر، وعليه أن يؤمن به إذا سمع بذكره، أو خطر بقلبه، أو قرئ عليه القرآن، ويتوب من شكِّه فيه، والله أعلم.

مسألة: في الاستطاعة

الاستطاعة في اللغة: هي القدرة على الشيء، وقد تُسمَّى بها أشياء تؤول إلى القدرة، قال الله ﷻ: ﴿فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ (المجادلة: ٤) يعني: الصومَ، من لم يقدر عليه أطعم، وزال عنه فرض الصوم لزوال اسم الاستطاعة، وهي الصحَّة، ووجود المال يوجب استطاعة الإطعام.

وقال الله ﷻ: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ (النساء: ٢٥) يعني: سعة في المال. وقال الله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ (آل عمران: ٩٧)، فالاستطاعة اسمٌ[١] لِمَعَانٍ، والأصل فيها القدرة. وقال الراعي[٢]:

(١) في النسخ: «اسما»، ويمكن قراءتها: «أسماء».
(٢) تقدَّمت ترجمته.

بُنِيَــت مَرافِقُهُــنَّ فَــوقَ مَزَلَّــةٍ   لا يَستَطيعُ[١] بِها القُرادُ مَقيلا[٢]

وقال قيس بن ذُرَيْح[٣]:

فَأَصبَحــتُ الغَداةَ أَلومُ نَفســي   عَلى شَــيءٍ وَلَيسَ بِمُستَطاعِ[٤]

أي: ليس بمقدور عليه.

والقدرة في الإنسان هي عَرَضٌ في الجســم، [وليست][٥] القدرة جسمًا في الجسم. والعرض لا يقوم بنفسه ولا يثبت وقتين؛ والقوَّة لا خلاف بأنَّها صفة وعرض لا تقوم بنفسها أيضًا، ولا تثبت وقتين.

حقيقة الكســب: كلُّ فعل وقع باستطاعة محدثة مع الفعل. فأمَّا مَن فَعَلَ بقدرةٍ قديمة فهو غير مكتسِب.

---

(١) في (د): «يستطاع».

(٢) البيت من الكامل، من قصيدة مطلعها:

ما بــالُ دَفِّــكَ بِالفِــراشِ مَذيلا   أَقَــذىً بِعَينِــكَ أَم أَرَدتَ رَحيلا

انظر: ديوان الراعي النُّميري في الموسوعة الشعريَّة.

(٣) قَيس بن ذُرَيح بن ســنة بن حذافة الكناني (ت: ٦٨هـ): شاعر من العشَّاق المتيَّمين، اشتُهر بحبِّ لبنى بنت الحباب الكعبيَّة، وهو من شــعراء العصر الأمويِّ، ومن ســكَّان المدينة. كان رضيعًا للحســين بن عليِّ بن أبــي طالب، أرضعته أمُّ قيس. وأخبــاره مع لبنى كثيرة جدًّا، وشعره عالي الطبقة في التشــبيب ووصف الشوق والحنين. انظر: الزركلي: الأعلام، ٢٠٥/٥ ـ ٢٠٦. الموسوعة الشعريَّة.

(٤) البيت من الوافر، من قصيدة مطلعها:

أَلا يــا شِــبهَ لُبنــى لا تُراعــي   وَلا تَتَيَمَّمــي قُــلَــلَ الـقِــلاعِ

وينسب أيضًا إلى يزيد بن الطثرية (ت: ١٢٦هـ). انظر: ديوانهما في الموسوعة الشعريَّة.

(٥) إضافة من عندنا غير موجودة في النسختين، ليستقيم المعنى مع السياق.



مسألة: [الدليل على أنَّ الاستطاعة مع الفعل]

الدليل على أنَّ الاستطاعة مع الفعل: أنَّ من لم يخلق الله تعالى له استطاعة لم يجب أن يكسب شيئًا، فلمَّا استحال أن يكسب الفعل إذ لم يكن استطاعة صحَّ أنَّ الكسب إنَّما يوجد بوجودها، وفي ذلك إثبات وجودها مع الفعل.

فإن قال قائل: أليس في عدم الجارحة عدم الفعل[1]، هل له في عدم الجارحة عدم الاكتساب؛ لأنَّها إذا عدمت القدرة فبعدمها استحال الكسب لعدم القدرة لا لعدم الجارحة، ولو عُدمت ووُجدت القدرةُ كان الاكتساب واقعًا. ولو كان إنَّما استحال الاكتساب لعدم الجارحة لكان إذا وُجدت وُجد الاكتساب، فلمَّا كانت تُوجَدُ وتفارقها للعجز، وتُعدم القدرة فلا يكون كسبٌ ـ عُلِمَ أنَّ الاكتساب إنَّما يُعدَمُ لعدم الاستطاعة لا لعدم الجارحة. وقد قال تعالى: ﴿مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ﴾ (هود: ٢٠)، وقد أُمروا أن يسمعوا الحقَّ وكُلِّفوه فدلَّ ذلك على جواز التكليف، وإن لم يَقبل الحقَّ ولم يسمعه على طريق القبول لم يكن له مستطيعًا.

فصل: [الحركة والسكون لا يلتقيان]

إنَّ الله ﷻ خلق الإنسان خلقةً لا يستطيع أن يمتنع منها، خَلَقَهُ غيرَ ممتنع من حركة أو سكون، ولا يخلو من أحديهما أبدًا حتَّى يموت. فالمتحرِّك لا يكون ساكنًا، والساكن لا يكون متحرِّكًا، هذا ما لا يكون. ولا يخلو العبد أن يكون متحرِّكًا أو ساكنًا بخير أو شرٍّ؛ فإذا كان في الخير فلا سبيل له إلى الشرِّ لشغله بفعل الخير، وإذا كان في الشرِّ فلا سبيل له إلى الخير لشغله بفعل الشرِّ.

---

(١) كذا في النسختين، فموضع انتهاء السؤال وابتداء الجواب غير واضحين.

ولسنا نقول: إنَّه لا سبيل له إلى الخير أو الشرِّ على جهة الجبر والقسر، وإنَّما نقول: إنَّه لا يستطيع إلَّا فعل ما هو فيه؛ لأنَّه لم يخلق خلقةً يستطيع بها[1] أن يكون فاعلاً تاركًا في حال، ولا طائعًا عاصيًا، ولا قائمًا قاعدًا، ولا قابضًا باسطًا، ولا آخذًا تاركًا في حال واحدة، هذا ما لا يصحُّ، وإنَّما خُلق يستطيع أن يكون قائمًا في حال قيامه، أو قاعدًا في حال قعوده، ولا يستطيع أن يكون قائمًا قاعدًا معًا، كذلك خلقه الله ﷻ، فهو بفعله في أحد الأمرين غير مستطيع للآخر؛ لأنَّه مشغول بأحدهما عن الآخر.

وزعم أهل القدر أنَّ الله ﷻ خلقهم متحرِّكين غير ساكنين، وقالوا[2]: إنَّ كلَّ أمورهم حركة لا سكون فيها. ولو كان ذلك كذلك لم ينه عباده عن شيء من الحرام، وعن ركوبه، ويأمر بأداء حدوده، ولم يكن يقول للمؤمنين: غُضُّوا من[3] أبصاركم، واحفظوا فروجكم، أفليس الغضُّ تَرْكَ البصر وسكونًا عنه وتشاغلًا بغيره، أوليس النظر ترك الغضِّ وسكونًا عن الغضِّ.

ولو كان كلُّ[4] متحرِّك بشيء ليس بساكن عن غيره لكان العباد لا يوصفون بترك شيء أبدًا إلَّا بأخذه [كذا]، وليس أحد يستطيع حركة وسكونًا في حال واحد، ولا يستطيع أحد فعل ما لم يفعل، ولا تقديم استطاعة لشيء لم يفعله، وكيف يكون كذلك وهو لا يستطيع أن يفعل شيئًا يزعم أنَّ فيه استطاعة لفعله قبل أن يفعله /١٣٠/ إلَّا في حال ما يفعله، وكذلك قولنا.

---

(١) في (د): ـ «بها».
(٢) في (د): «وقال».
(٣) في (د): ـ «من».
(٤) في (د): ـ «كل».



[الردُّ على المعتزلة في ادعائهم أنَّ الاستطاعة قبل الفعل]:

وزعم أهل القدر أنَّ العبد فيه استطاعةُ مَا لم يفعل، غير أنَّه لا يكون فاعلًا لِمَا يريد فعله إلَّا في حال فعله له. فيقال لهم: فما معنى ادِّعائكم تقديم الاستطاعة إذا كنتم لا تستطيعون فعل ما تفعلون إلَّا في حال ما تفعلون؟. ثُمَّ يقال لهم: أليس هكذا أراد الله تعالى في تركيبه فيكم إن كنتم لا تستطيعون فعل ما تفعلون إلَّا في حال فعلكم له فلا تستطيعون غير ذلك؟. فإذا زعموا ذلك فقد زعموا أنَّ الله تعالى حال بين العباد أن يفعلوا فعلًا إلَّا في حال فعلهم له، وفي ذلك إبطالُ تقديمِ الاستطاعة التي تدَّعيها القدريَّة، وتركُهُم لقولهم.

سؤال [للمعتزلة في تقديمهم الاستطاعة على الفعل]

ويقال لهم: أخبرونا عن الذي[1] لم يبصر بعينه، ولم يسمع بأذنه، ولم يتكلَّم مُذْ خُلِقَ، ثُمَّ أَبصَرَ مِن بَعدُ وَسَمِعَ وتَكَلَّمَ، متى كانت الاستطاعة للبصرِ والسمعِ والكلامِ، أَقَبْلَ أن يبصر ويسمع ويتكلَّم؟ أكان يستطيع ذلك في حال فِعْلِهِ أو من بعدِ فِعْلِهِ؟ فإن قالوا: قد كانت فيه استطاعة البصر والسمع والكلام، فقل: أَوَكَانَ في تلك الحال ـ التي كان فيها لا يبصر ولا يسمع ولا يتكلَّم ـ بصيرًا سميعًا متكلِّمًا وهو لا يبصر ولا يسمع ولا يتكلَّم؟ أليس قد تعلمون أنَّه من كان من الخلق سميعًا قيل: إنَّه لا يمتنع من أن يسمع؟ وكذلك من كان بصيرًا؛ أفترون أنَّه قد سدَّ أذنيه، وغمض عينيه؟ فإن قالوا: بل إنَّما يبصر عند فتح عينيه، فقد تركوا كلامهم الذي

(١) في النسخ: «عن الله». وهو خطأ واضح، صحَّحناه من تعليق الناسخ لـ(د). وقد أدرج كلامه داخل النص، قال فيه: «قال الناظر: هذا غلط من الناسخ، ولعله أراد: ويقال لهم أخبرونا عن الذي لم يبصر بعينه، ولم يسمع بأذنه، ولم يتكلم مذ خلق. رجع».

يحتجُّون به من تقديم الاستطاعة. وإن قالوا: كانت فيه استطاعة البصر والسمع والكلام قبل أن يبصر ويسمع فقد زعموا أنَّه لم يكن بأعمى ولا أصمَّ ولا أبكم، وإنَّما سألناهم عمَّن لم يبصر ولم يسمع ولم يتكلَّم.

[سؤال] آخر [حول تقديم الاستطاعة على الفعل]:

ويقال لهم: أخبرونا هل يجوز لعبد أن يكون لا مؤمنًا ولا كافرًا؟ فإن قالوا: بلى، قد يجوز ذلك، فقل لهم: فإذا لم يكن مؤمنًا فما يكون؟ أكافرًا أم غير ذلك؟ وما غير ذلك؟ فإن قالوا: إذا لم يكن مؤمنًا فإنَّه لا يكون كافرًا، فقد زعموا أنَّ الناس قبل أن يدخلوا في الإسلام لم يكونوا كفَّارًا. وإن قالوا: إذا لم يكن مؤمنًا فإنَّه يكون كافرًا فقد صدقوا في ذلك. فقل لهم عند ذلك: هل يستطيع العبد أن يكون كافرًا ألَّا يكون مؤمنًا؟ وإذا /١٣١/ لم يكن مؤمنًا ألا يكون كافرًا؟ فإن قالوا ذلك فقد تركوا قولهم.

ويقال لهم: أخبرونا عن الأعمى الذي لم يكن يبصر ثُمَّ أبصر، متى كانت استطاعة البصر فيه، في حال العمى أم في حال ما أبصر أم من بعد؟ فإن قالوا: قبل أن يبصر، فقد زعموا أنَّ استطاعة البصر كانت فيه وهو أعمى. وإن قالوا: مع البصر، فقد تركوا قولهم وقالوا بقولنا: إنَّ الاستطاعة مع الفعل. وإن قالوا: من بعد الفعل، فقد تركوا قولَهُم وقولَنَا، ودخلوا فيما لم نقل نحن ولا هم، وقالوا بقول من زعم أنَّ الاستطاعة بعد الفعل.

[سؤال] آخر [هل الاستطاعة هي السلامة؟]:

ويقال لهم: أخبرونا عن الاستطاعة ما هي؟ فإن قالوا: هي السلامة في البدن، فقل: أفلستم تزعمون أنَّ الإنسان فيه استطاعةُ مَا لم يفعل؟ فإن قالوا: نعم، فقل: إذا كانت السلامة ـ التي هي استطاعة إذا كانت ـ في البدن هل

غابت عن البدن إذا كان قائمًا غير قاعد؟ فما بالُه إذا كانت السلامة معه حيثما ذهب يستطيع بها أحيانًا وحينًا لا يستطيع، والاستطاعة موجودة في كلِّ وقت لا تنفد ولا تعدم؟.

وإن قالوا: الاستطاعة غير السلامة في البدن فقل: أخبرونا ما هي؟ فإن قالوا: إنَّها لا توصف ولا توجد، فقل: وكيف نعرف أنَّ الإنسان مستطيع أو غير مستطيع إذا كانت الاستطاعة ليست السلامة في البدن ولا قوَّة الإنسان؟ والقوَّة والسلامة هما شيء واحد في الحجَّة عليهم، ليست بموصوفة ولا محدودة(١).

فإن قالوا: يعرف الإنسان أنَّه مستطيع إذا فعل، [فقل لهم:] أفَقَبْلَ الفعل أم بعد الفعل أم في الفعل؟ فإن قالوا: بعدما(٢) يفعل، فقل: هو الذي أردنا منكم تبيانه، فبيِّنوا لنا كيف تُعرَف. وإن قالوا: بعد ما يفعل، فقد زعموا أنَّ الاستطاعة بعد الفعل تُعرَف، وليس يوصف أحدٌ باستطاعة إلَّا بعد ذلك، خلافًا لقولِهم وقولِنَا. وإن قالوا: تعرف في حال فعله فذلك قولنا، وهو خلاف لقولهم: إنَّ العباد يستطيعون قبل أن يفعلوا.

سؤال منهم [في الاستطاعة والفعل]

يقولون: أخبرونا عن قول الله ﷿: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ (آل عمران: ٩٧)، ما هذه الاستطاعة؟ يقال لهم: إنَّ هذه الاستطاعة ليست الاستطاعةَ التي تدَّعون أنَّها /١٣٢/ فيكم متقدِّمة، ولو كانت تلك لكان كل من كانت تلك فيه في زعمكم كان عليه الحجُّ، ولكنَّ الاستطاعة المالُ، وكذلك جاء عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**الزاد والراحلة**»(٣).

---

(١) في (د): «ولا موجودة»، وهو خطأ.

(٢) كذا في النسخ ولعلَّ الصواب: «قبل ما».

(٣) رواه ابن ماجه، والترمذيُّ، ولفظه عنده: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا =

فإن قال قائل منهم: كيف جاز لكم أن تفسِّروا القرآن في حُجَّتكم برأيكم وتردُّون رأي غيركم فيه بالتفسير؟ قيل له: أليس إذا اختلفنا نحن وأنتم كان علينا أن نرجع إلى المجتمع عليه؟ فعلينا أن نَلْزَمَ محكم الكتاب والمجتمعَ عليه؛ أليس قال الله في كتابه: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ (الأنعام: ١٠٢)؟ فإن قلتم: كذلك و[1]قال: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ (النمل: ٢٣)؟ فيقال: أليس ما اختلفنا نحن وأنتم فيه كان كالذي اجتمعنا نحن وأنتم فيه؟ لأنَّ قوله تعالى: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ نحن وأنتم فيه أنَّها لم تؤت من السماء شيئًا، ولا من طعام الجنَّة، ولا من أحدهما شيئًا، ولا من أشياء كثيرة. وأمَّا قوله ﷻ: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ فلم نجتمع نحن وأنتم عليه؛ لأنَّكم تقولون فيه بغير ما نقول، نحن نقول: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ والمعاصي فيما خلق، وأنتم تستثنون المعاصي، وتخبرونا أنَّ العباد خلقوها.

وقال تعالى في الهدى والضلال: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ (النحل: ٩٣. وفاطر: ٨) فما نَسَخَ هذه؟ وقال: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾ (الحجر: ٣٩)، وقال أهل الجنَّة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ (الأعراف: ٤٣)، وقال أهل النار: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ﴾ (المؤمنون: ١٠٦) فما نسخ هذا؟!. وأمثالُ هذا في القرآن كثير. فنسأل الله التوفيق، ولا قوَّة إلَّا بالله.

= يُوجِبُ الْحَجَّ؟ قَالَ: «الزَّادُ وَالرَّاحِلَةُ». وقال الترمذيُّ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ وَالْعَمَلُ عَلَيْهِ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ ... وَإِبْرَاهِيمُ هُوَ ابْنُ يَزِيدَ الْخُوزِيُّ الْمَكِّيُّ وَقَدْ تَكَلَّمَ فِيهِ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ قِبَلِ حِفْظِهِ». الترمذي: السنن، كتاب الحج، باب ما جاء في إيجاب الحج بالزاد والراحلة، ر٨١٣، ١٧٧/٣. ابن ماجه: السنن، كتاب المناسك، باب ما يوجب الحجَّ، ر٢٨٩٦، ٩٦٧/٢.

(١) كذا في النسخ ولعلها زائدة.

باب ٧ في الرزق وطلب المعيشة

قال الله ﷻ: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ (فاطر: ٣) فهو الخالق الرازق. وقول أصحابنا: إنَّ الله تعالى يـرزق الحلال والحرام، فرِزْقُ الحلال مِلْكُ اليمين، وغذاء الأجسـاد، وحياة البدن؛ ورزق الحرام ليس هو ملك يمين[١] للغاصـب، ولكنْ رزقٌ حـرامٌ، أَكَلَه وغَذَّى به جسـدَهُ حرامًا عليه[٢].

وقول المعتزلة: إنَّ الله تعالى لا يرزق الحـرام. ومن زعم أنَّ الله تعالى لا يرزق الحرام، ولا يُؤتِي المشركَ الملْكَ فليستغفر الله، فإنَّه الرازق لا غيره. والرزق كلُّه حلالُه وحرامُه منه، والملـك كلُّه له. وقد أعطى نمرودَ الملكَ، وهو أوّل مَلِكٍ ملكَ الأرض كلَّها[٣]، وهو الذي حاجَّ إبراهيم في ربِّه أن آتاه الله الملك؛ فالله هو المالك، كما قال ﷻ: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ﴾ (آل عمـران: ٢٦) /١٣٣/ لا مالـك ولا رازق غيره ﷻ.

وعن النبـيِّ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ ﷻ قَسَـمَ بَيْنَكُـمْ أَرْزَاقَكُمْ كَمَا قَسَـمَ بَيْنَكُمْ أَخْلَاقَكُمْ، وَإِنَّ اللهَ يُعْطِي الدُّنْيا مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لَا يُحِبُّ، وَلَا يُعْطِي الدِّينَ إِلَّا**

(١) في (ز): ـ «يمين».
(٢) في (ز): «حرام أكله وعذانه حسده حرامًا». (د): «حرام كله وغذابه جسده حرامًا».
(٣) هذا التعميم يحتاج إلى تثبُّت وتدقيق تاريخي وجغرافي...

مَنْ أَحَبَّ(١)، وَمَنْ أَعْطَاهُ اللهُ الدِّينَ فَقَدْ أَحَبَّهُ. وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يُسْلِمُ عَبْدٌ حَتَّى يَسْلَمَ قَلْبُهُ وَلِسَانُهُ، وَلَا يُؤْمِنُ حَتَّى يَأْمَنَ جَارُهُ بَوَائِقَهُ، قِيلَ: وَمَا بَوَائِقُهُ يا رسُولَ اللهِ؟ قَالَ: غَشْمُهُ وَظُلْمُهُ. وَلَا يَكْسِبُ مَالًا حَرَامًا فَيُنْفِقَ مِنْهُ [فَيُبَارَكَ لَهُ فِيهِ] وَلَا يَتَصَدَّقُ بِهِ فَيُقْبَلَ مِنْهُ، وَلَا يَتْرُكُهُ خَلْفَ ظَهْرِهِ، إِلَّا كَانَ زَادَهُ إِلَى النَّارِ»(٢).

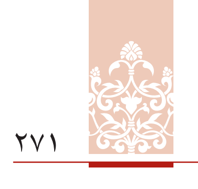
وعنه ﷺ: «لو أنَّ أحدكم هرب من رزقه كما يهرب من الموت لأدركه رزقه كما يدركه الموت»(٣).

وعنه ﷺ: «يولد المولود أحمر لا قشر عليه، ثُمَّ يرزقه الله من بعد»(٤).

ويروى عن الله ـ جلَّ جلاله ـ: «ابنَ آدم، لا تكثر همَّك(٥)، فإنَّ المقدور كائن، والرزق يأتيك. يا ابن آدم لو تهرب من رزقك لأدركك الرزق كما يدركك الموت. واعتبر بطيور السماء التي لا يزرعن ولا يحصدن والله رازقهنَّ»(٦).

وقيل: لو أنَّ العبد تبرَّم رزقَه فقال: إلٰهي، لم ترزقني! لقال الله ـ تبارك وتعالى ـ: أرزقك شئت أو أبيت.

(١) في (د): «يحب»، وفوقها كتب الناسخ: «أحب».
(٢) بقية الحديث: «إنَّ اللهَ ﷻ لاَ يَمْحُو السَّيِّئَ بِالسَّيِّءِ، وَلَكِنْ يَمْحُو السَّيِّئَ بِالْحَسَنِ، إِنَّ الْخَبِيثَ لَا يَمْحُو الْخَبِيثَ». رواه أحمد، في مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن مسعود، رقم٣٦٧٢، ٣٨٧/١.
(٣) البخاري: التاريخ الكبير، ر٣٩٩، ١٣٤/٥. البيهقي في شعب الإيمان، ر١١٩٢، ١١٩٣، ٧١/٢ ـ ٧٢.
(٤) لم أعثر عليه فيما بين يدي من المصادر.
(٥) يمكن أن تُقرأ: «لا يَكثُر همُّك».
(٦) لم أجده فيما بين يديَّ من المصادر.



وعن أبـي عبد الرحمٰن(١) قال: من أُلبِس نعمةً فليكثر من الحمد، ومن أصابه الهمُّ فليكثر من الاستغفار، ومن أبطأ عليه الرزق فليكثر من قول: «لا حول ولا قوّة إلّا بالله».

قال يحيى بن معاذ(٢): في وجود العبد الرزق من غير طلب دليلٌ على أنَّ الرزق مأمور أن يطلب العبدَ.

وعن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**معاشر الناس، إنَّه ليس بين الله وبين أحد من عباده قرابة يعطيه بها خيرًا، ولا يدفع عنه بها شرًّا، وإنَّه واللهِ ما يُدرَك ما عند الله بسخط الله، وما يدرك ما عنده إلّا بطاعته، فلا يحملنَّ أحدَكم استبطاءُ شيء من رزقه أن يطلبه بسخط الله ومعصيته، فإنَّه ما يدرك ما عند الله إلّا بطاعته**»(٣).

وعنه ﷺ: «**الرزق محتوم، فمن تعجَّل في طلبه وجده حرامًا، ومن توقَّف أتاه حلالًا**»(٤).

(١) لم أتمكن من تحديده.

(٢) يحيى بن معاذ بن جعفر الرازي، أبو زكريا (ت: ٢٥٨هـ): واعظ زاهد فريد عصره، من أهل الري، أقام ببلخ ومات في نيسابور. له كلمات سائرة. أحد رجال الطريق كان أوحد وقته. وقدم شيرازًا فجعل يتكلم على الناس في علم الأسرار، فأتته امرأة من نسائها فقالت: كم تأخذ من هذه البلدة؟ قال: ثلاثون ألفًا أصرفها في دين علي بخراسان، فقالت: لك عليَّ ذلك على أن تأخذها وتخرج من ساعتك، فرضي بذلك فحملت إليه المال فخرج من الغد، فعوتبت تلك المرأة فيما فعلت فقالت: إنه كان يظهر أسرار أولياء الله تعالى للسوقة والعامة فغرت على ذلك. انظر: الأبشيهي: المستطرف في كل فن مستظرف، ١٤٣/١. انظر: الزركلي: الأعلام، ١٧٢/٨.

(٣) لم أعثر عليه بهذا اللفظ كاملًا، وقد ورد جزء منه في مصنف ابن أبي شيبة: «... وإنَّ الروح الأمين نفث في روعي أنَّه ليس من نفس تموت حتَّى تستوفي رزقها فاتَّقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحملكم استبطاء الرزق على أن تطلبوه بمعاصي الله فإنَّه لا ينال ما عنده إلَّا بطاعته». مصنف ابن أبي شيبة، ر٣٤٣٣٢، ٧٩/٧. وروى نحوه معمر بن راشد في الجامع، ١٢٥/١١.

(٤) لم أجده فيما بين يديَّ من مصادر.

قال الشاعر:

اِرغب إلى الله لا ترغب إلى أحد ... أمَا رضيــت ضمان الواحد الصمد

/١٣٤/

الله ضامــن أرزاق العبــاد لهم ... حتَّى يفرق بين الروح والجسد

لا تحرصن على الأرزاق تطلبها ... واصبر لدهرك لا تضرع إلى أحد

لو كان رزق الفتى في قبضتي أسد ... وافى إليه على رغم من الأسد[(١)]

وقال آخر:

لا تنظــرنَّ إلى عقــل ولا أدب ... إن الجدود قريبــات الحماقات

واســترزق الله مِمَّا فــي خزائنه ... فكل مــا هــو آت مــرة آت[(٢)]

وقال آخر:

قد كنت أحسب أن الرزق عن طلب ... حتَّــى تبينت أن الــرزق أطوار

رأيت مجتهدًا أكدى على طلب ... وقاعــدًا نال ما يهــوى ويختار

فالصبر أحسن من حرص ومن تعب ... وكل شــيء له حدٌّ ومقــدار[(٣)]

وقال آخر:

وكــم لله مــن لـطـف خفيٍّ ... يَــدِقُّ خَفاهُ عــن فهــم الذكيِّ

وكم أصبحــت مكتئبًــا حزينًا ... فجاءتنــي المســرة بالعشــيِّ

إذا ضاقت بك الأســباب يومًا ... فثــق بالواحد الصمــد العليِّ[(٤)]

---

(١) الأبيات من البسيط. لم أجده فيما بين يديَّ من مصادر.

(٢) البيتان من البسيط. نسبه أبو عليٍّ القالي إلى أبي عبدالله نفطويه. انظر: الأمالي، ١٧٢/٢ (ش).

(٣) الأبيات من البسيط. لم أجده فيما بين يديَّ من المصادر.

(٤) الأبيات من الوافر. تنسب إلى عليِّ بن أبي طالب أبيات نحو هذه، جاء فيها: =

فصل: [الرزق مضمون، ويزيد بالإنفاق]

قال النقَّاش[١]: الرزق جامع، وخاصَّته ما يتفضَّل الله به مِمَّا يصلح للأوقات.

عن النبيِّ ﷺ من طريق ابن مسعود أنَّه قال: «**إنَّ روح القدس نفث في رُوعي أنَّ نفسًا لن تموت حتَّى تستكمل رزقها، فاتَّقوا الله وأجملوا في الطلب**»[٢]. معناه: نفخ[٣] في نفسي، وأوقع في خلدي.

والرُّوع (بضمِّ الراء): الخلد والنفس، تقول: وقع ذلك في رُوعي وفي خلدي، ويقال للرجل إذا ذهب قلبه إلى شيء ثمَّ ثاب إليه: ثاب إليه روعه وأرواعه [كذا].

والرَّوع (بفتح الراء): الفزع والخوف.

ويقال: نفث ينفث، وتفل يتفل، إلَّا أنَّ التفل لا يكون إلَّا مع شيء من الريق[٤].

وعن النبيِّ ﷺ: «**يا ابن آدم لا تتشاغل بالرزق المضمون عن العمل المفروض، وكن مشغولًا في يومك بما أنت مسؤول عنه في غدك**»[٥].

= وَكَم للهِ مِن لُطفٍ خَفيٍّ ... يَدِقُّ خَفاهُ عَن فَهمِ الذَكيِّ
وَكَم يُسرٍ أَتى مِن بَعدِ عُسرٍ ... فَفَرَّجَ كربةَ القَلبِ الشَجيِّ
وَكَم أَمرٍ تُساءُ بِهِ صَباحًا ... وَتَأتيكَ الْمَسَرَّةُ بِالعَشيِّ
إذا ضاقَت بِكَ الأَحوالُ يَومًا ... فَثِق بِالواحِدِ الفَردِ العَلِيِّ

انظر: ديوان علي كرم الله وجهه في الموسوعة الشعريَّة.

(١) النقَّاش محمد بن الحسن الموصلي، تقدمت ترجمته.

(٢) قد سبق تخريج حديث نحو هذا. والرواية بهذا اللفظ ذكرها البيهقي في شعب الإيمان، ر١١٨٥، ٢/ ٦٧.

(٣) في (د): + «في روح».

(٤) انظر: ابن منظور: اللسان، مادَّة: «تفل»، ١١/ ٧٧.

(٥) لم أجده فيما بين يديَّ من المصادر.

وعنه ﷺ أنَّه قال: «**المعونة على قدر المؤونة، من وسَّع وُسِّع عليه، ومن قـتَّر قُـتِّر عليه**»[(١)].

وعنه ﷺ من طريق أنس بـن مالك أنَّه قال للزبير: «**يـا زبير، إنَّ مفتاح الرزق بباب العرش، فيقول الله تعالى: أرزاقهم على قدر نفقاتهم، فمن كَـثَّر كُـثِّر له، ومن قَلَّل قُلِّل له**»[(٢)].

وقيل: إنَّ لله تعالى ملكين في كلِّ يوم /١٣٥/ يناديان: «**اللهمَّ اجعل لكلِّ منفق خلفًا، ولكلِّ ممسك تلفًا**»[(٣)].

وفي الخبر: «**ابن آدم أَنفِقْ أُنفِقْ عليك**»[(٤)].

وعن أبي محمَّد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّه قال: إنَّ الأرزاق في السماء الرابعة[(٥)].

---

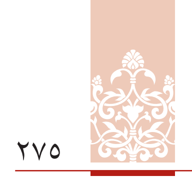
(١) لم أجده بهذا اللفظ في ما بين يديَّ من المصادر. وروي جزء منه في حديث: «إن المعونة تأتي من الله للعبد على قدر المؤونة، وإنَّ الصبر يأتي من الله للعبد على قدر المصيبة» رواه البيهقي في الشـعب والعسكري في الأمثال والبزار وابن شـاهين عن أبي هريرة رضي الله عنه ...». العجلوني: كشف الخفاء، ر٧٨٢، ٢٩٧/١ ـ ٢٩٨.

(٢) قال السـيوطي: رواه الدارقطني في الأفراد عن أنس. وقال الألبانـي: «ضعيف جدًّا». انظر حديث ر١٩٨٢ في ضعيف الجامع. (المكتبة الشاملة).

(٣) رواه البخاري بلفظ: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلاَنِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِـكًا تَلَفًا». البخاري في كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ (الليل: ٥ ـ ٧)، ر١٣٧٤، ٥٢٢/٢. مسلم في كتاب الزكاة، باب في المنفق والممسك، ر١٠١٠، ٧٠٠/٢.

(٤) البخاري في كتاب التفسـير، بَاب قَوْلِهِ: ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾ (هود: ٧)، ر٤٤٠٧، ١٧٢٤/٤. مسلم في كتاب الزكاة، باب الحثِّ على النفقة وتبشير المنفق بالخلف، ر٩٩٣، ٦٩٠/٢.

(٥) هذا التحديد يحتاج إلى دليـل قويٍّ، إذ إنَّ الأمور الغيبيَّة لا تؤخـذ إلَّا بخبر قطعيٍّ ثبوتًا ودلالة. والله تعالى يقول: ﴿ ... يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ ﴾ (النحل: ١١٢).



فصل: [في الرزق]

ابن عبَّاس في قوله ﷿: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ (النحل: ٩٧) قال: الرزق الطيِّب في الدنيا.

وقيل في قوله تعالــى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ﴾ (العنكبوت: ٦٠) يعني: لا ترفع رزقها معها، الله يرزقها حيث ما توجَّهت.

سفيان[١] قال: ليس شــيء من الدوابِّ تخبِّئ إلَّا الإنسان والنملة والفأرة والعقعق[٢] وابن آدم[٣].

مجاهــد[٤] قال: ﴿ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ﴾ قال: هــو محمَّد ﷺ، لا يدَّخر قوت يومٍ لغد.

وعن النبيِّ ﷺ: «**التمسوا الرزق من خبايا الأرض**»[٥]، يعني: الزرع.

وعن ابــن مســعود: إنَّ الأرزاق والمصيبــة والآثار مكتوبــة في اللوح المحفوظ.

---

(١) في النسخ: «سفين». وصححناه من كتاب تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة، ص٢٣١.
وسفيان هو: أبو محمَّد ســفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي (ت: ١٩٨هـ) محدِّث الحرم المكِّي، من الموالي، ولد بالكوفة وسكن مكَّة وتوفي بها. حافظ، ثقة، واسع العلم. له: «الجامع» في الحديث، وكتاب في التفسير. انظر: الزركلي: الأعلام، ١٠٥/٣.

(٢) طائر معروف ذو لونين أَبيض وأَســود، طويل الذَّنَب، وهو نوع مــن الغربان. ابن منظور: اللسان، مادَّة: «عقق»، ٢٦٠/١٠.

(٣) لم يذكر ابن قتيبة في روايته عن سفيان العقعق وابن آدم، (ينظر: المصدر نفسه). ولا شكَّ أنَّ في العبارة خللًا؛ لأنَّ فيها تكرارًا بين الإنسان وابن آدم.

(٤) أبو الحجَّاج مجاهد بن جبر المكِّي (ت: ١٠٤هـ)، وقد تقدَّمت ترجمته.

(٥) رواه الطبرانــي في الأوســط، ر٨٩٥، ٨٠٩٧، ٢٧٤/١؛ ١٠١/٨. وأبو يعلى في المســند، ر٤٣٨٤، ٣٤٧/٧. قال العجلوني: «رواه أبو يعلى والطبراني والبيهقي بســند ضعيف عن عائشة». كشف الخفاء، ١٥٤/١.

فصل: [في فضل السعي في طلب المعيشة]

عن النبيِّ ﷺ من طريق أنس بـــن مالك[١] أنَّه قال: «**إِنَّ من الذنوب ذنوبًا لا يكفِّرها صوم ولا صلاة ولا صدقة**»، قيل: يا رسول الله، فما يكفِّرها؟ قال: «**الهموم[٢] في طلب المعيشة**»[٣].

وفي الحديث: «**الصدقة على العيال أفضل، فابدأ بمن تعول**»[٤].

الهيثم بن عديٍّ يرفعه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اطلبوا الرزق إلى الرحماء من أمَّتي تعيشـــوا في أكنافهم، ولا تطلبوا إلى القاســـية قلوبهـــم فإنَّ عليهم تنـزل اللعنة**»[٥].

قال يحيى بن معاذ[٦]: «من اســـتفتح أبواب المعاش بغير مفاتيح الأقدار وُكِل إلى المخلوقين».

---

(١) إنَّما هو: مالك بن أنس عن محمد بن عمرو عن أبي ســـلمة عن أبي هريرة. كما في رواية الطبراني.

(٢) في (ز): «الغموم»، وكتب الناسخ فوقها: «خ: الغموم».

(٣) لفظــه عند الطبراني في الأوســـط: «إن من الذنـــوب ذنوبًا لا يكفِّرها الصـــلاة ولا الصيام ولا الحجُّ ولا العمـــرة ... الهموم في طلب المعيشـــة». قال الهيثمـــي: «رواه الطبراني في الأوســـط، وفيه محمد بن ســـلام المصري قال الذهبي: حدَّث عـــن يحيى بن بكير بخبر موضوع. قلت: وهذا فيما رواه عن يحيى بن بكير». الطبراني: المعجم الأوســـط، ر١٠٢، ٣٨/١. الهيثمي: مجمع الزوائد، ٦٤/٤.

(٤) لم أجده بهذا اللفـــظ. وإنما روى الشـــيخان وغيرهما قوله ﷺ، واللفظ للبخـــاري: «خَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهْرِ غِنًى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ». البخاري في كتاب الزكاة، باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى، ر١٣٦٠، ٥١٨/٢. مسلم في كتاب الزكاة، باب بيان أنَّ اليد العليا خير من اليد السفلى، ر١٠٣٤، ٧١٧/٢.

(٥) رواه الحاكم في مســـتدركه في حديث طويل بلفظ: «يا علي، اطلبوا المعروف من رحماء أمَّتي...» إلخ. المستدرك على الصحيحين، ر٧٩٠٨، ٣٥٧/٤.

(٦) أبو زكريا، يحيى بن معاذ بن جعفر الرازي (ت: ٢٥٨هـ). تقدَّمت ترجمته.

[الردُّ على من يذمُّ الدنيا ويركن إلى التواكل]:

وقد روي عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**ليتعمَّد أحدكم أخذ حبل فليحتطب فيه حطبًا وليحمله على ظهره، فيأتي به السوق، فيبيعه، فيأكل منه ويتصدَّق، خير له من أن يأتي رجلًا أعطاه الله من فضله فيسأله أعطاه أو منعه**»(١).

وفي هذا القول منه ﷺ ما يدلُّ على ضعف مذهب القائلين: إنَّ الدنيا بمنزلة الميتة لا يحلُّ منها إلَّا ما يحلُّ للمضطرِّ، لاختلاط الحلال منها بالحرام(٢)، فلا يُطلَب منها إلَّا ما يسدُّ الفاقة.

وفيه دليل آخر على قبح اختيار القائلين: إنَّ صدق التوكُّل لا يكون إلَّا بترك الاكتساب، إذ قد حضَّ النبي ﷺ على طلب الاكتساب حضًّا مطلقًا، ولم يجعله خاصًّا في وقت نعمته [كذا] لمن اضطرَّ إليه دون من لم يضطرَّ. /١٣٦/ فالواجب على العبد أن يتَّقي الله ربَّه، ويسارع إلى ما ندب(٣) الرسول ﷺ إلى فعله من اكتساب الحلال الذي يعفُّه في نفسه، ويتصدَّق منه على غيره، ولا يكون كَلًّا على المؤمنين.

وكيف يكون الاكتساب مكروهًا والله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ (البقرة: ١٧٢)(٤). وقد قال الشاعر:

---

(١) رواه أحمد في مسنده، باقي مسند المكثرين، مسند أبي هريرة، ر٧٣١٥، ٢/٢٤٣. وللبخاري في صحيحه بلفظ قريب منه، كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة، ر١٤٠١، ٢/٥٣٥.

(٢) في (د): «الحرام فيها بالحلال».

(٣) في (د): + «إليه».

(٤) وفي (د): «كلوا من طيبات ما كسبتم»، ولا توجد آية بهذا اللفظ، وإنَّما قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ (البقرة: ٢٦٧).

توكل على الرحمٰن في طلب الغنى	ولا تر أن الحزم في تركك الطلب
ألــم تــر أنَّ الله قــال لـمريـم	إليك فهزِّي الجذع تساقط الرطب
ولو شاء أحنى الجذع من غيره هزِّه	إليها ولكن كل شيء له سبب[(١)]

وبلغنا أنَّ إبراهيم عليه السلام قال: يا ربِّ قد اســتحييت من طول ما أتردَّد في الدنيا في طلب المعيشــة، فنودي أن[(٢)] يا إبراهيم، كفَّ عن هذا، فإنَّ طلب الرزق ليس من الدنيا.

قال ســفيان الثوري[(٣)]: مكتوب في التوراة: «إذا كان في البيت بُرٌّ فتعبَّد، وإذا لم يكن فاطلب. يا ابن آدم حرِّك يدك يسبب لك رزقك».

وعن ســفيان: وعليك بالكســب الحلال، فإنَّ الذي يكــون طعامه من الحرام إذا وضع يده وقال: «باســم الله» قال الشــيطان: أنا معك من[(٤)] حيث كسـبته لا أفارقك، أنا شــريكك فيه. وقــال الله عز وجل: ﴿ وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ ﴾ (الإسراء: ٦٤)، فالأموال هو الحرام، والأولاد هو الزنا.

(١) ورد بصيغة: «وهزِّي إليك الجذع يســاقط...». ينســب البيتان الأخيران إلــى الثعالبي أبي منصور عبدالملك بن محمَّد (ت: ٤٢٩هـ). انظر: اليوسي: زهر الأكم في الأمثال والحكم، ص٩٠ (ش). والموسوعة الشعريَّة.
وأما البيت الأوَّل فقد أورده ابن عبد البر دون أن ينسبه بالصيغة الآتية:
توكَّل على الرَّحمٰن في كلِّ حاجةٍ ولا تؤثرنَّ العجز يومًا على الطَّلب
ابن عبد البر: بهجة المجالس وأنس المجالس، ص٢٦ (ش).

(٢) في (د): ـ «أن».

(٣) أبو عبدالله، سفيان بن سعيد بن مسروق (ت: ١٦١هـ): من بني ثور من مضر، أمير المؤمنين في الحديث، آية في الحفظ. ولد ونشــأ في الكوفة. طُلب منــه أن يلي الحكم فأبى. رحل إلى مكَّة والمدينة، ثمَّ استخفى في البصرة إلى أن مات بها. له «الجامع الكبير» و«الجامع الصغير» في الحديث وكتاب في الفرائض. انظر: الزركلي: الأعلام، ١٠٤/٣ ـ ١٠٥.

(٤) في (د): ـ «من».

وعن النبيِّ ﷺ: «**كلُّ لحم نبت من السحت فالنار أولى به**»[(١)]. قال الخليل: السحت كلُّ حرام قبيح الذكر.

وبلغنا أنَّ سعد بن أبي وقَّاص قال: بأبي وأمِّي يا رسول الله، علِّمني أدعو الله بدعوة أكون مستجاب الدعوة، قال: «**يا سعد، أطِبْ مطعمك تستجاب لك دعوتك، يا سعد والذي بعثني بالحقِّ نبيًّا، إنَّ العبد ليرمي إلى جوفه باللقمة الحرام فما يُستجاب لدعوته أربعين يومًا وأربعين ليلة**»[(٢)].

وقيل: سئل النبيُّ ﷺ: أيُّ الكسب أفضل؟ فقال: «**عمل الرجل بيده، وكلُّ بيع مبرور**»[(٣)].

وقال أبو الدرداء: نظر أصحاب رسول الله ﷺ إلى أعرابيٍّ فقالوا[(٤)]: يا رسول الله، لو كانت قوَّته في سبيل الله، فقال ﷺ: «**إن كان يسعى على والديه أو على عياله فهو في سبيل الله، وإن كان يسعى على نفسه ليستعفَّ عن الناس فهو في سبيل الله، وإن كان يسعى في تكاثر وتفاخر فكلُّ ذلك في النار**»[(٥)].

---

(١) ورد بهذا اللفظ في مسند الربيع، في الأَخْبَارِ الْمَقَاطِيعِ عَنْ جَابِرِ بن زَيْدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الإِيمَانِ وَالنِّفَاقِ، ر٩٤١، ص٣٦٤. ورواه الطبراني في الصغير، ر٦٢٥، ٣٧٤/١. وبلفظ قريب منه: الحاكم في المستدرك على الصحيحين، ر٧١٦٢، ١٤١/٤. وأحمد في مسنده، باقي مسند المكثرين، مسند جابر بن عبد الله، ر١٤٤٨١، ٣٢١/٣.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط بلفظ: «أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة، والذي نفس محمَّد بيده، إن العبد ليقذف اللقمة الحرام في جوفه ما يتقبَّل منه عمل أربعين يومًا». ر٦٤٩٥، ٣١٠/٦. قال الألباني في السلسلة الضعيفة والموضوعة (٢٩٢/٤): «ضعيف جدًّا». (المكتبة الشاملة).

(٣) رواه الحاكم في مستدركه على الصحيحين، ر٢١٥٨، ١٢/٢. وأحمد في مسنده، مسند المكيين، حديث أبي بردة بن نيار، ر١٥٤٠٩، ٤٦٦/٣.

(٤) في النسخ: «فقال».

(٥) لم أعثر عليه بلفظ: «فكلُّ ذلك في النار». وإنَّما روى الطبرانيُّ في معاجمه الثلاثة أنَّه =

وقيل: العبادة عشـــرة أجزاء تسعة /١٣٧/ منها في طلب الحلال، وواحد في الصلاة والصيام.

فصل: [الاقتصاد في المعيشة]

ويؤمر الإنســـان بالاقتصاد في معيشته، اقتداء بما أدَّب الله به[1] نبيَّه ﷺ، بقوله ﷻ: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ... ﴾ الآية[2]، وهذا مَثَـلٌ، أي: لا تقبض يـدك عن النفقـة قبضا شـديدًا كالمغلول الذي لا يمكنه أن يبسطها. وقال الحســن والكلبيّ: يقول: لا تمنع حقَّ الله فتكون كالذي غُلَّت يـده إلـى عنقـه، ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ﴾ أي: تنفق في غير حـقِّ الله. ويقال: تنفق كلَّ مـا عندك، فيجيء آخرون يسـألونك فلا يجدون عندك شـيئًا تعطيهم، ﴿ فَتَقْعُدَ مَلُومًا ﴾ أي: يلومـك من لا تعطيه، ﴿ مَّحْسُورًا ﴾ أي: قد ذهـب مالك فبقيتَ كمن حسـر وذهبت[3] قوّتـه، فليس يقدر على الحركة. والعرب تقول: حسـرت الدَّابَّة، إذا سِـرْتَ بها حتَّى ينقطع سيرها،

= مرَّ على النبيِّ ﷺ رجـلٌ، فرأى أصحاب النبيِّ ﷺ من جَلَده ونشـاطه ما أعجبهم، فقالوا: يا رسـول الله، لو كان هذا في سبيل الله!. فقال رسـول الله ﷺ: «إن كان خرج يسعى على ولده صغارًا فهو في سبيل الله، وإن خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله، وإن كان يسعى على نفسه يعفُّها فهو في سـبيل الله، وإن كان خرج رياء وتفاخرًا فهو في سبيل الشيطان». الطبراني: المعجم الأوسط، ر٦٨٣٥، ٥٦/٧. وينظر: المعجم الصغير، ر٩٤٠، ١٤٨/٢. المعجم الكبير، ر٢٨٢، ١٢٩/١٩. سـنن البيهقي، ٤٧٩/٧. قال الهيثميُّ: «رواه الطبرانـيُّ في الثلاثة ورجـال الكبير رجـال الصحيح». الهيثميُّ: مجمـع الزوائد، ٣٢٥/٤.

(١) في (د): ـ «به».

(٢) الإسراء: ٢٩. وتمامها: ﴿... فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾.

(٣) في النسخ: «ذهب».

ومنه قوله تعالى: ﴿خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ (الملك: ٤)، أي: منقطع عن بلوغ النظر. ودابَّة حسير ومحسور، والجمع حسرى[١]. قال الأعشى[٢]:

بِالخَيلِ شُعثًا ما تَزالُ جِيادُها   حسرى تُغادِرُ بِالطَريقِ سِخالَها[٣]

روي عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**للمؤمن على ربِّه خصلة: إذا وسَّع عليه وسَّع، وإذا ضيَّق عليه ضيَّق**»[٤].

وفي خبر آخر: «**إنَّ مِمَّا أدَّبني ربِّي: إذا وسَّع وسعتُ، وإذا ضيَّق ضيقتُ**»[٥].

وعنه ﷺ أنَّه قال: «**ما عال مقتصد ولا يعيل**»[٦]، أي: ما افتقر ولا يفتقر[٧]، ويقال: عال يعيل الرجل عَيْلَةً، إذا احتاج.

---

(١) انظر: ابن منظور: اللسان، مادَّة: «حسر»، ١٨٨/٤.

(٢) ميمون بن قيس (ت: ٧هـ)، وقد تقدَّمت ترجمته.

(٣) البيت من الكامل. ورد بلفظ: «رجعًا»، بدل «حسرى»، من قصيدة مطلعها:

رَحَلَت سُمَيَّةُ غُدوَةً أَجمالَها   غَضبى عَلَيكَ فَما تَقولُ بَدا لَها

انظر: ديوان الأعشى في الموسوعة الشعريَّة.

(٤) لم أجده بهذا اللفظ. وفي شعب الإيمان للبيهقيِّ مرفوعا: «إنَّ المؤمن أخذ عن الله سبحانه وتعالى أدبًا حسنًا، إذا وسَّع عليه وسَّع على نفسه وإذا أمسك عليه أمسك». وقال: «هذا حديث منكر. وروي هذا من قول الحسن البصري». البيهقي: شعب الإيمان، ر٦٥٩١، ٦٥٩٢، ٢٥٩/٥. وقد ضعَّفه الألباني في السلسلة الضعيفة والموضوعة، ر٣٠٢٧، ٢٧/٧. وفي ضعيف الجامع، ر١٤٩٧. (المكتبة الشاملة).

(٥) لم أجده فيما بين يدي من المصادر. وينظر الحديث السابق.

(٦) رواه أحمد وابن أبي شيبة والطبراني وغيرهم بلفظ: «ما عال من اقتصد»، بدون زيادة: «ولا يعيل». أحمد: مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبدالله بن مسعود، ر٤٢٦٩، ٤٤٧/١. ابن أبي شيبة: المصنَّف، ٢٦٦٠٤، ٣٣١/٥. الطبراني: الأوسط، ر٥٠٩٤، ٢٠٦/٥.

(٧) لابن منظور توجيه آخر لطيف للحديث، إذ شرح قوله: «ولا يعيل»، بقوله: «ولا يقتِّر». انظر: لسان العرب، مادَّة: «قصد»، ٣٥٤/٣. والتأسيس في المعاني أولى من التأكيد.

وقيل: إذا كان عند أحدكم[١] شـــيء فليقتصد فيـــه، ولا يقولنَّ: إنَّ الرزق مقســـوم. وقال بعضهم: لا أمتحن ربِّي، ولكن أطلب السلامة؛ فإن امتحنني صبرت.

ويؤمر الإنسان بالتوسُّط في إنفاقه[٢]، فلا يكن مبذِّرًا ولا مقتِّرًا، بل ينفق إذا وجد، ويقتصد إذا عدم؛ فقد روي عــن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**أنفق يا بلال، ولا تخش من ذي العرش إقلالًا**»[٣].

وعنه عَلَيْهِ السَّلَامُ أنَّه قال: «**من أيقن بالخلف سخت نفسه بالنفقة**»[٤].

وعنه عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**الأيدي ثلاث: سائلة ومنفقة وممسكة، وخير الأيدي المنفقة**»[٥].

وعن أبي جعفر[٦] قال: إنَّ الشمس تطلع ومعها أربعة أملاك: ملك ينادي: يا صاحب الخير أتم وأبشــر، وملــك ينادي: يا صاحب الشــرِّ انزع وأقلع، وملك ينادي: أعط /١٣٨/ منفقًا خلفًا وآت ممســكًا تلفًــا، وملك ينضحها بالماء، لولا ذلك لاشتعلت الأرض[٧].

---

(١) في (د): «عندكم».
(٢) في (ز): «الفاقة».
(٣) رواه البزار في مسنده، ر١٣٦٦، ٢٠٤/٤. والطبراني في الكبير، ر١٠٢٠، ١٠٢٤، ١٠٩٨، ٣٤٠/١، ٣٤١، ٣٥٩.
(٤) لم أجده بهذا اللفظ، وفي مســند الشــهاب، عن عليٍّ مرفوعا: «... من أيقن بالخلف جاد بالعطية». ر٣٦٥، ٢٣٣/١.
(٥) لم أجده فيما بين يدي من المصادر.
(٦) لم أتمكَّن من تحديده.
(٧) لم أجده فيما بين يــديَّ من المصادر. وقــد أورد أبو نعيم رواية مرفوعــة بلفظ: «إنَّ في الســماء أربعة أملاك ينادون من أقصاها إلى أدناها: يا صاحب الخير أبشــر، ويا صاحب الشــرِّ أقصر، ويقول الآخر: اللهمَّ أعط منفق مال خلفًا، ويقول الآخر: اللهمَّ أعط ممســك مال تلفًا». أبو نعيم: معرفة الصحابة، ر٣٣٥٢، ٤٢٥/١٠ (ش). =

وعن النبيِّ ﷺ: «**الرزق أسرع إلى من يطعم الطعام من السكِّين إلى السنام**»[(١)].

وعن أبي جعفر قال: تنزل المعونة من السماء إلى العبد بقدر المؤونة، ومن أيقن بالخلف سخت نفسه بالنفقة.

وعن النبيِّ ﷺ: «**من اقتصد في معيشته رزقه الله عزّ وجلّ، ومن بذَّر حرمه الله عزّ وجلّ**»[(٢)].

مسألة: [العمل لا يزيد في الرزق ولكنَّه واجب]

ولا يسع أحدًا أن يظنَّ أنَّه إن لم يعمل أنَّ رزقه ليس يأتيه. وللإنسان رزق مقسوم، لا زيادة فيه ولا نقصان، وليس العمل مِمَّا يزيد فيه، ولا العقود مِمَّا ينقص منه، ولكن يؤمر بالطلب؛ لأنَّ الله تعالى قد علم أنَّه يوسِّع له رزقه بسبب ذلك الطلب، أو[(٣)] يفوِّت عليه رزقه بترك الطلب. وأمَّا رزقه الذي قد قسمه الله تعالى فلا يفوته منه قليل ولا كثير.

= ولم أجد زيادة نضح الشمس بالماء. وهذا الأمر يحتاج إلى إثبات بالدليل القويِّ الذي لا يتناقض مع الحقائق العلميَّة الفلكيَّة!.

(١) لم أعثر عليه بهذا اللفظ. وللبيهقي في شعبه وابن ماجه في سننه: «الْخَيْرُ أَسْرَعُ إِلَى الْبَيْتِ الَّذِي يُغْشَى مِنَ الشَّفْرَةِ إِلَى سَنَامِ الْبَعِيرِ». ابن ماجه: السنن، كتاب الأطعمة، باب الضيافة، ر٣٣٥٦، ١١١٤/٢. وفي سنده كَثِيرُ بن سُلَيْمٍ، وهو ضعيف. وقال البيهقي: «تفرَّد به كثير بن سليم عن أنس. وروي في معناه بإسناد آخر ضعيف». انظر: الكامل في الضعفاء لابن عدي، ر١٦٠٠، ٦٣/٦ ـ ٦٤. البيهقي: شعب الإيمان، ر٩٦٢٤، ٩٩/٧.

(٢) لم أجده فيما بين يديَّ من مصادر. وفي مسند الشهاب في حديث طويل: «... ومن قدَّر رَزَقه الله، ومن بذَّر حرمه الله»، وفي سنده ابن لهيعة، اختلط بعد احتراق كتبه. انظر: القضاعي: مسند الشهاب، ر٣٣٧، ٢٢١/١.

(٣) في (د): «إذ».

ومَن تَرَكَ العملَ متوكِّلًا علــى الله عَزَّ وَجَلَّ، وقال: قد فرض الله تعالى له رزقـًا، فـلا يرزقه أحـد ســواه، ولا يفوتـه شـيء منه، فـلا يكون مخطئًا بذلك.

والحجَّة على طلـب الرزق إجمـاع الأمَّة علـى ذمٍّ مـن تخلَّف عنه، وإيجابهم عليه التحرُّك في طلب القوت. وقد قال الشاعر:

ومـا طلـب المعيشـة بالتمنِّي ... ولكـن ألـق دلوك فـي الدلاء

تجـيء بملئهـا طـورًا وطورًا ... تجـيء بحمـأة وقليل مـاء[1]

وأيضًا: فعليه أن يحيي نفسه ولا يدعها تموت جوعًا، فإن فعل ذلك فهو هالك، والله أعلم.

ومن أظهر حاجته إلى الناس فلم يسـتطع أن يكتمها، فلا يكون بذلك ساخطًا لرزقه. وبالله التوفيق.

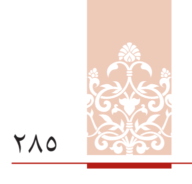
الكتاب [بمعنى الكتب السماوية]

الكتاب على الإطلاق اسـم لكتاب الله عَزَّ وَجَلَّ، ولا يسـمَّى الكتاب على الإطلاق غيـره. وإنَّما الكتب تسـمَّى بالإضافات إلـى مؤلِّفيها، وبالصفات للأنواع التي فيها.

والكتب التي ذكرها الله تعالى وسمَّاها بأعيانها أربعة:

- «القرآن»: كتاب محمَّد ﷺ، وله أسامٍ غير هذا نذكرها إن شاء الله.

(١) البيتان من الوافر. وردا بلفظ: «تجئك». ينسـبان إلى أبي الأسـود الدؤلي ظالم بن عمرو (ت: ٦٩هـ)، وإلـى عليِّ بن أبي طالـب كرَّم الله وجهـه (ت: ٤٠هـ). انظر: الموسـوعة الشعريَّة.



- و«التوراة»: كتاب موسى عليه السلام، سمَّاه توراة، وسمَّاه أيضًا في القرآن كتابًا وفرقانًا[١] ونورًا وضياء[٢].
- و«الإنجيل»: كتاب عيسى عليه السلام.
- و«الزبور»: كتاب داود عليه السلام.

فهذه الكتب الأربعة كلُّها أسماء من الله عز وجل مشهورة غير الكتاب الذي هو اسم لكلِّ كتاب. ولسائر الأنبياء /١٣٩/ كتبٌ وليس لها أسماء مخصوصة في القرآن، إلَّا الصحف التي ذكرها الله عز وجل فقال: ﴿صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ (الأعلى: ١٩).

وسمَّى تبارك وتعالى الكتب المتقدِّمة زُبُرًا، غير أنَّه لم يَخُصَّ بهذا الاسم إلَّا كتابَ داود عليه السلام، فصار عامًّا لسائر الكتب، وقال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ (النساء: ١٦٣. والإسراء: ٥٥)، وقال عز وجل: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ (الشعراء: ١٩٦). وكلُّ كتاب ذو حكمة فهو زبور. وقيل: الزبر كتاب الأنبياء بالنبوَّة على ما يكون، والكتابُ المبيِّن الحلالَ والحرامَ. و«زُبُرٌ» جمع زبور، وهي الكتب. فأمَّا الزُّبَرُ (مفتوحة الباء مضمومة الزاي[٣]) فالقِطَع، واحدها زُبْرَةٌ، ومنه ﴿ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾ (الكهف: ٩٦) أي: قِطَعَ. ويقال: زبرت الرَّكيَّة[٤]

---

(١) في النسخ: «وقرآنًا». وهو خطأ، إذ لم يرد في القرآن الكريم تسمية التوراة قرآنًا، وإنَّما سمِّيت فرقانًا.

(٢) الفرقان والضياء وردا في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (الأنبياء: ٤٨)، والنور في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ﴾ (الأنعام: ٩١).

(٣) في (د): «الزا».

(٤) الرّكيّةُ، جمعها: رَكِيّ ورَكَايا، وهي البئر التي يكون بها ماء، ولا يقال: ركيّة إلّا إذا كان فيها ماء قلَّ أو كثر، وإلَّا فهي بئر. انظر: العين، (ركي). الثعالبي: فقه اللغة، ص٤ (ش).

أي: طويتها، ومن هذا قالــوا: فلانٌ لَا زَبْرَ له، أي: ليــس له عقل يقيمه كما يقيم الزَّبْرُ الرَّكِيَّة أن تنهار.

فأمَّا القرآن والتــوراة والإنجيل فهي[١] الكتب التــي فيها الأمر والنهي، والحلال والحرام. وليس الزبور كذلك، إنَّما الزبور فيه تسبيح وتهليل ودعاء وحكمة، مثل سائر كتب الأنبياء التي ليس فيها شرائع ولا أمر ولا نهي.

وفضَّل الله تعالى الزبور من ســائر الكتب، فذكره فــي كتابه مع القرآن والتوراة والإنجيل، واختصَّ له اسمًا، ولم يختصَّ لسائرها اسمًا. فقد قيل: إنَّ النبيَّ ﷺ ذكر أربعة وعشرين كتابًا، مثل كتاب: أشعيا، وكتاب أرميا، وكتاب سليمان وغير ذلك. ولكتب ســليمان أسام، مثل: قوهلت وسير سيرين وغير ذلك[٢]، ولكن ليس لها في القرآن ذكر.

واليهود تسمِّي كتب بني إسرائيل خمسى، معناه خمسة أخماس، وخمسة أخماس هي خمسة وعشرون. وقد احتجَّت عليهم النصارى فقالوا: قد أقررتم لنا أنَّ كتب بني إســرائيل خمســة أخماس، وخمســة أخماس هي خمســة وعشرون، وفي أيديهم أربعة وعشرون كتابًا، والإنجيل الخامس والعشرون.

فصل: [للكتاب معانٍ مختلفة]

ويقال: للقدر كتاب، قال الجعدي[٣]:

يا ابْنَةَ عَمِّي كِتابُ اللهِ أَخرَجَني   عَنكُم وَهَل أَمنَعَنَّ اللهَ ما فَعَلا[٤]

(١) في النسخ: «فهو».
(٢) ينظر أسماء هذه الكتب في: الفهرست لابن النديم، ١/ ٣٤ ـ ٣٥.
(٣) النَّابِغَة الْجَعدِيُّ: أبو ليلى، قيس بن عبدالله العامري (ت: ٥٠هـ). تقدَّمت ترجمته.
(٤) البيت من البسيط، تقدَّم تخريجه. انظر: ديوان النابغة الجعدي في الموسوعة الشعريَّة.

يعني قَدَرَ الله. قيل: وسئل الأصمعيُّ[(١)]: ما الكتاب؟ قال القدر، وأنشد:

كُتِبَ البَياضُ لَهـا وُبورِكَ لَونُها   فَعُيونُها حَتّى الحَواجِبُ سودُ[(٢)]

وإنَّما قيل للقدر: كتاب؛ لأنَّهم ذهبوا إلى أنَّ الله ﷻ كتب كلَّ شيء قدَّره في اللوح /١٤٠/ المحفوظ. وقال الله ﷻ: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ (التوبة: ٥١) قال أهل التفسير: ما قضى وقدَّر. وقالوا في قوله تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ﴾ (المجادلة: ٢١) أي: قضى ذلك وفرغ منه.

ويقال للفرض أيضًا: كتاب، قال ابن عبَّاس في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ﴾ (البقرة: ١٧٨) أي: فُرض، ومن ذلك قيل للصلاة: الفريضة المكتوبة. قالوا: وإنَّما قيل للفريضة: كتاب؛ لأنَّه نزل به الكتاب وذُكر في الكتاب.

وقالوا: الكتاب الأمر، وفسَّروا ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ (المائدة: ٢١) أي: أمركم أن تدخلوها.

ويقال: كتب بمعنى جعل، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾ (المجادلة: ٢٢)، وقالوا في قوله ﷻ: ﴿فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ (آل عمران: ٥٣)، وقوله:

---

(١) أبو سعيد عبدالملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي الأصمعي (ت: ٢١٦هـ): راوية العرب، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان. مولده ووفاته في البصرة. كان كثير التطواف في البوادي، يقتبس علومها ويتلقى أخبارها، ويتحف بها الخلفاء، فيكافأ عليها بالعطايا الوافرة. كان يقول: أحفظ عشرة آلاف أرجوزة. جُمعت بعض القصائد التي تفرد بروايتها في «الأصمعيات». تصانيفه كثيرة، منها: «الإبل» و«الأضداد»، و«خلق الإنسان»، و«المترادف»، و«الفرق». انظر: الزركلي: الأعلام، ١٦٢/٤.

(٢) البيت من الكامل. للشاعر الجاهلي قيس بن عيزارة، من قصيدة مطلعها:

يا حارِ إِنّي يا اِبنَ أُمِّ عَميد   كَمِدٌ كَأَنّي في الفُؤادِ لَهيدُ

انظر: الموسوعة الشعريّة.

﴿فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ (الأعراف: ١٥٦) فسَّــروا هــذا كلّه بمعنى جعل. فقد جاء في الكتاب هذه المعاني كلُّها: كتب بمعنى قَضَى، وجَعَلَ، وأَمَرَ.

فصل: [الكتاب إفرادًا وجمعًا]

والكتاب يكون واحدًا وجمعًا، وقال تعالى: ﴿وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا﴾ (الإسراء: ١٣) يريد واحدًا. وقال ﷻ: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّ﴾ (الجاثية: ٢٩) يريد جمعًا. فإذا قلت: «الكتب» فليس إلَّا الجمع، وهي من ثلاثة إلى عشرة. فإذا قلت: «الكتاب» فهو الجمع الذي لا عدد له، ويكون الواحد منه الكتاب. ويقال: كتبت الكتاب، إذا جمعت الحروف بعضها إلى بعض. ويقال: تَكَتَّبَ بنو فلان إذا اجتمعوا، قال عبيد[١]:

نُبِّئتُ أَنَّ بَني جُديلَةَ[٢] أَوعَبوا[٣] نُفراءَ[٤] مِن سَلمى لَنا وَتَكَتَّبوا[٥]

أي: تجمَّعوا، ومنه قيل لجماعة الخيل: كتيبة، قال النابغة[٦]:

تُزْهَى[٧] كَتائِبُ خُضرٌ لَيسَ يَعصِمُها إِلَّا اِبتِدارٌ إِلى مَــوتٍ بِإِلجامِ[٨]

---

(١) أبو زياد عَبيد بن الأبرَص بن عوف الأسدي، (ت: ٢٥ ق.هـ). تقدَّمت ترجمته.
(٢) في (د): «جليدة».
(٣) «أَوْعَبَ القومُ إذا خَرَجُوا كلُّهم إلى الغزْو. وفي حديث عائشة: «كان المسلمون يُوعِبون في النَّفِير مع رسول الله»، أَي: يَخرُجُون بأَجْمَعهم في الغَزْو». ابن منظور: اللسان، مادَّة: «وعب»، ١/ ٨٠٠.
(٤) في النسخ: «سفوا». وصحَّحناها من الموسوعة الشعريَّة.
(٥) البيت من الكامل. وهو مطلع قصيدة لعبيد بن الأبرص. انظر: ديوانه في الموسوعة الشعريَّة.
(٦) النابِغَة الذُّبياني: أبو أمامة، زياد بن معاوية (ت: ١٨ ق.هـ)، وقد تقدَّمت ترجمته.
(٧) ورد بلفظ: «يهدي كتائب خضرا».
(٨) البيت من البسيط، من قصيدة مطلعها:
قالَت بَنو عامِرٍ خالوا بَني أَسَــدٍ يا بُــؤسَ لِلجَهلِ ضَــرّارًا لأَقوامِ
انظر: ديوان النابغة في الموسوعة الشعريَّة.

الكتائب: جمع كتيبة.

ويقال: كَتَبَ الْخَرْزَ، إذا جمعه، قال ذو الرمَّة[١]:

وَفـراءَ غَرفِيَّـة أَثـأَى خَوارِزُهَا ... مُشَلشِـلٌ ضَيَّعَتهُ بَينَها الكُتَبُ[٢]

والكُتَب: الْخُرْزُ، والكُتْبَة: الْخُـرْزَةُ[٣]. ومنه كَتَبْتُ البَغْلَةَ: إذا جمعت بين شفرتيها بحلقة، وبغلة مكتوبة إذا كانت كذلك[٤]، قال:

لا تَأْمَنَـنَّ فَزارِيـا خَـلَـوْتَ به ... علـى قَلُوصِكَ فاكْتُبْها بِأَسْيار[٥]

وكان الكتاب يسمَّى كتابًا لِمَا اجتمع فيه من المعاني بالخطِّ والحروف. ويقال أيضًا /١٤١/ لجمـع الحروف بعضها إلى بعض والأسـفار: الكَتْبُ، بلغة كنانة. ويسمَّى الكتاب سِـفْرًا لأنَّه يُحمل من مكان إلى مكان. والسِّفْر: الكتاب الطويل الذي ليس بكراسـة. ومـن العرب من يقول: سَـفر، وعن

---

(١) ذو الرُّمَّة، غيلان بن عقبة بن نهيس العدوي (ت: ١١٧هـ)، وقد تقدَّمت ترجمته.

(٢) البيت من البسيط، وهو الثاني من قصيدة مطلعها:

ما بالُ عَينِكَ مِنها الماءُ يَنسَكِبُ ... كَأَنَّهُ مِـن كُلـى مَفرِيَّة سَـرِبُ

انظر: ديوان ذي الرُّمَّة في الموسوعة الشعريَّة.

قال في الجمهـرة، تعليقًا على البيت: «يصف دلوًا، وَفْراء: واسـعة. غَرْفيَّة: دُبغت بالغَرْف. أَثْأَيْتُ الشيءَ، إذا أفسدته ... والمشلشل: ما يتشلشل من الخُروز، أي يقطر قطرًا متداركًا». ابن دريد: جمهرة اللغة، مادَّة: «رفي».

(٣) في نسخة (د): «والكتب الحرز، والكتيبة الحريرة».

«الخُرْزَة فهو ما بين الغُرْزَتَين، وكذلك خُرْزة الظهر ما بين فَقْرَتين». ابن منظور: اللسـان، مادَّة: «خرز»، ٣٤٥/٥.

(٤) قال ابن منظور: «الكُتْبَةُ: ما شُـدَّ به حياءُ البغلة، أَو الناقة، لئـلَّا يُنْزَى عليها». ابن منظور: اللسان، مادَّة: «كتب»، ٧٠١/١.

(٥) نسـبه ابن منظور إلى سـالم بن دارة. وقال: «وذلك لأَنَّ بني فزارة كانوا يُرْمَوْنَ بِغِشْـيانِ الإِبل ... وأَسْيار: جمع سَيْر، وهو الشَّرَكَةُ». المصدر نفسه.

بعضهم أنَّه يقول: سِفر (بكسر الســين) لغة. والسِّفْر جزءٌ ومن أجزاء التوراة. وكل كتاب سِفْرٌ، والجمع أسفار. والكَتَبَةُ: السَّفَرَةُ، من قوله تعالى: ﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ۞ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ﴾ (عبـس: ١٥ ـ ١٦) قيل: إنَّهم ملائكة الســماء الدنيا، وهم الكَتَبَةُ يُحصُون أعمال أهل الأرض.

والطِّلْسُ: الكتاب قد مُحِيَ ولم يُنْعَمْ مَحْوُهُ فيصير طِرْسًــا، وإذا مَحَوْتَ الكتاب لتُفسدَ خطَّه [قلتَ:] طَلَّسْـتُه، وإذا أنعمت محوه قلتَ: طَرَّسْتُهُ[١].

ويقال للكتاب: الرقيم، وأنشد:

لِمَنْ طَلَلٌ مثلُ الكتابِ الْمُرقَّم[٢]

ويقال: هو مرقوم عليك: أي: مكتوب، وهو فعيل[٣] بمعنى مفعول، قال:

سَــأَرقُمُ في الماءِ القُراحِ إِلَيكُمُ عَلى نَأيِكُم إِن كانَ في الماءِ راقِمُ[٤]

أي: كاتب.

والرقيم في قول الله تعالى[٥] يقال: اســم الوادي الذي فيه الكهف. وقال الكلبيّ: الرقيم لوح رصاص، كتبت فيه أســماؤهم وأنسابهم ودينهم ومِمَّن هربوا. قال الحسن: الرقيم الجبل الذي هربوا إليه.

(١) انظر: ابن منظور: اللسان، مادَّة: «طرس»، و«طلس»، ٦/١٢١، ١٢٤.

(٢) البيت من الطويل. لم أجده بهذا اللفظ. ولسلامة بن جندل قصيدة مطلعها:

لِمَن طَلَلٌ مِثــلُ الكِتابِ المُنَمَّقِ خَلا عَهدُهُ بَينَ الصُلَيبِ فَمُطرِقِ

انظر: ديوان جندل في الموسوعة الشعريَّة.

(٣) في النسخ: «فعل». والصواب ما أثبتناه، إذ يتحدَّث عن «الرقيم»، على وزن «فعيل».

(٤) البيت من الطويل. ينسب لأوس بن حجر. انظر: الموسوعة الشعريَّة.

(٥) في قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾ (الكهف: ٩).



والرقيم في غير هذا الزوجة[١]، قال الأحوص[٢] أو غيره:

لعمرك إنني لرقيم قيس وجارة بيتها صب كئيب[٣]

فصل: [الصُّحُف]

والصحف: جمع صحيفة، يُثقَّل ويُخفَّف[٤].

وقوله تعالى: ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ (الأعلى: ١٩): يعني الكتب التي أنزلت عليهما ـ صلَّى الله عليهما ـ. وسمِّي الْمُصْحَفُ مصحفًا لأنَّه أُصْحِفَ، أي: جُعل جامعًا للصحف المكتوبة بين الدفَّتين[٥]. وتقول: طويت الصحيفة فأنا أطويها طيًّا، فالطيُّ هو المصدر، وطويتها طيَّةً: يعني: مرَّة واحدة، وتقول: إنَّه يحسن الطيَّة، لا تريد به المرَّة الواحدة ولكن تريد به ضربًا من الطيِّ مثل الْجِلْسَة والْمِشْيَة، تريد به نوعًا منه، قال ذو الرمَّة:

---

(١) الرقيمة: المرأة العاقلة البَرْزَة الفطنة. والبرزة: ذات الرأي الموثوق به. ابن منظور: اللسان، مادَّة: «رقم»، ٢٤٨/١٢.

(٢) الأحوص الأنصاري، عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عاصم الأنصاري (ت: ١٠٥هـ) لقِّب بالأحوص لضيق في عينه، شاعر إسلاميٌّ أمويٌّ هجَّاء، من طبقة جميل بن معمر، وكان معاصرًا لجرير والفرزدق. من سكان المدينة. نفاه الوليد بن عبد الملك دهلك (وهي جزيرة بين اليمن والحبشة) فبقي إلى أن أطلقه يزيد بن عبد الملك، فقدم دمشق ومات بها. انظر: الزركلي: الأعلام، ١١٦/٤.

(٣) لم أجده فيما بين يديَّ من المصادر.

(٤) لم يتَّضح معنى التخفيف والتثقيل هنا. ونفس الكلام نجده عند الخليل: «الصُّحُف جمع الصحيفة يُخفَّف ويثقَّل، مثل: سفينة وسفن نادرتان، وقياسه صحائف وسفائن». فيتبيَّن أنَّ: «صُحُف» مخفَّفة، على غير قياس. و«صَحَائِف»: مثقَّلة، على قياس ما كان على وزن «فعيلة»، مثل: جريمة، جرائم، وقرينة وقرائن ... انظر: الخليل: العين، ١٢٠/٣.

(٥) انظر: ابن منظور: اللسان، مادَّة: «صحف»، ١٨٦/٩.

أَمْ دِمنَة نَسَفَتْ عَنها الصَّبَا سُفَعًا كَما تُنَشَّـرُ بَعدَ الطِّيَّةِ الكُتُبُ[١]

فكسر الطاء لأنَّه أراد نوعًا منه في الحسن والقبح، ولم يرد المرَّة الواحدة. والفعل اللازم للصحيفة وغيرها، والجبَّة وما يشبهها: الانطواء، تقول: انطوى ينطوي انطواء، فهو مُنْطَوٍ على [وزن] منفعل. وتقول: اِطَّوَى يَطَّوِي تريد به افتعل، فأُدغم الطاء في التاء[٢] فقال: مُطَّوٍ.

فصل: [مباحث لغويَّة في الكَتْب والسَّطْر والْخَطّ]

سمِّي الكاتب كاتبًا لأنَّه يضمُّ الحروف /١٤٢/ إلى بعض، من قولهم: كتبت القربة، إذا ضممت خرزًا منها إلى خرز، ومنه قول ذو الرمَّة:

وَفـراءَ غَرفِيَّـة أَثـأَى خَوارِزُهَا مُشَلشِـلٌ ضَيَّعَتهُ بَينَها الكُتَبُ[٣]

الوفراء: المزادة. الغَرفيَّة: المدبوغة بالغرف، وهو شجر. وأثأى: أفسد، والمشلشل: الماء[٤]. والكُتَبُ: الْخَرز. ويقال: كتبت الكتاب أكتبه كتابًا وكتابة ومكتبة، وكَتَبَ الرجُلُ يكتُبُ كتابًا وكَتْبَةً ومَكْتَبًا، فهو رجل كاتب، وهم قوم كُتَّابٌ وَكَتَبَةٌ، والمفعول منه: مكتوب.

وَسَطَرَ يَسْطُرُ سَطْرًا ومسْطَرَةً ومسْطَرًا فهو سَاطر، والمفعول[٥] منه

---

(١) معنى البيت: أنَّ سواد الدمن هبَّت الريح به فنسفته وألبسته بياض الرمل. انظر: تهذيب اللغة، مادَّة: «سفع». والبيت من البسيط، من قصيدة مطلعها:

ما بالُ عَينِكَ مِنها الماءُ يَنسَكِبُ كَأَنَّهُ مِـن كُـلى مَفـرِيَّة سَـرِبُ

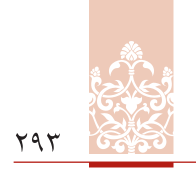
انظر: ديوان ذي الرمَّة في الموسوعة الشعريَّة.

(٢) في النسخ: «التاء في التاء». وصحَّحناه بناء على أصل وزنها الصرفي: افتعل = اِطْتَوَى / يفتعل = يَطْتَوِي. فأدغمت الطاء في التاء.

(٣) تقدَّم تخريجه وشرحه.

(٤) لقد مرَّ أنَّ المشلشل هو الذي يقطر قطرًا متداركًا.

(٥) في النسخ: «والفعل».



مَسْطُور. وخَطَّ يَخُطُّ خطًّا وخطَّة ومخطَّة، فهو رجل خاطٌّ وخطَّاط، قال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾ (العنكبوت: ٤٨). وإذا أخبرتَ عن نفسك قلتَ: كَتَبتُ وسَطَرتُ وخَطَطْتُ، وإذا أمرتَ غيركَ قلتَ: اكتب لي كتابًا واسْطُر لي سطرين وثلاثة. قال الشاعر:

إنِّي وَأَسْطارٍ سُطِرْنَ سَطْرا لَقائِلٌ يا نَصْرُ نَصْرًا نَصْرا[١]

وخُطَّ لي خَطًّا حسنًا، وإن شئت قلت: اخْطُطْ لي.

فأمَّا الأُسْطِيرةُ في [كلام] العرب فهو ما يؤلِّفه الجهَّال والضلَّال من الكذب المزخرف الذي لا عقل له، يستأكلون به الدنيا، وجمعه: أساطير، تقول: سَطَّر علينا فلان تسطيرًا: إذا جاء بأحاديث شبه الباطل. الواحد من الأساطير أسطار، وهي أحاديث باطلة. وتقول: يُسَطِّرُ؛ أي: يؤلِّف ما لا أصل له.

وأمَّا السيطرة فهي الجبريَّة والكبر والسلطنة، في القرآن: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ (الغاشية: ٢٢)، أي: بِمُسَلَّط.

وسَطْرُ الكتابِ جَمْعُهُ: أَسْطَارٌ وأَسطُر وسُطُور، وجمع [الجمع][٢]: أساطير، الواحد: أَسطَارَة وسَطْرَة وسطر. وسُطُور جمع أساطير وسُطُر[٣]، فمن قال: سَطْرٌ (مخفَّف) فجمعه القليل: أسطر، وسطور الكثير، فمن قال سَطَّرَ (مثقَّل) قال: أَسْطَار. قال جرير[٤]:

---

(١) البيت من الرجز لرؤبة بن عبدالله العجاج (ت: ١٤٥هـ)، من أربعة أبيات مطلعها:

مِدْحَةَ مَحْصُورٍ تَشَكَّى الحَصْرا رَأَيْتُهُ كَمَا رَأَيْتُ نَسرا

انظر: ديوان رؤبة في الموسوعة الشعريَّة.

(٢) إضافة منَّا ليستقيم السياق. انظر: ابن منظور: اللسان، مادَّة: «سطر»، ٣٦٣/٤ ـ ٣٦٤.

(٣) في (د): ـ «الواحد: أَسطَارَة وسَطْرَة وسطر. وسُطُور جمع أساطير وسُطُر». انتقال نظر.

(٤) جرير بن عطية بن حذيفة (ت: ١١٠هـ)، وقد تقدَّمت ترجمته.

مَنْ شَـاءَ بَايَعْتُهُ مَالِي وخُلْعَتَهُ[١]　　مَا تَكْمُلُ التَّيْمُ فِي دِيوَانِهِمْ سَطَرَا[٢]

ويقال: طِرْسٌ، وهو من الأضداد، قال أبو الشيص[٣]:

طَلَلٌ عَفَتْ ديمُ السَّـماءِ رُسومَه　　وكأنَّ باقي رسْـمِهِنَّ طُرُوسُ[٤]

وذلك إذا أعدته، ولا يقال طِرْسٌ إلَّا الذي يمكن إعادته.

والطِّرْس: المداد أيضًا، يقال:

فأعطنـي[٥] ثمن الطِّـرسِ الذي　　كُتبتْ به القصيدةُ أو كفَّارة الكذِبِ[٦]

---

(١) «خُلْعَة المالِ وخِلْعَتُه: خِيارُه». ابن منظور: اللسان، مادَّة: «خلع»، ٧٩/٨.

(٢) البيت من البسـيط لجرير. انظر: الموسوعة الشـعريَّة. وإصلاح المنطق، ٩٦/١. وتهذيب اللغة (سطر). ولسان العرب، وتاج العروس، (خلع).

(٣) أبو الشيص، محمد بن علي بن عبدالله بن رزين الخزاعي (ت: ١٩٦هـ): لقبه أبو الشيص، ويقال لرديء التمر، كنيته: أبو جعفر. شـاعر مطبوع، سـريع الخاطر رقيـق الألفاظ. من أهل الكوفة غلبه على الشـهرة معاصراه صريع الغواني وأبـو النواس. وهو ابن عم دعبل الخزاعي، عمي في آخر عمره. قتله خادم لعقبة في الرقة. انظر: الزركلي: الأعلام، ٢٧١/٦. والموسوعة الشعريَّة.

(٤) البيت من الكامل، ورد بصيغة:

طَلَلٌ مَحت آيُ السَّـماء رسومَه　　فَـكأَنَّ باقـي مَحوهـنَّ دروسُ

من قصيدة مطلعها:

يا دارُ مَا لَكِ لَيـسَ فيكِ أَنيسُ　　إِلَّا معـالـم آيُـهُـنَّ دُروسُ

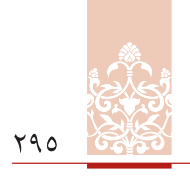
انظر: ابن المعتز: طبقات الشعراء، ٢١/١ (ش). والموسوعة الشعريَّة.

(٥) في النسخ: «يا فأعطني».

(٦) البيت من البسيط. ثاني بيتين ينسبان لابن الرومي. وأولهما:

إن كنتَ من جهلِ حقِّي غير معتذرٍ　　وكنتَ من ردِّ مدحي غيرَ مثَّئبِ

انظر: الموسوعة الشعريَّة.



فصل: [مباحث لغويَّة في الوحي]

والوحي: الكتابة، يقول وَحَى يَحِي وحيًا، أي: كَتَبَ كتابًا، وأنا أَحِي، قال:

من رسم آثار كوحي الواحي[١]

أي: ككتاب الكاتب. وأنشد ابن عرفة[٢]:

كَأَنَّ أَخا اليَهودِ يَخُطُّ وَحيًا ... بِكافٍ في مَنازِلِها وَلامِ[٣]

وقال عنترة، وشبَّه المنازل ودروسها بالكتاب:

كَوَحيِ صَحائِفٍ مِن عَهدِ كِسرى ... فَأَهداها لأَعجَمَ طِمطِمِيِّ[٤]

والوحي في كلام العرب على وجوه، منها وحي النبوَّة، ومنها الإلهام، ومنها الإشارة، ومنها الكتابة، وفي ذلك شواهد من الكتاب والشعر والكلام تركته اختصارًا.

واختلفوا في قوله ﷻ: ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُواْ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ (مريم: ١١) قال

---

(١) لم أجده فيما بين يديَّ من مصادر.

(٢) يبدو أنَّه: أبو علي، الحسن بن عرفة العبدي (ت: ٢٥٧هـ): بغدادي، مؤدِّب من رجال الحديث، كان مسند زمانه، توفِّي بسامراء. له جزء مرويٌّ عبر العصور. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٥٤٧/١١ ـ ٥٥١. انظر: الزركلي: الأعلام، ١٩٩/٢.

(٣) البيت من الوافر. وهو البيت الثاني من قصيدة تنسب إلى جرير مطلعها:

عَرَفتُ الدارَ بَعدَ بَلى الخِيامِ ... سُقيتَ نِجاءَ مُرتَجِزٍ رُكامِ

انظر: ديوان جرير في الموسوعة الشعريَّة.

(٤) البيت من الوافر. وهو الثاني من أبيات لعنترة مطلعها:

أَلا يا دارَ عَبلَةَ بِالطَويِّ ... كَرَجعِ الوَشمِ في كَفِّ الهَدِيِّ

انظر: ديوانه في الموسوعة الشعريَّة.

مجاهد[١]: أشار إليهم. وعن الضحاك[٢] وابن أبي ليلى[٣] قال: كتب لهم. قال أبو عبيد[٤]: والمعنى محتمل للقولين.

فصل: [مباحث لغويَّة في الترقين، والتنميق، والتناشير، والسجلّ]

والترقين: ترقين الكاتب الكتابة وهو تزيينه، وكذلك ترقين الثوب بالزعفران والورس، قال:

دارٌ كرقن الكاتب الْمُرَقّن   بَيْنَ نَقَى الْمُلْقَى وَبَيْن الملقن[٥]

قال: الرُّقُون: النقوش. قال بعضهم: امرأة راقنة؛ أي: مختضبة بالحنَّاء والزعفران، وأنشد:

---

(١) أبو الحجَّاج مجاهد بن جبر المكِّي (ت: ١٠٤هـ)، وقد تقدَّمت ترجمته.

(٢) الضحَّاك بن مزاحم البلخي (ت: ١٠٥هـ)، وقد تقدَّمت ترجمته.

(٣) محمَّد بن عبدالرحمٰن بن أبي ليلى يسار الأنصاريُّ الكوفيُّ (ت: ١٤٨هـ): قاض، فقيه، من أصحاب الرأي. ولي القضاء والحكم بالكوفة لبني أميَّة، ثمَّ لبني العبَّاس. واستمرَّ ٣٣ سنة. له أخبار مع الإمام أبي حنيفة وغيره. مات بالكوفة. انظر: الزركلي: الأعلام، ٦/١٨٩.

(٤) في (د): «أبو عبيدة»، وعليه فهو: أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت: ٢٠٩هـ)، وقد تقدَّمت ترجمته.

أمَّا أبو عبيد فهو: القاسم بن سلام الهروي الأزدي (ت: ٢٢٤هـ): من كبار العلماء بالحديث والأدب والفقه والقضاء، وتولَّاه. كان كثير التصانيف في الفنون المذكورة. انظر: الزركلي: الأعلام، ٥/١٧٦.

(٥) البيت من الرجز. لم أجده بهذا اللفظ. ولرؤبة بن العجاج:

دارٌ كَرَقْمِ الكاتِبِ الْمُرَقَّنِ   بَيْنَ نَقَى الْمُلْقَى وَبَيْن الأَجْؤُنِ

من قصيدة مطلعها:

يا أَيُّهَا الكاسِرُ عَيْنَ الأَغْضَنِ   وَالْقائِلِ الأَقْوالَ ما لَمْ يَلْقَنِي

انظر: ديوان رؤبة العجاج في الموسوعة الشعريَّة.

صفراء راقنة كالشمس عُطْبُول[١]

والرقون: الزعفران.

ويقال: نَمَّقتُ الكتاب تنميقًا، إذا حسَّنته وزيَّنته، وجائز أن يخفَّف. ونَمَّقته أيضًا نقشته وصوَّرته، قال النابغة:

كَأَنَّ مَجَرَّ الرامِساتِ[٢] ذُيولَها   عَلَيهِ قضيمٌ نَمَّقَتهُ الصَّوَانِع[٣]

قضيم: صحيفة[٤].

والتناشير: كتابةُ الغلمانِ الكِتَابَ ينشرونها على المعلِّم، أي: يُرُونَه إيَّاه، وتقول: نشرت الكتاب وأنشرت نشرًا.

والإملال: إملال الكِتَابِ لِيُكتَبَ.

والسِّجِلُّ: الصحيفة فيها الكتاب. وقيل: السجلُّ كاتبٌ كان للنبي ﷺ. وقال الحسن: السِجلُّ الصُّحُف.

---

(١) «جاريةٌ عُطْبُلٌ وعُطْبُولٌ وعُطْبُولةٌ وعَيْطَبُولٌ: جَمِيلة فَتِيَّةٌ ممتلئة طويلة العُنُق». ابن منظور: اللسان، مادَّة: «عطبل»، ٤٥٦/١١. وهذا عجز بيت لأبي حبيب الشيباني، وصدره: «جاءت مكمثرة تسعى ببهكنة». انظر: لسان العرب، وتاج العروس، (دقن).

(٢) «قال أَبو حنيفة: الرَّوامِسُ والرَّامِساتُ الرياح الزَّافِياتُ التي تنقل التراب من بلد إِلى آخر وبينها الأَيَّام، وربما غَشَّتْ وجْه الأَرض كُلَّه بتراب أَرض أُخرى». ابن منظور: اللسان، مادَّة: «رمس»، ١٠٢/٦.

(٣) في (ز): «الأصابع»، كتب الناسخ فوقها: «الصوانع». وفي (د): «الصوابع».
البيت من الطويل، ورد بلفظ: «عَلَيهِ حَصيرٌ نَمَّقَتهُ الصَوانِعُ»، من قصيدة مطلعها:
عَفا ذو حُسًا مِن فَرتَنى فَالفَوارِعُ   فَجَنبا أَريكٍ فَالتِلاعُ الدَوافِعُ
انظر: ديوان النابغة في الموسوعة الشعريَّة.

(٤) «القضيم: الجلد الأَبيض يكتب فيه، وقيل: هي الصحيفة البيضاء...». وله معان أخرى. انظر: اللسان، مادَّة: «قضم»، ٤٨٨/١٢.

فصل: [مباحث لغويَّة في الترجمة وغيرها]

وترجمة الكتاب: كلمة مولدة[١] عراقيَّة غير عربيَّة، ومعناها: الإبانة والدليل. يقال لصاحب الترجمة: تُرجمان (بضم التاء ولا تفتح).

ويقال للكرَّاسة: دفتر، ولا أعرف له اشتقاقًا. ويقال: دفتر أيضًا بالتاء [كذا]، وقيل: «نِعْمَ الْمُحَدِّثُ الدفتر»[٢]، وقال:

نعم الْمُسامِرُ للوحيد الدفترُ ... نعم المحدِّث أذنًا السُّمَّر[٣]

/١٤٤/ وللكتاب فصول كثيرة، مشتملة على علوم كثيرة، منها الهمز والمدُّ والقصر، والوصل والفصل، والحذف والزيادة، والنقط ورسوم خطوط الكتب، وما أُلحق بالهجاء وليس منه. ولكلِّ فصل من هذه الفصول فصول أيضًا، فيها كتب مصنَّفة موجودة إن شاء الله.

---

(١) في (د): «مترجمة»، كتب الناسخ فوقها: «مولَّدة».

(٢) قالها الشعبي عامر بن شراحيل (ت: ١٠٣هـ). انظر: أبو منصور الثعالبي: الإعجاز والإيجاز، ص٨ (ش).

(٣) لم أجده فيما بين يدي من مصادر.

باب ٨ في القرآن

سـمّى الله ﷻ القرآن كتابًا، فقال تعالـى: ﴿الٓمٓ ۞ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾ (البقرة: ١ ـ ٢) قال أبو عبيدة: معناه: هذا القرآن، والعرب تخاطب الشاهد مخاطبة الغائب. قال خفاف بن ندبة السـلميُّ[١] ـ وهي أمُّه وكانت حبشيَّة، وكان من غربان العرب ـ:

أَقولُ لَـهُ وَالرُمحُ يَأطِـرُ[٢] مَتنَهُ ... تَأَمَّـلَ خُفافًـا أَنَّني أَنـا ذَلِكا[٣]

وسمِّي القرآن قرآنًا؛ لأنَّه جمع السور وضمَّنها، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ۞ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ﴾ (القيامـة: ١٧ ـ ١٨) معناه ألَّفنا منه شـيئًا وضممناه[٤]

---

(١) خفاف بن ندبة بن عمير بن الحارث بن الشريد السـلمي (ت: ٢٠هـ)، اشتهر بالنسبة إلى أمِّه ندبة بنت شـيطان، وكانت سوداء سباها الحارث بن الشـريد ... كان فارسًا، يُكنى أبا خُراشَـة، أسـلم وشـهد فتح مكة وغزوة حنين والطائف، وهو ابن عم الخنساء الشاعرة. وأكثر شعره مناقضات له مع العباس بن مرداس. قال الأصمعيُّ: «خفاف ودريد بن الصمَّة أشعر الفرسـان». انظر: ابن عبد البر: الاسـتيعاب، ترجمة ر٦٧٤، ٤٥٠/٢. انظر: الزركلي: الأعلام، ٣٠٩/٢.

(٢) «الأَطْرُ: عَطْفُ الشـيء، تَقْبِضُ على أَحدِ طَرَفَيْهِ فَتُعَوِّجُه؛ أَطَرَه يَأْطِـرُهُ ويأْطُرُه أَطرًا فانْأَطَرَ انْئِطارًا وأَطَّـرَه فَتأَطَّر: عَطَفه فانعطف كالعُود تراه مسـتديرًا إذا جمعـت بين طرفيه». ابن منظور: اللسان، مادَّة: «أطر»، ٢٤/٤.

(٣) البيت من الطويل. وهو مطلع قصيدة لخفاف. ينظر: ديوانه في الموسوعة الشعريَّة.

(٤) في (د): «وضمناه».

إليك، فاعمل به وخذ به. قال: وقيل للناقة التي لم تلد: ما قرأت جنينًا قطُّ، وأنشد لعمرو بن كلثوم[١]:

ذِراعَي عَيطَلٍ أدماءَ بِكرٍ هَجانِ اللَّونِ لَم تَقرَأ جَنينا[٢]

أي: لم تضمَّ في رحمها ولدًا.

وفي آية أخرى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ﴾[٣] مجازه: فإذا تلوت بعضه في إثر بعض حتَّى يجتمع وينضمَّ بعضه إلى بعض.

الفرقان[٤]:

قال أبو عبيدة: وسمِّي فرقانًا لأنَّه فرَّق بين الحقِّ والباطل، وبين المؤمن والكافر. وعن ابن عبَّاس في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ (آل عمران: ٤) قال: الْمُخرِج من الشبهات. وسمَّى ﷻ التوراة فرقانا، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً﴾[٥] لأنَّ سبيله في تلك الأمَّة سبيل القرآن في هذا الأمَّة.

ومنه سمِّي عمر ﵀ «الفاروق»، لتفريقه بين الحقِّ والباطل.

ويقال: سمعت فرقان الفرقان في الفرقان، فالفرقان الأوَّل: أراد القرآن، والثاني: يجمع فريقًا من الناس، وهو الجماعة، والثالث: السَّحَر، وقيل: سمِّي السَّحَر فرقانًا لأنَّه يفرِّق بين الليل والنهار.

---

(١) عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتَّاب (ت: ٣٩ ق.هـ)، وقد تقدَّمت ترجمته.

(٢) البيت من الوافر، من قصيدة مطلعها:

أَلا هُبِّي بِصَحنِكِ فَاصبَحينا وَلا تُبقي خُمورَ الأَندَرينا

وينسب أيضًا إلى أميَّة بن أبي الصلت، من قصيدة مطلعها:

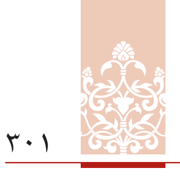
غَدا جيرانُ أَهلِكَ ظاعِنينا لِدارٍ غَيرَ ذَلِكَ مُنتَوينا

انظر: ديوانهما في الموسوعة الشعريَّة.

(٣) النحل: ٩٨. وتمامها: ﴿... فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾.

(٤) في (د): «القرآن».

(٥) الأنبياء: ٤٨. وتمامها: ﴿وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾.



الوحي:

ومن أسماء القرآن: الوحي، كما يقال له: قرآن وتنزيل. وقد قالت الأمَّة بأجمعها: القرآن كلام الله تعالى ووحيه وتنزيله، قال ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ...﴾ الآية[1]. وفي الوحي معان جليلة، وتفسير طويل، تركته اختصارًا.

التنـزيل:

ويقال للقرآن: تنـزيل، كما يقال له: قرآن، ويقال: هذا في التنـزيل، /١٤٥/ أي: في القرآن، وهو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾ (الزمر: ٢٣)، ومن قوله ﷻ: ﴿نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ (النحل: ١٠٢) و﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ (الشعراء: ١٩٣)، ﴿وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ (الإسراء: ١٠٦)، فهو مشتقٌّ من: نزل ينزل، وأصله من الانحدار، قال ﷻ: ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا﴾ (غافر: ١٣)، قال الأعشى[2]:

فَلَستَ لإنسيٍّ وَلكِن لِمَأْلَكٍ[3] تَنَزَّلَ مِن جَوِّ السَّماءِ يَصُوبُ[4]

فكلُّ منحدر من وضع عال فهو متنـزِّل.

---

(١) الأنبياء: ٤٥. وتمامها: ﴿وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾.

(٢) ميمون بن قيس (ت: ٧هـ)، وقد تقدَّمت ترجمته.

(٣) ويروى: «لِمَلَأكٍ»، وأصله من الألوك والمألكة، وهي الرسالة. انظر: ابن منظور: اللسان، مادَّة: «ألك»، ١٠/٣٩٢ ـ ٣٩٤.

(٤) يصوب: ينزل، وينصبُّ، ومنه قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ (البقرة: ١٩). انظر: اللسان: مادَّة: «صوب»، ١/٥٣٤.
والبيت من الطويل. ينسب لعدَّة شعراء، وهم: علقمة الفحل بن عبدة (ت: ٢٠ ق.هـ)، وأبو وجزة يزيد بن أبي عبيد السعدي (ت: ١٣٠هـ)، ومتمِّم بن نويرة اليربوعي (ت: ٣٠هـ). انظر: الموسوعة الشعريَّة.

القصص:

وســمَّى الله ﷻ القرآن قصصًــا، فقال تعالــى: ﴿ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ ﴾ (يوســف: ٣). والقصص في كلام العرب هــو اتِّباع الأثر، وقال ﷻ: ﴿ وَقَالَتۡ لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِ ﴾ (القصص: ١١) أي: اتَّبعي أثره، والله أعلم. ويقال: خرج فلان في أثر فلان قصصًا، أي: اتَّبع أثره. وكأنَّه سمَّاه قصصًا لأنَّه ﵇ اتَّبع ما أوحي إليه، ثُمَّ ألقى ذلك إلى الناس فاتَّبعوه.

روح:

ويقــال للقــرآن: روح، قــال ﷻ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَا ﴾ (الشــورى: ٥٢). قــال ابن قتيبــة: في حديث النبــيِّ ﷺ: «**تحايُّــوا بذكر الله وبروحه**»[١]. قال: روحه القــرآن، لقوله تعالى: ﴿ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَا ﴾، وكأنَّه سمَّاه روحًا لأنَّه أحيا به الدين والناس، والله أعلم.

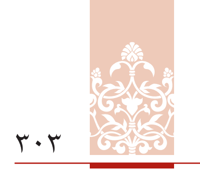
المثاني:

وســمَّاه الله ﷻ: المثاني، فقال تعالى: ﴿ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ ﴾ (الزمر: ٢٣)، قالوا: ســمِّي بذلك لأنَّ الأنباء والقصص تُثنَّى فيــه. وقال آخرون: «المثاني» مشــتقٌّ من قولك: ثنَّيت الشــيء، أي: كرَّرته. وقولــه: ﴿ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ ﴾ مجازه: آيات من القرآن يشبه بعضها بعضًا. وأنشد العجَّاج[٢]:

---

(١) لم أجده فيما بين يديَّ من المصادر. وقد أورده الزمخشري في الفائق في غريب الحديث، مع التأويل الذي ذكره المؤلف، ٨٩/٢.

(٢) أبو الشعثاء، عبدالله بن رؤبة بن لبيد بن صخر الســعدي التميمي (ت: نحو ٩٠هـ): راجز مجيد، من الشعراء، ولد في الجاهليَّة، ثمَّ أسلم وعاش إلى أيَّام الوليد بن عبدالملك ففلج وأقعد، وهو أوَّل من رفع الرجز، وشبَّهه بالقصيد، وكان بعيدًا عن الهجاء. وهو والد رؤبة الراجز المشهور. انظر: الزركلي: الأعلام، ٨٦/٤. والموسوعة الشعريَّة.



نشـــدتكم بمنــزل الفرقــان[١] أمِّ الكتاب الســبع من مثاني[٢]

ثنتين من آي من القرآن.

أمُّ الكتاب:

ويقال لســورة الحمد: «أمُّ الكتاب»، ويقال: لها «الســبع مــن المثاني». وروى أبو عبيدة بإســناد له عــن النبيِّ ﷺ: وقرئ عليــه آي فاتحة الكتاب، فقال: «**وَالَّذِي نَفْســي بِيَدِهِ مَا أَنْــزَلَ اللهُ فِي التَّوْرَاةِ وَلَا فِــي الإِنْجِيلِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلَهَا، إِنَّهَا السَّبْعُ مِنَ الْمَثَانِي، وَالْقُرْآنُ [الْعَظِيمُ] الَّذِي أُوتِيتُ**»[٣]. وقال أبو عبيدة: إنَّما قيل للحمد: «أمُّ الكتاب» لأنَّها يُبتدأ بها في أوَّل القرآن، وتعاد في كلِّ ركعة، ويقال لها: «فاتحة الكتاب» لأنَّها تُفتتح بها المصاحف فتكتب قبل [سائر] القرآن.

المفصَّل:

قال بعض العلماء: سمِّي مفصَّلًا لأنَّه نُظِم نظمًا بالآيات، فآية في الحلال، وآية في الحــرام، /١٤٦/ وأخرى في القصص، وأخرى في الناســخ، وأخرى في المنسوخ؛ قد فُصِّل بأنواع الأحكام والحدود والأنباء، ويقال: نَظْمٌ مفصَّل، أي: جعل بين كلِّ لونين خرزة، وبين كلِّ خرزتين زبرجدة. وقال النابغة[٤]:

---

(١) في (ز): «القرآن» صحّحت إلى «الفرقان». (د): «القرآن».

(٢) لم أجده فيما بين يديَّ من مصادر.

(٣) روي بهذا اللفظ عند الترمذي، وفي البخاري ما يقرب منه. الترمذي: السنن، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل فاتحة الكتاب، ر٢٨٧٥، ١٥٥/٥. البخاري في كتاب التفسير، باب قولــه: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ (الحجر: ٨٧)، ر٤٤٢٦ ـ ٤٤٢٧، ١٧٣٨/٤.

(٤) النابِغَة الذُّبياني: أبو أمامة زياد بن معاوية (ت: ١٨ ق.هـ)، وقد تقدَّمت ترجمته.

بِالـدُّرِّ وَالياقوتِ زُيِّـنَ نَحرُها وَمُفَصَّـلٍ مِن لُؤلُـؤٍ وَزَبَرْجَدِ[(١)]

قال غيره: سمِّي مفصَّلًا لأنَّ الأحكام والسـنن بُيِّنت فيه وفُصِّلت، يقال: فصَّلت الحكم: أوضحته وبيَّنته. وقضاءٌ فَصْـلٌ، أي: متبيِّن قد مضى الحكم فيه، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۝ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ﴾ (الطارق: ١٣ ـ ١٤).

السورة:

قال أبو عبيدة: السـورة تهمز ولا تهمز؛ فمن همزها جعلها مِنْ أَسْأَرْتُ، أي: أَفْضَلْتُ؛ ومجازُ[(٢)] سـورةٍ مجازُ قطعةٍ من القرآن على حدة، وفضلة منه. ومن لم يهمزها جعلها من سورة البناء، أي: منـزلة بعد منـزلة، وأنشد النابغة:

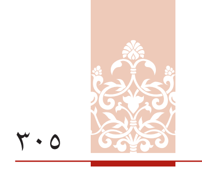
ألـم تـر أن الله أعطاك سـورة ترى كلَّ ملك دونها يتذبذب[(٣)]

«أعطاك سـورة» أي: منـزلة ورفعة لا يلحقها أحد من الملوك، وارتفعت عن منازل الملوك؛ قال: وسـورة البناء مأخوذ من ذلك؛ لأنَّـه يُبنى ويُرفع. ويقال: سِرْتُ إليه، أي: ارتفعت إليه، وأنشد:

ورُبَّ ذي سُـرادق محجـور سِـرتُ إليه من أعالي السُّور[(٤)]

وجمع «سـورة» في لغة من همزها ومن لم يهمزها، سُوَرٌ (بفتح الواو)، وجمع سـورة البناء: سُورٌ (بجزم الواو)، مثل: سيرة وسـير[(٥)]. قيل: إنَّما قيل

(١) البيت من الكامل. انظر: ديوان النابغة في الموسوعة الشعريَّة.
(٢) س + «ذلك».
(٣) ذكره المفسّرون، منهم الطبريُّ والقرطبيُّ منسوبًا إلى النابغة. الطبري: جامع البيان، ٣٣٥/١٥. القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ٦٥/١.
(٤) نسبه الخليل إلى العجَّاج. الخليل بن أحمد: العين، ٢٨٩/٧. وينظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ٤٠/١٥.
(٥) كذا، ولم يتَّضح لنا وجه الشبه.



لسُـــوَر القرآن سُـــوَر لأنَّ الله ﷻ فضَّل بها نبيَّه ﷺ، فكلَّما أعطاه سورة زاده رفعة وفضيلة، والسورة في كلام العرب على ما فسَّروه هي الرفعة والمنـزلة والفضيلة، وقال الحطيئة[١]:

فَمَن مُبلِغٌ أَفناءَ[٢] سَـعدٍ فَقَد سَعى إِلى السُّورَةِ العُليا لَهُم رجل جَلدُ[٣]

فسور القرآن هي مناقب لرسول الله ﷺ، وفضائله ومنازله الرفيعة. وقال ابن الأنباريّ[٤] فيها أربعة أقوال:

- **أحدها**: من ارتفاع منـزلة إلى منـزلة، مثل سورة البناء.
- **والثاني**: لشرفها، من قولهم: له سورة في المجد، أي: شرف وارتفاع.
- **والثالث**: لكبرها [وتمامها] على حيالها، من قولهم: له سور من الإبل، أي: أَقْرَامٌ[٥] كرام، واحدتها: سورة.
- **والرابع**: لأنَّها قطعة من القرآن على حدة وفضيلة، من قولهم: أسأرت منه ســؤرا، أي: أبقيت منه بقيَّة، فيكون أصلها الهمز فتركوه وأبدلوا منه واوًا لانضمام ما قبله[٦].

---

(١) الْحُطَيْئَة هو جرول بن أوس بن مالك العبسي (ت: ٤٥هـ)، وقد تقدَّمت ترجمته.

(٢) ورد بلفظ: «أبناء» (ينظر: الهامش الآتي). و«أَعْناء من الناس وأَفْناء، أَي: أَخْلاط، الواحد عِنْوٌ وفِنْوٌ. ورجل من أَفْناء القبائل؛ أَي: لا يُدرى من أَيِّ قبيلة هو، وقيل: إِنَّما يقال: قوم من أَفناء القبائل، ولا يقال رجل، وليس للأَفْناء واحد». ابن منظور: اللسان، مادَّة: «فني»، ١٥/١٦٥.

(٣) البيت من الطويل، من قصيدة للحطيئة بلفظ: «مبلغ أبناء»، «حازم جلد»، مطلعها:

أَلَا طَرَقَتْنَـا بَعدَمـا هَجَدوا هِندُ وَقَد سِرنَ خَمسًا وَاتلأَبَّ بِنا نَجدُ

انظر: ديوان الحطيئة في الموسوعة الشعريَّة. والأمالي في لغة العرب للقالي، ٢/١١٩.

(٤) محمد بن القاسم بن محمد الأنباري (ت: ٣٢٨هـ)، وقد تقدَّمت ترجمته.

(٥) القَرْم: الفحل الذي يُترك من الركوب والعمل، والْمُقـرَم: الْمُكْرم الذي لا يذلَّل. انظر: ابن منظور: اللسان، مادَّة: «قرم»، ١٢/٤٧٣.

(٦) انظر: الزاهر لابن الأنباري، ١/٧٥، ٧٦.

آيــــة:

قال أبو عبيدة: إنَّما ســمِّيت آية لأنَّها كلام متَّصل إلى انقطاعه وانقطاع معنــاه، قصَّة ثُــمَّ قصَّــة. /١٤٧/ وقال فــي قولــه ﷻ: ﴿ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ﴾ (آل عمران: ٧): مجازه: أعــلام الكتاب وعجائبه، وآياتــه: فواصله[١]. وفي قوله تعالى: ﴿لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗ﴾ (يونس: ٩٢) أي: علامة.

وقال ابن قتيبة: بلغني أنَّ أبا عمرو الشــيباني[٢] قال: معنى آية من كتاب الله، أي: جماعة حروف، قال: ومنه يقال: خرج القوم بآيتهم، أي: بجماعتهم.

وقال غيره: الآية أصلها العلامة التي يُعرف بها الشيء ويُستدلُّ بها عليه، قال الهذلي[٣]:

بِــآيَــةِ مــا وَقَــفَــتْ وَالــرِكــا ... بُ بَينَ الحَجونِ وَبَيْنَ السُّرَر[٤]

يعني بالآيات: العلامات[٥] بلِّغها عنِّي. والْحَجُون بمكَّة. والسُّــرَر: على أربعة أميال من مكَّة عند مســجد عبد الصمد، كانت هناك شجرة يقال: سُرَّ تحتها سبعون نبيًّا، أي: قطعت سُرَرُهم، فســمِّيت بذلك. وقال عمر بن أبي ربيعة[٦]:

---

(١) في (ز): «فواضله».

(٢) أبو عمرو، إسحاق بن مرار الشيباني (٢٠٦هـ)، وقد تقدَّمت ترجمته.

(٣) هو: أبو ذُؤيب، خويلد بن خالد الهذلي (ت: ٢٧هـ)، وقد تقدَّمت ترجمته.

(٤) الْحَجُون: موضع أو جبل بمكَّة ناحية البيت، وهي مقبرة. انظر: ابن منظور: اللســان، مادَّة «حجن»، ١٣/١٠٩.

والبيت من المتقارب، من قصيدة مطلعها:

عَرَفــتُ الدِّيــارَ لأُمِّ الرَهيــ ... ــنِ بَيــنَ الظبــاءِ فَوادي عُشَــر

انظر: اللسان، المصدر نفسه. وديوان أبي ذؤيب الهذلي في الموسوعة الشعريَّة.

(٥) في النسخ: «العلامة».

(٦) عمر بن عبدالله بن أبي ربيعة المخزومي (ت: ٩٣هـ)، وقد تقدَّمت ترجمته.

بآيــة أحجــارٍ وخــطٍّ خَطَطْتِهِ　　　لنا في طريق الحلس والمتعور[١]

كأنَّها جَعَلت هناك أحجارًا يستدلُّ بها علامة.

وقال بُرجُ بن مُسْهِرِ الطائي[٢]:

خَرَجْنا من النَّقْبَين، لا حَيَّ مِثْلُنا　　　بآيتنا نُزْجِي اللِّقَــاحَ الْمَطافِلا[٣]

بآيتنا، أي: بجماعتنا. ومعنى قولهم: خرج القوم بآيتهم، أي: بجماعتهم، وذلك أنَّهم كانوا إذا خرجــوا بجماعتهم لحرب أو لأمر حملوا معهم آية قد جعلوها علامة لهم، فقيل: خــرج القوم بآيتهــم، أي: بعلامتهم، وكثر ذلك حتَّى قيل لهــم إذا خرجوا مجتمعين وإن لم تكن لهم آيــة: خرجوا بآيتهم، فصار اسمًا للجماعة.

والآية أيضًا: الرسالة، فكأنَّها رســالة بعد رسالة، وإخبار بعد إخبار، قال النابغة الذبياني[٤]:

مَــن مُبلِّــغٌ عَمْرَو بن هِنــدٍ آيَةً　　　وَمِــنَ النَّصيحَةِ كَثــرَةُ الإنذارِ[٥]

---

(١) لم نتمكَّن من التأكُّد من ضبط البيت وفق رواية المؤلِّف. وقد ورد في الموسوعة الشعريَّة، بصيغة:

ثَلاثَــةِ أَحجــارٍ وَخَــطٍّ خَطَطتِهِ　　　لَنــا بِطَريــقِ الغَــورِ بِالْمُتَنَجَّدِ

انظر: ديوان عمر بن أبي ربيعة في الموسوعة الشعريَّة.

(٢) في النســخ: «شــريح بن شــهر الطائي». ولم نجد عَلَمًا بهذا الاســم، فالصواب ما أثبتناه من كتب اللغة والتفســير، وهو: برج بن مســهر بن جلاس بــن الأرت الطائي (ت: نحو ٣٠ق.هـ): شاعر من معمَّري الجاهليَّة. انظر: الزركلي: الأعلام، ٤٧/٢.

(٣) نسبه ابن منظور إلى برج بن مُسْهِر، في اللسان، مادَّة: «أيا»، ٦٢/١٤.

«والنَّقْــبُ والنُّقْبُ: الطريــقُ، وقيل: الطريقُ الضَّيِّــقُ في الجَبل، والجمــع أَنْقابٌ ونِقاب». واللِّقاح: الإبل. و«ناقة مُطْفِلٌ، ونوق مطافِلُ ومَطافِيلُ (بالإشــباعِ): معها أولادها». اللسان، المواد: «نقب»، و«لقح»، و«طفل»، ٧٦٧/١؛ ٥٧٩/٢؛ ٤٠٢/١١.

(٤) النابِغَة الذُّبياني: أبو أمامة زياد بن معاوية (ت: ١٨ ق.هـ)، وقد تقدَّمت ترجمته.

(٥) البيت للنابغة من الكامل. انظر: الموسوعة الشعريَّة.

وقال كعب بن زهير[(١)]:

أَلا بَلِّـغــا هــذا الْمُعَــرِّضِ آيـةً　　　أَيَقظانَ قالَ القَولَ إِذ قالَ أَم حَلَم[(٢)]

فالآية على هذا المعاني قد جاءت في اللغة.

الكلمــة:

يقال: كَلِمة وكِلْمة، والجمع: كَلِمَــات. وقال بعض: كُلمة، وللجمع كَلِم. قال: والفرق بين الكلام والكَلِــم أنَّ الكلام عامٌّ لقليل النوع وكثيره، والكَلِم محصور محدود، وليس كالكلام الذي يكون للنوع كلِّه، قليلًا كان أو كثيرًا. قال: والاســم كَلِمَةٌ، والفعل كَلِمَةٌ، والحرف كَلِمَةٌ، وجميع ذلك كَلِمٌ. وقال: كَلِمَةٌ وكَلِــمٌ مثلُ: نَبِقَة ونَبِق. والعرب تقول: مدح فــلان فلانًا بكلمة طويلة، أي: قصيدة طويلة. وقال غيره: لا تكون الكلمــة على أقلَّ من حرفين، وهي على حرفين ناقصة، وعلى ثلاثة أحــرف تامَّة، فإذا زادت /١٤٨/ على ثلاثة أحرف فهي زائدة. قال: وجمع الكلم كلمات، قال الله ﷻ: ﴿ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي ... ﴾ الآية[(٣)]. قيل: وإنَّما قيل لأمــر الله ﷻ: كلمة؛ لأنَّه على حرفين: كاف ونون، ولو كان حرفًا واحدًا لَمَا ســمِّي كلمة، بل كان يقال له: حرف، فلمَّا اجتمع حرف وحرف قيل: كلمة.

---

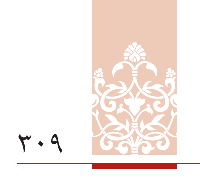
(١) أبو المضرَّب كَعبُ بن زُهَير بن أبي سلمى المازني (ت: ٢٦هـ): شاعر اشتهر في الجاهليَّة، من أسرةِ شعراء. ولَمَّا ظهر الإسلام هجا النبيَّ ﷺ، وشــبَّب بالمسلمات، فأهدر النبيُّ ﷺ دمه، فجاءه مســتأمنًا مسلمًا، وأنشده لاميَّته المشــهورة: «بانت سعاد»، فعفا عنه النبيُّ ﷺ، وخلع عليه بردته. انظر: الزركلي: الأعلام، ٢٢٦/٥.

(٢) البيت من الطويل، من قصيدة مطلعها:

أَتَعرِفُ رَسمًا بَينَ رَهمانَ فَالرَّقَم　　　إِلى ذي مَراهيطٍ كَما خُطَّ بِالقَلَمِ

انظر: ديوان كعب في الموسوعة الشعريَّة.

(٣) الكهف: ١٠٩. وتمامها: ﴿ لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ﴾.



الحـــرف:

الحرف: الحدُّ، وحرف كلِّ شـــيء حدُّه وطرفه الذي يكـــون نهايته، قال طَرَفَة[١]:

وَجُمجُمَـــةٌ مِثلُ العَـــلاةِ[٢] كَأَنَّما وَعى الْمُلتَقى مِنها إِلى حَرفِ مِبرَدِ[٣]

يعني: إلى حدِّ مِبْرَد. وجمع الحرف حروف، فكأنَّ الحروف[٤] هي حدود الكلمة. وكذلك تكون الحروف حدود الكلام كلِّه.

والكلمة بُنيت علـــى الحروف، فمنها كلمة على خمســـة أحرف، ومنها على أربعة، ومنهـــا على ثلاثة، ومنهـــا على حرفين، والحـــرف الواحد هو انتهاؤها، فسمِّي حرفًا لذلك.

وقال غيره: سمِّي حرفًا لأنَّه عُدِلَ به عن صورة غيره، فأوَّل الحروف[٥] ألف، فإذا قيل: باء، عُـــدِلَ به عن صورة الألف في الخـــطِّ، وكذلك كلُّ حرف معدول عن صفة الآخر، يقال: انحرف عنه، إذا عدل عنه. فالحرف

---

(١) أبو عمـــرو، طَرَفَة بن العَبد بن ســـفيان بن ســـعد البكري الوائلي (ت: ٦٠ ق.هـ): شـــاعر جاهليٌّ، كان هجَّاءًا، في شـــعره حِكَم، ولد في بادية البحرين وتنقَّل في بقاع نجد. اتَّصل بالملك عمرو بـــن هند فجعله فـــي ندمائه، ثمَّ أرســـله بكتاب إلى المكعبـــر عامله على البحريـــن وعُمان يأمره فيه بقتله، لأبيـــات بلغ الملكَ أنَّ طرفة هجاه بهـــا، فقتله المكعبر شابًّا. انظر: الزركلي: الأعلام، ٢٢٥/٣.

(٢) العَلاةُ: حَجَرٌ رقيـــق يُجفَّف عليه الأَقِطُ. والزُّبْـــرة التي يَضْرب عليها الحـــدَّادُ الحديدَ، أو السَّنْدان. انظر: ابن منظور: اللسان، مادَّة: «علا»، ٩١/١٥.

(٣) البيت من الطويل، من قصيدة مطلعها:

لِخَولَـــةَ أَطـــلالٌ بِبُرقَـــةِ ثَهمَـــدِ تَلوحُ كَباقي الوَشمِ في ظاهِرِ اليَدِ

انظر: ابن قتيبة: الغريب، ٦٦٧/٣. وديوان طرفة في الموسوعة الشعريَّة.

(٤) في (ز): ـ «فكأن الحروف».

(٥) في النسخ: «الحرف».

هو حدُّ الكلمة وطرفها، سمِّي بذلك. أو قيل له: حرف؛ لأنَّه حُرف به عن جهة الانحراف، وعُدل به عنها. وللحرف من غير هذا الوجه تفسير يطول، تركته اختصارًا.

القراءة والتلاوة:

قال أبو عبيدة: ﴿قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ (النحل: ٩٨. والإسراء: ٤٥) مجازه: تلوت بعضه في أثر بعض، حتَّى يجتمع وينضمَّ بعضه إلى بعض. ومعناه يصير إلى معنى التأليف والجمع، فكأنَّ[1] الذي يقــرأ القرآن معناه: يجمع الآية إلى الآية في قراءته.

و[أمَّا] التلاوة فهو الاتِّباع، يقال: هو يتلو كتاب الله ﷻ: إذا قرأه، قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا﴾ (الأنفـال: ٣١)، وقــال ﷻ: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ (البقرة: ١٢١) وهو في غير موضع من القرآن، فكأنَّ التلاوة هي أخصُّ من القراءة؛ لأنَّه يقال: قرأ الكتاب، للقرآن وغير القرآن، ولا يقال: تلا الكتاب ســوى القرآن والكتاب المنـزَّل. ومعنى التلاوة الاتِّباع، يقال: الولد يتلو أباه وأمَّه: إذا تبعهما[2]. ومنه يقال: الســابق والتالي، يقال: هذا لكلِّ اثنين أحدهما يتقدَّم والآخر يتأخَّر، فكأنَّ الذي يتلو القرآن جعل القرآن سابقًا، وصار هو تاليًا للقرآن.

فصل: [في حمل القرآن والعمل به]

القرآن كتاب الله ﷻ، لا يسمَّى به غيره من سائر الكتب. روى عمر عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**القرآن أصل /١٤٩/ علم الشريعة، نصه ودليله**»[3].

(١) في (ز): «فكأنه».
(٢) في (د): «إذا اتَّبعهما».
(٣) لم أجده فيما بين يديَّ من مصادر.



وعن النبيِّ ﷺ: «**من أوتي القرآن فظنَّ أن أحدًا أعطي مثل ما أعطي فقد صغَّر ما عظَّم الله، وعظَّم ما صغَّر الله، ومن أوتي القرآن كمن جُعلت النبوَّة بين كتفيه، ولا يوحى إليه**»[١].

وعنه ﷺ أنَّه قال: «**أحقُّ بهذا القرآن قوم عملوا بما فيه وإن لم يقرؤوه**»[٢].

وقيل: إذا عمل حاملُ القرآنِ المعصيةَ خرج القرآن من جوفه، وقال: على هذا حملتني!. وقال مالك[٣]: «القرآن ربيعُ المؤمنين، كما أنَّ الغيث ربيع الأرض». وكان يقول: «يا حملة القرآن، ماذا زرع القرآن في قلوبكم؟». وقال: «إنَّما أُنزل القرآن ليُعمل به، فاتَّخذ الناسُ تلاوتَه عملًا»[٤].

ابن مسعود أنَّه قال: كلُّ مؤدِّب يجب أن يؤخذ بأدبه، وإنَّ أدب الله هو القرآن. قال النبيُّ ﷺ: «**أوتيت جوامع الحكم، واختُصِرَتْ لي الحكمة اختصارًا**»[٥]. وقيل: إنَّه هو القرآن.

---

(١) أورده الخطيب البغدادي، والهيثميُّ مع زيادة، وقال: «رواه الطبراني وفيه إسماعيل بن رافع وهو متروك». الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ر٤٩٩٧، ٣٩٦/٩. الهيثمي: مجمع الزوائد، ١٥٩/٧.

(٢) لم أجده حديثًا مرفوعًا. وروي عن الحسن قوله: «إنَّ أغبط الناس قوم قرأوا هذا القرآن وعملوا بسننه، وإنَّ أحقَّ الناس بهذا قوم عملوا بما فيه وإن كانوا لا يقرؤونه، وإنَّ هذا القرآن وثاق أوثق الله به المؤمنين». اللالكائي: اعتقاد أهل السُّنَّة، ر٩١، ٨٠/١.

(٣) أبو يحيى، مالك بن دينار البصري (ت: ١٣١هـ): من رواة الحديث. كان ورعًا، يأكل من كسبه، ويكتب المصاحف بالأجرة. توفِّي في البصرة. انظر: الزركلي: الأعلام، ٢٦٠/٥ ـ ٢٦١.

(٤) انظر: ابنُ أبي عاصم: الزهد، ص٣١٩.

(٥) لم أجده فيما بين يديَّ من مصادر. وفي الصحيحين وغيرهما: «أوتيت جوامع الكلم»، أو «أعطيت»، أو «بُعثت»، وليس فيها ذكر الحكمة ... البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب قول النبيِّ: نصرت بالرعب مسيرة شهر، ر٢٨١٥، ١٠٨٧/٣. مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ر٥٢٣، ٣٧١/١ ـ ٣٧٢. وفي رواية: «... إنِّي قد أوتيت جوامع الكلم وخواتمه واختصر لي اختصارًا...»، قال الهيثمي: «رواه أبو يعلى وفيه عبدالرحمٰن بن إسحاق الواسطي ضعفه أحمد وجماعة». مجمع الزوائد، ١٨٢/١.

فصل آخر [أثرٌ عن النبيِّ ﷺ في وصف القرآن]

قال النبيُّ ﷺ: «**إذا التبست عليكم الأمور كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن، فإنَّه شافع مشفَّع، ومَاحِلٌ مُصَدَّق، ومن جعله أمامه قاده إلى الجنَّة، ومن جعله خلفه قاده[1] إلى النار**»[2]. وهو الدليل على خير سبيل، وكتاب تحصيل، وبيان تفصيل. وظاهره حكم، وباطنه علم، وظاهره أنيق، وباطنه عميق، له نجوم وعلى نجومه نجوم، لا تفنى عجائبه، ولا تبلى غرائبه. فيه مباراة الحكمة، ودلالة على المحجَّة لمن عرف الصفة [كذا]، فليولج رجل نظره، وليعمِّق بصره، ينجو من عطب، ويسلم من سبب، كما يمشي المستيقن في الظلمات بحسن التخليص وقلَّة التربيص.

التفسير: فُسِّر قوله ﷺ: «**مَاحِلٌ مُصَدَّق**»، أي: يَمْحَلُ صاحبه إذا هو ضيَّعه، والْمِحَال: من المكيدة، وَرَوْمُ ذلك بالحِيَل، وبهذا المعنى قولهم: تَمَحَّلْتُ الدراهم، وَمَحَلَ فلان بفلان: إذا كاده يسعى به[3] إلى السلطان. وفسِّر قوله ﷻ: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ (الرعد: ١٣)، أي: شديد الجدال، وقال الحسن:

---

(١) في (د): «ساقه».

(٢) رواه ابنُ أبي شيبة وعبد الرزاق وابنُ أبي عاصم، من كلام ابن مسعود. قال الدارقطني: «رواه الربيع بن بدر عن الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله، والصحيح عن معلى سنان عن محمد بن عبد الرحمٰن بن يزيد عن أبيه عن عبد الله، وقال بن الأجلح عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر مرفوعًا، والصحيح عن ابن مسعود موقوفًا». ابن أبي شيبة: المصنَّف، ر٣٠٠٥٤، ١٣١/٦. عبد الرزَّاق: المصنَّف، ر٦٠١٠، ٣٧٢/٣. ابن أبي عاصم: الزهد، ١٥١/١. الدارقطني: العلل، ١٠٢/٥. وبقية الكلام ليس من الحديث، إذ لم أجده فيما بين يديَّ من المصادر.

(٣) في النسخ: «منه»، وصححناه من اللسان.



شـديد البطش والأخذ والعقوبة، وقـال أبو عبيدة: شـديد العقوبة والمكر والنكال.

قال الأعشى:

فَرعُ نَبعٍ يَهتَزُّ فـي غُصُنِ الْمَجـ ـدِ غَزيرُ النَدى شَـديدُ الْمِحالِ
إِن يُعاقِبِ يَكُـن غَرامًا وَإِن يُعْـ ـطِ جَزيـلًا فَإِنَّـهُ لا يُبالي(١)

/١٥٠/ ففسَّـر البيت الأوَّل بالثاني. غرامًا: هلاكًا، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ (الفرقان: ٦٥)، أي: هلاكًا، ولزامًا لهم(٢). ومنه رجل مُغْرَمٌ بحبِّ النساء. ومنه رجل مُغْرَمٌ من الغُرْمِ والدَّيْنِ، قال بشر بن أبي خازم(٣):

وَيَـومُ الـنِّسـارِ(٤) وَيَـومُ النِّفا رِ كانـا عَذابًـا وَكانـا غَراما(٥)

---

(١) البيتان من الخفيف. وهما البيتان ٣٨ و٤٥ من قصيدة مطلعها:

مـا بُـكاءُ الكَبيـرِ بِالأَطـلالِ وَسُـؤالي فَهَـل تَـرُدُّ سُـؤالي

انظر: ديوان الأعشى في الموسوعة الشعريَّة.

(٢) في النسـخ: «وآلوا مآلهم»، مع ضبطها بالمدَّتين في (ز). وهـو تحريف واضح صحَّحناه من كتب التفسـير واللغة. ينظر على سـبيل المثال: الطبري: جامع البيان، ٣٥/١٩ ـ ٣٦. القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ٧٢/١٣. ابن منظور: اللسان، مادَّة: «غرم»، ٤٣٧/١٢.

(٣) أبو نوفل، بِشرُ بن أَبي خازِم عمرو بن عوف الأسدي (ت: ٢٢ ق.هـ): شاعر جاهليٌّ فحل، من الشـجعان، من أهل نجد. من خبره أنه هجا أوس بن حارثـة الطائي بخمس قصائد، وبعد أحسـن إليه، مدحه بخمس قصائد محا بها الخمس السالفة. قُتل في غارته على بني صعصعة. انظر: الزركلي: الأعلام، ٥٤/٢. والموسوعة الشعريَّة.

(٤) «النِّسـار: موضع، وهو بكسـر النون، قيل: هو ماء لبني عامر، ومنه يوم النِّسار لِبَني أَسد وذُبْيان على جُشَم بن معاوية». ابن منظور: اللسان، مادَّة: «نسر»، ٢٠٥/٥.

(٥) البيت من المتقارب، من قصيدة مطلعها:

غَشـيتَ لِلَيلـى بِشَـرقٍ مُقاما فَهاجَ لَكَ الرَّسـمُ مِنها سَـقاما

انظر: ديوان ابن أبي خازم في الموسوعة الشعريَّة.

أي هلكة. وقال القتيبي[١]: شديد المحال، أي: الكيد والمكر، وأصل الْمِحَالِ: الحيلةُ، والْحَوْلُ: الحيلةُ. وقال غيره: شديد الانتقام.

وفي الحديث: «**من تبع القرآن هجم**[٢] **به على روضة من رياض الجنَّة، ومَن تبعهُ**[٣] **القرآنُ زَخَّ في قفاه حتَّى يقذفه في النار**»[٤]. ويروى: «**من نبذ القرآن وراء ظهره زَخَّ في قفاه يوم القيامة**»[٥]. يقال: زَخَّه يزخُّه، وَدَعَّه يَدُعُّه: إذا دفعه، والزَّخُّ: دفعك إنسانًا في وهدة، تقول: زخخت في قفاه.

فأمَّا قول الشاعر:

فلا تقعدنَّ على زخَّة   وتضمر في القلب وَجْدًا وَخِيفَا[٦]

فالزخَّة: الوجد في القلب، تقول العرب: في قلبه زخَّة وحِقْدٌ وغِمْرٌ وغِلٌّ وحَسِيكَة وحَسِيفَة وحزازة وإِحْنَة وحِنَّة وصبٌّ وغمٌّ. وقال:

---

(١) لم أجد هذه النسبة لأحد الأعلام غير عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)، وقد تقدَّمت ترجمته. ذَكَر هذه النسبة الذهبيُّ في المغني في الضعفاء، ر٣٣٦٦، ٣٥٧/١. وابنُ حجر في لسان الميزان، ر١٤٤٩، ٣٥٧/٣.

(٢) كذا في النسختين. وفي الروايات المذكورة أدناه: «هبط»، أو «يهبط».

(٣) في (ز): «نَبَذَ القرآنَ».

(٤) رواه الدارمي وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن الضريس موقوفًا على أبي موسى. والبزار موقوفًا على ابن مسعود، وعن جابر مرفوعًا. انظر: الدارمي: فضائل القرآن، فضل من قرأ القرآن، ر٣٣٢٨، ٥٢٦/٢. سعيد بن منصور: السنن، كتاب فضائل القرآن، ر٨، ٤٩/١. ابن أبي شيبة: المصنَّف، ر٣٠٠١٤، ٣٤٨٢١، ١٢٦/٦؛ ١٤٢/٧. ابن الضريس: فضائل القرآن، ر٦٥. ص٧٣ (ش). الهيثمي: مجمع الزوائد، ١٧١/١.

(٥) ذكره بلفظه ابن فارس في مقاييس اللغة (زخ).

(٦) البيت من المتقارب. ينسب لصخر الغيِّ، من قصيدة مطلعها:

لِشَمَّاءَ بَعدَ شَتاتِ النَّوى   وَقَد كُنتُ أَخيَلتُ بَرقًا وَليفا

انظر: مقاييس اللغة ولسان العرب، مادَّة: «زخخ»، ٢١/٣. والموسوعة الشعريَّة.

إذا كان أولاد الرجال حَزازةً فأنت الحَلالُ الحلوُ والبارد العذب[١]

والزخيخ: شدَّة بريق الجمر والحرِّ. زَخَّ[٢] يزُخُّ زخيخًا، قال:

فعند ذاكَ يَطْلُعُ المِرِّيخُ في الصبح يَحْكي لونَهُ زَخِيخُ

من شُعْلَةٍ ساعَدَها النَّفِيخُ[٣]

والدعُّ: الدفع في جفوة، قال الله ﷻ: ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾ (الماعون: ٢)، أي: يدفعه عن حقِّه أو صِلَتِه[٤] أو طعامه. وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ (الطور: ١٣). وفي حديث عنه ﷺ: «**إنَّكم مُدَعُّون[٥] يوم القيامة، مُفَدَّمة أفواهكم بالفِدَام**»[٦]، أي: تُمنعون من الكلام، قال الشاعر:

أَلَمْ أَكْفِ أَهلَكَ فِقْدَانَه إذا القومُ في الْمَحْلِ دَعُّوا اليتيما[٧]

---

(١) ذكره أبو تمام ولم ينسبه. ديوان الحماسة، ٩٥/١.

(٢) في (ز): ـ «زخ».

(٣) ذكره ابن منظور ولم ينسبه. المصدر نفسه.

(٤) في (د): «حاصلته».

(٥) كذا في النسختين، وأغلب الروايات المذكورة أدناه وردت بلفظ: «مدعُوُّون».

(٦) رواه أحمد والنسائي والحاكم والروياني. أحمد: المسند، أول مسند البصريين، حديث بهز بن حكيم، ٤/٥. النسائي: السنن الكبرى، ر١١٤٦٩، ٤٥١/٦. الحاكم: المستدرك على الصحيحين، ر٨٧٧٤، ٦٤٣/٤. الروياني: المسند، ر٩١٧ ـ ٩١٨، ١١٢/٢ ـ ١١٣.
الفِدَام: «هو ما يشدُّ على فم الإبريق والكوز من خرقة لتصفية الشَّراب الذي فيه، أَي: أَنَّهم يُمنعون الكلام بأَفواههم حتَّى تتكلَّم جوارحهم وجلودهم، فشبَّه ذلك بالفِدَام». ابن منظور: اللسان، مادَّة: «فدم»، ٤٥١/١٢.

(٧) أورده الخليل ولم ينسبه، ونسب الزبيدي إنشاده إلى الليث. انظر: الخليل: العين، ٨٠/١. الزبيدي: تاج العروس، ٥٢٠٦/١ (ش).

فصل منه [في إعجاز القرآن]

القرآن دليل بنفســه، معجزِ بعجيب نظمه، لا يقدر الخلق على أن يأتوا بمثله؛ لأنَّ رسول الله ﷺ جَابَهَ[١] قومًا هم الغاية في الفصاحة والأنفة والحميَّة والخيلاء والعصبيَّة، فقرعهم بالعجز أن يأتوا بمثله فلم يقدروا /١٥١/ على ذلك بخطبة ولا رسالة ولا قصيدة ولا أرجوزة.

فإن قال قائل: ما يدريكم لعلَّ العرب قــد عارضت القرآن، وأتت بمثله فخفي ذلك وانْكَتَــمَ؟ قيل له: لو جاز ذلك لجــاز أن يكون النبيُّ ﷺ هزمه عدوُّه يوم بدر فسُتر ذلك عنَّا، ونقل إلينا خلافه. ولجاز أن يكون ﷺ قُتل في بعض مغازيه فكُتمنا ذلك، ونُقل إلينا [أنَّه] مات على فراشه.

وقد ألَّف الملحدون في القرآن الكتب، ولــو كانت العرب قد عارضته بمثل الذي أتى به، فأبطلت حجَّتَه لاشــتُهِر[٢] ذلك، ولــكان أحقَّ بالظهور لشــهرته وعِظَم الخَطْب فيه من ســائر ما ظهر؛ لأنَّه أغرب وأعجب وأفظع وأشــنع، ومحال أن يُنقل الــدُّون[٣] ويُتعلق به ويُترك الأجــلُّ الأفظع، وبالله التوفيق.

فصل: [القرآن عربي]

القرآن عربيٌّ ليس فيه شيء ليس بعربيٍّ. الدليل على ذلك قوله ﷻ: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ﴾ (الزخـرف: ٣)، وقولــه تعالــى: ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ ﴾ (الزمر: ٢٨)، وقال ﷻ مذكِّرًا ألَّا يكــون فيه غير عربيٍّ: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَهُ

---

(١) يمكن أن تقرأ: «جاء به».
(٢) في (ز): «لشهر».
(٣) في النسخ: «إلى دون».

﴿قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ﴾ (فصِّلت: ٤٤)، أي: لم يكونوا يفهمونه، ثُمَّ قال: ﴿ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ﴾؟! أي: كتاب أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ! وكيف يكون هذا؟! أي: هذا لا يكون. وقال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾، ثُمَّ كذَّبهم بقوله تعالى: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ﴾ بالدعوى ﴿أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ (النحل: ١٠٣)، أي: تفهمونه ولا يذهب عنكم منه شيء. والذي يلحدون إليه قيل: إنَّه أبو فكيهة مولى ابن الحضرمي[١]، وكان أعجميَّ اللسان، وكان يهوديًا فأسلم. وذكروا أيضًا عابس، غلام حاطب بن عبد العزَّى، وكانا قد أسلما، وكان النبيُّ ﷺ يأتيهما ويحدِّثهما ويعلِّمهما، وكانا يقرآن كتابهما بالعبرانيَّة. فمن زعم أنَّ في القرآن شيئًا أعجميًا فقد ردَّ قول الله ﷻ، وادَّعى ما لا برهان له به.

مسألة: [ما تفسير وجود كلمات غير عربية في القرآن؟]

فإن قال قائل: فقد رأينا في القرآن حروفًا هي في كلام العجم؟ قيل له: هذا يكون، ولكن لا ينسب إلى كلام العجم ما في القرآن منه؛ لأنَّه وقع في كلام العرب؛ لأنَّه قد يكون الحرف متَّفقًا في اللسانين جميعًا بلفظ واحد، كالمشكاة، هي بالحبشيَّة: الكوَّة التي لا منفذ لها، وكذلك /١٥٢/ هي بلسان العرب. وكذلك الكفلان هو الضعفان من الأجر بلسان الحبشيَّة، والكفل في كلام العرب الحظُّ والنصيب، وهو على معان في كلام العرب. وكذلك التأويب: هو التسبيح بلسان الحبشيَّة وبلسان العرب؛ قوله تعالى:

(١) لم أجد ترجمته فيما بين يديَّ من مصادر تراجم الرجال، غير ما ذكره المفسرون من أن اسمه قيل: جبر أو يعيش، أو نبت ... كان يقرأ التوراة أو الإنجيل، واتُّهم النبيُّ ﷺ أنه كان يسمع إليه. انظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ١٧٧/١٠ ـ ١٧٨.

﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ﴾ (سبأ: ١٠)، أي: سبِّحي. والذي خاطب الله تعالى نبيَّه ﷺ اللســـان العربيُّ، وإن كانت وافقت اللفظةُ والمعنى لغةَ الحبشـــيَّة وغيرهم، وهو كثير معروف. فقد تبيَّن لمن أراد الحـــقَّ أنَّ القرآن كلَّه عربيٌّ ليس فيه شيءٌ ليس فيه كلامُهم، والحمد لله.

مسألة: [حجِّيَّة القرآن]

والقرآن حجَّة على من تُلـــي عليه، ولو كان التالي صبيًّا أو ذمِّـيًّا، إلَّا أنَّ أبا محمَّد[١] رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: حتَّى تُقرَأ عليه ثلاث آيات على قول، وعلى قول: آيةٌ إن كانت منتظمة بنظم يخرج من كلام النـــاس من الآيات المنتظمات، مثل قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ...﴾ الآية[٢]، وأمَّا قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ (البقرة: ٤٣)[٣] فلا يكون حجَّة، ومثل هذا الذي بغير نظم.

وروي عن النبيِّ ﷺ أنَّه كان يردِّد الآية من القرآن مرارًا[٤]. قال الله جلَّ ذكره: ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ (صٓ: ٢٩) ولم يقل: ليقرؤوا آياته، فتكون قراءة النبي ﷺ مرَّة واحدة مجزية من إعادة ذكرها حـــالًا بعد حال. بل قد ذمَّ من يمرُّ بالآيات فلا يتدبَّرها، ويرى المعجزات فلا يتأمَّلها، قال الله جلَّ ذكره: ﴿وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ﴾ (يوسف: ١٠٥).

---

(١) أبو محمَّد، عبد الله بن محمَّد بن بركة البهلوي. تقدَّمت ترجمته.

(٢) الإسراء: ٧٨. وتمامها: ﴿... إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا﴾.

(٣) في (د): «يا أيها الذين آمنوا أقيموا الصَّلاة»، ولا توجد آية بهذه الصيغة.

(٤) من ذلك ما رواه ابن ماجه عن أبي ذرٍّ قال: «قَامَ النَّبِيُّ ﷺ بِآيَةٍ حَتَّى أَصْبَحَ يُرَدِّدُهَا. وَالآيَةُ: ﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾». كتـــاب إقامة الصلاة والسُّـــنَّة فيها، باب ما جاء في القراءة في صلاة الليل، ر١٣٥٠، ٤٢٩/١.



ابن عبَّاس عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**من بلغه هذا القرآن فكأنِّي شافهته به**»، ثُمَّ قرأ: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ (الأنعام: ١٩)[1]. الإنذار الإخبار معه تخويف، وكلُّ منذرٍ مُعْلِمٌ، وليس كلُّ مُعْلِمٍ مخوِّفًا حتَّى يكون مع إعلامه تخويف، كقوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾، أي: تُخوِّفهم في الدنيا يومَ القيامة، ﴿وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ﴾ في الدنيا، ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (مريم: ٣٩) بيوم القيامة، أي: لا يصدِّقون، ويقال: آمن به وآمن له، إذا صدَّقه. وقوله تعالى: ﴿وَمَنۢ بَلَغَ﴾ أي: ومن بلغه القرآن فقد لحقته النذارة، وقامت عليه به /١٥٣/ الحجَّة إلى يوم القيامة، فكان من تُلِيَ عليه كتاب الله أو سمعه عَلِمَ أنَّه ليس من كلام المخلوقين، وأنَّه معجز؛ ألا تسمع إلى قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ (العنكبوت: ٥١) فأَعْلَمَ جلَّ وعزَّ أنَّه كافٍ[2] تقوم به الحجَّة على كلِّ من سمعه، فمن تُلِيَ عليه فَرَدَّ بعد سماعه آيةً فإنَّما هو ملحد متعنِّت.

والقرآن كتاب جعله الله تعالى مهيمنا على الكتب، ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (فصِّلت: ٤٢)، فمن بلغه القرآن فلا حجَّة له على الله.

فصل: [فضائل بعض الآيات والسور وأسماؤها]

عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**تَعَلَّمُوا سُورَةَ الْبَقَرَةَ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ، تَعَلَّمُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ فَإِنَّهُمَا**

---

(١) والرواية أوردها البغداديُّ مع رواية أخرى بسند فيه: محمد بن أيوب (ابن الضريس) عن هوذة، وقال: «قال الشيخ أبو بكر: وهذان الحديثان بهذين الإسنادين باطلان على أنا لا نعلم أنَّ محمَّد بن أيُّوب روى عن هوذة بن خليفة شيئًا قطُّ ولا سمع منه». الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ٥١/٢..

(٢) في (ز): «أنه كافيه»، (د): «آية كافية». ويحتمل أنَّ الصواب ما في منهج الطالبين: «وكل آية منه تقوم بها الحجة». الشقصي: منهج الطالبين، ٢٣١/١ (نق).

يَجِيئَانِ يَـوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ غَيَايَتَـانِ[١] أَوْ فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تَحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا»[٢].

وقال ﷺ: «**أعظم آية في القرآن آية الكرسـي، والذي نفسي بيده إنَّ لها لسانًا وشفتين يقدِّسان الْمَلِكَ عند ساق العرش**»[٣].

والبقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف والأنفال يُسَمَّيْنَ السبع الطوال. وكانت سورة براءة تسمَّى الفاضحة، يعني: فاضحة المنافقين مِمَّا أطلع الله تعالى على عوراتهم.

عن جرير بن عبد الله[٤] قال: سـورة الملك هي المانعة من عذاب القبر، قال: وهي في التوراة تسـمَّى المانعة، وهي في الإنجيل تسمَّى الواقية، ومن قرأها في كلِّ يوم وليلة فقد أكثر وأطاب. وتسـمى ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ و﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ المقشقشتين، أي: المبرِّئتان من الكفر والشرك.

ذكر وهب[٥] أنَّه وجد في التوراة سـورة الجمعة أطول من سورة البقرة

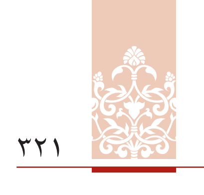
(١) في النسـخ: «عمايتان». وصححناه من مسـند أحمد وغيره. والغياية ما يُظلُّ الإنسـان من سحابة أو نحوه. أبو عبيد: غريب الحديث، ٤٠٣/٣.

(٢) رواه أحمد بنحو هذا اللفظ، ورواه الدارمي بزيادة. أحمد: المسـند، باقي مسـند الأنصار، حديث بريدة الأسلمي، ر٢٣١٠٠، ٣٦١/٥. الدارمي: السـنن، كتاب فضائل القرآن، باب في فضل سورة البقرة وآل عمران، ر٣٣٩١، ٥٤٣/٢.

(٣) رواه أحمد والطيالسـي بنحو هذا اللفظ. أحمد: المسند، مسـند الأنصار، حديث المشايخ عن أُبي، ر٢١٣١٥، ١٤١/٥. الطيالسي: المسند، أحاديث أُبي، ر٥٥٠، ٧٤/١.

(٤) جرير بن عبد الله بن جابر البجلي: صحابي، أسلم قبل حجة الوداع، جعله عمر مقدَّم بجيلة في حروب العراق. شارك في حروب القادسـية. توفي سنة ٥١ أو ٥٤هـ. انظر: ابن حجر: الإصابة، ر١١٣٨، ٤٧٥/١.

(٥) أبو عبد الله، وهب بن منبه الصنعاني الذماري (ت: ١١٤هـ)، من التابعين. كثير الأخبار من الإسـرائيليَّات. ولد ومات بصنعاء. ولاه عمر بن عبد العزيز قضاءها. له: «قصص الأنبياء» و«قصص الأخبار». انظر: الزركلي: الأعلام، ١٢٥/٨ ـ ١٢٦.



بنحو من ألف حرف، وذلك أنَّها نزلت في التوراة مفسَّرة: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ (الجمعة: ١) فذكر كلَّ شيء في السماوات وما في الأرض، فسمَّى كلَّ شيء باسمه[١]، ونزلت على النبيِّ ﷺ مجملة.

ابن عبَّاس قال: نزل القرآن إلى السماء الدنيا جملة واحدة، ونزل إلى الأرض نجومًا، قال: ثُمَّ قرأ: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۞ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ (الواقعة: ٧٥ ـ ٧٦).

البراء بن عازب قال: آخر سورة نزلت براءة، وآخر آية نزلت آية النساء.

ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يا رسُولَ اللهِ، شِبْتَ، قَالَ: «**شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَالْوَاقِعَةُ وَالْمُرْسَلَاتُ** وَ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾ وَ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾»[٢]. /١٥٤/ وفي خبر: «**شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَأَخَوَاتُهَا**»[٣].

ابن عبَّاس عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**عليكم بالحالِّ المرتحل**»، قيل: يا رسول الله، وما الحالُّ المرتحل؟ قال: «**صاحب القرآن يقرؤه من أوَّله حتَّى يبلغ آخره، ثُمَّ يرجع من أوَّله إلى آخره، فهو كالحالِّ المرتحل**»[٤].

---

(١) هذا الكلام غير معقول من عدَّة أوجه، منها: أنَّ في السورة الأمر بصلاة الجمعة، وهي خاصَّة بالمسلمين. ومنها: أنَّ ألف حرف لا يفي بذكر ما في الأرض، بل بذكر بعض ما في جسم الإنسان فقط، فكيف يفي بذكر كلِّ ما في السماوات وما في الأرض، وتسمية كلِّ شيء باسمه؟!!.

(٢) رواه الترمذيُّ وقال: «حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ لاَ نَعْرِفُهُ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ». الترمذي: السنن، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الواقعة، ر٣٢٩٧، ٤٠٢/٥.

(٣) رواه سعيد بن منصور وعبد الرزاق وأبو يعلى والطبراني في الكبير. سعيد بن منصور: السنن، ر١١٠٩، ٣٧٠/٥. عبد الرزاق: المصنَّف، ر٥٩٩٧، ٣٦٨/٣. أبو يعلى: المسند، ر٨٨٠، ١٨٤/٢. الطبراني: المعجم الكبير، ر٥٨٠٤، ١٤٨/٦؛ ورقم ٣١٨، ١٢٣/٢٢.

(٤) رواه الترمذيُّ والدارمي وغيرهما بلفظ قريب منه. الترمذي: السنن، كتاب القراءات، باب =

عن معاذ قــال: فضل القــرآن على ســائر الكلام كفضــل الخالق على المخلوق.

أبو ســعيد بن المعلَّى(١) قال: مرَّ بي رســول الله ﷺ وأنا في المســجد أصلِّي، فدعاني فلم آته، فلمَّا فرغت أتيته فقــال: «**ما منعك أن تأتيني**»، قال: [قلت:] كنت أصلِّي، قــال: «**ألم يقــل الله:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ﴾» (الأنفـال: ٢٤)، ثُمَّ قــال: «**ألا أعلِّمك أفضل سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد؟**» قلت: بلى، (٢)فلمَّا قام ليخرج قلت: يا رسول الله، الذي وعدتني، قال: «﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، **هي السبع المثاني، والقرآنُ العظيمُ [الذي أوتيته]**»(٣).

أنس بن مالك أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**أمُّ القــرآن كانت مودعة تحت العرش لم تعط أحدًا من الأنبياء قبلي**»(٤).

= ما جاء أنَّ القرآن نزل على سبعة أحرف، ر٢٩٤٨، ١٩٧/٥. الدارمي: السنن، كتاب فضائل القرآن، باب في ختم القرآن، ر٣٤٧٦، ٥٦٠/٢.

(١) في (د): «العلا».
أبو ســعيد بن المعلَّى: اختُلف في اســمه، قيل: رافــع، وقيل: الحــارث، وقيل: أوس. وأصحهــا: الحارث بن نفيع بن المعلى الأنصاري. يعد فــي أهل الحجاز. لا يعرف في الصحابة إلا بحديثين. توفي ســنة ٧٤هـ. انظــر: ابن عبد البر: الاســتيعاب، ر٢٩٩٥، ١٦٦٩/٤ ـ ١٦٧١.

(٢) في (ز): + «قال».

(٣) البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ﴾ (الحجر: ٨٧)، ر٤٤٢٦، ١٧٣٨/٤. الترمذي: الســنن، كتاب فضائل القــرآن، باب ما جاء في فضل فاتحة الكتاب، ر٢٨٧٥، ١٥٥/٥.

(٤) لم أجده فيما بين يديَّ من المصادر.

فصل: [ترتيل القرآن وآداب تلاوته]

عن النبيِّ ﷺ: «**أعربوا القرآن، والتمسوا إعرابه**»[١].

وعن عبد الله[٢] قال: ذكِّروا القرآن إذا اختلفتم في التأنيث والتذكير، فإنَّ القرآن مذكَّر[٣].

ابن مسعود قال: سمعت النبيَّ ﷺ يقول: «**إنَّ حسن الصوت زينة القرآن**»[٤].

أنس بن مالك قال: ما بعث الله تعالى نبيًّا إلَّا حَسَنَ الوجه، حَسَنَ الصوت، وكان نبيُّكم ﷺ حسن الوجه حسن الصوت؛ غير أنَّه لا يرجِّع[٥].

---

(١) كذا في النسختين. والروايات التي بين أيدينا: «والتمسوا غرائبه». والحاكم وابن أبي شيبة وأبو يعلى، عن أبي هريرة. قال الهيثمي: «وفيه عبد الله بن سعيد بن أبي سعيد المقبري وهو متروك». الحاكم: المستدرك على الصحيحين، ر٣٦٤٤، ٤٧٧/٢. ابن أبي شيبة: المصنَّف، ر٢٩٩١٢، ١١٦/٦. أبو يعلى: المسند، ر٦٥٦٠، ٤٣٦/١١. الهيثمي: مجمع الزوائد، ١٦٣/٧.

(٢) لعله يقصد: ابن مسعود. والسيوطي ينسب كلامًا نحو هذا لابن مجاهد وهو أبو بكر أحمد بن موسى التميمي (ت: ٣٢٤هـ). انظر: الهامش الآتي.

(٣) القرآن توقيفيٌّ، ومتواتر لفظًا، لا يجوز قراءته حسب اجتهاد الناس (علماء أو جهلاء). وللسيوطي مبحث في هذا الموضوع. انظر: الإتقان في علوم القرآن، ٢٨٨/١ ـ ٢٨٩.

(٤) رواه البيهقي والطبراني، وقال الهيثمي عن رواية الطبراني: «وفيه سعيد بن أبي رزق وهو ضعيف». الطبراني: المعجم الكبير، ر١٠٠٢٣، ٨٢/١٠. البيهقي: شعب الإيمان، ر٢١٥٠، ٣٨٩/٢. الهيثمي: مجمع الزوائد، ١٧١/٧.
ومن أحاديث تزيين الصوت بالقرآن ما هو حسن. انظر: العجلوني: كشف الخفاء، ر١٤٤٠، ٥٣٦/١.

(٥) «التَّرجِيعُ تَرْدِيدُ القراءةِ، ومنه تَرْجيعُ الأذان، وقيل: هو تقاربُ ضُرُوب الحَرَكات في الصَّوت، وقد حَكَى عبد الله بن مُغَفَّل تَرْجيعَه بمدِّ الصَّوت في القراءةِ نحو آءآءآء، وهذا إنَّما حَصَل منه والله أعلم يوم الفتح لأنَّه كان راكبًا فجَعلَت الناقة تُحَرِّكُه وتُنَزِّيه فحدَثَ التَّرجيعُ في صَوْته. وفي حديث آخر غير أنه كان لا يُرَجِّع، وَوَجْهُه أنه لم يكن حينئذٍ راكبًا فلم يَحدُث في قِراءتِه التَّرجيعُ». ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث، ٢٠٢/٢.

عن أمِّ ســلمة قالت: كان رســول الله ﷺ يقطِّع قراءته حرفًا حرفًا، وكان يقرأ هذا الحرف ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾.

عن عائشة[١] قالت: كان يرتِّل قراءته آية آية.

حذيفة قال: قال رســول الله[٢] ﷺ: «**من قرأ القرآن ظاهــرًا أو نظرًا حتَّى يختمه غرس الله ﷻ له شــجرة في الجنَّة، لو أنَّ غرابًا فُرِّخ[٣] في ورقة منها ثُمَّ نهض يطير لأدركه الهرم قبل أن يقطع تلك الورقة من الشجرة**»[٤].

قال أبو عبد الله[٥]: من كان يقرأ المصحــف فانتقض وضوؤه، فأطبقه هو ولم يدفعه إلــى غيره مِمَّن هــو على وضــوء يطْبِقه، فلا بــأس. وقيل عن الفضل[٦]: لا بأس بقراءة القرآن ما لم يتغــوَّط، فإن انتقض وضوؤه من غير تغوُّط لم يكن عليه بأس في قراءة /١٥٥/ القرآن.

ولا يتكلَّــم القارئ حتَّــى يفرغ مــن قراءته، ولا يضحك عنــد قراءته، ولا يلغو ولا يلهو، فيكون من المستهزئين بآيات الله.

---

(١) في (د): + «أنها».

(٢) في (د): «قال النبي».

(٣) في (د): «أفرخ».

(٤) الحاكم: المســتدرك علــى الصحيحيــن، ر٦٣٤٤، ٦٣٨/٣. الطبراني: المعجم الأوســط، ٣٣٥١، ٣٤٤/٣. قال الهيثمي: «رواه البــزار والطبراني ... وفيه محمَّد بن محمَّد الهجيمي ولم أعرفه وسعيد بن سالم القداح مختلف فيه، وبقيَّة رجال الطبراني ثقات. وإسناد البزار ضعيف». مجمع الزوائد، ١٦٥/٧.

(٥) هو: أبو عبد الله، محمَّد بن محبوب بن الرحيل (ت: ٢٦٠هـ). تقدَّمت ترجمته.

(٦) أبو محمد، الفضل بن الحواري الســامي (ت: ٢٧٨هـ)، من أشهر علماء وفقهاء عُمان. من مشايخه محمد بن محبوب. وقد كان لا يختلف اثنان في فضله وعلمه إلى أن بايع الإمامَ راشد بن النضر، وأثبت إمامته رغم ما أحدث. قُتل في موضع يقال له القاع قرب صحار. من آثاره: كتاب «الجامع». انظر: معجم أعلام إباضيَّة المشرق، (نق).

ومن كتب القرآن في شيء ثُمَّ أحرقه فليتُبْ مِمَّا صنع، والله تعالى أولى به، إن شاء عذَّبه وإن شاء رحمه.

ومن كان في ماء إذا قعد يستره إلى حلقه ولا ثوب عليه فلا بأس أن يقرأ القرآن كذلك.

فصل: [حول التوراة والإنجيل والزبور]

قال الفرَّاء: نزلت التوراة مجملة، ونزل القرآن متفرِّقًا. وقيل: التوراة كانت مفسَّرة يفهمها بنو إسرائيل إذا قرئت عليهم، لا يحتاجون إلى أن تفسَّر لهم. إنَّما احتيج إلى تفسير القرآن لأنَّه أنزل مجملًا بلغة العرب ومذاهبها. والتوراة نزلت وقر سبعين بعيرًا، يُقرأ الجزء منه في سنة، ولم يقرأها أحد إلَّا أربعة نفر: موسى بن عمران، ويوشع بن نون، وعزير، وعيسى عليهم السلام.

[الاشتقاق اللغوي للتوراة والإنجيل والزبور]:

والتوراة مأخوذة من: أوريت الزناد إذا قدحت منه نارًا. والتوراة أصلها: «وَوْرَاةٌ» فقلبت الواو تاء، كما قُلبت في «تَوْلَج» وإنَّما هو «وَوْلَجٌ» لأنَّه «فَوْعَلٌ»، مِنْ وَلَجْتُ، والتَّوْلَجُ: الموضع الذي يُولَجُ فيه[١].

وأصل توراة: «وَوْرَاة»، يراد: مِمَّا يوري ويضيء ويظهر. قال ابن الأنباريِّ[٢]: أصل التوراة «تَوْرَيَة» على وزن «تَفْعَلَة»، فصارت الياء ألفًا لتحرُّكها وانفتاح ما قبلها، ويجوز أن يكون «تفعِلَة» فيكون أصلها «تورِيَة»،

---

(١) يقال: التَّوْلَج، ثمَّ أبدلت التاء دالًا فقيل: الدَّوْلَجُ. وهو كلُّ ما وُلَجت فيه من كَهْفٍ أو سَرَب. ويقال: هو الكِناسُ مأْوَى الظِّبَاء. انظر: ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث، ٢/١٤١.

(٢) محمد بن القاسم بن محمد الأنباري (ت: ٣٢٨هـ)، وقد تقدَّمت ترجمته.

فيُنقل من الكسرة فتحُهُ، كما تقول العرب في جارية: «جاراة»، وفي ناصية: «ناصاة»، وأنشد الفرَّاء:

فما الدنيا بباقاةٍ[1] لِحَيٍّ ... ولا حيَّ على الدنيا بباقِ[2]

أي بباقية لحيٍّ.

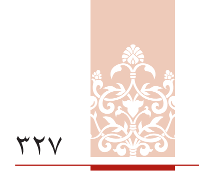
والإنجيل بالسريانيَّة. نَجَلْتُه، أي: استخرجته، ومنه اشتقَّ الإنجيل، مفعول، مثل: الإكليل، معناه: أنَّ الله تعالى أخرجه من اللوح المحفوظ، وأنزله على عيسى عليه السلام.

وعن بعض أنَّ معنى التوراة بالعبرانيَّة «تورروة»، وتفسيره: التأديب، واليهود تسمِّي التوراة «أوريثا»، ومعناه بلغتهم: وراثة الأنبياء[3]، يعني: أنَّهم ورثوها عن موسى عليه السلام. وهو معنى قول النبيِّ صلى الله عليه وسلم: «**العلماء ورثة الأنبياء**»[4].

وقيل: الإنجيل مأخوذ من النجل [وهو] النسل، يقال: هذا من نجل فلان، أي: من نسله. قال الأعشى[5]:

أَنجَب أَيَّام والِدَيهِ بِهِ ... إِذ نَجَلاهُ فَنِعمَ ما نَجَلا[6]

(١) في (ز): «بباقية». وكذا في المعاجم والموسوعة الشعريَّة.
(٢) البيت من الوافر. من أبيات منسوبة إلى عمرو بن أسود، وإلى عليٍّ كرَّم الله وجهه. انظر: الموسوعة الشعريَّة.
(٣) في (د): ـ «الأنبياء».
(٤) الترمذي: السنن، كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، ر٢٦٨٢، ٤٨/٥. أبو داود: السنن، كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم، ر٣٦٤١، ٣١٧/٣.
(٥) ميمون بن قيس (ت: ٧هـ)، وقد تقدَّمت ترجمته.
(٦) البيت من المنسرح. للأعشى، من قصيدة مطلعها:
إِنَّ مُحِلًّا وَإِنَّ مُرتَحِلًا ... وَإِنَّ في السَّفرِ ما مَضى مَهَلا
انظر: ديوانه في الموسوعة الشعريَّة.



وقال آخر:

إن قلت إنَّ أبي في إرث مكرمة ... قالوا صدقت ولكن ليس ما نجلا[١]

وإن كان الإنجيل مأخوذًا من النِّجَال، وهو منابع الماء والنُّزُوزُ التي تظهر في الوادي[٢]، وإنَّما يعني أنَّه مستنقع للحِكَم، ومنبع للعلم، أي: قد جمع فيه /١٥٦/ العلم والحكمة، فهو يَنزُّ الماء وينبع كما ينزُّ وينبع، من النَّجْل وهو النَّزُّ.

قال ابن قتيبة: كان الحقُّ قد دَثَـرَ أو دَثَرَ كثيرٌ من معالمه، وكثر تحريف أهل الكتاب، وخفي على الناس لِمَا أحدثوه، فأظهر الله تعالى به ذلك.

قال ابن الأنباري: وقرأ الحسن: «التوراة والأنجيل» بفتح الهمزة، فجعله أعجميًّا؛ لأنَّه ليس في أبنية العرب على[٣] هذا المثال. ويعرب أيضًا معنى الإنجيل من الْمَجَلَّة، وكانت تسمِّي كلَّ كتاب مَجَلَّة، قال النابغة[٤]:

مَجَلَّتهم ذاتُ الإلَـهِ وَدينُهُم ... قَويمٌ فَما يَرجونَ غَيرَ العَواقِبِ[٥]

ويروى: «مَحَلَّتُهم» أي: مسكنهم «ذات الإلٰه» أي[٦]: بيت المقدس وناحية الشام، وهي منازل الأنبياء صلوات الله عليهم.

---

(١) لم أجده فيما بين يديَّ من المصادر.

(٢) انظر: ابن منظور: اللسان، مادَّة: «نجل»، ٦٤٨/١١.

(٣) في (ز): «في».

(٤) النابِغَة الذُّبياني: أبو أمامة، زياد بن معاوية (ت: ١٨ ق.هـ)، وقد تقدَّمت ترجمته.

(٥) البيت من الطويل، من قصيدة مطلعها:

كِليني لِهَمٍّ يا أُمَيمَةَ ناصِبِ ... وَلَيلٍ أُقاسيهِ بَطيءِ الكَواكِبِ

انظر: ديوان النابغة في الموسوعة الشعريَّة، بلفظ: «مَحَلَّتُهم».

(٦) في (د): «يعني».

وأمَّا الزبور فيقال لكلِّ كتاب: زبور، وهو مأخوذ مِنْ زَبَرْتُ الكتاب أَزْبِرُهُ إذا كتبته. قال أبو عبيدة في قوله ﷻ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ (الشعراء: ١٩٦)، أي: كُتُب الأوَّلين. وأنشد الهذليُّ[١]:

عَـرَفـتُ الـدِيـارَ كَـرَقـمِ الـدَوا ... ةِ يَزبِرُهـا الكاتِـبُ الحِميَرِيُّ[٢]

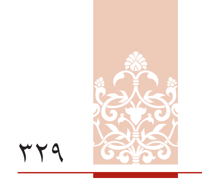
قال: سمعت يمانيًّا يقول: أنا أعرف بزبريتي[٣]، أي: كتابي. وقال أبو عبيدة: يقال: زَبَرْتُ الكتاب أَزْبِرُهُ زَبْرًا وَذَبَرتُهُ أذْبِرُهُ ذَبْرًا جميعًا، أي: كتبته. وقال الأصمعيُّ[٤]: زَبَـرْتُ: كتبت، وَذَبَرتُ: قـرأت. قال الخليل: الذَّبر بلغة هذيل: كلُّ قراءة خفيفة، ذَبَرَهَا يَذْبِرُهَا وَتَذَبَّرَهَا ذَبْرًا. وبعضهم يقول: ذَبَّرَ الكتابَ، أي: كَتَبَ. وبعضهم يقول: الذُّبُورُ بالشيء: الفقه به والعلم.

فصل: [في تجزيء القرآن]

القرآن نصفان، وهو ثلاثة أثلاث، وهو أربعة أرباع، وهو خمسة أخماس، وهو ستَّة أسداس، وهو سبعة أسباع، وهو ثمانية أثمان، وهو تسعة أتساع، وهو عشرة أعشار، وهو ستُّمائة عاشر، وهو[٥] عشرون عاشرًا، وهو ستُّون جزءًا، وثلاثون جزءًا، وثمانية وعشرون جزءًا. وكلُّ ذلك مكتوب في كتب القراءة إن شاء الله.

---

(١) هو: أبو ذُؤيب، خويلد بن خالد الهذلي (ت: ٢٧هـ)، وقد تقدَّمت ترجمته.
(٢) البيت من المتقارب، وهو مطلع قصيدة لأبي ذؤيب. انظر: ديوانه في الموسوعة الشعريَّة.
(٣) في النسخ: «بزبريته»، مع نقص وخلط في الإعجام.
(٤) عبدالملك بن قريب الباهلي الأصمعي (ت: ٢١٦هـ)، وقد تقدَّمت ترجمته.
(٥) في (د): ـ «هو».



فصل: [عدد سور القرآن وآياته وكلماته وحروفه]

الدمشقي[١] قال: عدَّ رسول الله ﷺ القرآن في المدنيِّ والكوفيِّ والشاميِّ مائةً وأربع عشرة سورة بالمعوِّذتين. وعدَّ آياته في المدنيِّ ستَّة آلاف ومائتين وسبع عشرة آية، وفي الكوفيِّ ستَّة آلاف ومائتين وسبعًا وثلاثين آية، وفي الشاميِّ ستَّةَ آلاف ومائتين وستًّا وعشرين آية[٢]. وهو تسعون ألف كلمة وستُّمائة وأربع وعشرون كلمة.

عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال النبيُّ ﷺ: «**القرآن ألفَا ألفٍ وسبعة /١٥٧/ وعشرون ألف حرف، فمن قرأه صابرًا محتسبًا كان له بكلِّ حرف زوجة من الحور العين**»[٣].

وفي رواية: إنَّ عدد حروفه ثلاثمائة ألف حرف وخمسة وعشرون ألفًا وثلاثمائة وخمسة وأربعون حرفًا. وقد ذَكَرْتُ عَدَدَ كلِّ حرف من الألف إلى الياء، جميع حروف أ، ب، ت، ث إلى آخرها في «كتاب الإبانة»[٤].

ما نزل بمكَّة:

أوَّله: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾، ثُمَّ ﴿ نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ ﴾، ثُمَّ المزَّمِّل، ثُمَّ المدَّثِّر، ثُمَّ ﴿ تَبَّتۡ ﴾، ثُمَّ ﴿ إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ﴾، ثُمَّ ﴿ سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ﴾،

---

(١) لم أتمكن من تحديده.

(٢) في هذه الأرقام عدة أخطاء في النحو والتذكير والتأنيث بين العدد والمعدود، فقمنا بتصحيحها. ولم أجد هذا الخبر فيما بين يديَّ من مصادر.

(٣) رواه الطبراني، بلفظ: «ألف ألف». وقال المناوي: «وفيه محمد بن عبيد بن آدم بن أبي إياس، قال في الميزان: تفرَّد بخبر باطل وساق هذا الخبر. قال الطبراني: ولا يروى إلَّا بهذا الإسناد». الطبراني: الأوسط، ر٦٦١٦، ٣٦١/٦. المناوي: فيض القدير، ٥٣٦/٤.

(٤) انظر: العوتبي: كتاب الإبانة، باب في الحروف.

ثُمَّ ﴿وَٱلَّيۡلِ﴾، ثُمَّ ﴿وَٱلۡفَجۡرِ﴾، ثُمَّ ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾، ثُمَّ ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ﴾، ثُمَّ العاديات، ثُمَّ ﴿وَٱلۡعَصۡرِ﴾، ثُمَّ ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ﴾، ثُـمَّ ﴿أَلۡهَىٰكُمُ﴾، ثُمَّ ﴿أَرَءَيۡتَ﴾، ثُمَّ الكافرون، ثُـمَّ ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ﴾، ثُـمَّ الفلق، ثُمَّ النـاس، ثُمَّ ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، ثُـمَّ ﴿وَٱلنَّجۡمِ﴾، ثُـمَّ عبـس، ثُـمَّ ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ﴾، ثُمَّ ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا﴾، ثُمَّ البروج، ثُمَّ ﴿وَٱلتِّينِ﴾، ثُمَّ ﴿لِإِيلَٰفِ﴾، ثُمَّ القارعة، ثُمَّ ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾، ثُمَّ الْهُمَزة، ثُمَّ المرسلات، ثُمَّ ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ﴾، ثُمَّ ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾، ثُـمَّ ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾، ثُـمَّ ﴿ٱقۡتَرَبَتِ﴾، ثُـمَّ ص، ثُـمَّ ﴿الٓمٓصٓ﴾، ثُـمَّ ﴿قُلۡ أُوحِيَ﴾، ثـمَّ ﴿يسٓ﴾، ثُـمَّ الفرقـان، ثُمَّ فاطـر، ثُمَّ ﴿كٓهيعٓصٓ﴾، ثُـمَّ ﴿طه﴾، ثُمَّ الواقعة، ثُمَّ الشـعراء، ثُـمَّ النمل، ثُمَّ القصص، ثُـمَّ ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ﴾، ثُـمَّ يونس، ثُـمَّ هود، ثُمَّ يوسف، ثُمَّ الرعد، ثُمَّ الأنفال، ثُمَّ الصافات، ثُمَّ لقمان، ثُمَّ سبأ، ثُمَّ ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾، ثُمَّ حم المؤمن[1]، ثُمَّ حم السـجدة، ثُمَّ ﴿حمٓ ۝ عٓسٓقٓ﴾، ثُمَّ الزخرف، ثُمَّ الدخان، ثُمَّ حم الشريعة، ثُمَّ الأحقاف، ثُمَّ ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ﴾، ثُمَّ الغاشـية، ثُمَّ الكهف، ثُمَّ النحل، ثُمَّ نوح، ثُمَّ إبراهيم، ثُمَّ الأنبياء، ثُمَّ المؤمنون، ثُمَّ ﴿الٓمٓ ۝ تَنزِيلُ﴾ السـجدة، ثُمَّ الطور، ثُمَّ ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ﴾، ثُمَّ الحاقَّة، ثُمَّ ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ﴾، ثُمَّ ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾، ثُمَّ ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ﴾، ثُمَّ انفطرت، ثُمَّ انشـقت، ثُمَّ الروم، ثُمَّ العنكبوت، ثُمَّ المطفِّفين. فجميع ما نزل بمكَّة خمس وثمانون سورة.

وما نزل بالمدينة:

البقرة، ثُـمَّ آل عمران، ثُمَّ الأحـزاب، ثُمَّ الممتحنة، ثُمَّ النسـاء، ثُمَّ إذا زلزلت، ثُمَّ الحديد، ثُـمَّ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، ثُمَّ الحجر، ثُـمَّ الرحمٰن، ثُـمَّ

(١) في (د): ـ «حم المؤمن». ويقصد بها: سورة غافِر.

﴿هَلۡ أَتَىٰ﴾، ثُمَّ الطلاق، ثُمَّ ﴿لَمۡ يَكُنِ﴾، ثُمَّ الحشر، ثُمَّ الفتح، ثُمَّ النور، ثُمَّ الحج، ثُمَّ المنافقون، ثُمَّ المجادلة، /١٥٨/ ثُمَّ الحجرات، ثُمَّ المُحرِّم، ثُمَّ الجمعة، ثُمَّ التغابن، ثُمَّ الحواريُّون، ثُمَّ المائدة، ثُمَّ التوبة، وهي آخر القرآن، وآخر القرآن: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ ...﴾[1] إلى آخر السورة.

وقال مقاتل بن سليمان: وآخر ما نزل من القرآن يوم الجمعة، يوم عرفة والناس وقوف بعرفات، رافعي أيديهم في الدعاء: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ (المائدة: ٣)، فلم ينزل بعدها حرام ولا حلال ولا حكم ولا حدود ولا فريضة، غير آيتين من سورة النساء في آخرها، قوله تعالى: ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ ...﴾[2] إلى آخرها. وعاش النبيُّ ﷺ إحدى وثمانين ليلة، ثُمَّ توفِّي يوم الاثنين لليلتين خلتا من شهر ربيع الأوَّل. فهذا ما نزل بالمدينة، والله أعلم.

وفاتحة الكتاب قيل: إنَّها مدنيَّة، وقيل: مكِّيَّة.

فصل: [خصائص المكِّيِّ والمدنيِّ]

عن الضحَّاك قال: كلُّ ما كان في القرآن ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ فإنَّه نزل بمكَّة، وكلُّ ما كان ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فإنَّه نزل بالمدينة.

ابن عبَّاس: كلُّ ما كان في القرآن ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ﴾ (هود: ٦٧)، يريد صيحة جبريل[3] ﵇. وكلُّ بخس في كتاب الله ﷻ نقصان

(١) التوبة: ١٢٨. وتمام الآية: ﴿عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾.

(٢) النساء: ١٧٦. ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِ ...﴾.

(٣) في (د): «جبرائيل».

إلَّا قوله تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ (يوسف: ٢٠) فإنَّ هذا حرام، وذلك أنَّ ثمن الحرِّ حرام.

هشـام بن عروة[١] عن أبيه قال: ما كان من الأمثال والقرون نزل بمكَّة، وما كان من الحدود والفرائض نزل بالمدينة. وعنه: كلُّ شيء ضربت فيه الأمثال، وذكرت فيه الأمم والقرون والأنبياء فهو ما نزل بمكَّة، وكلُّ شيء من الفرائض والحدود والجهاد فهو بالمدينة.

وقالوا: كلُّ ما كان من صنعة الله تعالى فهو السُّد، وما كان من صنعة بني آدم فهو السَّد (بالفتح).

وقيل: كلُّ ما كان من الرجفة فهو ﴿فِي دَارِهِمْ﴾ (الأعراف: ٧٨، ٩١. والعنكبوت: ٣٧)، وما كان في الصيحة فهو ﴿فِي دِيَٰرِهِمْ﴾ (هود: ٦٧، ٩٤).

قال المفضّل: قال الفرَّاء وسفيان بن عيينة[٢]: كلُّ ما كان في القرآن من قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾ فقد أدراه، وما كان ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ فلم يدره، والله أعلم بذلك. قال: فأمَّا أنا فما مَخرجهما عندي إلَّا على التعظيم والتعجُّب.

في التأويل والتفسير:

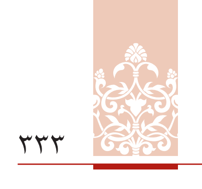
اختلف الناس في معنى **التأويل**؛ فقال قوم[٣]: هو التفسير بعينه، وقال آخرون: بل هو غير التفسير. وحكي عن ثعلب[٤] عن ابن

(١) أبو المنذر، هشام بن عروة بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي (ت: ١٤٦هـ): تابعيٌّ من أئمَّة الحديث بالمدينة، وُلد وعاش فيها. وفد على المنصور العباسي ببغداد وكان من خاصَّته، وبها توفي. انظر: الزركلي: الأعلام، ٨/٨٧.

(٢) سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي (ت: ١٩٨هـ)، وقد تقدَّمت ترجمته.

(٣) في (د): ـ «قوم».

(٤) ثعلب هو: أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني (ت: ٢٩١هـ)، وقد تقدَّمت ترجمته.



الأعرابيّ[١] أنَّه قال: التأويل والتفسير والمعنى كلُّه سواء. ثُمَّ قال: هو معرفة الحقائق والحقيقة والعاقبة، /١٥٩/ وأنشد:

[وَلِلأَحِبَّةِ أَيَّامٌ تَذَكَّرُها] وللنوى بعد يوم البين تأويل[٢]

أي: عاقبة.

وقال غيره: التأويل غير التفسير، إنَّما التفسير ما ترويه العامَّة عن التفسير، وقالوا: هذا تفسير القرآن، ولم يقولوا: هذا تأويل القرآن. وإنَّما التأويل معان غامضة لا يعلمها إلَّا العلماء المتَّقون. قال: وتأويل كلِّ شيء ما يبدو في آخره، وما يكون من عواقبه، هكذا هو في لغة العرب، قال الأعشى[٣]:

عَلى أَنَّها كانَت تَأَوُّلُ حُبِّهَا تَأَوُّلَ رِبعِيِّ السِّقابِ[٤] فَأَصحَبا[٥]

قال أبو عبيدة[٦]: تأوُّلُ حبِّها، أي: عاقبة حبِّها ومرجعه، أي[٧]: كان صغيرًا في قلبه فلم يزل يُنَمَّى[٨] حتَّى أصحب. يقال: أصحب السَّقْبُ، إذا شبَّ حتَّى

(١) ابن الأعرابيِّ هو: محمَّد بن زياد بن الأعرابي (ت: ٢٣١هـ)، وقد تقدَّمت ترجمته.
(٢) البيت من البسيط، من قصيدة لعبدة بن الطبيب، مطلعها:
هَل حَبلُ خَولَةَ بَعدَ الهَجرِ موصولُ أَم أَنتَ عَنها بَعيدُ الدارِ مَشغولُ
انظر: ديوانه في الموسوعة الشعريَّة.
(٣) ميمون بن قيس (ت: ٧هـ)، وقد تقدَّمت ترجمته.
(٤) «رِبْعيُّ كلِّ شيء: أَوَّله. رِبْعِيُّ النتاج ورِبْعِيُّ الشباب». والسِّقاب جمع سَقْبٍ وهو: ولد الناقة، وقيل: الذَّكر من ولدها. ابن منظور: اللسان، مادَّتي: «سقب» و«ربع»، ١/٤٦٨؛ ٨/١٠٦.
(٥) البيت من الطويل. وهو الثاني من قصيدة للأعشى مطلعها:
كَفى بِالَّذي تولينَهُ لَو تَجَنَّبا شِفاءً لِسُقمٍ بَعدَما عادَ أَشيَبا
انظر: ديوان الموسوعة الشعريَّة.
(٦) أبو عبيدة، معمر بن المثنَّى (ت: ٢٠٩هـ). تقدَّمت ترجمته.
(٧) في (د): أن.
(٨) في (ز): «يتمنى».

يصير مثل أمِّه، يقول: لم يزل يثبت الحبُّ في قلبه حتَّى صار قَدِيمًا، كهذا السَّقْب[١] كان صغيرًا، فلم يزل يتربَّى مع أمِّه حتَّى أصحب. كأنَّه أراد أنَّه مأخوذ مِن آلَ يؤول إليه.

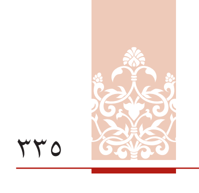
فالتأويل على ثلاثة أوجه: هو أثر الشيء ...[٢] ومنتهاه. وهو تفسير الشيء الذي يراد به وما يصير إليه أمره، وتأويل الرؤيا من ذلك. وهو في[٣] الأعمال العقوبات، وهو آخر أمرها، والأصل واحد.

وعن مجاهد[٤] في قوله تعالى ﷻ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾ (الأعراف: ٥٣)، أي: هل ينظرون إلَّا بيانه ومعانيه وتفسيره، وقيل: آخر أمره ومنتهاه. يقال: تأوَّل تأوُّلًا، وآل يؤول أَوْلًا: إذا انتهى. وعن مجاهد في قوله تعالى: ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦ﴾ (يوسف: ٣٦) قال: به. وقال أبو عبيدة: تأويل الرؤيا هو الشيء الذي يؤول إليه، وأنشد غيره لِحُميد بن ثور[٥]:

فَقُلْتُ علَيَّ الله لا تُذعِرنَّها ... وَقَد أَوَّلَتَا أَنَّ اللِّقَاءَ قَرِيبُ[٦]

يصف ظبيتين مرَّتا به فتيمَّن بهما، فنهى صاحبه عن رميهما، وقوله:

(١) في (ز): «هكذى الصقب». (د): «هكذى السقب». وصحَّحناه من اللسان. وصقْب الناقة: ولدها أيضًا. اللسان، مادَّة: «صقب»، ٥٢٥/١.
(٢) كلمة غير مفهومة، رسمها: «مفتو». ولم أتمكن من تأويلها مِمَّا بين يديَّ من مصادر.
(٣) في (ز): «من».
(٤) أبو الحجَّاج، مجاهد بن جبر المكِّي (ت: ١٠٤هـ)، وقد تقدَّمت ترجمته.
(٥) أبو المثنى، حُميد بن ثور بن حزن الهلالي العامري (ت: ٣٠هـ): شاعر مخضرم عاش زمنًا في الجاهليَّة، وشهد حنينًا مع المشركين، وأسلم ووفد على النبي ﷺ، ومات في خلافة عثمان ﵁. انظر: الزركلي: الأعلام، ٢٨٣/٢.
(٦) البيت من الطويل، من قصيدة مطلعها:
مَرِضتُ فَلَم تَحفِل عَليَّ جَنوبُ ... وأَدنَفتُ والْمَمشى إِلَيَّ قَريبُ
انظر: ديوان حميد بن ثور في الموسوعة الشعريَّة.



أوَّلَتَا أي: فسَّرتا لنا العاقبة، وإنَّما اعتاف[١] بمرِّهما فزجرهما، وتيمَّن بهما فصار عاقبة العافية[٢] يدلُّ على أنَّ اللقاء قريب.

فكان التأويل هو الشيء الذي يرجع إليه الإنسان من معنى التنزيل، فيكون فيه نجاته من الشكِّ والشبهة، ويصير ملجأً وموئلًا قد آل إليه.

والتأويل هو التفعيل من الأَوَّلِ، يقال: تَأَوَّلَ، أي: تَفعَّل، من الأَوَّل، كأنَّ الناظر في الشيء والمتأوِّل له[٣] يَعتبِر به فيعرف حقيقته كيف كان أوَّلُه، أو إلى ما يعود آخره، قال الله ﷻ: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥ﴾ (الأعراف: ٥٣) أي: /١٦٠/ أَوْلَهُ إلى مَا لَـهُ خُلِقَ، وعوده إلى ما منه بدأ؛ لأنَّ العواقب تعود إلى الأوائل، قال الله ﷻ: ﴿كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ﴾ (الأعراف: ٢٩)، والكلام في هذا يطول.

والتفسير والفَسْرُ واحد، وهو بيان وتفصيل الكتب. والتَّفْسِرَة: اسمٌ للبول الذي ينظر إليه الأطباء يُستدلُّ به على مرض البدن، وكلُّ شيء يعرف به تفسير الشيء فهو تَفْسِرَتُه[٤].

وفي التفسير أيضًا:

عن ابن عبَّاس قال: تفسير القرآن على أربعة وجوه: تفسير يعلمه العلماء، وتفسير تعرفه العرب، وتفسير لا يُعذر أحد بجهالته، وتفسير لا يعلمه إلَّا الله ﷻ، فمن ادَّعى علمًا فهو كاذب.

---

(١) اعتاف: من العِيافة، وهي: «زجْرُ الطير والتفاؤل بأَسمائها وأَصواتها ومَمَرِّها، وهو من عادة العرب كثيرًا، وهو كثير في أَشعارهم». ابن منظور: اللسان، مادَّة: «عيف»، ٢٦١/٩.

(٢) يمكن أن نقرأها: «عاقبة العاقبة».

(٣) في النسخ: «والمناوله».

(٤) في النسخ: «تفسيره». وصحَّحناه من اللسان. ابن منظور: اللسان، مادَّة: «فسر»، ٥٥/٥.

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**»[١].

وسئل أبو بكر ﵁ عن آية من كتاب الله ﷿ فقال: «أيُّ سماء تُظلُّني، وأيُّ أرض تُقلُّني إذا[٢] أنا قلت في كتاب الله برأيي». وفي رواية: «أيُّ أرض تقلُّني إن افتأَتُّ في كتاب الله برأي».

وسئل الخليل عن قول الله ﷿: ﴿وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾ (الصافَّات: ١٠٣)، قال: هذا كلام الله! ليس لنا أن نقول فيه من العقل. أي: لا يُفْهَمُ له عقلًا.

وعن النبيِّ ﷺ: «**ما نزل من القرآن آيةٌ إلَّا لها ظهر وبطن**»[٣].

مسألة: [هل يكفي قول الواحد حجَّةً في تأويل القرآن؟]

ومُختلَفٌ في تأويل القرآن، هل يُقبل بقولِ واحدٍ؟ فمنهم من قال: بواحد. ومنهم من قال: الحجَّة في التأويل باثنين. وقول المسلمين: التنـزيل بواحد، فالواحد بالتنـزيل فمحمَّد[٤]. وأمَّا التأويل فإذا كان واحدٌ ممَّن يُبصر التأويل فجائز قولُه، وهو حجَّة، وقالوا فيه: [أن يكون] مثل الربيع[٥]. وأمَّا إذا كان بغير هذه الصفة فلا يكون حجَّة في التأويل، إلَّا

---

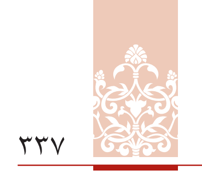
(١) رواه الترمذيُّ وقال: «حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ». الترمذي: السنن، كتاب التفسير، باب ما جاء في الذي يفسِّر القرآن برأيه، ر٢٩٥٠، ٢٩٥١، ١٩٩/٥. أحمد: المسند، مسند بني هاشم، بداية مسند عبد الله بن العبَّاس، ر٢٠٦٩، ٢٣٣/١.

(٢) في (د): «إن»، وكتب الناسخ فوقها: «إن».

(٣) روي بلفظ: «أنزل القرآن على سبعة أحرف، لكلِّ آية منها ظهر وبطن». ابن حبَّان في ذكر الزجر عن تتبُّع المتشابه من القرآن للمرء المسلم، ر٧٥، ٢٧٦/١. البزار: المسند، ر٢٠٨١، ٤٤٢/٥. الطبراني: المعجم الأوسط، ر٧٧٣، ٢٣٦/١.

(٤) كذا في النسخ، ولعلَّ الصواب: فحجَّة.

(٥) الربيع بن حبيب بن عمرو الأزدي الفراهيدي العُماني (ت: ١٧٠هـ): وُلد بغضفان من قرى =



فيما خَفَّ[1]، وقام دليله. وأمَّا جميع القرآن فحتَّى يكون مثل الربيع. وصفة مثلِ الربيعِ: العالِمُ.

وفي التنـزيلِ واحدٌ غيرُ ثقةٍ حجَّةٌ.

مسألة: [حكم الخطأ في تأويل القرآن]

ومن تأوَّل القرآن على غير تأويله فهو كافر، ولم يدخل في الشرك. ومن تأوَّله من غير القرآن بمثل قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (القيامة: ٢٣)، وقال: تنظر إليه يوم القيامة؛ فقد أخطأ بلا شرك.

ولا يحلُّ لأحد أن يفسِّر القرآن بغير معرفة. وإذا لم يحرِّفه متعمِّدًا يريد غير الحقِّ فيُرجَى أنَّه لا يأثم إذا تأوَّل على وجه اللغة أو السُّنَّة. ومن فسَّر بغير معرفة فعليه التوبة من ذلك.

وفي نفي خلق القرآن:

القرآن كلام الله ﷻ. وكذلك جاء عن رسول الله ﷺ من طريق مسروق عن عبد الله أنَّه قال: «**القرآن كلام الله**». /١٦١/ قال عبد الله: من قال غير هذا فقد كفر. وأجمعت الأمَّة على أنَّ القرآن كلام الله ﷻ. وأجمعت الأمَّة أيضًا أنَّ كلام الله تعالى من صفاته.

= الباطنة بعُمان. انتقل إلى البصرة، فتتلمذ على الإمام جابر بن زيد، وأبي عبيدة مسلم وغيرهما. تصدَّر للتدريس والتأليف والإفتاء. خلف أبا عبيدة في تسيير أمور الدعوة. له: «المسند» وهو عمدة الإباضية في الحديث. و«آثار الربيع»، رواه عنه أبو صفرة، وفتاوى وردت في مدونة أبي غانم الخراساني. وثَّقه كثير من المحدِّثين منهم: الإمام أحمد وابن حبَّان وابن معين وغيرهم. عاد إلى غضفان وتوفي بها. انظر: معجم أعلام إباضيَّة المشرق، (نق).

(١) يمكن أن تُقرأ: «فيما حُفَّ»، أي: احتفت به القرائن.

ثمَّ اختلـف الناس في هذه الصفة، أهي من صفـات ذاته أم من صفات فعله؟ فقالت المعتزلـة: إِنَّ كلامه من صفات فعلـه، وأنَّ كلامه خلقه، وإنَّه لا يجوز أن يوصف بأنَّه لم يزل متكلِّما؛ لأنَّ صفـة الخلق محدثة، وإنَّ الله تعالى خالـق هذا القرآن. وقالت الحشـويَّة وغيرهـم: إِنَّ كلام الله صفة من صفات ذاته، وإنَّها صفة لم تزل له، وإنَّ كلامه غير مخلوق، والقرآن كلامه. ونسـمِّيه قرآنًا كما سمَّاه الله تعالى، وسـمَّاه عربيًّا، وتوراة، وعبرانيًّا، وزبورًا كما سمَّاه ﷻ.

واختلف أصحابنا في ذلك، فمنهم من قال: هو كلام الله، ولا نقول: هو صفة ذات ولا صفة فعل، وهذا يوجد أنَّه من قول أبي عليٍّ[1] وغيره.

وقال قوم: نقول: هو كلام الله. ومن قال: إنَّه مخلوق وقد تقدَّمت له وَلايةٌ لم تُترَك ولايته حتَّى يخطِّئ من قال: إنَّه غير مخلوق.

وقال محمَّد بـن محبوب[2]: لا نقول: القرآن مخلـوق ولا غير مخلوق، ولا نقول: القرآن هـو الله ولا هو غير الله، ونقول: هو كلام الله، ولا نقول: إنَّه هو، ولا شيءٌ منه، ولا هو مخلوق، ولكنَّه وحيه وتنزيله على محمَّد ﷺ.

والقرآن هو من علم الله، وعلم الله لم يزل، وهو غير محدَث.

قال سـليمان بن الحكـم أبو مروان[3] وأبـو زياد الوضَّاح بـن عقبة[4]

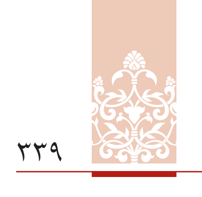
---

(١) أبو علي، موسى بن علي بن عزرة البسياني (ت: ٢٣٠هـ)، وقد تقدَّمت ترجمته.

(٢) أبو عبد الله، محمَّد بن محبوب بن الرحيل (ت: ٢٦٠هـ)، وقد تقدَّمت ترجمته.

(٣) أبو مروان، سـليمان بن الحكم (حيّ في: ٢٣٧هـ): عالم فقيه، عُمانيٌّ من عقر نزوى. كان واليًا للإمام المهنا بن جيفر (حكم ٢٢٦ ـ ٢٣٧هـ) علـى صحار، ثمَّ عزله الإمام الصلت عنها، فخرج إلى نزوى إلى أن توفي بهـا. يعرف أبو مروان بقوَّة الحفظ، وحضور البديهة أكثر من أخويه المنذر وعبد الله. انظر: معجم أعلام إباضيَّة المشرق، (نق).

(٤) أبو زياد، الوضاح بن عقبة (حيّ في: ٢٣٧هـ): عالم فقيه، حمل العلم عن موسى بن علي =



وهاشم[١] ومعلَّى بن منير[٢] وغيرهم: لا نقول: إنَّ القرآن مخلوق، ونقول: هو كلام الله، ونقف عمَّن يقول: إنَّ القرآن مخلوقٌ، وقوفَ مسألةٍ.

وقال محمَّد بن محبوب: من قال: القرآن مخلوق، وقد تقدَّمت له ولاية لم يُقطع، ما لم يَبرأ مِمَّن لا يقول: إنَّ القرآن مخلوق، فإذا برئ مِمَّن لا يقول: إنَّ القرآن مخلوق برأيٍ برئنا منه بدينٍ. فإذا قال: إنَّ القرآن مخلوق، ولم يبرأ مِمَّن لم يقل بقوله فإنَّه يُجْفَى. وقال: هذا مِمَّا يسع جهله.

وقال قوم من أصحابنا: إنَّ القرآن كلام الله، وإنَّه غير مخلوق، وبهذا تقول الأشعريَّة. وَوَقَفَ مَن وَقَفَ من الناس عن ذلك. والاختلاف كثير.

مسألة: [الدليل على أنَّ كلام الله تعالى غير مخلوق]

فإن قال قائل: لِمَ قلتم: إنَّ كلام الله تعالى صفة من صفاته، وإنَّه غير مخلوق ولا محدَث؟ قيل له: قلنا ذلك لأنَّه قال تعالى في كتابه: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ (النحل: ٤٠) /١٦٢/ فخبَّرَ تعالى

= وغيره. من رجال دولة الإمام المهنا بن جيفر (حكم ٢٢٦ ـ ٢٣٧هـ). كان من العلماء الذين اجتمعوا للفصل في قضية خلق القرآن، فاتفقوا على أنَّ ما سوى الله مخلوق. وكان من الذين نَهوا عن الخوض في الموقف من الإمام المهنا. انظر: معجم أعلام إباضيَّة المشرق، (نق).

(١) أبو الوليد، هاشم بن غيلان السيجاني (حيّ في: ٢٠٧هـ): عالم فقيه. نشأ في بلدة سيجا من أعمال سمائل بعُمان. من شيوخه: موسى بن أبي جابر. من تلاميذه: ابنه محمد بن هاشم، وموسى بن علي ... له رسالة في نصيحة الإمام عبدالملك بن حميد (حكم ٢٠٧ ـ ٢٢٦هـ). يبدو أنَّه توفِّي في عهد إمامته. انظر: معجم أعلام إباضيَّة المشرق، (نق).

(٢) المعلَّى بن منير الفشحي (حيّ في: ٢٣٧هـ) من أقطاب الهدى، وقادة العلماء، ومن وجوه القوم في إمامة المهنا بن جيفر. حضر اختيار وبيعة الصلت بن مالك بعد وفاة المهنا بن جيفر يوم ١٦ربيع الآخر ٢٣٧هـ. انظر: معجم أعلام إباضيَّة المشرق، (نق).

أنَّه يكوِّن الأشـــياء بقوله: كوني، فلو كان قوله تبارك وتعالى مخلوقًا لكان يحتاج إلى قول آخر، وكلُّ قول يحتاج إلى قول، وفي ذلك إيجاب أقوال لا تتناهى، وإذا اســتحال ذلك من قولنا وقول مخالفينـــا، كان قولُه تعالى للأشـــياء: كوني، غيــرَ مخلوق. فهذا دليـــل علـــى أنَّ كلام الله تعالى غير مخلوق.

مسألة: [اعتراض وجوابه في نفي خلق القرآن]

فإن قال: إذا كان الكلام أمرًا ونهيًا، ووعـــدًا ووعيدًا، وخبرًا ودعاء، وما أشـــبه ذلك، ثُمَّ زعمتم أنَّ كلام الله غير مخلوق، وأنَّه قد تمَّ، فلم يزل تعالى آمرًا ناهيًـــا مخبرًا، قالوا: هذا يجـــب أن يكون المأمور والمنهـــيُّ، والموعَدُ والمتوعَّد لم يزل الله قائلًا لهم، وإذا استحال ذلك وجب أن يكون الله تعالى قال بعد أن لم يكن قائلًا، ومتكلِّمًا بعد أن لم يكن متكلِّمًا، قالوا: وهذا أدلُّ دليل في خلقه.

والجواب عن هذا من الأشعريَّة أنَّهم قالوا: إنَّ الكلام يكون كلامًا لنفسه لعلَّة، نهيًا لعلَّـــة، وكلام الله تعالى هو غير مخلوق يســـمَّى أمرًا لعلَّةِ وجودِ المأمور، وورود الأفهام له، وهو كلام لنفسه، وقد قال تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ (المجادلـة: ٧) فقد أخبر عن نفسه جلَّ وعزَّ أنَّه سادس ســـتَّة من أجل وجود الخمسة، وكذلك هو ثالث ثلاثة من أجل حدوث النفســـين اللذين خلقهما؛ وكذلك كلامه أمرًا لعلَّة وجود الأفهام ووجود المأمور. فنحن نقول: لم يزل الله تعالى متكلِّمًا آمـــرًا إذا كان المأمـــور وورود الأفهام له، وإلزام الفـــرض له عند وجوده. ومثله مـــا نحن وهم عليه أنَّ الله تعالى لم يزل عالمًا لأنَّه ســـيخلق الدنيا، فإذا أوجدها قيل: إنَّه عالم لأنَّها مخلوقـــة، والعلم لأنَّها مخلوقة هو العلم



لأنَّها ستُخلق، فالمعلوم متغاير[١]، وعلم الباري تبارك وتعالى لا يتغيَّر. وكذلك كلامه غير متغاير، وما تحته من المأمور والمنهيِّ يتغاير، فهذا جواب الأشعريَّة.

مسألة: [ألَم يصف الله تعالى الذِّكر بأنَّه محدَث؟]

فإن قال: أليس قال الله تعالى: ﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ ...﴾ الآية[٢]. أليس قد سمَّاه محدَثًا، وكلُّ محدَث فهو مخلوق؟ قيل له: في هذا أجوبة كلُّها مبطِلة لفاسد تأويلكم:

- منها أنَّ بعض أهل التفسير ذكر أنَّ معنى الذكر هو محمَّد ﷺ. وهو محدَث مخلوق، فلا حجَّة لكم في هذا.
- ومنها أنَّ معنى الذكر هو /١٦٣/ العبارة والتلاوة عن الشيء، والعبارة عن الشيء هو غيره، كما أنَّ الله تعالى معبود مذكور، فعبادته مخلوقة، والمعبود غير مخلوق، وذكره ودعاؤه مخلوق، والمدعوُّ والمذكور غير مخلوق.
- ومنها أنَّ معنى محدَث هو محدَثُ تنزيلٍ وقراءةٍ وتلاوةٍ، فكلام الله تعالى لا يختلف، وإنَّما تختلف وتتغاير قراءته وتلاوته، فالإحداث لتلاوته المتغايرة، والحروف المكتوبة إلى الأنبياء، نبيٍّ بعد نبيٍّ؛ فإنَّما هو محدَث إليهم، لا أنَّه خَلَقَ كلامه في ذاته ثُمَّ أنزله[٣] بعد خلقه؛ لأنَّه ليس بمحلٍّ، تعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا.

---

(١) في (د): «يتغاير».
(٢) الأنبياء: ٢. وتمام الآية: ﴿... إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ﴾.
(٣) في (د): «أنزل».

مسألة: [أليس القرآن في مصاحفنا ونتلوه بألسنتنا؟]

فإن قال: أليس القرآن في مصاحفنا ونتلوه بألسنتنا؟ فإن قلتم: لا، خرقتم[(١)] الإجماع. وإن قلتم: نعم، فكيف يكون ما هو في ألسنتنا ومصاحفنا غير مخلوق؟ قيل له: إنَّ كَلَامَ[(٢)] الله تعالى في مصاحفنا وألسنتنا متلوٌّ ومقروءٌ[(٣)] غيرُ مخلوق، كما أنَّكم تقولون: إنَّه تعالى معبود في قلوبنا، ومذكور بقلوبنا، والمعبود ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ (الشورى: ١١)، كذلك القرآن متلوٌّ بألسنتنا، والمتلوُّ هو كلام الله غير مخلوق.

مسألة: [أليس القرآن معدود الأجزاء؟]

فإن قال قائل: أليس القرآن سورًا معدودة، له نصف ورُبُع وسُبُع، فكيف لا يكون مخلوقًا؟ قيل له: أمَا علمتم أنَّ القرآن غير المقروء، والمقروء هو كلام الله تعالى، فأمَّا قراءته فضمُّ بعض الآي إلى بعض، وهذا من قولنا وقولكم إنَّما هو على المجاز؛ لأنَّ القراءة التي هي كلام القارئ عَرَضٌ، والأعراض غير منضمٍّ بعضها إلى بعض، ولكن إذا كانت القراءة على هذا الضرب من الترتيب فقد تقول العرب مضمومًا، والمقروء غير مضموم، وهو كلام الله تعالى، كما أنَّا وإيَّاكم، فقد اتَّفقنا أنَّ عبادة الله مخلوقة، والمعبود بها غير مخلوق.

فصل: [قول المعتزلة في خلق القرآن]

المعتزلة وأهل البدع في كلام الباري تعالى على ضربين:

---

(١) في (د): «حرَّفتم».
(٢) في (ز): ـ «كلام».
(٣) في (ز): «متلوَّة ومقروءة».

ـ فمنهم من يقول: إنَّ الذي يُسمَع من الإنسان شيئان: يسمع كلام الله ﷻ، ويسمع قراءته، وكلام الله عندكم ـ يؤخذ بالتلاوة والحفظ والكتابة ـ ليس هو حفظه ولا تلاوته ولا كتابته. قال الأشعريَّة: يقال لهم: فإذا وجد كلام الله الذي هو صفة له بعد أن لم يكن موجودًا إلَّا بمعنى انتقل، ولا حدث بعد أن لم يكن، فما أنكرتم من وجود سائر الأعراض بعد أن لم توجد لا بمعنى النقلة ولا الحدوث، وأن تكون الأعراض كلُّها قديمة، وأن تكون كامنة ثُمَّ ظهرت لا بمعنى الحدوث ولا النقلة، وهذا قول الدهريَّة /١٦٤/ كفرٌ بالله العظيم، وإن كانت التلاوة والحفظ والكتابة له هي غيره كما نقول وتقولون، ثُمَّ لم يجب أن تظهر بعد أن لم[1] تكن لا كما ظهرت تلاوته وحدثت بعد أن لم تكن فهو قولنا، وقد صح أنَّه صفة لله تعالى قائمة به كعلمه وقدرته وسمعه وبصره، فهذا اللازم للبصريِّين أهل القدر.

ـ وأمَّا البغداديُّون فيقولون: إنَّ كلام الله قائم باللوح المحفوظ وفي صدور الملائكة، وهذا باطل من قِبَلِ أنْ كان القرآن عَرَضًا من قولهم: قائم في اللوح، والأعراض غير باقية، فالباري يخلق مثله في كلِّ وقت، ولم يقل بذلك مسلم، وإذا بطل ذلك بطلت المسألة من كلِّ وجه، ومن كلِّ مذهب يذهب أهل القدر إليه.

احتجاج [لنفي خلق القرآن]

احتجَّ بعض من نفى خلق القرآن بقوله ﷻ: ﴿الٓمٓ ۞ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ (السجدة: ١ ـ ٢) فهذا يدلُّ على أنَّ القرآن غير مخلوق، وشيء يكون منه كيف يكون مخلوقًا؟.

(١) في (ز): «لا».

مسألة: [دليل آخر على أنَّ القرآن غير مخلوق]

الدليل على أنَّ كلام الله تعالى غير محدَث ولا مخلوق أنَّه لو كان محدَثًا لكان لا يخلو أن يحدثه في نفسه أو في غيره، أو لا في نفسه ولا في غيره، فلمَّا لم يجز أن يحدثه في نفسه؛ لأنَّ نفسه ليست محلًّا للحوادث ولا للمخلوقات، ولأنَّ ما قامت به الحوادث فهو محدَث. ولم يجز أن يخلقه في غيره، فيكون كلام غيره هو كلامه، أو يكون المتكلِّمُ بكلامه غيرَهُ. ولم يجز أن يخلقه لا في نفسه ولا في غيره؛ لأنَّ الصفة لا تقوم بنفسها، والقرآن صفة. فلمَّا فسدت هذه الوجوه ولم تَجُزْ وجب أن يكون كلامه ﷿ موجودًا به ﷻ غير مخلوق.

وأيضًا: فلا خلاف بين أحد أنَّ الله تعالى هو المتكلِّم، كما أنَّه هو العالم، وإذا كان الله تعالى العالم لذاته، كان هو المتكلِّم لذاته، وإذا كان الإجماع على أنَّه العالم المتكلِّم صحَّ أنَّه لم يزل العالم المتكلِّم، وعلى من ادَّعى الفرق بين الكلام والعلم الدليل على حدوث أحدهما. وبالله التوفيق.

باب ٩ في أحكام القرآن

[معنى نزول القرآن على سبعة أحرف]:

طعن قوم من الملحدين في القرآن لاختلاف القراءات، واختلاف أهل العلم في قول الرسول ﷺ: «**أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ كُلُّهَا شَافٍ كَافٍ**»[(١)]. فلا معنى لطعن الملحدين في هذا الوجه؛ لأنَّهم ذهبوا من الاختلاف إلى التناقض، فلن يجدوا ذلك بحمد الله.

وليس بمستحيل أن ينزل الحكيم كلامًا يأمر بحفظه ودرسه، ويبيح في قراءته الوجوهَ /١٦٥/ الصحيحة.

وتفسير قول النبيِّ ﷺ: «**أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ**» قال بعض أهل العلم بالقرآن: ذهب إلى أنَّ سبعة الأحرف: وعدٌ، ووعيد، وحرام، وحلال، ومواعظ، وأمثال، واحتجاج. وقال بعضهم: حلال، وحرام، وأمر، ونهي، وخبر ما كان قبلُ، وخبر ما كان[(٢)] بعدُ، وأمثال. وقال قوم: هي سبعة أوجه

---

(١) رواه الربيع بن حبيب، بَابٌ فِي ذِكْرِ الْقُرْآنِ، ر١٤، ٢٨/١. النسائي: السنن، كتاب الافتتاح، باب جامع ما جاء في القرآن، ر٩٤٠، ١٥٣/٢. وورد بدون زيادة: «كلُّها شاف كاف». في البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، ر٤٧٠٦، ١٩٠٩/٤. مسلم في كِتَاب صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، باب بيان أنَّ القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه، ر٨١٨، ٥٦٠/١.

(٢) في (د): + «كائن».



من اللغات متفرِّقة في القرآن؛ لأنَّه لا يوجد فيه حرف قرئ على سبعة أحرف. وقال بعضهم: هي سبع لغات في الكلمة.

وقد تكلَّم أهل العلم في هذا المعنى وأكثروا، وبيَّنوا معاني قولهم بالاحتجاج الصحيح، وهو معروف في آثارهم، وكلٌّ قد قال فيه بما يحتمل جوازه، ألا ترى أنَّ الألفاظ قد تختلف، ولا يختلف المعنى لاختلاف الألفاظ. والاختلاف فرعان: اختلاف تغاير واختلاف تضادٍّ لا يجوز، وليست واحدةٌ ـ والحمد لله ـ في شيء من كتاب الله تعالى، إلَّا في الأمر والنهي من الناسخ والمنسوخ. واختلافُ التغاير جائز، [من] ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ﴾ (يوسف: ٤٥) بضمِّ الألف والتشديد، أي: بعد حين، و«بَعْدَ أَمَهٍ» بفتح الألف والتخفيف، أي: بعد نسيان[1]، وأشباهٌ لهذا كثير.

في الناسخ والمنسوخ

[معنى النسخ]:

النسخ على ثلاثة أوجه: وجهان منها مفهومان عند العامَّة.

فأحدهما: انتساخ الشيء من كتاب كان قبله إلى كتاب آخر.

والآخر: نسخ الشيء وتحويله.

والثالث: أن يُحصَى الشيءُ على عامله، نحو قوله ﷻ: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ (الجاثية: ٢٩) يريد ـ والله أعلم ـ: إنَّا كنَّا نحصيه عليكم. فأمَّا انتساخ الكتاب من كتاب كان قبله إلى كتاب آخر بعده، فقد أخبرنا الله تعالى ﷻ أنَّ القرآن في لوح محفوظ بقوله تعالى:

(١) انظر: الماوردي: النكت والعيون، ٢/٢٦٣ (ش).

﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ (البروج: ٢١ ـ ٢٢)، وبقوله ﷿: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ (الرعد: ٣٩)، وإذا كان القرآن في أمِّ الكتاب، ثُمَّ أنزله على محمَّد ﷺ فإنَّما أنزل نسخة ما في ذلك اللوح المحفوظ، وذلك عند الله في موضعه.

وقد روي عن النبيِّ ﷺ أنَّه ذكر يومًا حديث أوان نسخ القرآن، فقال رجل كالأعرابيِّ: يا رسول الله، ما يُنسَخ أو كيف يُنسَخ؟ فقال ﵇: «**يُذهَب بأهله ويبقى رجال كأنَّهم النعام**»[(١)]، يعني: جلَّة الطير[(٢)].

قال الله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا ...﴾ الآية[(٣)]، يعني خيرًا /١٦٦/ منها لكم، أو مثلها في العمل والفضل. أو نَنْسَاهَا[(٤)] فنتركها على حالها، والله أعلم. وقال قوم: أو نُنسِهَا فلا تُقرأ على وجه الدهر، أي: ننهى عن قراءتها فلا تُقرأ حتَّى تُنسى.

---

(١) رواه الربيع، بلفظ: «كَأَنَّهُمُ الْبُغَاثُ». بَابٌ فِي ذِكْرِ الْقُرْآنِ، ر١٣، ٢٧/١. وابن المبارك، بلفظ: «النعام»، الزهد، ر٨٠٤، ص٢٧٧.

(٢) كذا في النسختين. ولم أجد فيما بين يديَّ من المصادر هذا الشرح. والإمام الربيع شَرَحَ «البُغَاث» بأنها: أَرْذَلَةُ الطَّيْرِ. وفي نسخة القطب: «أذلَّة الطَّيرِ». انظر: المصدر السابق.

(٣) البقرة: ١٠٦. وتمامها: ﴿...نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

(٤) ليس من النسيان، وإنما كما قال الآلوسيُّ: «وقرأ عمرو وابن عباس والنخعي وأبو عمرو وابن كثير وكثير: نَنسَأْها، بفتح نون المضارعة والسين وسكون الهمزة وطائفة كذلك إلَّا أنَّه بالألف من غير همز، ولم يحذفها للجازم؛ لأنَّ أصلها الهمزة، من نسأ بمعنى: أخَّر، والمعنى في المشهور: نؤخرها في اللوح المحفوظ فلا ننزلها، أو نبعدها عن الذهن بحيث لا يُتذكر معناها ولا لفظها، وهو معنى نُنسِهَا فتتَّحد القراءتان». انظر: الآلوسي: روح المعاني، ٣٥٢/١.

فصل: [لا نسخ في الأخبار]

النســخ لا يقع إلَّا في الأمر والنهي، ولا[١] يجــوز ذلك في الخبر؛ لأنَّه لا يجوز أن يقول الصــادق ـ جلَّ ذكره ـ لشــيء: إنَّه يكون، ثُــمَّ يقول: إنَّه لا يكون. وكذلك في الماضي؛ لأنَّ هذا ما لا يجوز على الله سبحانه وتعالى. والأخبار ثابتة بهيئتها، والنســخ لها غير جائز عليها؛ لأنَّ الحكيــم لا يُخبِر إلَّا وهو عالم بما أَخبَــر عنه وعلى المخبر بــه منه. فمخبَــرات الله تعالى صحيحة، وأخباره صادقة فصيحة. ولاستحالة البدوات[٢]، مع علم العواقب، كان الوعد والوعيد من الله تعالى واجبًا كذلك.

والناسخ: ما قام حجَّته في المأمور به والمنهيِّ عنه، فقيام حجَّة منسوخه قبل ناســخه؛ لأنَّ الحكيم من صفته تعالى أن لا يُلزِم أمرَه إلَّا بحجة يَقطع بها عذرَ المأمور به. ولا حجَّة على الله تعالى لخلقه.

وقال جابر بن زيد: من زعم أنَّ الوعيد منسوخ بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ (النساء: ٤٨، ١١٦) فقد كذب؛ لأنَّ الناســخ والمنســوخ في الأمر والنهي: أن يأمر عباده بأمر ثُمَّ يخفِّف عنهم، أو ينهى عن أمر ثُمَّ يرخِّص لهم فيه. فالله عز وجل لم ينسخ الأخبار وإنَّما نسخ الأحكام.

[إمكانيَّة النسخ في الأحكام]:

واختُلف في هذا الباب اختلافًا كثيرًا:

- قال قوم: إنَّ المنسوخ ما رفع تلاوته وتنـزيله كما رفع العمل به.
- وقال آخرون: إنَّ النسخ لا يقع في قرآن قد تُلِيَ، وَحَكَمَ بتأويله النبيُّ ﷺ،

(١) في (ز): «ولن».
(٢) في النسخ: «البدوان».

ولكن ما أنزل الله تعالى منه في حكمه من التفسير الذي أزاح عنهم ما قد كان يجوز أن يمتحنهم به من الأمور العظام، والأمور الشداد التي تعبَّد بها مَن كان قبلَهم من الأمم. وهرب هؤلاء من أن يقولوا: إنَّ الله تعالى ينسخ شيئًا بعد نزوله والعمل به، وزعموا أنَّ مَن وَصَفَهُ تعالى بذلك فقد وَصَفَه بالبداء.

ـ وقال آخرون: إنَّما الناسخ والمنسوخ هو نسخ القرآن من اللوح الملحوظ الذي هو أمُّ الكتاب، والنسخ لا يكون من أصل.

ـ وقال آخرون: بل يجوز أن يَنسخَ قرآنًا أنزله، بأن يبدِّل به آية أخرى بضدِّ ما نزلت به الأولى، فتتلى الآية كما كانت تتلى، ويكون العمل على الأخرى. وقد يجوز أن يرفع الله تعالى تلاوةَ الأولى كما رَفَعَ /١٦٧/ العملَ بها.

[النَّسْخ بين القرآن والسُّنَّة]:

واختلفوا في وجه آخر:

ـ قال قوم: لا يُنسخ القرآنُ إلَّا بقرآن مثله.

ـ وقال آخرون: بل السُّنَّةُ تَنسخ القرآنَ، والقرآن لا يَنسخ السنَّة.

ـ وقال آخرون: بل السُّنَّة إذا كانت من طريق الوحي، وإن لم يكن ما أُوحِيَ به فيها قرآنًا فإنَّها تَنسخ القرآنَ، وإذا كانت على طريق الاجتهاد والرأي فإنَّها لا تَنسخ. بل لم يكن النبيُّ ﷺ ليجتهد في أمر فيحكم بخلاف ما في القرآن.

قالوا: والقرآن يَنسخ السُّنَّة عن أمر الله أو باجتهاد من النبيِّ ﷺ، وهو التفسير من السُّنَّة، إنَّما يحتاج إليه من يُجيز الاجتهاد، فأمَّا من أبى ذلك فإنَّ السُّنَّة عنده لا تكون إلَّا بأمر الله جلَّ ذكره؛ والسُّنَّة عنده تَنسخ القرآنَ، والقرآنُ يَنسخ السُّنَّة.

قال أبو محمَّد رَحِمَهُ اللهُ: والنظر يوجب أنَّ القرآن والسُّنَّة حُكْمَانِ لله تعالى، يُنسخ كلُّ واحد منهما بالآخر، ويدلُّ على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ (النجم: ٣ ـ ٤) فأخبر جلَّ ذكره أنَّ الكلَّ من عنده وبأمره.

[النسخ بين المتقدِّم والمتأخِّر]:

واختلفوا في ذلك من جوه أُخَر:

ـ فزعم قوم أنَّ[١] الآيتين إذا أوجبتا حكمين مختلفين، وكانت إحداهما متقدِّمة للأخرى، فالمتأخِّرة ناسخة للأولى، كقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ (البقرة: ١٨٠) نَسَخَه قولُه عَزَّ وَجَلَّ بعد ذلك: ﴿وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ﴾ (النساء: ١١)، وقال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ﴾ (النساء: ١١) فالآخرة ناسخة للأولى، ولن يجوز أن تكون لهما الوصيَّة والميراث.

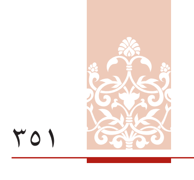
ـ وقال آخرون: بل ذلك جائز، وليس في الآيتين ناسخ ولا منسوخ، وإنَّما نسخ الوصيَّة للوارث بسُنَّة رسول الله ﷺ. قالوا: فالناسخ لا يكون إلَّا ما يجوز اجتماعُه والمنسوخ، فلا يحكم بهما في حال واحدة على إنسان واحد.

والنظر يوجب عندي أنَّ الوصية للوالدين والأقربين غير منسوخة، وقول النبيِّ ﷺ: «**لَا وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ**»[٢] ليس بنسخ لها، وإنَّما هو بيان لحكمها؛ لأنَّه من ليس بوارث من والدين وأقربين فالوصيَّة لهم واجبة. ومن لم يقل: إنَّها

---

(١) في النسخ: «قوم إلا الآيتين». ولا معنى للاستثناء هنا.

(٢) رواه الربيع، في كِتَاب الأَيْمَانِ وَالنُّذُورِ، بَابُ الْوَصِيَّةِ، ر٦٧٦، ٢٦٤/٢. الترمذي: السنن، كتاب الوصايا، باب ما جاء لَا وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ، ر٢١٢٠، ٢١٢١، ٤٣٣/٤ ـ ٤٣٤.



واجبة، فعنده أنَّها جائزة. فهذا يدلُّ على أنَّ النبيَّ ﷺ بيَّن أنَّ الوصيَّة لا تجب لمن كان وارثًا، والله أعلم.

[مذاهب الناس في النسخ]:

واختلفوا في ذلك من وجه آخر:

- قال قوم: الناسخ والمنسوخ قد يكون في وصف الله تعالى والثناء عليه، وفيما ليس بأمر ولا نهي من الخبر وغيره.

- /١٦٨/ وقال قوم مِمَّن لا يلتفت إلى قولهم، إلَّا أنَّهم على حال ينسبون إلى أهل القبلة: إنَّ الأئمَّة المنصوص عليها مفوَّض إليها بزعمهم نسخ القرآن وتبديله.

- وتجاوز بعض وأفرط حتَّى خرج من الدين بقوله: إن النسخ يجوز على سبيل البداء، وهو أن يأمر الله بالشيء وهو لا يريد في وقت أمره أن يغيِّره ولا يبدِّله، ثُمَّ يبدو له فيغيِّر ذلك ويبدِّله وينسخه جلَّ ذكره، فتعالى الله عمَّا قالوا. وعندهم أنَّه[1] لا يعلم الشيء حتَّى يكون إلَّا[2] ما يقدِّره فيعلمه على تقديره.

- وزعم قوم مِمَّن يدعي علم القرآن: أنَّ ما نزل بالمدينة ناسخ لِمَا نزل بمكَّة، وهذا غلط عندي كما[3] ذكرنا من أنَّ النسخ لا يكون إلَّا في الأمر والنهي؛ لأنَّه قد يجوز أن يكون ما نزل بمكَّة ناسخا ما تقدَّمه في النزول بها، كذلك القول فيما نزل بالمدينة.

---

(١) في (ز): - «أنه».
(٢) كذا في النسختين، ويبدو أنَّ الصواب حذف «إلَّا».
(٣) في (د): «لِمَا».



وعلى هذه الأقاويل واختلافها احتجاجات تركتها[١] للاختصار[٢].

ـ والذي عليه جُلُّ فقهاء أصحابنا أنَّ القرآن ينسخ القرآن، ويُنسخ بالسُّنَّة، كما أنَّ السُّنَّة تُنسخ بالسُّنَّة. وقد وجدت لبعض أصحابنا أنَّ السُّنَّة لا تَنسخُ القرآنَ، ولعلَّ هذا مذهب البصريِّين، وحجَّة هؤلاء أنَّ القرآن لا يُعلم نسخه إلَّا بخبر من الله تعالى ﷻ، أو الرسول ﷺ، أو يقوم إجماع الأمَّة على النسخ، أو تقوم دلالة من نفس الخطاب؛ ولم تقم دلالة من هذه الوجوه.

والحجَّة لمن أجاز نسخ القرآن بالسُّنَّة أنَّ القرآنَ حُكْمُ الله تعالى، والسُّنَّة حُكْمُهُ، يُنسخ أحدهما بالآخر. واحتجُّوا بقوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ (النجم: ٣ ـ ٤)، فالكتاب دلَّ على أنَّه يُخبِر عن الله جلَّ ذكره، فهو يَنسَخُ أحكامَه بعضَها[٣] ببعض؛ مرَّة بالكتاب، ومرَّة على لسان رسوله ﷺ. والله أعلم بالأعدل من القولين[٤].

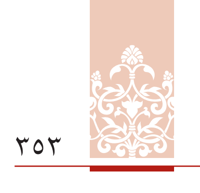
فصل: [معنى النسخ لغة واصطلاحًا]

أصل النسخ في اللغة: هو النقل، نَسَخَ الكتابَ: إذا نَقَلَ ما فيه إلى كتاب آخر.

وكان المنسوخ من القرآن هو: ما نقل حكمه من آية إلى آية، فصارت الأولى منسوخة والأخرى[٥] ناسخة، فالمنسوخة مفعول بها، والناسخة

---

(١) في النسخ: «هي كنُها». وكتب ناسخ (ز) في الهامش: «لعله: تركتها». وهو ما اعتمدناه.
(٢) انظر: ابن بركة: الجامع، ١/١٧ (نق).
(٣) في النسخ: «بعضه».
(٤) انظر: ابن بركة: الجامع، ١/٢٧ (نق).
(٥) في (ز): «والآخرة».



الفاعلة؛ لأنَّ الآية ناقلة للحكم إلى نفسها. وقال السيِّد ابن محمَّد[١] في بني هاشم:

ولم تزالوا بعين الله ينسخكم   في مستكنَّات أصلاب الأبرِّينا[٢]

«ينسخكم» معناه: ينقلكم من صلب إلى صلب. ومنه قيل لقوم: «هم أصحاب التناسخ»؛ لأنَّهم زعموا أنَّ الأرواح تنقل من جسم إلى جسم، فهذا هو التناسخ.

[أنواع النسخ وحكم العمل فيه]

وعن /١٦٩/ بعض الهاشميِّين أنَّ الناسخ والمنسوخ على ضربين:

- منسوخ هو مفسوخ، وهو ما كان عليه أهل الجاهليَّة، مثل الجمع بين الأختين، ونكاح نساء[٣] الآباء وغير ذلك، نزل القرآن بتحريمه ونسخه، فهو منسوخ لا يجوز العمل به[٤].

- ومنسوخ على جهة التخفيف مثل قوله تعالى: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ (آل عمران: ١٠٢)، فهو منسوخ بقوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ (التغابن: ١٦)، فمن اتَّقى الله حقَّ تقاته فهو جائز له، وما أشبهه فهو مثله.

---

(١) أبو هاشم أو أبو عامر، إسماعيل بن محمَّد بن يزيد الحميري (ت: ١٧٣هـ): شاعر إماميٌّ من أكثر الناس شعرًا، غير أنَّهم انصرفوا عن رواية شعره لإفراطه في النيل من بعض الصحابة وأزواج النبيِّ ﷺ، وتعصُّبِه الشديد لبني هاشم. ولد بالشام ونشأ بالبصرة ومات في بغداد. له ديوان مطبوع. انظر: الزركلي: الأعلام، ١/٣٢٢.

(٢) البيت من البسيط، من قصيدة مطلعها:

أقول لَمَّا رأيتُ الناس قد ذَهبوا   في كلِّ فنٍّ بلا علمٍ يَتيهونا

انظر: ديوان السيد الحميري في الموسوعة الشعريَّة.

(٣) في (د): «نسل».

(٤) في (ز): «لا يعمل به».

والمسلمون يعملون بالمحكم الناسخ، ويؤمنون بالمنسوخ ولا يعملون به، و﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ (آل عمران: ٧).

ومن كان على ناسخ من القرآن أو السُّنَّة، ثُمَّ نُسخ ولم يعلم؛ فهو على ما كان عليه من التعبُّد حتَّى يقوم له الدليل أنَّه منسوخ.

وعن بعض قومنا، وهو الحسن بن محمَّد الحدي[1]: النسخ هو النهي عن امتثال ما ورد الأمر به، أو الأمر بامتثال ما ورد النهي عنه.

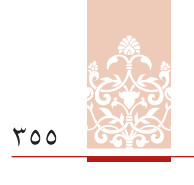
وقيل: التخصيص بيان الأعيان، والنسخ بيان الأزمان.

ما نسخ من البقرة:

ـ أوَّل ما نسخ فيما يُذكر من أمر[2] القبلة، كان النبيُّ ﷺ يصلِّي هو وأصحابه قِبَلَ الكعبة ركعتين بالغداة وركعتين بالعشيِّ، فلمَّا عُرج به إلى السماء وهو بمكَّة أُمر بالصلوات الخمس، وكان يستقبل الكعبة ووجهه نحو بيت المقدس، وذلك قبل مخرجه بسنتين، فصارتا الركعتان للمسافر، وصار للمقيم أربع ركعات. فلمَّا هاجر ﷺ إلى المدينة لليلتين خلتا من شهر ربيع الأوَّل أمر الله تعالى نبيَّه ﷺ أن يصلِّي نحو بيت المقدس لئلَّا يكذِّبه أهل الكتاب إذا صلَّى [إلى] قبلتهم، مع ما يجدون من نعته في التوراة، فصلَّى ﷺ وأصحابه أوَّل مَقْدَمِهِ إلى المدينة نحو بيت المقدس سبعة عشر شهرًا، وصلَّت الأنصار سنتين قبل هجرته ﷺ،

(١) لم أتمكن من تحديده مِمَّا بين يديَّ من المصادر. وسيأتي ذكره باسم: الحسن بن محمَّد الحلاي، ولعله يقصد: الحسن بن أحمد بن محمد الجلابي البغدادي (ت:٣٧٥هـ) وسيذكره أيضًا في الجزء الثالث، ص٣٤.

(٢) في (د): «فيما ذكر أمر».



وذلك قوله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ...﴾ الآيــة[١]، فصارت الكعبة أحبَّ القبلتين إليه ﷺ، فنَســخَ القبلــةَ الأولى [قوله تعالــى]: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا﴾ (البقــرة: ١٤٤) فصارت القبلة إلى بيت المقدس منســوخة بهذه الآيــة، ونزلت في رجب، قبــل قتال بدر بشهرين، وصارت الكعبة قبلة المسلمين إلى يوم تقوم الساعة.

- وقــال تعالــى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ...﴾ إلى قوله ﷻ: ﴿... فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ (البقــرة: ١٠٩) نســختها /١٧٠/ الآية التي في براءة: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ...﴾ الآية[٢].

وقيل: كلُّ شــيء فــي القــرآن: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ (الصافَّات: ١٧٤. الذاريات: ٥٤)، ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ (الســجدة: ٣٠)، ﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ﴾ (الزخــرف: ٨٩)، ﴿فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ (النساء: ٨٠. الشورى: ٤٨)[٣]، و﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ (الغاشية: ٢٢) و﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ (قٓ: ٤٥)، و﴿وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ (الأنعــام: ١٠٧)، وكلُّ ما أشبه هذا فهو منسوخ نسخته آية السيف في براءة: ﴿فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ (التوبــة: ٥). وقال ابن عبَّاس: نَســخَ نَقْــضَ المواثيقِ كلِّها سورةُ براءة.

وكل شيء في القرآن ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (الأنعام: ١٥. الزمر: ١٣) نســخه الآيــةُ التي في الفتــح: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ (الفتح: ٢).

---

(١) البقرة: ١١٥. وتمامها: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

(٢) التوبة: ٢٩. وتمامها: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾.

(٣) في النسخ: «وما أنت عليهم بحفيظ». ولكن لا توجد آية بهذه الصيغة.

ـ وقال الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ ﴾ (البقرة: ١٨٣) نزلت قبل قتال بدر بشهرين، يعني: فُرض عليكم كما فرض على أهل الإنجيل أمّة عيسى ﷺ، وكان الصوم الأوَّل من صلَّى العشاء الآخرة حَرُم عليه ما يحرم على الصائم بالنهار إلى مثلها من القابلة بعد غروب الشمس، فاشتدَّ ذلك الصوم على المسلمين، فَنَسَخَ ذلك ﴿ أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡ... ﴾ الآية[١].

ونزلت الرخصة في الجماع بعد الصلاة وبعد النوم في عمر بن الخطاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ونزلت الرخصة في الطعام والشراب بعد الصلاة وبعد النوم في صرمة بن أنس الأنصاري[٢]، وذلك أنَّ عمر جامع أهله بعد صلاة العشاء، فلمَّا فرغ ندم وبكى، فلمَّا أصبح أتى النبيَّ ﷺ فأخبره وقال: يا رسول الله، إنِّي أعتذر إليك من نفسي هذه الخاطئة، واقعت أهلي بعد الصلاة، فهل تجد لي من رخصة؟ قال: «**لم تكن جديرًا بذلك يا عمر**»، فرجع عمر حزينًا[٣].

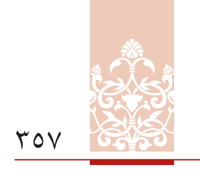
وأتى النبيَّ ﷺ صرمة بن أنس عند المساء قد أجهده الصوم، فقال:

---

(١) البقرة: ١٨٧. وتمام الآية: ﴿... هُنَّ لِبَاسٞ لَّكُمۡ وَأَنتُمۡ لِبَاسٞ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَخۡتَانُونَ أَنفُسَكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ وَعَفَا عَنكُمۡۖ فَٱلۡـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبۡتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِ... ﴾.

(٢) ورد في البخاري والترمذي باسم: قيس بن صرمة (ينظر أدناه). قال ابن حجر: «أبو قيس صرمة بن أنس بن قيس بن مالك عاش نحوًا من عشرين ومائة سنة، وأدرك الإسلام وهو شيخ كبير». ابن حجر: الإصابة، ٤٢٢/٣.
ولابن حجر في الفتح كلام في تحديد اسمه. انظر: فتح الباري، ١٣٠/٤.

(٣) انظر: أبو داود: السنن، كتاب الصلاة، باب كيف الأذان، ر٥٠٦، ١٣٩/١.



يا أبا قيس ما لك أمسيت طَلِيحًا؟[(١)] قال: يا رسول الله ظللت نهاري أمس في حديقتي، فلمَّا أمسيت أتيت أهلي، فأرادت المرأة أن تطعمني شيئًا سخنًا، فأبطأت عليَّ بالطعام، فأيقظتني وقد حرم عليَّ الطعام، فأمسيت وقد جهدني الصوم[(٢)].

واعترف رجال من المسلمين بما كانوا يصنعون بعد صلاة العشاء وبعد النوم، فقالوا للنبيِّ ﷺ: ما توبتنا ومخرجنا مِمَّا صنعنا؟ فأنزل الله ﷻ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ فأَعْلِمْهم يا محمَّد، أنِّي قريب منهم في الاستجابة، ﴿فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى﴾ بالطاعة، /١٧١/ ﴿وَلْيُؤْمِنُواْ بِى﴾ وليصدِّقوا أنِّي قريب أجيبهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة: ١٨٦)، أي: يهتدون. ثُمَّ نزلت في عمر: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ...﴾ الآية. وأنزل في صرمة بن أنس: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ...﴾ الآية[(٣)]. فصار ما كان محرَّمًا من الطعام والشراب والجماع بعد صلاة العشاء وبعد النوم محلَّلًا لهم الليلَ كلَّه.

- وأتى لبيد من بني عبد الأشهل الأنصاريُّ[(٤)] رسول الله ﷺ فقال:

---

(١) الطَّليح هو الذي أُجهِد بالصوم أو السير، أو نحو ذلك. انظر: ابن منظور: اللسان، مادَّة: «طلح»، ٥٣١/٢.
وما ورد من روايات لم أجد فيها هذا اللفظ إلَّا ما عند الطبري في جامع البيان، ١٦٧/٢.

(٢) انظر: البخاري في كتاب الصوم، باب قوله جلَّ ذكره: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾، ر١٨١٦، ٦٧٦/٢. الترمذي: السنن، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة البقرة، ر٢٩٦٨، ٢١٠/٥.

(٣) تقدَّم تمام المقطعين من الآية أعلاه.

(٤) لبيد بن عقبة بن رافع بن امرئ آلاف، ويقال: لبيد بن رافع، الأنصاري الأشهلي من بني عبد الأشهل، وهو والد محمود بن لبيد. ثمَّ انقرض عقبه. انظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٣٦٤/٤. ابن عبد البر: الاستيعاب، ر٢٢٣٦، ١٣٣٩/٣.

يا رسول الله، ما عَلَى مَن عَجَزَ عن الصوم؟ وكان شيخا قد كبر، فنزلت: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖ﴾ لرجل نصف صاع من حنطة كلَّ يوم، ثُمَّ قال تعالى: ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ﴾ فزاد على مسكين واحدًا فأطعم مسكينين أو ثلاثة مكان يوم فهو خير له من أن يطعم مسكينًا واحدًا، ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ من الطعام ﴿إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ (البقرة: ١٨٤)، فكان هذا في الصوم الأوَّل، كانوا بالخيار من إطعام[1] المسكين أو الصوم، ثُمَّ حولهم عن الخيار وأثبت الصوم على من يطيق الصوم وليس بمريض، وشهد شهر رمضان في أهله، فصارت فدية طعام مسكين منسوخة نسختها ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُ﴾ (البقرة: ١٨٥) فأوجب الصوم على من يطيقه وشهد شهر رمضان في أهله، وثبتت الرخصة للمريض والمسافر، فقال: ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ﴾ فلم يصم، فإذا برئ المريض من مرضه، ورجع المسافر من سفره [﴿فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾] فليصم عدَّة من أيَّام أخر.

ـ وقال الله ﷻ: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ (البقرة: ٢١٥، ٢١٩) نزلت هذه الآية قبل أن تنزل الزكاة، فصارت منسوخة نسختها آية الصدقات في براءة: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ﴾ يقول: زكاة الأموال المفروضة، ﴿لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ ...﴾ الآية[2].

---

(١) في (ز): «الطعام».

(٢) التوبة: ٦٠. وتمامها: ﴿... وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾.



ـ وقال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ...﴾ الآية[1]، فأمَّا المنافع: فالتجارة والفضل الذي يقيمه[2] المقامر في الميسر، فذمَّهما ولم يحرِّمهما، وكان المسلمون يشربونها، ثُمَّ نسختها ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ...﴾، فصار كلُّ آية من المسكر والخمر منسوخةً بهاتين الآيتين[3] في المائدة.

ـ وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَـٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾ (البقرة: ٢٢١) فكنَّ حرامًا كلُّهنَّ على كلِّ مسلم، واستثنى منهنَّ نساء أهل الكتاب، وثبت تحريم المشركات من غير أهل الكتاب.

ـ وقال الله عَزَّ وَجَلَّ: /١٧٢/ ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ...﴾ الآية[4]، فصارت منسوخة بالآية التي بعدها: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، فقال النبيُّ ﷺ ـ فيما زعموا ـ عند ذلك: «**إنَّ الله تجاوز عن أمَّتي ما حدَّثوا به أنفسهم ما لم يعملوا أو يتكلَّموا به**»[5].

---

(١) البقرة: ٢١٩. وتمامها: ﴿... قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾.

(٢) كذا في النسختين، لعلَّ الصواب: «يغنمه».

(٣) المائدة: ٩٠ ـ ٩١. وهما: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۞ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾.

(٤) البقرة: ٢٨٤. وتمامها: ﴿... فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

(٥) روي بنحو هذا اللفظ عند البخاري في كتاب الطلاق، باب الطلاق في الإغلاق والكره والسكران والمجنون، ر٤٩٦٨، ٥/٢٠٢٠. والنسائي: السنن، كتاب الطلاق، باب من طلَّق في نفسه، ر٣٤٣٣، ٦/١٥٦.

ومن آل عمران:

ـ قولُـه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ (آل عمران: ١٠٢) و﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾: أن يُطاع فلا يُعصى، ويُذكر فلا يُنسى، ويُشكر فلا يُكفر. وقال تعالى في سورة الحجِّ: ﴿وَجَـٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ (الحجّ: ٧٨) فاشتدَّ ذلك على المسلمين، ثُمَّ صارتا منسوختين بالآية التي في التغابن: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾، أي: أطقتم. الآية[١]...

ومن النساء:

ـ قوله ﷻ: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ﴾ (النساء: ٨) وذلك في قسمة المواريث، هو الأقرباء من ليس له نصيب في الميراث، نسختها آية الميراث. وعن ابن عبَّاس: أنَّها محكمة وليست منسوخة.

ـ وقال تعالى: ﴿وَٱلَّـٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ ...﴾ الآية[٢] نسختها الآية في سورة النور: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى...﴾[٣]. وزعموا أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**الله أكبر الله أكبر! جاء الله بالسبيل**» ثلاث مرَّات[٤].

ـ وقال تعالى: ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ (النساء: ٢٤) وهذا أمر المتعة، فصارت منسوخة بآية الطلاق والمواريث.

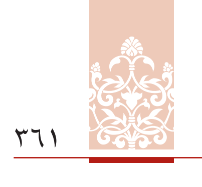
---

(١) التغابن: ١٦. وتمامها: ﴿وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

(٢) النساء: ١٥. وتمامها: ﴿فَٱسْتَشْهِدُواْ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾.

(٣) النور: ٢. وتمامها: ﴿فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ...﴾.

(٤) لم أجده بهذا اللفظ فيما بين يديَّ من مصادر، غير تفسير مقاتل، ولكن بزيادة ودون تكرار «الله أكبر»، ولا تكرار الثلاث. تفسير مقاتل، ٣٠٠/١ (ش).



ومن قال: إن[١] السُّنَّة تنسخ الكتاب يقول: نسخها قول النبيِّ ﷺ: «لا نكاح إلَّا بوليٍّ وشاهدين»[٢].

ـ وقال تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ (النساء: ٣٣) فصارت منسوخة بالآية التي في آخر الأنفال بعد غزوة الأحزاب: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ...﴾ الآية[٣].

ومن المائدة:

ـ قوله ﷻ: ﴿لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ لا تحلُّوا أمر المناسك ﴿وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾: لا تستحلُّوا فيه القتال، ﴿وَلَا الْهَدْيَ﴾: ولا تستحلُّوا أخذه، ﴿وَلَا الْقَلَائِدَ﴾: ولا تخيفوا من قلَّد بعيرا، ﴿وَلَا﴾ تستحلُّوا قتل ﴿آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ من حجَّاج مشركي العرب، يعني: شريحًا[٤] وأصحابه، ﴿يَبْتَغُونَ﴾ بتجارتهم ﴿فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ﴾ (المائدة: ٢) رزقًا في التجارة. ثُمَّ صارت هذه الآية منسوخة بآية السيف في براءة. قال أبو ميسرة[٥]: ليس في المائدة نسخ. وقيل

---

(١) في (د): «بأن».

(٢) الطبراني: المعجم الأوسط، ر٤٢١٨، ٦٩٢٧، ٢٨٦/٤؛ ٨٥/٧. المعجم الكبير، ر١١٣٤٣، ١٥٥/١١.

(٣) الأنفال: ٧٥. وتمامها: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

(٤) هو: شريح بن ضبيعة بن شرحبيل بن عمر بن جرثوم البكري، وقد أورد مقاتل بن سليمان قصَّته في تفسيره، وخلاصتها أنَّ شريحًا كان من المشركين، مع حجَّاج بكر بن وائل، قد خرجوا معتمرين آمِّين البيت الحرام، معهم الهدي والقلائد. فاستأذن المسلمون النبيَّ ﷺ في الإغارة على شريح كما أغار عليهم من قبلُ، فنزلت الآية. انظر: مقاتل: التفسير، ٣٧٧/١ (ش).

(٥) أبو ميسرة، عمر بن شرحبيل الهمداني الكوفي: حدَّث عن عمر وعلي وابن مسعود وغيرهم وكان إمام مسجد بني وادعة، من العبَّاد الأولياء حدَّث عنه أبو وائل والشعبي. عُرف بالسخاء والزهد. مات في ولاية عبيد الله بن زياد. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ١٣٥/٤ ـ ١٣٦. =



للحسن[1]: [هل] نُسخ في المائدة شيء؟ قال: لا. وقد وجدت فيها آيات منسوخة؛ فالله أعلم.

ومن الأنعام:

ـ كلُّ ما في الأنعام من العفو والإمساك /١٧٣/ عن المشركين فهو منسوخ بآية السيف في براءة.

ـ وقوله تعالى: ﴿كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ (الأنعام: ١٤١) فكان المسلمون يعطون الزكاة من ثمارهم شيئًا غير معروف، فنسختها آية الصدقات في براءة.

ومن الأعراف:

قوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾: فأمر الله تعالى نبيّه ﷺ أن يأخذ الصدقة من فضل أموالهم، قال: خذ ما أعطوا من فضل أموالهم ﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ وأمرهم بالمعروف، ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ (الأعراف: ١٩٩)، وهو عدوُّ الله الذي جهل على النبيِّ ﷺ بمكَّة. فنسخت آيةُ الصدقاتِ التي في براءة العفْوَ الذي ذكر الله تعالى. ونسخت آيةُ السيف في براءة الإعراضَ عن المشركين.

= ولعلَّه يقصد ابن ميسرة، وهو: أبو الوليد هشام بن عمَّار بن نصير السلمي (ت: ٢٤٥هـ): قاض، من قرَّاء دمشق المشهورين. عالم وخطيب فصيح ومقرئ ومحدِّث. له كتاب «فضائل القرآن». انظر: الزركلي: الأعلام، ٨/٨٧.

(١) الحسن بن يسار البصري (ت: ١١٠هـ)، وقد تقدَّمت ترجمته.



ومن الأنفال:

ـ قولــه ﷻ: ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥ ... ﴾ الآية(٢)، إنَّما كان ذلك يومَ(٣) بدر وحده، ثُمَّ نُسخت، نسختها ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ... ﴾ الآية(٤).

ـ وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ... ﴾ الآية(٥)، وهو أوَّل قتال. كان النبيُّ ﷺ بمكَّة فلم يطق المؤمنــون [أن] يقاتل الرجلُ الواحدُ من المؤمنين عشرةً من المشــركين، فصارت منسوخةً، نَسختها ﴿ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ ... ﴾ الآية(٦).

ومن براءة:

لَمَّا أســلمت العرب طوعًا وكرهًا صارت آية السيف منسوخة، نسختها الآية التي في البقرة: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ﴾ بعد إســلام العرب... الآية(٧). فرفع السيف عن المشركين إذا أقرُّوا بالخراج(٨).

(٢) الأنفال: ١٦. وتمام الآية: ﴿ ... إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾.

(٣) في (د): «في يومِ».

(٤) آل عمران: ١٥٥. وتمامها: ﴿ ... إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾

(٥) الأنفال: ٦٥. وتمامها: ﴿ ... إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾.

(٦) الأنفال: ٦٦. وتمامها: ﴿ ... وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾.

(٧) البقرة: ٢٥٦. وتمامهـا: ﴿ ...قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾. فعجب في أن نسخ آية التوبة كل الآيات التي سبق أن ذكرها المؤلف في السور الطوال ثم يذكر هنا أن هذه الآية منسوخة أيضًا؟!! وهذا كلّهُ نتيجة التوسُّع في دعوى النسخ؟!

(٨) يقصد الجزية، كما في الآية السابق ذكرها.

ـ وقوله ﷻ: ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ (التوبة: ٤٣) فصارت ﴿ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾ منسوخةً بالآية التي في سورة النور: ﴿ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ ... ﴾ الآية[1].

ـ وقوله تعالى: ﴿ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ (التوبة: ٤٤ ـ ٤٥) فصارتا منسوختين، نسختهما التي في النور: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ (النور: ٦٢) نزلت في عمر رَحِمَهُ اللَّهُ.

ـ وقوله تعالى: ﴿ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (التوبة: ٣٩) نسختها الآية التي في آخر براءة: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً... ﴾ الآية[2].

ومن هود:

ـ قوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ﴾ من كان يريد بعمله الصالح ثواب الدنيا وزينتها، نزلت في المشركين، ﴿ نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا ﴾ (هود: ١٥) جزاء أعمالهم في الدنيا، ثُمَّ صارت منسوخة، نسختها: ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا ﴾ /١٧٤/ في الدنيا ﴿ مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ﴾ ثمَّ ردَّ المشيئة إلى نفسه، ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ ... ﴾ الآية[3].

---

(١) النور: ٦٢. وتمامها: ﴿ ... وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

(٢) التوبة: ١٢٢. وتمامها: ﴿ ... فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾.

(٣) الإسراء: ١٨. وتمامها: ﴿ ... يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴾.



ومن النحل:

- [قوله تعالى:] ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا﴾ (النحل: ٦٧) نزلت هذه الآية والخمر يومئذ حلال، ثُمَّ صارت آية السَّكَر منسوخة بالآية التي في المائدة: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ...﴾ الآية[1].

- وقوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ﴾ نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح ونفر معه، ثُمَّ استثنى فقال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ...﴾ الآية[2]، فصارت منسوخة نسختها ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟﴾ من بعد ما عذِّبوا بمكَّة، ﴿ثُمَّ جَٰهَدُوا۟﴾ العدوَّ بالمدينة ﴿وَصَبَرُوٓا۟﴾ على الهجرة ... الآية[3].

وإنَّما ارتدَّ عبد الله بن سعد عن الإسلام لأنَّه كان يكتب لرسول الله ﷺ، فإذا أملى عليه ﴿غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ كتب «عَلِيمٌ حَكِيمٌ»، وإذا أملى عليه ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ كتب «سَمِيعٌ بَصِيرٌ»، ونحوه، والنبي ﷺ ينظر إليه لا يغيِّره؛ لأنَّه ﷺ أمِّيٌّ لا يحسن الكتابة، فشكَّ عبد الله بن سعد في الإسلام، فقال: كتبت غير الذي قال فلم يغيِّر عليَّ، فأزلَّه[4] الشيطان فألحقه بالكفر، فأمر به النبيُّ ﷺ يوم فتح مكَّة أن يُقتل، فاستجار له عثمان بن عفَّان، وكان أخاه من الرضاعة، فأجاره النبيُّ ﷺ فلم يقتله.

---

(١) المائدة: ٩٠. وتمامها: ﴿... وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ...﴾.

(٢) النحل: ١٠٦. وتمامها: ﴿وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

(٣) النحل: ١١٠. وتمامها: ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

(٤) في النسخ: «فأزاله».

ومن سورة بني إسرائيل:

ـ قوله ﷻ: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا ...﴾ الآية[١]، نزلت في سعد بن أبي وقَّاص، وكان قد أسلم وأمُّه مشركة، قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾، ثُمَّ صارت ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا﴾ منسوخة إذا كان أبواه كافرين، نسختها الآية التي في براءة: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ﴾، أي: ما كان ينبغي للنبيِّ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ ...﴾ الآية[٢]، فلا ينبغينَّ لمسلم أن يستغفر لوالديه إذا كانا مشركين.

ـ وقولـه ﷻ: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ (الإسراء: ١١٠) بين الخفض والرفع، صارت منسوخة بالآية التي في الأعراف: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ ....﴾ الآية[٣].

ومن الأنبياء:

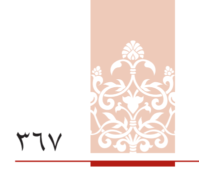
ـ ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ (الأنبيـاء: ٩٨) الآيـة، ثُمَّ اسـتثنى مِمَّـا يُعبَدُ هـؤلاء الأربعـةَ: الملائكة ومريم وعيسـى وعزيرا عليهم السلام، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ...﴾ الآية[٤].

(١) الإسـراء: ٢٣. وتمامها: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۝ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ ...﴾.

(٢) التوبة: ١١٣. وتمامها: ﴿... وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾.

(٣) الأعراف: ٢٠٥. وتمامها: ﴿... وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾.

(٤) الأنبياء: ١٠١. وتمامها: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾.



ومن العنكبوت:

- ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ /١٧٥/ لا تجادلوهم البتَّة، ثُمَّ استثنى فقال في التقديم: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾ (العنكبوت: ٤٦)، كفَّار اليهود تجادلونهم بالقرآن، نسختها آية السيف في براءة.

ومن الأحزاب:

- ﴿إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ ...﴾ الآية[١]، وكانت المتعة فريضة لكلِّ مطلَّقة، فصارت المتعة منسوخة إن كان فرض لها صداقًا، نسختها الآية التي في البقرة: ﴿وَإِن طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدۡ فَرَضۡتُمۡ لَهُنَّ فَرِيضَةٗ ...﴾[٢].

ومن الجاثية:

- ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾ (الجاثية: ١٤) نزلت في عمر بن الخطَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وذلك أنَّه كان بمكَّة، فشتمه رجل من المشركين، فهمَّ به عمر، فنزلت ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ...﴾: عمر ﴿يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ﴾: لا يخشون[٣] ﴿أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾: عقوبات الأمم الخالية، فصارت منسوخة بآية السيف في براءة: ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾ (التوبة: ٥).

---

(١) الأحزاب: ٤٩. وتمامها: ﴿فَمَا لَكُمۡ عَلَيۡهِنَّ مِنۡ عِدَّةٖ تَعۡتَدُّونَهَاۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا﴾.

(٢) البقرة: ٢٣٧. وتمامها: ﴿فَنِصۡفُ مَا فَرَضۡتُمۡ إِلَّآ أَن يَعۡفُونَ أَوۡ يَعۡفُوَاْ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

(٣) في (د): «يحسبون».



ومن الأحقاف:

ـ ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾ (الأحقاف: ٩) نزلت هذه الآية بمكَّة، ففرح كفَّار مكَّة فقالوا: واللَّات والعزَّى ما أَمْرُنَا وَأَمْرُهُ عند إِلَهِهِ الذي بعثه إلَّا واحد، ولولا أنَّه ابتدع هذا الأمر من هواه لكان الذي بعثه يخبره بما يفعل به وبمن اتَّبعه، كما فعل لسليمان وعيسى والحواريِّين وكيف أخبرهم بمصيرهم، فأمَّا محمَّد فلا علم له بما يفعل به ولا بنا، إنَّ هذا من الضلال كلَّ الضلال!. وشقَّ على المسلمين نزول هذه الآية، فقال أبو بكر وعمر رحمهما الله: ألا تخبرنا يا رسول الله ما الله فاعل بك وبنا؟ فقال ﷺ: «**ما أُحدِثَ إلَيَّ أمرٌ بعدُ**».

فلمَّا قدم النبيُّ ﷺ المدينة قال عبد الله بن أُبَيٍّ ـ رأس المنافقين ـ: كيف تتَّبعون رجلًا لا يدري ما يُفعل به ولا بمن اتَّبعه؟ هذا والله الضلال[1] المبين، فعلم الله ﷻ ما في قلوب المؤمنين من الحزن، وعلم فرح المشركين من أهل مكَّة والمنافقين من أهل المدينة، فبيَّن الله ﷻ للنبيِّ ﷺ ما يفعل به ومن اتَّبعه، فصارت قوله: ﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾ منسوخة، نسختها آية ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾: قضينا لك قضاء بيِّنًا بالإسلام. نزلت بالمدينة بعدما رجع من الحديبية، ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ﴾: لكي يغفر الله لك بالإسلام[2] /١٧٦/ ﴿مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ﴾: ما كان في الجاهليَّة، ﴿وَمَا تَأَخَّرَ﴾: وبعد النبوَّة.

وأخبره الله تعالى بما يفعل به، فخرج ﷺ إلى أصحابه فقال: «**لقد أنزلت عليَّ آية لهي أحبُّ إليَّ مِمَّا بين السماء والأرض**»، فقرأ عليهم: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا

(١) في (ز): «الخلاق». (د): «الخلاف». وفي كلا الاحتمالين يبقى المعنى غامضًا، وصحَّحناه من النكت والعيون للماوردي، ١٣٨/٤ (ش). تفسير العزِّ بن عبد السلام، ١٠٣/٦. (ترقيم الشاملة).

(٢) في (ز): «بالسلام».



﴿لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ إلى آخر الآيـة[1]، فقال أصحابه: هنيئًا لك يا رسـول الله، قد علمنا الآن ما لك عند الله وما يفعل بك، فما لنـا نحن عند الله تعالى؟ وما يفعل بنا؟ فنـزلـت: ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ...﴾ الآية، فانطلق عبد الله بن أُبـي ـ رأس المنافقين ـ في نفر من قومه إلى النبيِّ ﷺ فقال: فما لنا عند الله؟ ومـا يفعل بنا؟ فنزلت ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾، فلمَّا سـمع عبد الله بذلك قال لأصحابه: يزعم محمَّد أنَّ الله قد غفر له ذنبه، وأن يفتح له على عـدوِّه، هيهات هيهات! فأين أهل فارس والروم؟ واللهِ أشـدُّ بأسًـا وأكثر عددًا أن يظهر محمَّدٌ[2] عليهم، يظنُّ محمَّـدٌ أنَّهم مثل العصائب التـي قد نزل بين ظهرانيهم، قـد غلبهم بكذبه وباطله! فنـزلت في قوله: فأين فارس والروم ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾. يعنـي [بـ]﴿جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: الملائكة، ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ المؤمنين، هؤلاء أشـدُّ بأسًـا وأكثر عددًا من فارس والروم، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[3] حكم النصر للنبيِّ ﷺ وأصحابه.

ومن سورة محمَّد ﷺ:

ـ ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ﴾ بالسـيف، فظهرتم عليهم وأسرتموهم، ﴿فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ﴾: عتق بعد الأسر، ﴿وَإِمَّا فِدَآءً﴾ (محمَّد: ٤): فيفدي نفسه بماله، فصارت آية المنِّ والفداء منسوخةً بآية السيف في براءة.

(١) في (ز): «آخرها».
(٢) في (ز): «محمَّدًا».
(٣) سورة الفتح: مقاطع من الآيات الأولى: ١ ـ ٧.

ومن[1] الذاريات:

ـ قوله ﷻ: ﴿وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾ (الذاريات: ١٩)، والسائل: المسكين، والمحروم: الذي لا سهم له، فقراء أصحاب الصفَّة كانوا أربعمائة رجل، لم يجعل الله تعالى لهم سهمًا في الخمس ولا في الفيء يوم النضير، فصارت المحروم منسوخة بآية الصدقات في براءة: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ﴾ (التوبة: ٦٠) فبدأ بهؤلاء الفقراء قبل كلِّ أحد ... الآية[2].

ـ وقوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ﴾: فأعرض عنهم ﴿فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٖ﴾: فقد بلَّغت وأعذرت فلا تلام. فحزن ﷺ لَمَّا نزلت هذه الآية مخافة أن ينزل بقومه /١٧٧/ العذاب، فصارت منسوخةً، نسختها ﴿وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ (الذاريات: ٥٤ ـ ٥٥).

ومن المجادلة:

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗ﴾، نزلت في الأغنياء من أصحابه ﷺ، وذلك أنَّهم كانوا يكثرون مناجاته ﷺ ويغلبون الفقراء على مجالسته، فكان يكره طول مجالستهم ويكره نجواهم، فنزلت في الأغنياء هذه الآية. ثُمَّ قال: ﴿فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ﴾ الصدقة ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾. فلمَّا أمر الأغنياء بالصدقة عند المناجاة انتهوا عند ذلك، وقدر الفقراءُ على كلام النبيِّ ﷺ ومجلسه، فلم يقدِّم أحد من أهل الميسرة[3] غير عليِّ بن أبي

---

(١) في (د): ـ «ومن».

(٢) تمام الآية: ﴿وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾.

(٣) في (د): «المنيرة». (ز): «الميثرة». ولعله يقصد: «المأْثُرة»، وهي المكرمة. والتصحيح الذي آثرناه، أخذناه من سائر التفاسير، منها: تفسير البغوي، ٣١٠/٤.



طالب، قدَّم دينارًا وكلَّم النبيَّ ﷺ عشر كلمات، وقدَّم رجل من الأنصار تمرات، فلم يلبث إلَّا يسيرًا حتَّى صارت الصدقة عند المناجاة منسوخة، نسختها الزكاة المفروضة في الآية التي تليها، فقال تعالى: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ﴾ أي: أشقَّ عليكم أهل اليسر ﴿أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ﴾: فلو فعلتم لكان خيرًا لكم، ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾: فثبتت الزكاة، وذهبت الصدقة عند المناجاة.

ومن الممتحنة:

ـ ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ (الممتحنة: ٨) نزلت في خزاعة، منهم هلال بن عويمر، وفي بني جذيمة وبني مدلج[١]، كان بينهم وبين النبيِّ ﷺ عهد إلى أجل، فنزلت ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ﴾ صلة ﴿ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾، فصارت منسوخة، نسختها ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾.

ـ وقوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ...﴾ الآية[٢]، فصارت هذه الآية كلُّها منسوخة غير حرفين ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ نسختها آية السيف في براءة، وبقيت لا تحلُّ مؤمنة لكافر، ولا كافرة لمؤمن.

ـ وقوله تعالى: ﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ إن لحقت امرأةُ مؤمنٍ بكفَّار أهل الحرب الذين ليس بينكم وبينهم عهد. أُمُّ الحكم بنت أبي سفيان تركت زوجها عياض بن أبي عثمان القرشيَّ، وهو مسلم، وأتت

---

(١) في النسختين ورد اسمان محرفين هما: «هليل ... خدلج». وصحَّحناهما من عدَّة تفاسير، منها: تفسير مقاتل، ٣٣٧/١؛ ٤٨/٤ (ش).

(٢) الممتحنة: ١٠. وبقيَّة الآية: ﴿... ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ...﴾.

الطائف، فتزوَّجت رجلًا من ثقيف مشركًا. ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾: أعقبكم الله مالًا، ﴿فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم﴾: أُعطوا هذا /١٧٨/ المسلم الذي ذهبت امرأته إلى الطائف ﴿مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟﴾: من المهر مِمَّا أصبتم من الغنيمة قبل أن يُخمَّس، ثُمَّ تقسم الغنيمة بعد ذلك بين المسلمين، ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ ولا تعصوه فيما أُمرتم به ﴿ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾ (الممتحنة: ١١)، صارت منسوخة نسختها آية السيف في براءة.

ومن المزَّمِّل:

ـ قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۞ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ثُمَّ صارت [آية] قيام الليل[1] الذي كان على المسلمين منسوخة، نسختها الصلوات الخمس، فثبتت الصلوات الخمس على المسلمين، وثبت القيام على النبيِّ ﷺ فريضتان واجبتان... إلى آخر الآية.

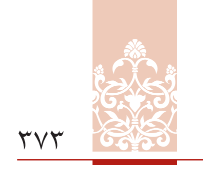
ـ وقوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ من تكذيبهم إيَّاك ﴿وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ (المزَّمِّل: ١٠). وكذلك قوله تعالى: ﴿وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ﴾ خل بيني وبين بني المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، فأنا أنفرد بهلاكهم، نَسَخَ هَذَا آيَةُ السيف.

ومن ﴿هَلْ أَتَىٰ﴾ [سورة الإنسان]:

ـ ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ حبِّ الطعام ﴿مِسْكِينًا وَيَتِيمًا﴾ من المسلمين ﴿وَأَسِيرًا﴾ (الإنسان: ٨) من المشركين، فصارت [آية] إطعام المسكين واليتيم منسوخة بآية الزكاة المفروضة، ونَسَخَ إطعامَ الأسير من المشركين آيةُ السيف.

---

(١) في (د): ـ «الليل».



وكلُّ شيء في القرآن ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (الأنعام: ١٥. والزمر: ١٣) نسختها الآية: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ (الفتح: ٢).

فصل: [عدَّة المتوفَّى عنها زوجها والمطلَّقة]

ـ قوله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم ...﴾ الآية[١]، كان الرجل إذا حضره الموت يوصي لزوجته بسكنها ومؤونتها سنة كاملة، ثُمَّ نسختها الآية التي قبلها: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ (البقرة: ٢٣٤) وبطلت الوصيَّة لها بقول النبيِّ ﷺ: «**لا وصيَّة لوارث**»[٢]، وصار المفروض لها الربع والثمن من مال زوجها.

ـ وقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ...﴾ (البقرة: ٢٢٨) الآية، كان الرجل إذا طلق زوجته واحدةً أو اثنتين كان أملك بردِّها ما لم تتزوَّج، حتَّى تكون ثلاث تطليقات فتصير أملك بنفسها. وقال قوم: ولو طلَّقها ثلاثًا ما لم تتزوَّج، نسختها الآية في سورة الطلاق: ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ...﴾ الآية[٣].

فصل: [حجج على منكري النسخ]

• من الحجَّة على من أبطل النسخ ورأى القول به كالقول /١٧٩/ بالبداء ما وجدناه من أفعال الله جلَّ ذكره، وهو أن يُحيِيَ الإنسانَ ما كانت الحياة أصلحَ له في التدبير، ثُمَّ يميتَه ويُصحَّه ما دامت الصحَّة أصوب من تدبيره، ثُمَّ يسقمه.

---

(١) البقرة: ٢٤٠. وتمام المعنى بقوله: ﴿... مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾.

(٢) تقدَّم تخريجه.

(٣) الطلاق: ١. وتمام معنى الآية: ﴿... وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ...﴾.

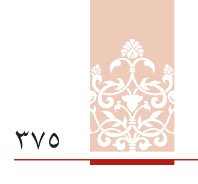
ومن الحجَّة عليهم أيضًا: اختلاف شرائع الأنبياء صلوات الله عليهم في الأحكام لا في التوحيد والوعد والوعيد، ونسخ بعضها لبعض. فإن أنكر ذلك منكر، وزعم أنَّ شرائع الأنبياء صلوات الله عليهم كانت متَّفقة فالحجَّة عليهم: قوله تعالى حكاية عن المسيح ﷺ حين يقول: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ (آل عمران: ٥٠)، وتحريم صيد السمك في يوم السبت على من حُرِّم ذلك عليه وتحليله لنا، وبالكفِّ عن العمل يوم السبت، وما أُمر به بنو إسرائيل من ذلك وإباحته لنا. ودليل آخر وهو قوله تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ (النساء: ١٦٠).

• والحجَّة على من زعم أنَّ النسخ لا يكون حتَّى تُرفع تلاوته ما نسخ الله تعالى من التوراة بالقرآن، وهما متلوَّان جميعًا.

• فأمَّا نسخ القرآن بالسُّنَّة فقد قال به أكثر أصحابنا، واحتجُّوا بأنَّ الله تعالى فرض علينا سبع عشرة ركعة في كلِّ يوم وليلة، ثُمَّ إِنَّ النبيَّ ﷺ سنَّ أنَّ على المسافر بعضَ ذلك دون جميعه[(١)].

وإن احتجَّ محتجٌّ مِمَّن قال: إنَّ القرآن لا ينسخه إلَّا قرآن، وإنَّ نَسْخَ فرضِ صلاةِ المقيم بقوله جلَّ ذكره: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ (النساء: ١٠١) فإنَّ الآية إنَّما أوجبت القصر مع الخوف، وقد أجمع المسلمون عن نبيِّهم ﷺ [أنَّه] كان يقصر في حال الأمن دون الخوف، وهذا يدلُّ على أنَّ الآية ليست بناسخة، والله أعلم.

(١) وهل هذا نسخ أصلاً؟ وأين القرآن الذي نُسخ بالسنَّة في هذه الحجة أصلاً؟ والله أعلم.



• وأمَّا من زعم أنَّ السُّنَّة تنسخ القرآنَ، والقرآنُ لا ينسخ السُّنَّة فإنَّ من الحجَّة عليه أنَّ النبيَّ ﷺ لم يزل يصلِّي إلى بيت المقدس بغير قرآن نزل، ثمَّ إنَّ الله ـ تبارك وتعالى ـ نسخ ذلك بقرآن أنزله، وحوَّل القبلة إلى الكعبة.

• وأمَّا من قال: إنَّ نسخ القرآن مفوَّض إلى الأئمَّة، فإنَّهم احتجُّوا بأنَّ الرسول ﷺ كان يجتهد رأيه في الأحكام، قالوا: إذا كانت السُّنَّة اجتهادًا منه ﷺ فقد يجوز أن ينسخ القرآنَ السُّنَّةُ، فإذا جاز ذلك من طريق الأحكام /١٨٠/ قالوا: فجائز للإمام بعده الذي نُصَّ[1] عليه أن يجتهد فيما فُوِّض إليه، فالحجة عليهم غير قليلة، من ذلك:

ـ قوله جلَّ ذكره: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ (يونس: ١٥).

ـ وقوله ﷻ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (النجم: ٣ ـ ٤).

• وأمَّا من زعم أنَّ الله جلَّ ذكره لا يعلم الشيء حتَّى يكون وأجاز البداء على الله تعالى، كما أجاز غيرُه النسخَ على أخبار الله ـ تبارك وتعالى ـ وصفاتِهِ؛ فالحجَّة عليه قوله ﷻ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ...﴾ الآية[2]، ثُمَّ قال: ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ...﴾ الآية[3]، فأخبر بما يقولون قبل أن يقولوا، فقد علم ما يكون من قولهم قبل أن يكون، وعلم ما لا يكون أن لو كان كيف يكون ﷻ. ونظائر هذا كثير في القرآن. وبالله التوفيق.

(١) في النسخ: «قص».
(٢) الأنعام: ٢٧. وتمامها: ﴿وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.
(٣) الأنعام: ٢٨. وتمامها: ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾.

باب ١٠ في المحكم والمتشابه

اختلف الناس في المحكم والمتشابه؟

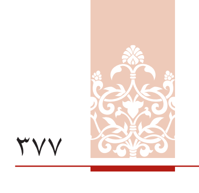
فقال قوم: إِنَّ المحكم هو الناسخ، وإنَّ المتشابه هو المنسوخ.

وقال قوم: المحكم هو الفرائض والوعد والوعيد، وإنَّ المتشابه هو القصص والأمثال.

وقال قوم: المتشابه هو قوله تعالى: ﴿الٓمٓ﴾ و﴿الٓمٓصٓ﴾ و﴿كٓهيعٓصٓ﴾ و﴿حمٓ﴾، وما يحتمل تأويلين متساويين في اللغة، والمحكم هو الذي تأويله تنزيله، تجب في القلب معرفته عند سماعه.

والمحكم عندنا ـ والله أعلم ـ: ما كان حكمه معلَّقا بظاهره ولا يحتمل وجهين مختلفين، كقوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾، وقوله ﷻ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ...﴾ (النساء: ٢٣) الآية، ونحو هذا.

والمتشابه فهو: ما لا يُعلم المرادُ به في ظاهر تنزيله، وإنَّما يَرجع في حقيقة ذلك من وجوه التأويل الْمُحْكِم له، كقوله ﷻ: ﴿يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ (الزمر: ٥٦)، وقوله تعالى: ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ (القمر: ١٤) و﴿خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ (صٓ: ٧٥)، و﴿عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ (يسٓ: ٧١) ومثله. ويدلُّ على ما قلنا قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ (آل عمران: ٧)، يقول ـ والله أعلم ـ: إنَّ الذين في قلوبهم مرض ـ وهم المبطلون ـ



إنَّما يبتغون ما يتعلَّقون به ويرونه حجَّة إن كانوا متأوِّلين من أهل الملَّة، أو يظنُّون أنَّ فيه مطعنًا إن كانوا ملحدين فيما يحتمل تأويله في ظاهره. وبالله التوفيق.

مسألة: القول في [الحكمة من] المتشابه

وأمَّا المعنى في متشابه الكتاب[1] فإنَّ الله تعالى خلق عباده ليمتحنهم فينبِّئهم، كما قال ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلۡقِسۡطِ﴾ (يونس: ٤)، فعوَّضهم بخلقه إيَّاهم بأعلى المنازل وأشرفها، وهو الثواب الذي لا خلاف بين أهل العقول في أنَّه أشرف من التفضُّل، والله تعالى ﷻ جواد كريم لا يقتصر لعباده على ما غَيْرُهُ أعلى وأشرف إذا كان ذلك حكمةً وصوابًا.

ولو كان القرآن كلُّه محكمًا لا يحتمل التأويل، ولا يمكن الاختلاف فيه، لسقطت المحنة فيه، وسارت[2] العقول، وبطل التفاضل والاجتهاد في السبق إلى الفضل، واستوت منازل العباد، والله يتعالى أن يفعل ما هذا سبيله، بل الواجب في حكمته ورحمته ما صَنَعَ، وقد أراد فعل بعضه محكمًا ليكون أصلًا يُرجَع إليه، وبعضه متشابهًا يُرجع فيه إلى الاستنتاج[3] والاستنباط وردِّه إلى المحكم، وإعمال العقول والفكر ليستحقَّ بذلك الثواب الذي هو العِوَض.

---

(١) في (د): «الكتابه».

(٢) كذا في النسختين. وفي منهج الطالبين: «وتبلدت العقول». ١٧٦/١ (نق). ولعل الصواب: «وتساوت».

(٣) في (د): «الاستحاج». (ز): «الاستنجاح». وكلتاهما لا معنى لهما. وفي منهج الطالبين: «الاستخراج». المصدر نفسه.

مسألة: [ألا يمكن أن يثيب الله العباد بغير امتحان؟]

فإن قال قائل: أفما كان الله عَزَّ وَجَلَّ قادرًا على أن يوصل العباد إلى الثواب من غير محنة؟

قيل له: بلى، إنَّ الله تعالى قادر على ذلك، وعلى ما يشاء قدير، وليس كلُّ ما يقدر عليه يفعله، جلَّ عن ذلك وتعالى، بل لن يفعل إلَّا[(١)] الحكمة والصواب من التدبير. ولو كان يعطي منزلةَ المجتهد العامل مَن لا عمل له، وأن يساوي أدون المؤمنين في الجنَّة بنبيِّ الله عَلَيْهِ السَّلَامُ في منزلته ودرجته، إذ كان الله تعالى على ذلك قادرًا، والذي أفسد هذا هو الذي أفسد ما سأل عنه السائل. ولله المنَّة.

في الخاصِّ والعامِّ

معنى العامِّ: التكثير، ومعنى الخاصِّ: التقليل. يقال: غيث عامٌّ، إذا طبَّق الأرض ولم يخصَّ موضعًا، قال العجَّاج[(٢)]:

وَهوَ الَّذي أَنعَمَ نُعمى عَمَّتِ ... عَلى الذينَ أَسلَموا وَسَمَّتِ[(٣)]

سَمَّتِ: خصَّت، والسامَّة: الخاصَّة.

وقال أبو رياش[(٤)] قال الفرزدق[(٥)] لراويته عبد الله بن زالان[(٦)]: أخبِرْني

---

(١) في (ز): ـ «إلا».

(٢) عبد الله بن رؤبة بن لبيد (ت: نحو ٩٠هـ)، وقد تقدَّمت ترجمته.

(٣) البيت من الرجز، من قصيدة مطلعها:

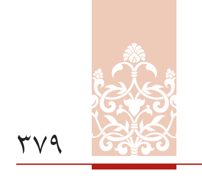
الحَمدُ للهِ الَّذي استَقَلَّتِ ... بِإذنِهِ السَّماءُ وَاطمَأَنَّتِ

انظر: ديوان العجاج في الموسوعة الشعريَّة.

(٤) أبو رياش، أحمد بن إبراهيم القيسي (ت: ٣٣٩هـ): عالم بالأدب. له: «شرح الهاشميَّات». انظر: الزركلي: الأعلام، ٨٥/١.

(٥) الفَرَزْدَق، همام بن غالب بن صعصعة (ت: ١١٠هـ)، وقد تقدَّمت ترجمته.

(٦) عبد الله بن زالان المازني التميمي، لم أجد ترجمته فيما بين يديَّ من مصادر، غير روايات نقلها عنه الأصفهاني في الأغاني، ٣٤٠/١٠، ٣٤٢.



عن رواة شعري وعن رواة شعر جري، فقال عبد الله: الخاصَّة معك، والعامَّة مع جرير، فقال: غَلَبَنَا وربِّ الكعبة. /١٨٢/ يريد أنَّ التكثيرة[١] هناك. قال الأعشى:

وَلَستَ بِالأَكثَرِ مِنهُم حَصىً ... وَإِنَّما العِزَّةُ لِلكاثِرِ[٢]

والعامُّ مثل قول النبيِّ ﷺ: «**الصلاة خير موضوع، فمن شاء فَلْيُقلِلْ ومن شاء فليكثر**»[٣]. هذا عموم في كلِّ وقت. والخاصُّ المعترِض عليه: «**لا صلاة بعد صلاة العصر حتَّى تغرب الشمس، ولا صلاة بعد صلاة الصبح حتَّى تطلع الشمس**»[٤]. والخاصُّ يعترض على العامِّ، والعامُّ لا[٥] يعترض على الخاصِّ، وليس مثل هذا يكون نسخًا؛ لأنَّ النسخ حقيقةً أن يرفع الكل. والله أعلم.

وقال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾ (البقرة: ٢٢١)، فحرَّم جميع

---

(١) في (د): «التكثرة».

(٢) البيت من السريع، من قصيدة مطلعها:

شاقَتكَ مِن قَتلَةَ أَطلالُها ... بِالشَّطِّ فَالوِترِ إِلى حاجِرِ

انظر: ديوان الأعشى في الموسوعة الشعريَّة.

(٣) رواه أحمد والحاكم وابن حبان والبزار والطبراني. أحمد: المسند، مسند الأنصار، مسند أبي ذر الغفاري، ر٢١٥٨٦، ١٧٨/٥. الحاكم: المستدرك على الصحيحين، ر٤١٦٦، ٦٥٢/٢. ابن حبان في ر٣٦١، ٧٦/٢. البزار: المسند، ر٤٠٣٤، ٤٢٦/٩. الطبراني: الأوسط، ر٢٤٣، ٨٤/١.

(٤) رواه الربيع والشيخان وغيرهما. الربيع: المسند، كِتَابُ الصَّلاَةِ وَوُجُوبِهَا، بَابُ جَامِعِ الصَّلاَةِ، ر٢٩٥، ١٢٣/١. البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، باب لا تتحرى الصلاة قبل غروب الشمس، ر٥٦١، ٢١٢/١. مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الأوقات التي نهي عن الصلاة فيها، ر٨٢٧، ٥٦٧/١.

(٥) في (ز): «على».

المشـــركات بعموم هذه الآية، ثُمَّ خصَّ من جملة ما حرَّم نكاح المشـــركات الكتابيَّات [بقوله: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ (المائـدة: ٥)]، فخصَّ المشـــركات الكتابيَّات[١] من ســائر ما حرَّم من المشركات.

ونحو ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ (الأنعام: ١٢١) فكان هذا الخطاب يوجب تحريم كلِّ طعام لم يذكر اسم الله عليه، من حيوان وغيره، إذ ليس في نفس الآية تفصيل طعام من طعام، فلمَّا اتَّفق أهل الإسلام على أنَّ المقصود بالتحريم في هذه الآية هو الحيوان دون غيره، صحَّ أنَّ الآية خاصَّة، وإن كانت في الظاهر عامَّة.

ونحو ذلك ما «نهى النبيُّ ﷺ عن بيع ما ليـــس معك»[٢]، فكان تحريمًا عامًّا لا يجوز للإنسان أن يبيع شيئًا ليس في ملكه، ثُمَّ خصَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ من جملته السَّلَم، وهو بيع ما ليس معه.

ونحو قوله ﷺ: «**حيثما أدركتك الصلاة فصلِّ**»[٣]، هذا عموم يوجب جواز الصلاة فـــي كلِّ موضع. وروي عنــه ﷺ «أنَّه نهى عن الصــلاة في المقبرة

(١) في النســختين تكرار جاء فيه: «نكاح المشــركات الكتابيَّات من قبلكم فخصَّ المشركات الكتابيات من سائر...»، وصححناه من منهج الطالبين، ٥٩/١ (نق).
(٢) انظر: الربيع: المســند، كِتَابُ الْبُيُوعِ، بَابُ مَا يُنْهَى عَنْهُ مِــنَ الْبُيُوعِ، ر٥٦٣، ٢٢٥/٢. الترمذي: الســنن، كتاب البيوع، باب ما جاء في كراهية بيع ما ليس عندك، ر١٢٣٢، ٥٣٤/٣. النســائي: الســنن، كتاب البيوع، باب بيـــع ما ليس عند البائــع، ر٤٦١١، ٢٨٨/٧.
(٣) البخاري في كتـــاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالــى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ (النساء: ١٢٥)، ر٣١٨٦، ١٢٣١/٣. مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ر٥٢٠، ٣٧٠/١.



والمنحرة والمزبلة والحمام وقارعة الطريق ومعاطن الإبل»[١]، فكان هذا خبرًا خصَّ بعض ما اشتمل عليه عموم الخبر الآخر.

مسألة: [من العموم ما لا يخصَّص]

الدليل على من[٢] قال: إنَّ العموم لا يستغرق الجنس: قول الله جلَّ ذكره: ﴿وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ﴾ (الأنعام: ٥٩) وقوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا﴾ (هود: ٦) لا يدخل في هذا الخصوص، والله أعلم. والاستثناء كالتخصيص لمخصوص من الشيء: إخراج بعض المذكور. والخبر إذا ورد فالواجب إجراؤه على عمومه ولا يخصُّ إلَّا بحجَّة.

مسألة: [العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب]

أمَّا ما يجري ظاهره من الأخبار /١٨٣/ مجرى الخصوص وضَّحه[٣] دليل يَردُّ حكمَه إلى معنى العموم، فمنه قوله جلَّ وعزَّ: ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ﴾ (الطارق: ٥)، و﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ﴾ (يس: ٧٧) ﴿وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ﴾ (السجدة: ٧)، ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ﴾ (العصر: ١ ـ ٢)؛ فهذه الآيات كلُّها في لفظ الخصوص في الظاهر، إذ الذكر فيها وقع باسم الإنسان ولم يقع باسم الناس، ومتيقَّن حكمها في معنى العموم.

---

(١) روي بنحو هذا اللفظ عند: الترمذي: السنن، كتاب الصلاة، باب ما جاء في كراهية ما يصلَّى إليه وفيه، ر٣٤٦، ١٧٧/٢. ابن ماجه: كتاب المساجد والجماعات، باب المواضع التي تكره فيها الصلاة، ر٧٤٦، ٢٤٦/١. وروي بعضٌ منها في مسند الربيع، كِتَاب الصَّلَاةِ وَوُجُوبِهَا، بَابُ جَامِعِ الصَّلَاةِ، ر٢٩٣، ١٢٢/١.

(٢) في النسخ: «ما».

(٣) في (ز): «وصحته».

الدلالة على خروج أحكام جميعها عن الخصوص إلى العموم أنَّ دخول الألف واللام في الإنسان دالٌّ على التعريف، والمعرَّف إذا لم يكن قبل التعريف مذكورًا بنفسه فيكون التعريف إشارة إلى شخصه؛ صحَّ أنَّ التعريف راجع إلى الجنس كلِّه.

وأمَّا قوله جلَّ ذكره: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾ فآدم عليه السلام، وإذا خلق آدم من طين فالناس كلُّهم مبتدئون من طين؛ لأنَّهم ذريته، إلَّا حوَّاء وحدها، فإنَّا لا ندري ما اسمها، تسمَّى ذرِّيَّة له أَمْ لَا، غير أنَّا نعلم أنَّها خلقت منه.

ويدلُّ على ما قلنا: إنَّ هذا الاسم الجنس إلَّا الاستثناء لا يكون إلَّا في جملة كثيرة[1]. وقوله تعالى: ﴿خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ﴾ (الإنسان: ٢) فخرج مخرج الخصوص، والمعنى للعموم، وخرج آدم عليه السلام بدليل.

[مسائل مختلفة حول العموم والخصوص]:

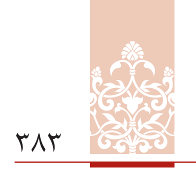
عن بعض قومنا وهو الحسن بن محمَّد الحلاي[2]: حدُّ العموم: مساواة بعض ما تناوله[3] اللفظ لبعض من غير مرية.

وكلُّ عمومٍ ظاهرٌ، وليس كلُّ ظاهر عمومًا، وهو مأخوذ من الاشتمال والإحاطة، يقال: عمَّهم الحقُّ، أي: شملهم.

(١) هكذا وردت العبارة في النسختين، ولم نتمكن من ضبطها. ولعله يقصد: «ويدلُّ على ما قلنا: إنَّ اسم الجنس عامٌّ أنَّ الاستثناء لا يكون إلَّا في جملة كثيرة».

(٢) لم أتمكن من تحديده مِمَّا بين يديَّ من المصادر. وقد سبق ذكره باسم: الحسن بن محمَّد الحدي. ولعله يقصد: الحسن بن أحمد بن محمد الجلابي البغدادي (ت:٣٧٥هـ) وسيأتي ذكره في الجزء الثالث ص ٣٤، وقد سبقت الإشارة إليه.

(٣) في النسخ: «ما ساواه». وقد صححناه من البحر المحيط للزركشي. وقد نسب هذا القول إلى أبي علي الطبري. ٢٥٥/٣ (ش).



وأقلُّ العموم ما يتناول شيئين، وأقلُّ الخصوص ما يتناول واحدًا.

والأسماء المنفردة على ثلاثة أقسام:

- عامٌّ لا خاصَّ فيه، وهو مثل قولهم شيء وشيت [كذا].
- وخاصٌّ لا عامَّ فيه، وهو مثل قولهم: زيد وعمر.
- وخاصٌّ من وجه عامٌّ من وجه، وهو مثل قولهم: «الحيوان»، خاصٌّ في تناوله الحيوان دون غيره، وعامٌّ في تناوله الحيوان، هذه ناطقة ومبهمة.

وحدُّ المجمل: ما لا يفهم المراد منه بذاته. وحدُّ المفسَّر ما يفهم المراد منه بذاته(١).

فصل: [ادِّعاءِ الزيادة والنقص في القرآن]

وأمَّا ما ادَّعاه المبطلون في القرآن من الزيادة والنقصان، وطعن فيه الطاعنون من تكرار القصص والقول، فليس لطاعن في ذلك مطعن /١٨٤/ والحمد لله. وقد أوضح العلماء في ذلك من البيان والحجج ما يبطل قول كل معاند، وكافر جاحد، فأغنانا عن إيراده في هذا الموضع إن شاء الله.

فصل: [في الإضمار وما في معناه]

وأمَّا الإضمار فمثل قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ﴾ (النساء: ٢٣)، يعني: تزويج أمَّهاتكم، فأضمر «تزويج». قال الشاعر:

وأنت صاحبها المذكور قد علمت ذاك العمائمُ يومَ الخندقِ السودُ(٢)

(١) في النسخ: «وحدُّ المجمل: ما لا يفعل المراد منه بذاته. وحدُّ المفسَّر ما يفعل المراد منه بذاته».

(٢) لم أجده فيما بين يديَّ من مصادر.

يريد: أصحاب العمائم السود.

وأمَّا الكناية فمثل قوله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ (البقرة: ١٨٧) فكنَّى عن المعنى، كقوله تعالى: ﴿لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا﴾ (الروم: ٢١)؛ فما كان على هذا ويجري مجراه فهو الكناية.

والقرآن نزل بلغة العرب، ولغة العرب فيها الحقيقة والمجاز، والإطالة والإيجاز، والتوكيد والاختصار، والحذف والتكرار، والكناية والإضمار، والحكاية والاتساع، والاستعارة والإتباع، والإشمام والإشباع، والاشتقاق والترخيم، والإغراء والإدغام، والأضداد والمقلوب، والجواب والمنقول، والإبدال والمعدول، والمعاريض، والنقص والزيادة، والتقديم والتأخير، والتعظيم والتصغير، ومخاطبة الواحد بلفظ الاثنين، والاثنين بلفظ الواحد، ومخاطبة الغائب بلفظ الشاهد، والشاهد بلفظ الغائب، وذكر الشيء بسببه، وذكر سببه به، وكلُّ ذلك قد جاء به القرآن، وقد ذكرته في «كتاب الإبانة»[١] فلم أعده ها هنا للاختصار.

---

(١) انظر: العوتبي: كتاب الإبانة، باب في وجوه اللغة، ١/١٢٢ ـ ٣٦١.

باب ١١ في الأوامر والمناهي

صورة الأمر في اللغة: أن يقول الآمر: اِفْعَلْ، مثل قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ﴾ (النساء: ١)، و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ (التوبة: ١١٩).

وصورة النهي: أن يقول الآمر[١]: لا تفعلْ، مثل قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ إلى قولــه: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (النساء: ٢٩) و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ (الحجرات: ١).

فإذا ورد الخطاب معرًّى من القرائن المقيِّــدات والمقدِّمات فهو أمر أو نهي. واللفظة قد ترد مقرونة [بقرينة] أو بصلة أو بمقدمة، فيدلُّ على التخيير والنــدب، أو على قدرة الآمر وعجــز المأمور، أو على التهــدُّد والزجر، أو إطلاق بعد حظر، أو على التكوين دون امتثال /١٨٥/ الأمر.

والذي يدلُّ بمجموعه على[٢] التخيير والندب مثل قوله ﷻ: ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾ (الحج: ٢٨)، ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ﴾ (الحــج: ٣٦)، وقد أجمع الجميع أنَّ الأكل منهــا غير واجب وأنَّا فيه مخيَّرون، فالآية لم ترد إلَّا مقرونة بالتوقيف.

---

(١) كتب الناسخ فوق هذه الكلمة: «لعله: الناهي».

(٢) في النسخ: «يدا بحموعه التخيير». وصححناه من منهج الطالبين، ١٨٠/١ (نق).

وأمَّا الذي يدلُّ على قدرة الآمر وعجز المأمور فمثل قوله ﷻ: ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۝ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ (الإسراء: ٥٠ ـ ٥١)، ومعلوم أنَّ الله تعالى لم يرد منهم أن يجعلوا أنفسهم حجارة أو حديدًا، إذ ليس ذلك في طاقتهم وقدرتهم، وإنَّما أراد تعالى أن يبيِّن عجزهم.

وأمَّا الذي يدلُّ على التهدُّد والزجر فمثل قوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (فصِّلت: ٤٠)، ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ...﴾ الآية[1]، ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ﴾ (هود: ١٢١). وهذه الآيات لم يَردن على مقدِّمات قبلهنَّ وقرائن بعدهنَّ تدلُّ على التهدُّد والزجر.

وأمَّا الذي يدلُّ على الإطلاق بعد الحظر فمثل قوله ﷻ: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ...﴾ الآية[2]، وكقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ (المائدة: ٢) وقد أجمعوا جميعًا أنَّ الانتشار والاصطياد غير واجبين.

وأمَّا الذي يدلُّ على التكوين دون امتثال الأمر فمثل قوله جلَّ وعزَّ: ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ (البقرة: ٦٥)، فقد تقدَّمت المعرفة أنَّهم غير قادرين على تكوين أنفسهم قردة، فدلَّت المقدِّمة على التكوين دون امتثال الأمر.

والله تعالى خاطبنا بما تعقل العرب في خطابها، والعرب تسمِّي «افعلْ» أمرًا ونهيًا؛ فإذا أمر من تجب طاعته والانقياد لأمره كان على المأمور إتيان ما أمر. وبالله التوفيق.

---

(١) التوبة: ١٠٥. وتمامها: ﴿وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

(٢) الجمعة: ١٠. وتمامها: ﴿وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.



مسألة: [هل الأمر المطلق يوجب التعجيل؟]

زعم قوم أنَّ الخطاب إذا ورد بصيغة الأمر أنَّ علينا التوقُّف لِمَا يحتمل من الحكم حتَّى نعلم أنَّ المراد به أمرٌ أو نهيٌ أو ندبٌ أو تخييرٌ أو غير ذلك. يقال لهم: لو كان الخطاب إذا ورد بصيغة الأمر يوجب التوقُّف علينا عند وروده لم يكن في وروده فائدة؛ لأنَّا قبل وروده متوقِّفون وبعد وروده متوقِّفون، فلا فائدة /١٨٦/ في وروده. فلمَّا كان الأمر يقتضي الفعل، وكان صِيَغُهُ تُعرف في اللغة التي خوطبنا بها؛ علمنا أن من قال بالتوقُّف غالط. وبالله التوفيق.

والذي يذهب إليه شيوخنا والأشبه بأصول أئمَّتنا: أنَّ الأمر إذا ورد بفعل قد حُصِر[1] بوقت فللمأمور إيقاعه في أوَّله أو وسطه أو آخره، وتعجيل الفعل في أوَّل الوقت أفضل. وإذا ورد الأمر بفعل غير محصور[2] بوقت فإنَّ تأخيره غير جائز عندهم إلى آخر أيَّام الحياة.

وقال أبو محمَّد[3] رَحِمَهُ اللَّهُ: والنظر يوجب عندي أنَّ ما لم يكن محصورًا[4] بوقت فالواجب تعجيله أوَّل وقت الإمكان. الدليل على ذلك أنَّ الأمر إذا ورد مطلقًا ولم يقيَّد بوقت [فـ]ـإنَّ وروده لا يخلو من أن يلزم على الفور مع القدرة، أو يجوز للمأمور التأخير إلى آخر أيَّام حياته، أو إلى وسائط بين

(١) في نسخة (ز): «حضر توقف»، وفي الهامش كتب الناسخ: «لعله: توقفت». وفي نسخة (د): «خطّر». ولا معنى لهما. ويمكن أن يراد: «حُظر». أو يراد ما في منهج الطالبين: «قد خُصَّ»، ١٧٩/١ (نق).

(٢) في النسخ: «محظور».

(٣) هو: أبو محمَّد، عبد الله بن محمَّد بن بركة (ق ٤ هـ)، وقد تقدَّمت ترجمته. ينظر كتابه: الجامع، ٣٦/١ (نق).

(٤) في النسخ: «محظورًا».

الفور وآخر العمر؛ فآخر العمر مجهول، والوسائط أيضًا مجهولة الأوقات، ولا سبيل إلى علم ذلك؛ وإذا كان مجهولًا لم يصحَّ تعلُّق العبادة به، وما كان آخره مجهولًا لا تعرف وسائطه لم يلزم فعله، وإذا بطل هذان الوجهان صحَّ[1] إيجابه على الفور، والله أعلم؛ لأنَّ الآمر إذا أمر من تجب له الطاعة عليه وأزاح عنه العلل، وكان الآمر يريد تعجيل الفعل المأمور به، لم يكن للمأمور تأخير الفعل عن أوَّل أوقات الإمكان؛ ويدلُّ على هذا قول الله ﷻ: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ ...﴾ الآية[2]، فأوجب علينا المسارعة إلى الأفعال التي تؤدِّينا إلى الجنَّة والغفران. والله أعلم.

مسألة: [تأخير البيان عن وقت الخطاب]

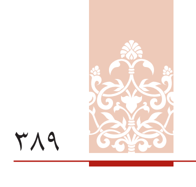
جعل الله ـ تبارك وتعالى ـ الخطاب للفائدة والإفهام، وليعلم المأمور غرض الآمر ومراد المخاطِب. والحكيم تعالى لا يخاطب بما لا فائدة فيه، ولا يأمر إلَّا بما يُفهم عنه، ألا ترى أنَّه غير جائز أن يأمر أحدًا بالقعود وهو يريد منه القيام؟ لأنَّه إنَّما يأمر ليمتثل أمره، فإذا لم يبيِّن مراده لم يمكن[3] أن يمتثل أمره، ولا أن يعتقد طاعته فيما كلَّفه إيَّاه. وإذا كان ذلك كذلك لم يجز أن يتأخَّر البيان عن وقت الخطاب وتمام فصل الكلام؛ /١٨٧/ لأنَّ تأخيره يوجب اعتقاد غير ما ظهر؛ لأنَّه إذا خاطب بظاهر الإطلاق والعموم وهو يريد التقييد والخصوص، ثُمَّ لم يقرنه بدلالة؛ تبيِّن عنه أنَّه قد ألزم عباده أن يعتقدوا خلاف ما أراد منهم... وتعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

---

(١) في النسخ: «قبح»، وفي الهامش: «لعله صح»، وهو ما في منهج الطالبين. (المصدر نفسه).

(٢) آل عمران: ١٣٣. وتمامها: ﴿وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾.

(٣) في (ز): «يكن».



فالخطاب إذا ورد فلعمومه صيغة، كما أنَّ للخصوص صيغة، وللأمر صيغة، وللنهي صيغة، ولكلِّ وجه من وجوه الخطاب صيغة يُعرف بها حكمه، وتدلُّ المخاطَب به على معناه. ولم يجهل ذلك أو شيئًا منه أحدٌ من أهل اللسان، والمعرفة من أهل اللغة والبيان. غير أنَّ العرب لسعة لغتها وكثرة معاني كلامها تعبِّر عن الخصوص بلفظ العموم، وعن العموم بلفظ الخصوص، وعن الحقيقة بلفظ المجاز، وعن المجاز بلفظ الحقيقة، وهذا معروف بينهم ومنسوب عنهم، وعليه أدلَّة موضوعة من مقدِّمة الكلام وصلته بالإشارة المعهودة عندهم، وعلى ما يتعارفونه بينهم، فما فرق[١] به الدليل نقل عن موضعه وصيغته، على هذا النحو جرت المخاطبة من الله تعالى في محكم كتابه، خاطبهم باللسان العربيِّ المبين.

فيجب أن يُعتبر الخطاب إذا ورد من الله جلَّ ذكره، أو من رسوله ﷺ؛ فما ورد بلفظ العموم أُجرِي على عمومه ما لم يخصَّه دليل الخصوص. وما جاء بلفظ الخصوص وُقِفَ على خصوصه ما لم يطلقه دليل العموم. وفي هذا المقدار كفاية لمن أراد الله تعالى إرشاده.

[الأوجُه المختلفة للخطاب في كتاب الله]

فالخطاب إنَّما يرد من الله ﷻ بلغة من يخاطبهم؛ لأنَّه مريدٌ لإفهامهم، بقوله ﷻ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ ﴾ (إبراهيم: ٤) فالقرآن نزل بلغة القوم الذين بعث فيهم الرسول ﷺ. وهو مشتمل على ضربين[٢] من الخطاب:

(١) كذا في النسختين. ولعل الصواب: «قُرن».
(٢) كذا في النسخ، ولعل الصواب: «ضروب».

- فمنه المفسَّر الذي يُستغنى بلفظه عن بيان غيره.
- ومنه المجمل الذي لا يستغنى عن معرفة بيانه.
- ومنه المحكم الذي يعرفه السامع.
- ومنه المتشابه الذي يفكِّر في تأويله العالِمُ.
- ومنه ما يحتمل الوجـوه التي[1] لا يجوز القطع على شـيء منها إلَّا بدليل يعلم به المراد منها.
- ومنـه الإيجاب والإلـزام، ومنه الترغيـب والإرشـاد، ومنه الفرض والندب، ومنـه الإباحـة والحظر، ومنـه الكناية والتصريـح، ومنه التعريض والإفصاح، ومنه الحقيقـة والمجاز، ومنه الإطالة والإيجاز، ومنه الخصـوص /١٨٨/ والعمـوم، ومنه التكريـر والحذف، ومنه الإشـارة والتلويح، ومنه التأكيد والترديد. وكل ذلك معروف في لغة العرب. وعلى حسب اختلاف هذه الضروب تختلف معاني أحكامها.

ولكلِّ ضرب منها صورةٌ يُعرف بها، وصيغةٌ وُضعت لها، يَعرف السامعُ بذلك قصدَ المخاطِب وغـرض المتكلِّم. فمن عَرَفَ ذلـك وَضَعَ الخطابَ موضعَه، ولـم يَعْدِلْ به إلى غير جهته؛ ومن قَصُر علمه عن شـيء من ذلك التبس عليه ما قصر علمـه عنه، ولن يدرك ذلك من لم يكـن عاقلًا مميِّزًا. وبالله التوفيق.

فالواجب أن يُعتبر كلُّ خطاب بحسـب المعروف في اللسـان؛ لأنَّ منه ما يفترق ومنه ما يتَّفق ولا يفترق، ومنه ما يتَّفق لفظه ويختلف [معناه]، وما يفترق لفظه ويتَّفق معناه، وكلُّ ذلك معروف عند أهل اللسان. والله الموفق للصواب.

---

(١) في النسخ: «الذي».



مسألة: [الأصل أن يؤخذ الكلام على ظاهره]

الخطاب إذا ورد مطلقًا فظاهره خطاب معروف، وهو على إطلاقه، وإذا ورد مقيَّدًا فهو على تقييده؛ ألا ترى أنَّه لو قال قائل: فلان كافر كان ظاهره أنَّه كافر بالله تعالى، وإن كان يحتمل أنَّه أراد [كافرًا بـ]ـالطاغوت. وكذلك لو قال: فلان مؤمن فالظاهر أنَّه مؤمن بالله، وإن كان يحتمل أن يكون أراد أنَّه مؤمن بالطاغوت.

مسألة: [الأصل في الأمر أن لا يدلَّ على التكرار]

وإذا ورد الأمر بفعل، لم يجب إلَّا فعلًا واحدًا، إلَّا أن تقوم دلالة بتكريره. الدليل على ذلك قول النبيِّ ﷺ: «**إِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَانْتَهُوا. وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ**»[1]، ففي هذا الخبر دليل على ما قلنا، والله أعلم.

مسألة: [ما يحتاج الناس فيه إلى بيان، وما لا يحتاجون فيه إليه]

وما نزل من الأحكام في القرآن، وكان محتاجًا من الرسول عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى بيان، فهو غير منفكٍّ من ثلاثة أقسام:

- إمَّا أن يكون لو تُرك الناس مع ما يحتمله القرآن لم يصلوا إلى حكمه إلَّا ببيان.

(١) الربيع: الجامع الصحيح، كِتَابُ الْحَجِّ، بَابٌ فِي فَرْضِ الْحَجِّ، ر٣٩٤، ١/١٦٠. البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة، باب الاقتداء بسنن رسول الله، ر٦٨٥٨، ٦/٢٦٥٨. مسلم في كتاب الفضائل، باب توقيره وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه، رقم١٣٣٧، ٤/١٨٣٠.

- أو يكون مِمَّا لو تُركوا مع ظاهر لفظه بلا توقيف على حكمه لوجب عليهم إنفاذ الحكم به على كلِّ ما دخل تحت اسمه إذ كان ممكنا لهم باستعمال[١] كلِّ ما دخل في جملة ظاهره.
- أو يكون مِمَّا لو دخلوا مع ظاهر لفظه لوجب عليهم أن يأتوا من حكمه بما إذا أتى بمثله كان مؤدِّيًا لفرضه، إذ فعل ما نُدب في الظاهر إلى فعله، وإن لم يكن مستوعبًا لجميع ما يحتمله ظاهر لفظه.

فأمَّا ما كان الناس قبل وجوبه يفعلونه ويعرفونه، فنزل القرآن موجبًا له باسمه منفردًا؛ فالواجب عليهم أن يأتوا بالفعل الذي يتعارفونه مجرَّدًا ما لم يزدهم /١٨٩/ فيه النبيُّ ﷺ حكمًا مجرَّدًا؛ أو ينقصهم مِمَّا يحتمله ظاهره حكمًا منفردًا. ومحال أن يدعوهم النبيُّ ﷺ فيما كانت هذه صفته بلا بيان، إذ كان لله جلَّ ذكره فيه مراد غير ما تظهر[هُ] تلاوة القرآن.

وأمَّا ما كان الناس[٢] لا يعرفونه قبل أن ينزل القرآن بوجوبه، ولم يكن في صفتهم أن يأتوا بكلِّ ما دخل تحت اسمه على كمال حقِّه، لعجز بينهم[٣] عن القيام بكلِّ ما شرطه، وبيَّن لهم أنَّهم لم يؤمروا إلَّا ببعضه، إذ محال أن يتعرَّض من الأحكام بما لا طاقة لهم به، ولم يعلموا ما البعض الذي يجب عليهم المسارعة إلى فعله، ولم يكن في القرآن توقيف على حدة؛ فمحال أن يدعهم[٤] النبيُّ ﷺ مع ظاهر القرآن حتَّى يتبعه بيان.

---

(١) في (د): «فاستعمال». وفي (ز): ـ «تحت اسمه إذ كان ممكنًا لهم، باستعمال».
(٢) في (ز): + «فيه».
(٣) في (د): «لعجزيتهم».
(٤) في (ز): «يدعوهم».

مسألة: [أمر الإلزام وأمر التخيير]

والأمر أمـــران: أمر إلزام، وأمر تخيير. فأمـــر الإلزام كقوله عز وجل: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾، ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾، وما أشبه هذا من القرآن، وأمر التخيير كقولـــه عز وجل: ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾ (الحج: ٢٨)، ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ (الجمعة: ١٠)، ومثله في القـــرآن. وقد مرَّ هذا في أوَّل الكتاب.

مسألة: [وجوب امتثال أوامر اللّه تعالى ورسوله]

العرب تسمِّي «اِفْعَلْ» أمرًا، و«لَا تَفْعَلْ» أمرًا ونهيا. والله تعالى خاطبنا بما تعقل العرب في خطابها، فإذا أَمَرَ من تجب طاعته وجب على المأمور إتيان ما أُمر به فـــي أوَّل أوقات الإمكان إذا لم يضرب الآمـــر لذلك وقتًا معلومًا، ولا زمنًا[١] مفهومًا. وكذلك إذا نهاه عن شيء وجب عليه أن ينتهي[٢] عنه أوَّل أوقات الإمكان، ألا ترى إلى قول ضَمَرة بن ضَمَرة[٣] حيث حبســـه النعمان[٤] ثُمَّ أمر بإطلاقه، فأخَّروا إطلاقه:

فلو كنتَ ذا أمرٍ مطـــاعٍ لَمَا بَدَا　　　توانٍ مع الإمكان في حال أَمْرِكَا[٥]

(١) في (ز): «ولازمًا».

(٢) في (ز): «ينهى».

(٣) ضَمرَةُ بـــن ضَمرَة بن جابر النَّهشَـــلي الدارمـــي (ت:؟) من بني دارم، شـــاعر جاهلي من الشجعان الرؤســـاء. يقال: كان اسمه شـــقة فســـمَّاه النعمان ضمرة. وهو صاحب يوم ذات الشـــقوق، من أيام العرب في الجاهلية، أغار على بني أســـد، وظفر بهـــم، في مكان من ديارهم يسمَّى ذات الشقوق. انظر: الزركلي: الأعلام، ٢١٦/٣.

(٤) النعمان بن المنذر (ت: نحو ٢٨ ق.هـ): أمير بادية الشام. أو النعمان بن المنذر بن المنذر (ت: نحو ١٥ ق.هـ): من أشهر ملوك الحيرة في الجاهلية. انظر: الزركلي: الأعلام، ٤٣/٨.

(٥) ذكره الآمدي في كتابه: الإحكام، ١٦٤/١، ولم ينسبه بلفظ «... توان من المأمور في كل أمركا».

وعن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**حكمي علـى الواحد حكمي على الكلِّ، قولي للواحد قولي للكلِّ، وقولي لامرأة مثل قولي لمائة امرأة**»(١).

[ألم يكن النبيُّ ﷺ يؤخِّر التبليغ؟]

فإن قال قائـل: فإنَّ النبيَّ ﷺ قـد كان ينزل عليه الوحـي بالليل أو في فراشـه فلا يبلِّغ في وقته ما أوحي إليه حتَّى يصبـح ويجتمع الناس عنده، وفي هذا دلالة أنَّه كان ﷺ يؤخِّر ذلك؟!

قيل له: هذا غلط، وذلك أنَّ النبيَّ ﷺ /١٩٠/ لم يؤمر أن يبلِّغ ما أوحي إليه كلَّ النـاس، ولم يؤخذ عليه أن يطوف عليهم، وإنَّمـا أُمر بالتبليغ، فإذا بلَّغ واحدًا مـن أمَّته فقد فعل ما وجـب(٢) عليه، وكان بتبليغـه ذاك واحدًا واضعًا للبلاغ موضعه؛ فإذا نزل القرآن وهو فـي مضجعه بلَّغ زوجته، وفي تبليغه إيَّاها ذلك امتثال ما أُمر به ﷺ.

مسألة: [البيان بالفعل وبالقول]

ومعنى البيـان هو: إيضاح المشـكل، ولا يكون إلَّا نطقًا أو فعـلًا يقارنه(٣)

---

(١) في هذه الرواية حديثان. قال العجلوني: «حكمي على الواحد حكمي على الجماعة...» ليس له أصل بهذا اللفظ، كما قال العراقي في تخريج أحاديث البيضاوي، وقال في الدرر كالزركشـي: لا يعرف. وسـئل عنه المزِّيُّ والذهبيُّ فأنكراه. نعم يشـهد له ما رواه الترمذيُّ والنسـائيُّ من حديث أميمة بنت رقيقة، فلفظ النسائيِّ: «ما قولي لامرأة واحدة إلَّا كقولي لمائة امرأة...» وهو من الأحاديث التي ألزم الدارقطنيُّ الشيخين بإخراجهما لثبوتها على شرطهما». انظر: الترمذي: السنن، كتاب السـير، باب ما جاء في بيعة النسـاء، ر١٥٦٧، ١٥١/٤. النسائي: السنن، كتاب البيعة، باب بيعة النساء، ر٤١٨١، ١٤٩/٧. العجلوني: كشف الخفاء، ر١١٦١، ٤٣٦/١ ـ ٤٣٧.

(٢) في (ز): «أوجب».

(٣) في النسخ: «يقارعه». ولم نجد لها وجها لغويًا يناسـب السياق. انظر: ابن منظور: اللسان، مادَّة: «قرع»، ٢٦٢/٨ ـ ٢٧٠.



النطق. والدليل على ذلك ما حدَّث به أبو إسحاق القاسم بن وهب[١] بإسناد إلى عبد الله بن مسعود قال: صلَّى بنا رسول الله ﷺ فزاد فيها أو نقص ـ شكَّ فيها إبراهيم[٢] أو علقمة[٣] ـ ثُمَّ أقبل علينا بوجهه، فقيل: يا رسول الله، أَحَدَثَ في الصلاة شيء؟ قال: **وما ذلك؟** فأخبَرْنَا بالذي صنع، فثنَّى رجله واستقبل القبلة، وسجد سجدتين وهو خاشع، ثُمَّ أقبل بوجهه ﷺ، ثُمَّ قال: «**لو أنَّه حَدَثَ[٤] في الصلاة شيء أخبرتكم، ولكنِّي أنا بشر أَنْسَى كما تنسون، فإذا نسيت فذكِّروني، وأيُّكم شكَّ في الصلاة فليتحرَّ أقرب ذلك فليتمَّ عليه، ويسجد سجدتين وهو جالس**»[٥]. فأخبرهم ﷺ أنَّه لا يَكِلُهم إلى الفعل، ولا يَدَعُهُم[٦] إلى وقت الفعل، إذ هو ﷺ من أسرع الناس إلى الطاعات وأبعدهم من التفريطات.

ويدلُّ على ذلك أيضًا ما روي عن ابن سيرين[٧] قال: لَمَّا نزلت ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ ﴾ (النساء: ١٢٧، ١٧٦)، والنبيُّ ﷺ في مسيرٍ له، وإلى جنبه حذيفة بن

(١) لم أجده في سند الروايات التي اطَّلعت عليها. ولم أتمكَّن من تحديده بالتدقيق مِمَّا بين يديَّ من مصادر. وقد ذكر الخطيب البغدادي شخصية باسم القاسم بن وهب بن جامع الصيدلاني، ولم يورد معلومات كافية عنه، غير أنَّه «حدَّث عن محمَّد بن داود بن علي الأصبهاني. روى عنه أحمد بن محمد بن عمران الجندي». ترجمة ر٦٩٢٣، ١٢/٤٤٧.

(٢) أبو عمران، إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي (ت: ٩٦هـ): من أكابر التابعين صدقًا وحفظًا ورواية للحديث. انظر: الزركلي: الأعلام، ١/٨٠.

(٣) أبو شبل علقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك النخغي (ت: ٦٢هـ): من كبار التابعين، فقيه العراق. انظر: الزركلي: الأعلام، ٤/٢٤٨.

(٤) في (ز): «أحدث».

(٥) رواه بنحو هذا اللفظ: البخاري في كتاب الصلاة، باب التوجه نحو القبلة حيث كان، ر٣٩٢، ١/١٥٦. مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب السهو في الصلاة والسجود له، ر٥٧٢، ١/٤٠٠.

(٦) في النسخ: «يدعوهم».

(٧) محمَّد بن سيرين البصري (ت: ١١٠هـ)، وقد تقدَّمت ترجمته.

اليمان، فبلَّغهـا النبيُّ ﷺ حذيفة، وبلَّغها حذيفة عمر وهو يسير خلفه. فلمَّا استُخلِف عمر سأله عنها، ورجا أن يكون تفسيرها عنده، فقال حذيفة: والله إنَّك لجاهل، أو غير ذلك، إن ظننت أنَّ إمارتك تحملني أن أحدِّثك فيها ما لم أحدِّثك يومئذ، قال: لم أرد هذا رحمك الله!.

ومن غير طريق ابن سيرين عن حذيفة أنَّ الله تعالى أنزل عليه ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ (النساء: ١٧٦)، وهو ﷺ يسير وأنا معه، فمسح عينيه من العرق بِكُمٍّ جبَّته وبلَّغنيها، فقلت: يا رسول الله، أَمَا نَزَلْتَ؟ وجمعت الناسَ وبلَّغت، ولم يسمعها منه غيري، فقال: «**أتراني لا أفعل، غير أنِّي ذكرت قول الله تعالى**: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾» (لقمان: ٣٤).

/١٩١/ مسألة [«ذروني ما تركتم»]

أبو هريرة بإسناد قال: دخلت على رسول الله ﷺ وهو قد كظَّه العطش وهو صائم يوم رابع عشر من الشهر، ودخل أعرابيٌّ، فلمَّا رأى عطش رسول الله ﷺ قال: يا رسول الله ـ صلى الله عليك ـ، هذا اليوم واجب صومه فنصومه من كلِّ شهر؟ فغضب رسول الله ﷺ، ثُمَّ قال: «**ذروني ما تركتم، فإنَّما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم**»[(١)].

قوله: كظه العطش يعني: غلبه وأتعبه، قال مُتَمِّم بن نُوَيرَة[(٢)]:

---

(١) لم أجد فيما بين يديَّ السؤال عن الصوم وإنَّما عن الحجِّ في كلِّ عام. وقد تقدَّم تخريجه.

(٢) أبو نهشل، مُتَمِّم بن نُوَيرَة بن حمزة بن شدَّاد اليربوعي التميمي (ت: ٣٠هـ): شاعر فحل، صحابيٌّ، من أشراف قومه، اشتهر في الجاهليَّة والإسلام، أشهر شعره رثاؤه لأخيه مالك. انظر: الزركلي: الأعلام، ٢٦٥/٥.



ويومًا إذا ما كظَّكَ الخَصمُ إن يكن نصيركَ منهم لا تكن أنتَ أضيعا[(١)]

كظَّك: غلبك وقهرك، قال: والكظيظ: الممتلئ من كلِّ شيء[(٢)]. وفي حديث[(٣)]: «**إنَّ للجنَّة ثمانية أبواب، ما من باب إلَّا وهو كظيظ من الناس عند دخولها**»[(٤)].

مسألة: [الأمر بالشيء نهي عن أضداده]

والأمرُ بالشيء نهيٌ[(٥)] عن كلِّ أضداده، قال الله تعالى: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَ﴾ (الجمعة: ٩) فأمر الله جلَّ ذكره بإيجاب السعي، فعُقل النهيُ عن منع ما يضادُّه من القعود والاضطجاع وغير ذلك من الأشياء التي تضادُّ السعي، وليس البيع والتزويج والمأكل والشراب بأضداد للسعي، إذ جائز أن يسعى ويبيع في حال، ولا جائز أن يمشي ويجلس في حال، وجائز أن يسعى ويأكل في حال، ولا جائز أن يضطجع ويجلس في حال، فلمَّا تنافى الأمر بالجلوس والاضطجاع والسعي في حالٍ عَقَلَ المخاطَبون أنَّ في أمره تعالى بالسعي للصلاة دليلًا على النهي عن جميع ما يضادُّ السعي من الجلوس والاضطجاع.

والنهي عن الشيء أمر بضدِّه أو ببعض أضداده، فإذا كان الإنسان جالسًا فقيل له: لا تقم، فله قبل هذا القول أن يقوم ويقعد ويضطجع، فإذا

---

(١) البيت من الطويل، لابن نويرة في ديوانه. ينظر: الموسوعة الشعريَّة.

(٢) ابن منظور: اللسان، مادَّة: «كظظ»، ٤٥٨/٧.

(٣) في (ز): «الحديث».

(٤) لم أجده بهذا اللفظ. وقد روي ما في معناه في صحيح مسلم: كتاب الزهد والرقائق، ر٢٩٦٧، ٢٢٧٨/٤. الحاكم: المستدرك على الصحيحين، ر٥١٣٩، ٢٩٢/٣.

(٥) في (د): «والآمر بالشيء ناهي».



نُهِيَ عن واحد منها وهو القيام فهو على ما كان عليه من تصرُّفه في حاله، فإذا امتنع عن القيام فله كلُّ فعل غير المقـام، وإذا كان ما ذكرناه على ما وصفنا كان إذا أمرنا بشـيء فهو نهيٌ عن كلِّ ضدٍّ له، وإذا نُهِيَ عن شيء فله فعلُ كلِّ ضدٍّ له.

مسألة: [الأمر للوجوب إلَّا لقرينة]

والأوامر علـى الوجوب مِمَّا أمـر الله تعالى ورسـوله ﷺ، أو من أمره أمرهما [كذا]، إلَّا أن تقوم دلالة علـى أنَّه غير واجب أو تُخَصِّص[1] /١٩٢/ ما أمر بفعله.

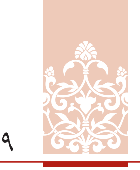
فإن قال قائل: قال النبيُّ ﷺ: «**قيلوا فإنَّ الشياطين لا تقيل**»[2]، فيجب أن يكون هذا القول يوجب المقيل على النـاس كلِّهم، وأنَّهم لو تركوا ذلك أو تركه منهم تارك كان عاصيًا. قيل له: قد شرطنا في صدر كلامنا[3] أنَّ الأوامر على الوجـوب إلَّا ما قام دليله، وقد دلَّنا الإجمـاع على أنَّ من ترك المقيل متعمِّدًا أو ناسيًا، ولم يُرد بذلك مخالفة للرسول ﷺ ولا تركًا لأدبه؛ أنَّه غير عاص بذلك. فهذا يدلُّ على أنَّ الأمر بذلـك أدبٌ لهم، وترغيب فيما يعود بصلاح أبدانهم؛ فصـحَّ ما قلنا: إنَّه وإن كان أمرًا فليـس بأمر واجب، لقيام الدلالة على ذلك. وبالله التوفيق.

---

(١) في (ز): «تخصيص».

(٢) رواه الطبراني في الأوسـط، بلفـظ: «قيلوا فإنَّ الشـيطان لا يقيل». قـال الهيثمي: «رواه الطبراني في الأوسط وفيه كثير بن مروان وهو كذَّاب». الطبراني: المعجم الأوسط، ر٢٨، ١٣/١. الهيثمي: مجمع الزوائد، باب القيلولة، ١١٢/٨.

(٣) في (د): «كتابنا».



مسألة: [قيام الحجَّة بالخطاب للسامعين]

وإذا وقع الخطاب بالأمر من الكتاب للسامعين العقلاء البالغين بنظمه الذي بان من سائر الكلام به ـ لزمهم ما وقعت به اللغة من الأسماء على مسمَّياتها لهم، وعند ذلك ما هم محجوجون في العلم له، واعتقاد معانيه، والعمل بما فيه بذلك. وإن لم يعقلوا معنى الخطاب[1]، ولا كانوا من أهل اللغة، فعليهم في حجَّة عقولهم الكفُّ عمَّا قد جاز عندهم التعبُّد بالكفِّ عنه لهم مِمَّا لا يجوز، مع بحثهم عنه أن لا يخفى عليهم؛ لأنَّ ذلك ما هم ممكَّنون منه إلى حال تثبُّتهم لِمَا هو من ذلك فرضٌ عليهم أو مباح لهم. وذلك على من انقطع عذره في دعوة محمَّد[2] ﷺ له إلى ما جاء به مجملًا عن الله تعالى، والمسلمون شهداء بمعاني ذلك، فيفسِّروه له إذا لم يكن من أهل اللغة، وتلك بيِّنة واضحة وحجَّة قاهرة بقوله ﷻ: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ (الأنعام: ١٩). فإذا سمعوا بعد كمال الدين الأوامر مع معرفة معانيها، أو جاز أن تكون عندهم مخصوصة في بعض معاني ما وقعت عليه، أو منسوخ منها، فعليه أن يعلم فيما يجوز من النسخ أنَّ ذلك فرض قد كان الله تعالى فَرَضَهُ ولا يدري أَثَبَّته أم نسخه، فما كان من ذلك أمر بفعل محظور بحجَّة عقليَّة أو لغة مبيِّنة لا يمتحن بها إلَّا مالك التعريض منها، والعالم بمقادير المصلحة، فأعدل ذلك إن شاء الله الوقوف بالتبيُّن له والسؤال عنه وعن مبلغ حدِّ الحكم فيه قبل الإقدام عليه، قال الله ﷻ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ (محمَّد: ٢٤).

فأمَّا ما /١٩٣/ أمر الرسول ﷺ به مفسَّرًا فلا وقوف معه. ولو جاز أن

---

(١) في (د): «الخطابة». (ز): «الخطابة» صحِّح إلى «الخطاب».

(٢) في (ز): «النبي».

يخاطَبوا بما ليس في حجج عقولهم مَبْلَغُهُ لجاز ذلك بما يجهله من جهة اللغة، وَلَمَا دَخَلَ العَجَم في الأمر بالكتاب الذي هو الحجَّة البالغة. ولو وقع الخطاب للكلِّ بأسماءٍ لَا معانِيَ[1] لها معهم، ولا دلالة عليها عندهم، لكان لا معنى لها، ولا سبيل إلى علم مأمور به بها. ولَوْ وقفوا جميعًا على معاني ما خوطبوا[2] به ما احتاج أحد منهم إلى تفسير الرسول ﷺ ذلك له وللشهداء عنه بـه، ولا اختلفوا فيه. لكـنَّ المحنة وقعـت بهم في ذلـك على لزوم التكليف لهم في معارفهم لمعاني أوامر الله تعالـى إيَّاهم ونواهيه لهم، وما تحصَّلوا من ذلك من مقاييسـهم وحجج عقولهم، من معاني آيِهِ وأسـمائه وصفات ذاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

مسألة: [قد يكون الأمر للترغيب والإطلاق والتأديب]

والأمر قد يخرج فـي الكلام ترغيبًـا وإطلاقًا وتأديبًـا، والأصل فيه الفرض؛ لأنَّ ما لم يكن منـه فرضًا فمجازُ كلامٍ. فالفرض منه كقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُ﴾ (البقرة: ١٨٥). والإطلاق كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ (الجمعـة: ١٠)، ﴿وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْ﴾ (المائـدة: ٢). والتأديب كقولـه عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡ﴾ (البقرة: ٢٨٢). والله أعلم.

مسألة: [قد ينقل الأمر من تخفيف إلى تثقيل]

احتجَّ قوم بأنَّ الله تعالى لا ينقل العباد مـن تخفيف إلى تثقيل، يقال لهم: إنَّ الله تعالى قـد نقل المؤمنين من تخفيف إلـى تثقيل بأمره تعالى

---

(١) في النسخ: «بأسماء المعاني».
(٢) في (ز): «خاطبوا».

إيَّاهم بقتال المشركين بعد أن كانوا بذلك غير متعبَّدين، فقال تعالى: ﴿ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (التوبة: ٣٩)، فقد صاروا بالتخلُّف عن القتال متوعَّدين بعد أن كانوا به غير مأمورين. ولله في عباده ما يشاء من أمر ونهي وتخفيف وتثقيل، له الخلق والأمر، كما قال تعالى: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الأعراف: ٥٤). وقد خفَّف الله تعالى عن عباده أشياء بعد التثقيل عليهم فيها كقوله تعالى: ﴿ ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا... ﴾ الآية[1].

مسألة: [ما معنى قوله عز وجل: ﴿ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ﴾]

فإن قال قائل: ما معنى قوله عز وجل: ﴿ ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ﴾؟ أتقول: إنَّه لم يكن عَلِمَ قبل ذلك عندما ألزمهم الفرض الأوَّل؟ قيل له: هو عالم بما كان وما يكون، ولا يخفى عليه شيء، ولكن خفَّف الله عنهم وألزمهم هذا الفرض الثاني. والله أعلم وأحكم[2].

ولَمَّا كان المسلمون أقلَّاء في صدر /١٩٤/ الإسلام، وكانت نيَّاتهم أقوى، فرض عليهم الفرض الأوَّل لقوَّة نيَّاتهم، وَلَمَّا كثر المسلمون، وكان الحرصُ منهم على قتال العدوِّ ضَعُفَ ـ خفَّف[3] المحنة عنهم، وألزمهم الفرض الثاني، والله أعلم.

---

(١) الأنفال: ٦٦. وتمامها: ﴿... فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾.

(٢) ابن بركة: الجامع، ٨٤/١ (نق).

(٣) في (ز): + «عليهم».

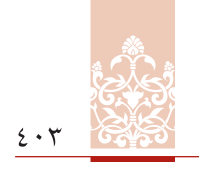
مسألة: [الواجب يؤدَّى بقدر الاستطاعة]

كلُّ من أوجب الله ﷻ عليه أمرًا فهو أبدًا واجب عليه حتَّى يَعْلَمَ زوالَهُ عنه بالوجهِ[1] الذي ألْزَمَهُ الله تعالى إزالَتَهُ به عن نفسه. وكلُّ قادر على فعل ما أمر به فلا عذر له في ترك فعله. وكلُّ عاجز عن فعل ما أمر به فمعذور في تركه، ومخاطب بالانتقال عن الهيئة المأمور بفعله عليها إلى حالة أنقص منها، ولا عذر له في الترك، إلَّا أن يعدم وجوه القيام بذلك أصلًا فهو معذور. وذلك مثل المأمور بالصلاة قائمًا لا عذر له في [ترك] القيام إلَّا بالعجز عنه، فإذا عجز عن القيام كان عليه الصلاة قاعدًا، فإذا عجز عن القعود كان عليه الصلاة نائمًا، فهو موسَّع له بالانتقال بالعجز عن حال إلى حال. لا أنَّه بالعجز عن الفرض الأوَّل سقط عنه ما وراء ذلك من الفروض مع القدرة عليها والتوصُّل، والله أعلم.

مسألة: [هل الأمر يدلُّ على الوجوب؟]

اختلف العلماء في الأوامر، فمنهم [من] يقول: هي على الوجوب، ومنهم من يقول: على الندب، ومنهم [من] يقول: الأوامر إذا وردت كانت على الوقف لا حكم لها حتَّى يَرِدَ بيان يدفع الشبهة عن المأمورين ويزيح العلل عنهم، وبالقول الأوَّل يقول أصحابنا ـ رحمهم الله ـ، وقد مرَّ الاحتجاج عليه. والله الموفِّق للصواب.

(١) في النسخ: «فالوجه». صححناه بما يوافق السياق.



مسألة: [للأمر أغراض مختلفة]

قال أبو محمَّد[١] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: صيغة الأمر إذا وردت معرَّاة من القرائن والمقدِّمات والدلائل ووردت مطلقة كانت على الإيجاب، وقد ترد تلك الصيغة مع قرينة تنقلها إلى الندب، وقرينة تُرِي عجز المأمور، وقرينة تدلُّ على إطلاق بعد حظر، وقرينة يراد بها التكوين لامتثال الأمر، وقرينة تُرِي رفع منزلة المأمور وتكريمًا له، وقرينة تُرِي الوضع من المأمور به، وقرينة تنقلها إلى النهي[٢]، ومنه ما يراد به التهدُّد والزجر.

ـ فالصيغة التي ترد مطلقة: كقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ﴾ (النساء: ١٣٥) توجب امتثال المأمور به لأنَّها وردت مطلقة لا قرينة معها ولا دليل ينقلها.

ـ والذي يدلُّ على التكوين دون امتثال الأمر: قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ (البقرة: ٦٥)، لم يرد منهم أن /١٩٥/ تكون أنفسهم قردة، لِعِلْمِنَا أنَّ الفِطَر تعجز عن ذلك.

ـ والذي أريد به الإطلاق دون الأمر: قوله جلَّ ذكره: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ (الجمعة: ٩)، ثُمَّ قال: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ (الجمعة: ١٠)، وهذا إطلاق بعد حظر، غير موجب على الناس به أن ينتشروا. وكقوله تعالى: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ (المائدة: ٩٦)، ثُمَّ قال تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُواْ﴾ (المائدة: ٢)، ولم يرد بذلك إيجاب الاصطياد، وإنَّما أراد الإطلاق بعد الحظر.

(١) ابن بركة: الجامع، ٣٦/١ ـ ٣٧ (نق).
(٢) في النسخ: «المنهي»، ولعلَّ الصواب ما أثبتناه من جامع ابن بركة.



ـ وأمَّا الــذي أريد به النــدب دون الفرض: فقولــه تعالى: ﴿ فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ﴾ (الحج: ٢٨، ٣٦)، والأكل غير واجب باتِّفاق الأمَّة.

ـ وأمَّا الذي أريد به التهدُّد والزجر: فكقوله جلَّ ثناؤه: ﴿ وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ (الإسراء: ٦٤)، وكقوله تعالى: ﴿ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (فصّلت: ٤٠).

ـ وأمَّـا الذي يدلُّ على رفـع المأمور: فقوله جــلَّ ذكره: ﴿ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴾ (الحجر: ٤٦).

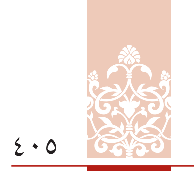
ـ وأمَّا الذي يدلُّ على وضع المأمور وإهانته: كقوله ﷻ: ﴿ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ (الزمر: ٧٢).

والخطــاب إذا ورد مطلقًا فهــو على إطلاقــه، وإذا ورد مقيَّدا فهو على تقييده إلَّا أن يخصَّ ذلك دليل، والله أعلم.

مسألة: [دخول المسكوت عنه في حكم المنطوق]

الخطــاب قد يرد بذكر شــيء، فيكون المســكوت عنــه من جنس المنطوق به داخلًا فــي حكمه، وإن كان الذِّكْر خــصَّ المنطوق به دون السكوت عنه، وقد ثبَّتت السُّنَّة ذلك بقول النبيِّ ﷺ: «**من أعتق شقصًا له في عبد قوِّم عليه**»[1]، وكانت الأَمَة في معناه بإجماع، وإن كان الذِّكْر في العبد دون الأَمَة.

(١) روي بألفاظ مختلفة بنفس المعنــى عند: الربيع: الجامع الصحيح، كِتَابُ الأَيْمَانِ وَالنُّذُورِ، بَابٌ فِي الْعِتْقِ، ر٦٧٤، ٢٦٣/٢. البخاري فــي كتاب العتق، باب إذا أعتق عبدًا بين اثنين أو أمة بين الشركاء، ر٢٣٨٥، ٨٩٢/٢. مسلم في كتاب العتق، ر١٥٠١، ١١٣٩/٢.



وكذلك ما روت عائشة عنه ﷺ أنَّه قال: «**إذا مسَّت المرأة فرجها انتقضت طهارتها**»[١]، وكان الرجال مع النساء.

ويدلُّ على صحَّة هذا التأويل قول الله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ...﴾ الآية[٢]، فكان المحصَنون في معناهنَّ، ويجب على قاذف المحصنين ما يجب على قاذف المحصنات من الحكم، وإن كان الذِّكْرُ خصَّ به المحصنات دون المحصنين.

وكذلك قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَإِذَآ أُحۡصِنَّ فَإِنۡ أَتَيۡنَ بِفَٰحِشَةٖ فَعَلَيۡهِنَّ نِصۡفُ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ﴾ (النساء: ٢٥) فكان العبد في حكم الأَمَة باتِّفاق، وإن كان الذِّكْرُ خصَّ به الأَمَة دون /١٩٦/ العبد.

فصل: [تعريفات مختصرة للأحكام التكليفيَّة]

عن قومنا: حدُّ الأمر: ما يكون المأمور بامتثاله طائعًا، وبتركه عاصيًا؛ وقيل: ما لا يجوز تركه بحال. وحدُّ النهي: ما يكون المنهيُّ عنه بفعله عاصيًا، وبتركه طائعًا؛ وقيل: ما لا يجوز فعله بحال.

وحدُّ الوجوب: ما لا يجوز تركه إلى بدل، والفرض والحتم واللازم في معناه.

والمندوب إليه: ما فِعْلُهُ أفضلُ من تركه.

---

(١) ورد بلفظ: «إذا مست المرأة فرجها توضَّأت». عند: الحاكم: المستدرك على الصحيحين، ر٤٧٩، ١/٢٣٣. رواه البيهقي في الكبرى، ر٦٢٩، ١/١٣٣.

(٢) النور: ٤. وتمامها: ﴿... ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾.

والجائز: ما ليس في العقل[١] ولا في السمع المنع منه؛ وقيل: إنَّ الجائز ما فعله وتركه سواء. وهذا فيه نظر؛ لأن المندوب إليه جائز وفعله أفضل من تركه، والواجب جائز ولا يجوز تركه.

والمباح: ما لا يثاب على فعله، ولا يعاقب على تركه؛ وقيل: ما يجوز[٢] فعله وتركه. وفيه نظر؛ لأنَّ الله تعالى له أن يفعل الأصلح[٣] وله أن لا يفعل، ولا يقال لفعله: مباح.

(١) في (د): «الفعل».
(٢) في (د): «لا يجوز». وهو خطأ.
(٣) في (ز): «الإصلاح».



باب ١٢ في الأخبار عن النبيِّ ﷺ[(١)]

فمنها أخبار المراسيل، وأخبار المقاطيع، والأخبار الموقوفة، وأخبار المتن، وخبر الصحيفة، والخبر الزائد على الخبر الناقص، والخبر المعارض لغيره من الأخبار، والخبران يردان من طريق أو طريقين يكون أحدهما خاصًا والآخر عامًّا، والخبران يكون أحدهما ناسخًا والآخر منسوخًا.

ـ فأمَّا الخبر المرسل: فهو أن يروي التابعيُّ الخبر عن النبيِّ ﷺ ولم يشاهد النبيَّ ﷺ، ويجب أن يكون بينه وبين النبيِّ ﷺ صحابيٌّ فلا يذكره، إمَّا أن يكون قد سمع من الصحابيِّ فاقتصر على ما روى له، ولم يحتج إلى ذكر من أخبره، أو أن يكون صحَّ عنده بالخبر عن النبيِّ ﷺ بالإخبار عن ذلك الصحابيِّ وبسنده إلى النبيِّ ﷺ.

ـ وأمَّا أخبار المقاطيع: فهو أن يروي الرجل الخبر عن النبيِّ ﷺ، فيسقط في الوسط رجلًا فلا يذكره في إسناده، فإذا ترك الرجل انقطع إلى حيث ترك الرجل.

ـ وأمَّا الخبر الموقوف: فهو أن يُروى الخبرُ عن الصحابيِّ أو التابعيِّ فيوقف الخبر عليهما.

(١) ينظر نحو هذا الباب في جامع ابن بركة، ٣/١ فما بعد (نق).

ـ وأمَّا أخبار المتن: فهي التي تروى عـن النبيِّ ﷺ ولا يذكر من رواها عنه من الصحابة، ويعتمد على صحَّتها، وتسمَّى مثل هـذه الأخبار: أخبار المتن.

ـ وأمَّا خبر الصحيفة: فهو أن يروي الـراوي الخبر إلى أن ينتهي به /١٩٧/ إلى رجـل فيقول: عـن أبيه عن جـدِّه ولم يَرَ ذلـك المذكورُ النبيَّ ﷺ، فـإذا كان الخبـر عـلى هـذا الوصف ونحوه سـمِّي خبر الصحيفة.

ـ وأمَّا الخبر الزائد على الخبر الناقص: فإنَّه إذا ورد خبر عن النبيِّ ﷺ من وجه، وروي ذلك الخبـر أيضًا من وجه آخر، إلَّا أنَّ أحـد الخبرين فيه زيادة لفظة، اسـتُعمل الزائد من الخبريـن؛ لأنَّه فيه فائدة لم تُذكـر في الآخر، ولم يوردها الراوي الثاني معه، لِمَا قد يجوز أن يكون أحدهما شـاهد القصَّة إلى الموضع الذي أخبر به، والآخر شـاهد القصَّة إلى آخِرها، فسمع ما لم يسمع الآخَر وشَاهَدَ ما لم يشاهد الآخر؛ فلذلك استُعمل الزوائد من الأخبار.

ـ وأمَّا الأخبار المتعارضة: فمثل ذلك أن يُروى عن النبيِّ ﷺ خبرٌ بإباحة شـيء، ويروى خبرٌ آخر بحظر الشـيء، فيوقفان[1] جميعًـا، ويُنظر المتقدِّم منهما من المتأخِّر بالتاريخ، ليُعلم الناسخ منهما من المنسوخ، نحو ما رُوي عن النبيِّ ﷺ أنَّه سها في صلاته فسجد قبل التسليم[2]، وروي أنَّه سجد بعد

(١) في النسخ: «شيء فيوقفا».

(٢) من ذلك ما رواه مسلم: أنَّ رَسُـولَ اللهِ ﷺ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ مِنْ بَعْضِ الصَّلَوَاتِ، ثُمَّ قَامَ فَلَمْ يَجْلِسْ، فَقَامَ النَّاسُ مَعَهُ، فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ وَنَظَرْنَا تَسْـلِيمَهُ، كَبَّرَ فَسَـجَدَ سَـجْدَتَيْنِ وَهُوَ جَالِسٌ قَبْلَ التَّسْلِيمِ، ثُمَّ سَلَّمَ. البخاري في كتاب الأيمان والنذور، باب إذا حنث ناسيًا في الأيمان، ر٦٢٩٣، ٢٤٥٥/٦. مسـلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب السهو في الصلاة والسجود له، ر٥٧٠، ٣٩٩/١.



التسليم(١)، فتنازع الناس في ذلك، واختلفوا في الناسخ منهما من المنسوخ، والمتقدِّم من المتأخِّر.

ـ وأمَّا الخاصُّ والعامُّ: فنحو قوله ﷺ: «**حيثما أدركتك الصلاة فصلِّ**»(٢)، فهذا عموم يوجب جواز الصلاة في كلِّ موضع. وروي عنه ﷺ أنَّه نهى عن الصلاة في المقبرة والمنحرة والمزبلة والحمَّام وقارعة الطريق ومعاطن الإبل(٣)، فكان هذا خبرًا خصَّ بعضَ ما اشتمل عليه عموم الخبر الآخر، فالخاصُّ يعترض على العامِّ، ولا يعترض العامُّ على الخاصِّ. وكذلك الخبر المفسَّر يقضي على المجمل، ولا يقضي المجمل على المفسَّر.

ـ وأمَّا الناسخ والمنسوخ: فهو نحو ما روي عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**كنت نهيتكم عن زيارة القبور، ألا فزوروها ولا تقولوا هجرًا**»(٤).

---

(١) منها ما رواه الربيع والبخاري: أنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى الظُّهْرَ رَكْعَتَيْنِ فَقِيلَ: صَلَّيْتَ رَكْعَتَيْنِ، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ سَلَّمَ ثُمَّ سَجَدَ سَجْدَتَيْنِ. الربيع في كِتَابُ الصَّلَاةِ وَوُجُوبِهَا، بَابٌ فِي السَّهْوِ فِي الصَّلَاةِ، ر٢٤٨، ١٠٥/١. البخاري في كتاب الأذان، باب هل يأخذ الإمام إذا شكَّ بقول الناس، ر٦٨٣، ٢٥٢/١. ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب السهو في الصلاة والسجود له، ر٥٧٣، ٤٠٣/١.

(٢) تقدَّم تخريجه.

(٣) رواه الربيع والترمذي وابن ماجه، وقد تقدَّم تخريجه.

(٤) الربيع في كِتَابُ الْجَنَائِزِ، بَابٌ فِي الْقُبُورِ، ر٤٨١، ١٩٤/١. النسائي: السنن، كتاب الجنائز، باب زيارة القبور، ر٢٠٣٣، ٨٩/٤. ورواه مسلم والترمذي وغيرهما بدون زيادة «ولا تقولوا هجرًا». مسلم في كتاب الجنائز، باب استئذان النبيِّ ربَّه ﷻ في زيارة قبر أمِّه، ر٩٧٧، ٦٧٢/٢. الترمذي: السنن، كتاب الجنائز، باب ما جاء في الرخصة في زيارة القبور، ر١٠٥٤، ٣٧٠/٣.

وأمَّا الأخبار التي تنازع الناس في تأويلاتها عند مبايعاتهم إذا عقدوها على شروط بينهم فإنَّها تأتي في باب الشروط في البيع إن شاء الله[(١)].

ومن الأخبار الموقوفة لتعارضها وطلب الدلالة على المتقدِّم منها من المتأخِّر، أو ما أريد ببعضها دون بعض، نحو ما روي عن النبيِّ ﷺ «أنَّه نهى عن الشرب قائمًا»[(٢)]، وروي «أنَّه شرب من زمزم قائمًا»[(٣)]، فوجب /١٩٨/ اتِّفاق الخبرين، وكان المرجوع إلى قول الله تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ﴾ (الأعراف: ٣١) فهذه الآية تبيح الأكل والشرب على أيِّ حال كان عليها الآكل والشارب، إلَّا أن تَخُصَّ دلالة في بعض الأوقات وبعض الأحوال.

وروي عنه ﷺ «أنَّه نهى عن الشرب من فم السقاء»[(٤)]، وروي «أنَّه حنَّث السقاء فشرب منه»[(٥)]، أي: عطفه. وأمَّا الشرب من فم السقاء المنهيُّ عنه فقيل عنه للإشفاق أن تكون فيه دابَّة. وباقي هذه المسألة يأتي في باب الأكل والشرب إن شاء الله.

---

(١) وقد أوردها ابن بركة في نفس الباب من الجامع، ٤/١ ـ ٥ (نق).

(٢) مسلم في كتاب الأشربة، باب كراهية الشرب قائمًا، ر٢٠٢٤، ١٦٠٠/٣.

(٣) البخاري في كتاب الأشربة، باب الشرب قائمًا، ر٥٢٩٤، ٢١٣٠/٥. مسلم في كتاب الأشربة، باب في الشرب من زمزم قائمًا، ر٢٠٢٧، ١٦٠١/٣ ـ ١٦٠٢.

(٤) البخاري في كتاب الأشربة، باب الشرب من فم السقاء، ر٥٣٠٤، /. ابن ماجه: السنن، كتاب الأشربة، باب الشرب من في السقاء، ر٣٤٢٠، ٣٤٢١، ١١٣٢/٢.

(٥) أورد الربيع الروايتين معًا. الصحيح، كِتَابُ الزَّكَاةِ وَالصَّدَقَةِ، بَابُ أَدَبِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، ر٣٨٢.

مسألة: [التعارض والترجيح بين الأخبار]

وإذا ورد خبران[١] أحدهما عامٌّ والآخر خاصٌّ أو مفسَّر، كان الخاصُّ والمفسَّر قاضيًا على العامِّ.

وإذا ورد خبران[٢] وثبت صحَّتهما عند أهل العلم، ولم يُعلم المتقدِّم[٣] منهما من المتأخِّر، ولا الناسخ من المنسوخ؛ [[٤]قال أبو محمَّد رَحِمَهُ اللَّهُ: فالواجب عندي استعمالهما إذا أمكن ذلك، ولم يعارضهما أو يعارض واحدًا منهما دلالةٌ تمنع من استعمالهما أو استعمال واحد منهما، ولا يطرح منهما شيء.

وإذا ورد خبر فالواجب إجراؤه على عمومه ولا يخصُّ إلَّا بحجَّة. وإذا ورد الخبر بوجوب عملٍ في غير وقتٍ محظورٍ فالواجب إجراؤه على عمومه، والمدَّعي لتخصيصه عليه إقامة الدليل.

وإذا ورد خبران أحدهما ينفي الفعل والآخر يوجب إثباته، كان الإثبات أولى إذا لم يعلم المتقدِّم[٥] منهما ولا المتأخِّر، ولا الناسخ من المنسوخ].

وهذا على أصول أصحابنا يصحُّ على ما يذهبون إليه في الحظر والإباحة والأوامر، وقد وافقنا الشافعيُّ في هذا المعنى.

(١) في (ز): «الخبران».
(٢) في (ز): «الخبران».
(٣) في (د): «المقدم».
(٤) ابتداء من هذه العلامة الأولى إلى الثانية نصٌّ مكرَّر في نسخة (ز). وقد استفدنا منه لتصحيح بعض العبارات، دون إشارة إلى ذلك.
(٥) في (د): «المقدم».

وإذا رفع الصحابيُّ خبرًا عن رسول الله ﷺ /١٩٩/ بإيجاب فعلٍ، وجب العمل به على من بلَغه من المكلَّفين إلى أن يلقى خبرًا آخر غيره ينسخه، فإذا لقيه كان على من عمل بالخبر الأوَّل الرجوع إلى الثاني وترك العمل بالأوَّل. وكذلك الحاكم يعمل بما قام[١] عليه الدليل عنده من أقاويل العلماء، فإذا قام له دليل بعد ذلك على قول آخر هو أرجح عنده من الأوَّل عمل بالثاني وترك العمل بالأوَّل الذي حكم به واستعمله. والله أعلم.

فصل: [حكم العمل بخبر الواحد في الفقه والعقيدة]

وإذا رفع الرافع الخبر وهو عدل، فإن كان الخبر مِمَّا يلزم العمل به مِمَّا سَنَّه رسول الله ﷺ، وأوجب العمل به، أو حكمٍ يجب الحكم به، أو نهيٍ يجب الانتهاء عمَّا نهى عنه؛ فإنَّ العدل في هذا حجَّة، وغير العدل لا يكون حجَّة.

فإن كان خبرًا مِمَّا يكون التعبُّد به عِلْمًا له وليس فيه عمل، وهو التوحيد وغيره من صفات الله ـ تبارك وتعالى ـ؛ فلا يكون الواحد فيه حجَّة ولا الاثنان إذا كان العقل يدفعه، فإن قَبِلَهُ العقل جاز العمل به والتديُّن به، إلَّا أن يكون خبرًا قد قبلته[٢] الأمَّة[٣]، فإذا قبلته الأمَّة فعليه أن يتديَّن به، جاز في العقل أو لم يجز.

فإن ردَّه بعض الأمَّة وقبله بعضها، قال: فإن قبله العقل قَبِلَهُ، وإن لم يقبله العقل فعليه البحث والنظر حتَّى يقبله، أو يصحَّ في عقله من طريق

(١) في (د): «أقام».
(٢) في (د): «قالته»، وكذا في هامش (ز).
(٣) في (د): + «قالته الأمَّة والعقل يقبله. قال: الأمَّة حجَّة ولا يدين به». ولم يتَّضح لنا معنى هذه الإضافة في السياق.



الكتاب أو السُّنَّة المنقولة[1] مِمَّا يجوز في العقل فعليه البحث والنظر كما قلنا.

وهذا الخبر المتعبَّد بعلمه إنَّما هو ما كان من صفات الله عَزَّوَجَلَّ من توحيده وغير ذلك من أمر القدر والخبر[2]، فلا يكون العدول فيه حجَّة، وإنَّما حجَّة ذلك من العقل، إلَّا ما قبلته الأمَّة بأسرها.

[في أسباب اختلاف أخبار المخالفين]

قال أبو محمَّد[3] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولسنا ننكر أخبار مخالفينا فيما انفردوا به دون أصحابنا من غير أن نعلم فسادها إلَّا بما قد علمنا فساد بعضها، ويجوز أن يكون ما لم نعلم فساده صحيحًا وإن لم ينقلها معهم أصحابنا.

وقد تختلف الأخبار بيننا وبينهم لتأويلها، أو لانقطاع بعض الأخبار واتِّصالها، أو قلَّة ضبط ناقليها. وقد كان بعض الصحابة يصل إلى النبيِّ ﷺ، أو الرجل إلى الصحابيِّ وقد ذكر بعض الخبر، ومنهم من ينسى من الخبر شيئًا فيعتبر معناه أو يزيد فيه، ومنها ما ينتقل على جهة القصص أو لفائدة أدب[4] أو غيره. والصحيحُ منها ما أيَّده العمل ووقع عليه الإجماع؛ ولذلك اختلفت الأخبار وأحكامها، والله أعلم.

/٢٠٠/ وقد روي أنَّ عائشة بلغها أنَّ أبا هريرة روى عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**الشؤم في ثلاثة: في الدار والدابَّة والخادم**»، فقالت: غلط أبو هريرة،

(١) في النسخ: «المقبولة»، وكتب ناسخ (ز) فوقها: «المنقولة».
(٢) كذا في النسختين، ولعله يقصد «الجبر»، كما يقال: القدرية في مقابل الجبرية.
(٣) ينظر كتابه: ابن بركة: الجامع، ٤٧/١ (نق).
(٤) في (د): ـ «أدب».

دخل عليّ النبيُّ ﷺ وهو يقول: «**لعنَ اللهُ اليهودَ تقولُ بأنَّ الشـؤمَ في ثلاثةٍ**»، فسمع آخِر الخبر[(١)].

ووجدت عن ابن قتيبة[(٢)]: فقال: دخل رجلان على عائشة فقالا: إنَّ أبا هريرة يحدِّث عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**إنَّما الطيرة في المرأة والدابَّة والدار**»، فقالت عائشة: كذب ـ والذي أنزل القرآن على محمَّد ـ من حدَّث بهذا عن رسول الله ﷺ، إنَّما قال ﷺ: «**كان أهل الجاهليَّة يقولون: الطيرة في الدابَّة والمرأة والدار**»[(٣)]، ثُمَّ قرأت: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآ﴾ (الحديد: ٢٢).

فصل: [اختلاف الناس في التأويل]

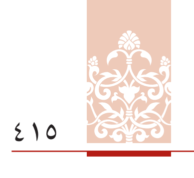
وقد ترد الأخبار بألفاظ يقع الغلط في تأويلها لقلَّة المعرفة باللغة فيها. مثال ذلك ما روي عنه ﷺ أنَّه قال ذات يوم: «**لأن أزني سبعين مرَّة أحبُّ إليَّ أن آكل لقمة ربًا**»[(٤)]. فظاهر هذا الحديث غير جائز تأويله على رسول الله ﷺ، وحاشاه! وإنَّما يجوز عند عوامِّ الناس وجهَّالهم ومن لا علم له بتأويل اللغة.

(١) لم أجد الرواية بنصِّها فيما بين يديَّ من مصادر. وعند الربيع والبخاري ومسلم وغيرهم عن ابن عمر: «الشُّؤْمُ فِي الدَّارِ وَالْمَرْأَةِ وَالْفَرَسِ»، ولم أجد رواية أبي هريرة واعتراض عائشة. ولم يذكر الخادم إلا عند مسلم عن جابر بلفظ: «إِنْ كَانَ فِي شَيْءٍ فَفِي الرَّبْعِ وَالْخَادِمِ وَالْفَرَسِ». الربيع في كِتَابُ الأَيْمَانِ وَالنُّذُورِ، بَابُ الآدَابِ، ر٧٣٣، ٢٨١/٢. البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب ما يذكر من شؤم الفرس، ر٢٧٠٣، ١٠٤٩/٣. مسلم في كتاب السلام، باب الطيرة والفأل وما يكون فيه من الشؤم، ر٢٢٢٥، ٢٢٢٧، ١٧٤٧/٤.

(٢) انظر: ابن قتيبة: تأويل مختلف الحديث، ص١٠٥.

(٣) الحديث رواه أحمد في المسند، باقي مسند الأنصار، ٢٥٢٠٩، ١٥٠/٦.

(٤) لم أجده بهذا اللفظ. وإنَّما ورد موقوفًا على كعب بلفظ: «لأن أزني ثلاثًا وثلاثين زنية أحبُّ إليَّ من أن آكل درهم ربًا يعلم الله أنِّي أكلته حين أكلته ربًا». أحمد: المسند، ر٢٢٠٠٨، ٢٢٥/٥. الدارقطني: السنن، كتاب البيوع، ر٤٩، ١٦/٣.



والمعنى فيه أنَّه أراد ﷺ: لأنْ أصعد في الجبل سبعين مرَّة؛ لأنَّ الزنا في اللغة الصعود في الجبل، قال المقدام الخزاعي[١]:

رُبَّ ركبٍ وهم مشاةٌ رأينا ... وزنًا للزانيِّين حلالًا[٢]

أراد بالركب الرجال إذا لبست النعال. والزنا: الصعود في الجبل. وقال آخر:

وغلام زنا بمكَّة ليلًا ... مع رجال زنوا بغير حلال[٣]

وقال زيد الخيل[٤] يوصي ابنه:

لا تكونَنَّ كَهِلَّوْفٍ[٥] وَكَلْ ... وارْقَ إلى الخير زنأً في الجبَلْ[٦]

(١) لم أتمكن من تحديده مِمَّا بين يديَّ من المصادر.

(٢) البيت من الخفيف، أورده ابن حمدون ونسب إنشاده لأبي حنيفة، في قصة طريفة. انظر: ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، ٢٦/٣ (ش).

(٣) لم أجده فيما بين يديَّ من مصادر.

(٤) زيد الخيل الطائي: أبو مُكنف زيد بن مهلهل بن منهب (ت: ٩هـ): من أبطال الجاهليَّة. لقِّب زيد الخيل لكثرة خيله أو لكثرة طراده بها، كان طويلًا جسيمًا، من أجمل الناس، وشاعرًا وخطيبًا وكريمًا. أسلم سنة ٩هـ في وفد طيئ، وسر به الرسول ﷺ وسماه (زيد الخير). ومكث في المدينة سبعة أيام وأصابته حمى شديدة فخرج عائدًا إلى نجد فنزل على ماء يقال له (فرده) فمات هناك. انظر: الزركلي: الأعلام، ٦١/٣.

(٥) في النسخ: «كلهوف».

(٦) لم أجده منسوبًا لزيد الخيل، قال ابن منظور: «وقال ابن الأَعرابي: الهِلَّوف الثقيل البطيء الذي لا غَناء عنده؛ قالت امرأَة من العرب وهي تُرَقِّص ابنًا لها:

أَشْبِه أَبا أُمِّك أَو أَشْبه عَمَلْ ... ولا تكونَنَّ كَهِلَّوفٍ وَكَلْ

يُصْبِحُ في مَضْجَعِهِ قد انجَدَلْ ... وارْقَ إِلى الخَيراتِ زَنْأً في الجَبَلْ

قال ابن بري: المرأَة التي ذكر هي منفوسة بنت زيد الفوارس، قال: والشعر لزوجها قَيْس بن عاصم، وعَمل اسم رجل وهو خاله». ابن منظور: اللسان، مادَّة: «هلف»، ٣٥٠/٩.

فصل: [فضل رواية الحديث وإثم الكذب على رسول اللّه ﷺ][١]

روي عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**رحم الله امْرَأً سمع منَّا صفة فأدَّاها كما سمعها**».

وفي خبر: «**رحم الله امْرَأً سمع مقالتي فأدَّاها كما سمعها، فربَّ حامل فقه إلى من لا فقه له، وربَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه**».

وقال ﷺ: «**من كذب عليَّ متعمِّدا فليتبوَّأ مقعده من النار**». وأمَّا الزبير فإنَّه قال: والله ما سمعت النبيَّ ﷺ يقول: «**متعمِّدا**» أو إنَّما قال: «**من كذب عليَّ يتبوَّأ مقعده من النار**». يقال: كلُّ منزل ينزله القوم: تَبَوَّأَ منزلًا، والبأو[٢] والْمَبَاءَة واحد، وهي منزل القوم. قال:

وبُوِّئَتْ في صَمِيمِ مَعْشَرِها ... فتَمَّ في قَوْمِها مُبَوَّؤُها[٣]

وقال المفضّل في قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ﴾ (الحج: ٢٦) أي: هيَّأنا. وقال ابن قتيبة في قوله تعالى: ﴿نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ﴾ (الزمر: ٧٤) أي: ننزل.

وعن ابن عبَّاس قال: إنَّ الذي يكذب على نبيِّنا له بيت في النار. ابن عبَّاس

---

(١) ابتداء من هذا الفصل إلى نهاية الباب أحاديث كثيرة مرويَّة عن رسول الله ﷺ، بذلنا جهدنا في ضبطها وفق المخطوطتين اللتين بين أيدينا. أمَّا تخريجها فندعه لأهل الاختصاص.

(٢) في اللسان: «البَوْء». مادَّة: «بوأ»، ٣٦/١.

(٣) البيت من المنسرح. نسبه الخليل إلى طرفة. ونسبته لجنة الموسوعة الشعريَّة إلى إبراهيم بن هرمة: أبي إسحاق إبراهيم بن علي بن سلمة (ت: ١٧٦هـ)، من قصيدة مطلعها:

إنَّ سُلَيمى وَاللهُ يَكلَؤُها ... ضَنَّت بِشَيءٍ ما كانَ يَرزَؤُها

انظر: الخليل بن أحمد: العين، مادة: «بوأ»، ٤١١/٨. وديوان إبراهيم بن هرمة في الموسوعة الشعريَّة.



قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنِّي بلوت اليهود فعرفت كذبهم على موسى، وبلوت النصارى فعرفت كذبهم على عيسى ابن مريم، وإنَّه سيكون بعدي أناس يكذبون عليَّ، فما بلغكم منِّي من حديث فقيسوه بالقرآن، وما وافق القرآن فخذوه، وما خالف القرآن فدعوه، ألا فإذا سمعتم الحديث عنِّي فضعوه على الحسن وضعوه على أحسن معانيها وأجملها، ولا تصفوا أنِّي قلت، ولا أقول ما يخالف القرآن**»، ثُمَّ قال: «وكيف يخالف رسول الله ﷺ كتاب الله، وإنَّما هدي اللهِ ورسولِهِ بكتابه».

وعنه ﷺ: «**حدِّثوا عَن بني إسرائيل ولا حرج، وحدِّثوا عنِّي ولا تكذبوا عليَّ، من كذب عليَّ متعمِّدا فليتبوَّأ مقعده من النار**».

سمرة بن جندب[١] قال: قال رسول الله ﷺ: «**من روى عنِّي حديثًا وهو يرى أنَّه كذب فهو أحد الكاذبين**».

واثلة بن الأسقع[٢] عنه ﷺ: «**إنَّ أَفْرَى الفِرَى[٣] مَن قوَّلني ما لم أقل، ومن أرى عينيه في المنام ما لم ير، ومن ادَّعى إلى غير أبيه**».

وعنه ﷺ أنَّه قال: «**من قال خيرًا قلته أنا أو لم أقله فأنا قلته**»، قال ابن عبَّاس: فما سمعت حديثًا قطُّ أحبَّ منه.

وعنه ﷺ قال: «**من بَلَغه عن الله تعالى فضيلةٌ فعمل بها رجاء ثوابها أعطاه الله ثوابها، وإن لم يكن كما بلغه**».

(١) سمرة بن جندب بن هلال الفزاري (ت: ٦٠هـ): صحابي نشأ بالمدينة، ونزل البصرة، فكان زياد يستخلفه عليها. مات بالكوفة، وقيل: بالبصرة. انظر: الزركلي: الأعلام، ١٣٩/٣.

(٢) واثلة بن الأسقع بن عبد العزى الليثي الكناني (ت: ٨٣هـ): صحابي من أهل الصفَّة. شهد تبوك. نزل البصرة، وشهد فتح دمشق. عاش ١٠٥ سنة، وكف بصره، وكان آخر الصحابة موتًا بدمشق. انظر: الزركلي: الأعلام، ١٠٧/٨.

(٣) الفِرَى: جمع فرية. ابن منظور: اللسان، مادَّة: «فرا»، ١٥٤/١٥.

وعن ابن سَلَام[١] عن رجلٍ خدم النبيَّ ﷺ أنَّه كان ﵇ إذا حدَّث الحديث أعاده ثلاث مرَّات.

وعن أبي الدرداء[٢] قال: ما رأيت النبيَّ ﷺ يحدِّث حديثًا إلَّا وهو متبسِّم في حديثه.

وعن أمِّ أُسَيْد[٣] قالت: قلت لأبي قتادة[٤]: ما لك لا تحدِّث عن رسول الله ﷺ كما يحدِّث عنه الناس؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من كذب عليَّ فليلتمس لجنبه مضجعًا[٥] في النار**»، فجعل رسول الله ﷺ يقول ذلك ويمسح الأرض بيده.

قال المختار[٦] لرجل من أصحاب الحديث: ضع لي حديثًا عن النبيِّ ﷺ

---

(١) أبو يوسف، عبد الله بن سلام بن الحارث الخزرجي (ت: ٤٣هـ): من بني قينقاع، كان حبرًا قبل أن يسلم، واسمه كان قبل الإسلام الحصين فسمَّاه رسول الله ﷺ عبد الله، وكان من فقهاء الصحابة وعلمائهم بالكتب. توفي بالمدينة. انظر: ابن حبان: مشاهير علماء الأمصار، ترجمة ر٥٢، ص١٦.

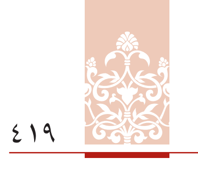
(٢) أبو الدرداء، عويمر بن مالك بن قيس الأنصاري الخزرجي (ت: ٣٢هـ): صحابي من الحكماء الفرسان القضاة. كان قبل البعثة تاجرًا، ثمَّ لَمَّا ظهر الإسلام اشتهر بالشجاعة والنسك. كان أوَّل قاض بدمشق في عهد عمر. وفي الحديث: «عويمر حكيم أمَّتي». انظر: الزركلي: الأعلام، ٥/٩٨.

(٣) أمُّ أُسَيْد: امرأة أبي أُسَيْد الساعدي كان الرسول ﷺ هو الذي زوَّجها إيَّاه. انظر: ابن حجر: الإصابة، ترجمة ر١١٨٨٨، ٨/١٦٦.

(٤) أبو قتادة، الحارث بن ربعي بن بلدمة الأنصاري السلمي (ت: ٣٨هـ): قيل اسمه: النعمان بن عمرو. فارس رسول الله ﷺ. روي عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «خير فرساننا أبو قتادة». توفي بالكوفة. انظر: ابن عبد البر: الاستيعاب، ١/٢٨٩. ابن حجر: الإصابة، ٧/٣٢٧ ـ ٣٢٩.

(٥) في (ز): «موضعًا»، وفوقها كتب الناسخ: «موضعًا».

(٦) هكذا ورد اسمه مبهمًا في ما اطلعنا عليه من المصادر. ينظر هذه الرواية مثلاً في: الخطيب البغدادي: الجامع لأخلاق الراوي، ص١٣١.



أنِّي صائر بعده خليفة وطالب /٢٠٢/ له بترة ولده، وهذه عشرة آلاف درهم ومركوب وخادم، فقال الرجل: أمَّا عن النبيِّ ﷺ فلا، ولكن اختر من شئت من أصحابه، وأحطُّ من الثمن ما شئت، قال: عن النبيِّ ﷺ أوكد، قال: فالعذاب عليه أشدُّ.

فالكذب على رسول الله ﷺ أشنع الكذب وأقبحه وأشنعه[1] وأفضحه. والكذب عليه عليه السلام هو الإخبار عنه ﷺ بخلاف ما هو به. فالواجب على المسلم أن يتورَّع عند رفع الأخبار عنه عليه السلام، عند الإخبار عن أفعاله، وأن ينقل كلَّ شيء منه إلى صيغته ولفظته.

وقد كان بعضٌ اتَّهم أبا هريرة في أحاديثه لكثرة ما كان يروي منها عنه ﷺ، حتَّى إنَّه قال: «**لو حدَّثتكم بكلِّ ما أعلم لرميتموني بالقشع**». القشع: الجلود اليابسة، والقشع: بيت من أدم، والجمع القشوع، وقال مُتَمِّم بن نُوَيرَة[2]:

ولا برَمٌ تُهْدِي النِّساءُ لِعِرْسِه إذا القَشْعُ عن حسن الشتاء تَقَعْقَعا[3]

البَرَمُ: واحد الأَبْرَام، وهم الذين لا يخرج لهم في القدح نصيب. «تُهْدِي النساءُ لِعِرْسِه»، أي: امرأته من اللحم الذي أخذوه [كذا] رجالهنَّ من أنصباء الْجَزُور. والقعقعة: الصوت. وذلك في شدَّة الزمان، والشتاء أيضًا عندهم شدَّة الزمان[4].

(١) كذا في النسختين، ولعله يقصد: «أبشعه» أو «أشيعه».
(٢) مُتَمِّم بن نُوَيرَة بن حمزة بن شدَّاد اليربوي التميمي (ت: ٣٠هـ)، وقد تقدَّمت ترجمته.
(٣) البيت من الطويل، ورد بصيغة: «من برد الشتاء»، من قصيدة مطلعها:
لعمري وما دهري بتأبين هالكٍ ولا جَزِعٍ مما أصابَ فأَوجعا
انظر: ديوان متمم في الموسوعة الشعريَّة.
(٤) انظر: ابن منظور: اللسان، مادَّة: «قشع» و«قعع» و«برم»، ٢٧٣/٨، ٢٨٦؛ ٤٣/١٢.



وفي حديث أبي هريرة: لم يكن يشغلني عن رسول الله ﷺ غَرْسُ الوَدِيِّ ولا تصفُّق الأسواق[١]. والوَدِيُّ: صغار النخل، واحدها ودِيَّة، قال الشاعر:

نَحنُ بِغَرسِ الوَدِيِّ أَعلَمُنا مِنَّا بِرَكضِ الجِيادِ في السَّدَفِ[٢]

السَّدف: ظلام الليل.

وعن عثمان بن عفَّان أنَّه قال: رحمك الله يا أبا هريرة، حفظت علينا ديننا. وقال ابن عمر: كنَّا مشاغيلًا بالسوق وأبو هريرة ملازم لرسول الله ﷺ.

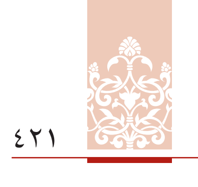
[أدلَّة قبول خبر الواحد من السُّنَّة وعمل الصحابة]:

ـ خبر: روي عن النبيِّ ﷺ من طريق ابن مسعود قال: «**نضَّر الله عبدًا سمع مقالتي فحفظها ووعاها وأدَّاها، فرُبَّ حامل فقه إلى غير فقيه، وربَّ حامل فقه إلى من هو**[٣] **أفقه منه**».

ـ «**ثلاث لا يغلُّ عليهنَّ قلب مسلم: إخلاص العمل لله، والنصيحة للمسلمين، ولزوم جماعتهم، فإنَّ دعوتهم تحيط بمن وراءهم**». فلمَّا ندب ﷺ إلى استماع مقالتِهِ وحفظِهَا وأدائها دلَّ على أنَّه لا يأمر أن يُروى عنه إلَّا ما تقوم به الحجَّة إلى من أدَّى إليه.

ـ وحديث /٢٠٣/ الرجل الذي قبَّل امرأته وهو صائم، فأرسل امرأته

(١) انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٦١٧/٢.
(٢) البيت من المنسرح. وهو مطلع ثلاثة أبيات، لقيس بن الخطيم بن عدي الأوسي (ت: ٢ ق.هـ). انظر: الموسوعة الشعريَّة.
(٣) في (ز): ـ «هو».



تســأل عن ذلك، فقالت لهــا أمُّ ســلمة: «إِنَّ النبيَّ ﷺ يُقبِّــل وهو صائم»، ورجوعها إلى زوجهــا بذلك، وردُّه لها ثانية، فرجعت المرأة إلى أمِّ ســلمة فوجدت رســول الله ﷺ عندها، فقال عليه السلام: «**ما بال هذه المرأة؟**»، فأخبرته أمُّ سلمة، فقال: «**أَلَا أخبرتِهَا أنِّي أفعل ذلك**»، في حديث أكثر من هذا. فقوله ﷺ: «**أَلَا أخبرتِهَــا أنِّي أفعل ذلك**» دلالــةٌ على أنَّ خبر أمِّ ســلمة عنه مِمَّا يجوز قبوله؛ لأنَّه لم يأمرهــا أن تخبر عنه إلَّا وفي خبرها كَــوْنُ الحجَّةِ. وهكذا[1] خبر المرأة لزوجها إن كانت من أهل الصدق.

ـ وكذلك ما روي عن ابــن عمر قال: بينما النــاس بقباء في صلاة الصبح إذ أتاهم آت فقال: إنَّ رســول الله ﷺ قد أُنزل عليه أو قد أُمر أن يستقبل الكعبة فاســتقبلوها، وكانت وجوههم إلى الشام، فاستداروا إلى الكعبة. وهو خبر واحد، فلزم قبوله والعمل به. وأهل قباء أهل سابقةٍ من الأنصار وفقهٍ، وقد كانوا على قبلةٍ فُرِضَ عليهم اســتقبالها، فانتقلوا عنها بخبر واحــد، إذ كان عندهم من أهــل الصدق، عن فــرضٍ كان إلى ما أخبرهم به عن النبــيِّ ﷺ في تحويل القبلة، ولم يكونوا ليفعلوا ذلك إلَّا عن علم وحجَّة ثبتت لهم. ولو كان ما فعلوه غير جائز لأَنكَر ذلك عليهم رسولُ الله ﷺ، فلمَّا لم ينكر ذلك، وثبَّت ما فعلوه، كان حجَّة ودليلًا على قبول خبر الواحد.

ـ وما روي عن أنس أنَّه قال: كنت أسقي أبا عبيدة بن الجرَّاح وأبا طلحة الأنصاريَّ وأُبَيَّ بن كعب شرابًا من فضيخ لهم وتمر، فجاءهم آت فقال لهم: إنَّ الخمــر قد حرِّمت، فقال طلحــة: قم يا أنس إلى هذه الجرار فاكســرها، فقمت إلى مهراس لنا فضربتها بأسفله حتَّى تكسَّرت. فقد قبلوا خبر الواحد

(١) في (د): «وكهذا».

وحرَّموا ما كان حلالًا، وأتلفوا ما أتلفوا بخبره. ولولا أنَّ ذلك مِمَّا يجوز وتثبت بمثله الحجَّة لَمَا فعلوا ذلك ولا قبلوه.

ـ وقد أمر النبيُّ ﷺ أُنيسا[١] أن يغدو إلى امرأة رجل ذكر أنَّها زنت، فإن اعترفت فارجمها، فاعترفت فرجمها.

ـ وحديث عليِّ بن أبي طالب أنَّه أتى على جمل يقول: إنَّ رسول الله ﷺ يقول: /٢٠٤/ «**إنَّ هذه أيَّام طعم وشرب فلا يصومنَّ أحد**». ورسول الله ﷺ لا يبعث بنهيه واحدًا صادقًا إلَّا لزم خبره.

ـ وقد بعث ﷺ أبا بكر واليًا إلى الحجِّ في سنة تسع، وحضره الحجَّ من أهل بلدان مختلفة، وشعوب متفرِّقة، فأقام لهم مناسكهم، وأخبرهم عن النبيِّ ﷺ بما لهم وبما عليهم.

ـ وبعث عليَّ بن أبي طالب في تلك السنة فقرأ عليهم في مجمعهم يوم النحر آيات من سورة براءة، ونبذ إلى قوم على سواء، فجعل لقوم مردًّا، ونهاهم عن أمور. وما كان رسول الله ﷺ يبعث واحدًا إلَّا والحجَّة قائمة لخبره على ما يبعثه إليه.

ـ وقد كان ﷺ يبعث عمَّالًا على النواحي، منهم قيس بن عاصم[٢]،

---

(١) أنيس بن مرثد بن أبي مرثد الغنوي (ت: ٢٠هـ) ويقال: أنس، والأوَّل أكثر. شهد مع رسول الله ﷺ فتح مكَّة وحنينًا، وكان عين رسول الله ﷺ في غزوة حنين بأوطاس. ابن عبد البر: الاستيعاب، ١/١١٣ ـ ١١٤.

(٢) قيس بن عاصم بن سنان المقريزي السعدي التميمي (ت: ٢٠هـ): أحد أمراء العرب وعقلائهم الموصوفين بالشجاعة والحلم في الجاهلية والإسلام. أسلم سنة ٩هـ ضمن وفد تميم. واستعمله النبيُّ ﷺ على صدقة قومه. له شعر. نزل الكوفة وتوفي بها. انظر: الزركلي: الأعلام، ٥/٢٠٦.



والزبرقان بن بدر[١]، وابن نويرة[٢]. وكلُّ واحد مِمَّن يولِّيه فقد أمره بما أوجب الله تعالى عليه، ووجب طاعته، ولم نعلم أنَّ أحدًا منهم عصاه أو[٣] احتج عليه بأنَّك واحد، وليس لك أن تأخذ منَّا ما لم نسمعه من رسول الله ﷺ، ولا لنا دَفْعُ ذلك إليك. وما فعل ذلك رسول الله ﷺ إلَّا والحجَّة قائمة، والأمر لازم لخبر الواحد لمن يبعث إليه.

ـ وقد رجع عمر رَحِمَهُ اللهُ عن حكم إلى حكم بخبر الواحد، وهو ما روي من طريق سعيد بن المسيّب[٤] أنَّ عمر كان يقول: الدِّيَة للعاقلة ولا ترث المرأة من دِيَة زوجها شيئًا، حتَّى أخبره الضحَّاك بن سفيان[٥] أنَّ النبيَّ ﷺ كتب إليه أن يورِّث امرأة أَشْيَمَ الضَّبَابِي[٦] في ديته، فرجع إليه عمر.

---

(١) الزبرقان بن بدر التميمي السعدي (ت: نحو ٤٥هـ): صحابي من رؤساء قومه. ولَّاه الرسول ﷺ على صدقة قومه، وثبت إلى زمن عمر. كف بصره في آخره. كان فصيحًا شاعرًا. انظر: الزركلي: الأعلام، ٤١/٣.

(٢) أبو حنظلة مالك بن نويرة بن جمرة اليربوعي التميمي (ت: ١٢هـ): من أرداف الملوك في الجاهلية. أسلم، فولاه الرسول ﷺ على صدقات قومه بني يربوع. قيل: ارتد، فتوجَّه إليه خالد بن الوليد، وأمر ضرار بن الأزور فقتله. انظر: الزركلي: الأعلام، ٢٦٧/٥.

(٣) في النسخ: «عصاه أحدًا واحتج».

(٤) أبو محمَّد، سعيد بن المسيب بن حزن المخزومي (ت: ٩٤هـ): سيِّد التابعين، وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة. جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع، وكان يعيش من التجارة في الزيت ولا يأخذ عطاء. كان أحفظ الناس لأحكام عمر بن الخطاب حتَّى سمِّي راوية عمر. توفِّي بالمدينة. انظر: الزركلي: الأعلام، ١٠٢/٣.

(٥) أبو سعيد، الضحَّاك بن سفيان بن عوف بن كعب الكلابي (ت: ١١هـ): صحابيٌّ شجاع. كان نازلًا بنجد، وولَّاه الرسول ﷺ على من أسلم من قومه هناك. له شعر. قيل: استشهد في حروب الردَّة. انظر: الزركلي: الأعلام، ٢١٤/٣.

(٦) في النسخ: «الصابي». والصواب ما أثبتناه، انظر: الترمذي: السنن، كتاب الديات، بَاب مَا جَاءَ فِي الْمَرْأَةِ هَلْ تَرِثُ مِنْ دِيَةِ زَوْجِهَا، ر١٤١٥، ٢٧/٤.

ـ وعنه أيضًا أنَّه قال: أذكر الله امرءًا سمع النبيَّ ﷺ قال في الجنين شيئًا؟ فقام حمل بن مالك بن النابغــة[1] فقال: كنت بين جاريتيــن يعني ضرَّتين، فضربَــت إحداهمــا الأخرى بمســطح، فألقــت جنينًــا ميِّتًــا، فقضى فيه رسول الله ﷺ بغرَّة، فقال عمر: لو لم أســمع هذا لقضينا فيه بغير هذا. وقال غيره: إن كدنا لنقضي فيه برأينا.

ـ وعنه أيضًا أنَّه قال في المجوس: ما أدري كيف أصنع في أمرهم، فقال له عبدالرحمٰن بن عوف: أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول: «**سُنُّوا بهم سُنَّة أهل الكتاب**». وروي عن بجالة[2] أنَّه قال: لم يكن عمر يذكر أخذ الجزية[3] من المجــوس حتَّى أخبــره عبدالرحمٰن بن عوف أنَّ النبــيَّ ﷺ أخذها من مجوس /٢٠٥/ هجر.

[أدلَّة قبول خبر الواحد من القرآن الكريم]:

وفي كتاب الله ﷻ الدلالة على قبول خبر الواحد:

ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ﴾ (نوح: ١). وقوله ﷻ: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ﴾ (النساء: ١٦٣. وهود: ٥٠)، ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودًا﴾ (الأعراف: ٦٥)، ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحًا﴾ (الأعراف: ٧٣. وهود: ٦١)، ﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبًا﴾

---

(١) أبو نضلة، حمل بن مالك بن النابغة بن جابر بن ربيعة الهذلي، يذكر أنه استعمله النبيُّ ﷺ على صدقات هذيل. نزل البصرة، وعاش إلى خلافة عمر. انظر: ابن حجر: الإصابة، ترجمة ر١٨٣٣، ١٢٥/٢.

(٢) في النســخ: «بجال». والصــواب «بَجَالة»، وهــو: بَجَالة بن عَبَدَة التميمــي العنبري أدرك النبيَّ ﷺ ولم يره. وكان كاتبًا لجزء بن معاوية فــي خلافة عمر. انظر: ابن حجر: الإصابة، ترجمة ر٧٦١، ٣٣٩/١.

(٣) في (ز): «أحدًا بجزية».

(الأعراف: ٨٥. وهود: ٨٤)، وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۝ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ (الشعراء: ١٦٠ ـ ١٦٣). وقال لنبيِّه ﷺ: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ﴾ (النساء: ١٦٣)، وقال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ (آل عمران: ١٤٤) فأقام الله ﷻ حجَّته على خلقه بواحد، والواحد في ذلك وأكثرُ منه سواءٌ، تقوم الحجَّة بالواحد منهم قيامها بالأكثر، قال تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ۝ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ ...﴾[1]، وليس الزيادة في التأكيد مانعة أن تقوم الحجَّة بالواحد.

[النكير على ردِّ خبر الواحد]:

ولا يجوز لأحد ردُّ ما أتى عن النبيِّ ﷺ من الأخبار بنصِّ الكتاب، وبما ورد عنه ﷺ من التضييق في ذلك:

ـ أمَّا الكتاب فقوله ﷻ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ ...﴾ الآية[2]. وقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ (الحشر: ٧).

ـ وما روي عنه ﷺ من طريق عبيد الله بن أبي رافع[3] عن أبيه أنَّه قال ﷺ: **«لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَأْتِيهِ الأَمْرُ مِنْ أَمْرِي مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللهِ اتَّبَعْنَاهُ»**[4]. فقد

(١) يسٓ: ١٣ ـ ١٤. وتمامها: ﴿... فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾.
(٢) النور: ٦٣. وتمامها: ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.
(٣) في النسخ: عبد الله بن رافع. والصواب ما أثبتناه من الترمذي وأبي داود. ينظر الهامش الآتي.
(٤) الترمذي: السنن، كتاب العلم، باب ما نهي عنه أن يقال عند حديث النبيِّ، ر٢٦٦٣، ٣٧/٥. أبو داود: السنن، كتاب السُّنَّة، باب في لزوم السُّنَّة، ر٤٦٠٥، ٢٠٠/٤.

ضيَّق ﷺ على أَحـد أتاه عنه أمر مخالفته وترك العمل به. والأريكة قال أبو عبيدة: والجمع الأرائك، وهي الفُرُشُ في الحجال، قال ذو الرمَّة[1]:

[خُدودًا جفَتَ في السَّيرِ حَتَّى] كَأَنَّما ... يُباشِرنَ بالْمَعزاءِ[2] مَسَّ الأَرائِكِ[3]

وقال الخليل: الأريكة ستر في حَجَلَة، والجمع: الأرائك، ومنه قوله ﷻ: ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ (المطفّفين: ٢٣، ٣٥)، وقال المفضّل: الأرائك السرر ذوات الحِجَال، واحدها: أريكة.

فصل: [قبول خبر الثقة]

وإذا كان الراوي للخبر ثقة فقال: إنَّه صحيح، أو قال: حفظته، أو هو يقين، أو أخبرني ثقة، أو رواه ثقة؛ فهو[4] صحيح.

---

(١) ذو الرُمَّة، غيلان بن عقبة بن نهيس العدوي (ت: ١١٧هـ)، وقد تقدَّمت ترجمته.

(٢) «الأمعز والمعزاء: الأرض الحزنة الغليظة ذات الحجارة». ابن منظور: اللسان، مادَّة: «معز»، ٤١١/٥.

(٣) في النسخ: «أمسى الأرائك»، وصحَّحناه من تفسير الطبري، والموسوعة الشعريَّة. البيت من الطويل، من قصيدة مطلعها:

أَقـولُ لِأَطـلاحٍ بَـرى هَطَلانُها ... بِنا عَن حَوانـي دَأيِها المتُلاحِكِ

انظر: الطبري: جامع البيان، ٢٤٣/١٥؛ ٢٠/٢٣. ديوان ذي الرمَّة الموسوعة الشعريَّة.

(٤) في النسخ: «وهو». والصواب أنَّه جواب «إذا».



باب ١٣ في شيء من الأخبار

ـ روي عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**أصحابي كالنجوم بأيِّهم اقتديتم اهتديتم**».

ـ وقال ﷺ من طريق: «**مَثَل أصحابي في أمَّتي كمثل الملح /٢٠٦/ من الطعام ولا يصلح الطعام إلَّا بالملح**». وقال الحسن: فذهب ملحنا فكيف نصلح.

ـ وعنه ﷺ من طريق واثلة بن الأسقع[1]: «**لا تزالون بخير ما دام فيكم مَن رآني وصاحَبَني**».

ـ وعنه ﷺ: «**أنا خير النبيِّين ولا فخر**».

ـ وقال ﷺ: «**أنا أفصح العرب ولا فخر**». وفي خبر: «**أنا أفصح العرب بَيْدَ أنِّي من قريش**». ومعنى «بَيْدَ»: غير. ومعنى «غير أنِّي»: إلَّا أني، فلمَّا وُضعت «غير» في موضع «إلَّا» نُصبت على الاستثناء، وفتحت الراء لاجتماع الساكنين. [كذا].

ـ وقال ﷺ: «**لا تفضِّلوني على أبي إبراهيم، ولا على أخي يحيى** عليهما السلام».

ـ وقال النبيُّ ﷺ: «**بُعثت بكسر الصليب، وقتل الخنزير وإراقة الخمر**».

ـ وعنه من طريق أبي هريرة أنَّه قال ﷺ: «**إنَّما أنا رحمة مهداة**».

---

(١) واثلة بن الأسقع بن عبد العزى الليثي الكناني (ت: ٨٣هـ)، وقد تقدَّمت ترجمته.

ـ وقال النبيُّ ﷺ: «**لا نبيَّ بعدي، ولا أمَّة بعد أمَّتي، فالحلال ما أحلَّ الله على لساني إلى يوم القيامة، والحرام ما حرَّم الله على لساني إلى يوم القيامة**».

ـ وقال ﷺ: «**إنَّا معاشر الأنبياء [لا] نضمر غير ما نظهر**»(١).

ـ وقال ﷺ: «**يأتي زمان لا يسلم إلَّا من هرب بدينه من شاهق إلى شاهق**»، ويروى: «**من بلد إلى بلد**».

ـ أبو حكيمة(٢) قال: بكى النبيُّ ﷺ ذات يوم فقالوا: يا رسول الله، ما أبكاك؟ قال: «**ذكرت آخر أمَّتي وما يَلْقَوْنَ من البلاء، والصابر منهم يجيء يوم القيامة وله أجر شهيدين**».

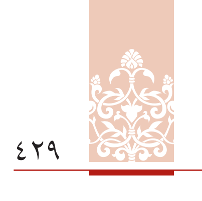
ـ وقال عليه السلام: «**سيكون بعدي فيكم أمراء يعذِّبونكم ويعذِّبهم الله بنار جهنَّم**».

ـ وقال عليه السلام: «**عزَّت قريش**». فاختلف المسلمون في ذلك، فقال بعضهم: قوله: «عزَّت»: قلَّت، كما أنَّ الشيء إذا قلَّ عزَّ لقلَّته. وقال بعضهم: «عزَّت» إذ كان النبيُّ ﷺ منهم وذِكْرُهُ فيهم.

ـ وعنه ﷺ: «**نعمت العمَّة لكم النخلة**». وفي خبر: «**النخلة عمَّتكم فأكرموها**». وفي خبر: «**استوصوا بعمَّتكم خيرًا** ـ يعني: النخلة ـ **فإنَّها خُلقت**

(١) هذا خبر عجيب! ويبدو عليه أثر الوضع، فهو يقدح في بعض الصفات الواجبة للأنبياء، كالصدق والأمانة والتبليغ ... لم أجده فيما بين يديَّ من مصادر الحديث الصحيحة ولا الضعيفة ولا الموضوعة. ولعلّه سقطت «لا» قبل «نضمر». فأثبتناها حتى يصحَّ ظاهره.

(٢) يبدو أنَّه أبو حكيمة عصمة الغزال، قال ابن أبي حاتم: «سمع أبا عثمان النهدي روى عنه الضحاك بن يسار وحماد بن سلمة. سمعت أبي يقول ذلك. نا عبدالرحمٰن قال: سألت أبي عنه فقال: محلُّه الصدق». ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل، ترجمة ر١٠٠، ٧/٢٠.



من الطينة التي خُلــق منها آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَمَا رأيتم شــجركم كلَّها لا يحتاج إلى اللقاح إلَّا النخلة فإنَّهــا تحتاج إلى اللقاح؟». قــال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ﴾ (الحشر: ٥) قيل: النخلة، وجمعها لِينٌ، غير العجوة فإنَّها لَوْنٌ[١].

ـ ابن عمر قال: إنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من الشجرة شجرة لا يسقط ورقها وهي مثل المســلم، /٢٠٧/ حدِّثوني ما هي؟**» قال عبد الله: فوقع الناس في شجر البادية، ووقع في نفسي أنَّها النخلة فاستحييت. قال ابن عمر: فحدَّثت عمر بالذي وقع في نفسي من ذلك فقال: لأَنْ تكون قلتَها أحبُّ إليَّ من كذا وكذا». قال مالك: وهي النخلة.

ـ عائشة قالت: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يا عائشــة، إذا جاء الرطب فهنِّئيني**». وفي الحديث: «كان رســول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا رأى باكــورة وضعها على عينه ودعا فيها بالبركة». الباكــورة: ما يعجل إدراكه من الفواكــه والثمار، والبواكر من النخل وغيرها من الأشجار المثمرة: التي تقدَّم حملها.

ـ أبو سعيد الخدري عن النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا حليم إلَّا ذو غيرة، ولا حكيم إلَّا ذو تجربة**».

ـ وعنه عَلَيْهِ السَّلَامُ أنَّه مرَّ بهــوزان فقال: «**لو كان يحلُّ علــى أحد من العرب سِبَاءٌ لَحَلّ**[٢] **على هوزان**». ثُمَّ قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**لا رقَّ على عربيٍّ**».

ـ وعنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**جُبلت القلوب على حبِّ من أحســن إليها وإن كان كافرًا، وعلى بغض من أساء إليها وإن كان مؤمنًا**». وفي خبر: «**على حبِّ من يحسن**

---

(١) في النسخ: «كون». وصحَّحناها من اللسان، إذ قال: قال «ابن سيِّده: الأَلْوانُ الدَّقَلُ، واحدها لَوْنٌ. واللِّينَةُ واللُّونَة: كل ضربٍ من النخل ما لم يكن عجوة أَو بَرْنيًّا». ابن منظور: اللسان، مادَّة: «لون»، ٣٩٣/١٣.

(٢) في (د): «لكان».

إليها وعلى بغض من يسيء إليها». الأوَّل على الماضي والثاني على المستقبل. يقال: جُبِلَ زيدٌ على خُلُقٍ كريم، وزيد مجبول على الشيء، أي: مطبوع عليه.

- وعنه عليه السلام «**من رآني في المنام فقد رآني فإنَّ الشيطان لا يتكوَّننَّ**[١] **بي، ومن رآني في المنام فسيراني في اليقظة**»، أو «**فكأنَّما رآني في اليقظة، ولا يتمثَّل الشيطان بي**».

- وعنه ﷺ أنَّه قال: «**الأناة من الله تعالى، والعجلة من الشيطان لعنه الله**».

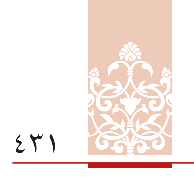
قال الشاعر:

الرِّفقُ يُمنٌ وَالأَناةُ سَعادَةٌ فَتَأَنَّ في رفْقٍ تُلاقِ نَجاحا[٢]

قال الأصمعيُّ[٣]: بينا أسير في سكك المدينة إذ خطر بقلبي قول الشاعر فأنشدته[٤]:

قد يُدرِكُ المتأنِّي بَعضَ حاجَتِهِ وقد يكونُ مع الْمُستَعجِلِ الزَّلَلُ[٥]

(١) كذا في (س)، وفي (ز): «يكونن».
(٢) البيت من الكامل. ورد بلفظ: «في أمْرٍ». ينسب إلى عليِّ بن أبي طالب كرَّم الله وجهه. وإلى النابغة الذُّبياني بلفظ: «تنال» بدل «تلاق». وهو البيت الثاني من أبيات مطلعها:
وَاستَبِق ودَّكَ لِلصَّديقِ وَلا تَكُن قَتَبًا يَعَضُّ بِغارِبٍ مِلحاحا
انظر: الموسوعة الشعريَّة.
(٣) عبدالملك بن قريب الباهلي الأصمعي (ت: ٢١٦هـ)، وقد تقدَّمت ترجمته.
(٤) في (د): «فأنشد».
(٥) البيت من البسيط. ينسب للقطامي التغلبي، من قصيدة مطلعها:
إنَّا مُحيُّوكَ فأسلم أيُّها الطَّللُ وإن بُليتَ وإن طالت بك الطِّيَلُ
انظر: ديوان القطامي التغلبي في الموسوعة الشعريَّة.



فإذا بقائل يقول خلفي فأنشد[١]:

وربَّما فات بعضَ القوم أمرُهم ... مع التأنِّي وكان الحزم لو عجلوا

قال: فالتفتُّ خلفي فلم أر أحدًا.

/٢٠٨ ـ وقال ﷺ: «**لا تمحو السيِّئ بالسيِّئ، ولكن امحو السيِّئ بالحسن، فإنَّ الخبيث لا يمحوه الخبيث**».

ـ وقال ﷺ: «**ما أقبح السيِّئات بعد الحسنات، وأحسنَ الحسناتِ بعد السيِّئات**».

فصل: [من جوامع الكلم]

وعنه ﷺ:

- «**خير الناس أنفعهم للناس**».
- «**بيان الخطِّ يزيد في الحقِّ وضوحًا**».
- «**حسن الملك نماء**».
- «**سوء الخلق شؤم**»، وفي نسخة: «**أحسن الملكة نماء**».
- «**أشأم الشؤم اغتشاش الناصح**».
- «**طاعة المرأة ندامة**».
- «**الهم نصف الهرم، والرفق نصف العيش**».
- «**الداعي بلا عمل كالرامي بلا وتر**».
- «**صدقة رغيف خير من نسك مهزول**».
- «**الشيب نور فلا تنتفوه**».
- «**الشَّعر من كسوة الله فأكرموه**».

(١) في (ز): «فأنشدته».

- «**من لا يَرحم لا يُرحم**».
- «**كلُّ قلب إذا قسا لا يبالي إذا أساء**».
- «**أشـــعر كلمة تكلَّمت بها العرب كلمة أميَّة بن أبي الصلت**»[١]: «ألا كلُّ شيء ما خلا الله باطل»[٢]. وكاد[٣] ابن أبي الصلت أن يسلم.
- «**من دعي إلى طعام فلم يجب فكأنَّه قد عصى الله**».
- «**من عشق فعفَّ فكتم**[٤] **ومات فهو شهيد**».
- «**لا يدخل الجنة قتَّات**»، وهو الســـاعي بالناس، ويقـــال: النمَّام، والقتُّ الكذب والنميمة، قال العجاج[٥]:

[إِذَا اسْـــتَدَارَ البَـــرَمُ الغَلُوتُ[٦]]　　　قُلْتُ وَقَوْلِي عِنْدَهُـــمْ مَقْتُوتُ[٧]

أي: كذب.

---

(١) أميَّة بن عبد الله أبي الصلت بن أبي ربيعة الثقفي (ت: ٥هـ)، وقد تقدَّمت ترجمته. الزركلي: الأعلام، ٢٣/٢.

(٢) البيت من الطويل، ينسب للبيد بن ربيعة العامريِّ، من قصيدة في رثاء النعمان بن المنذر، مطلعها:

أَلا تَســـأَلانِ المَرءَ مـــاذا يُحاوِلُ　　　أَنَحبٌ فَيُقضى أَم ضَلالٌ وَباطِلُ

ابن عبد ربه: العقد الفريد، ٢٧٣/٥. بدوي طبانة: معلقات العرب، ص١٥٧. الموسوعة الشعريَّة.

(٣) في النسخ: «وكان».

(٤) في (د): ـ «فكتم».

(٥) عبد الله بن رؤبة بن لبيد (ت: نحو ٩٠هـ)، وقد تقدَّمت ترجمته. سقط البيت من نسخة (س).

(٦) الْبَرَم: «الذي لا يَدْخُل مع القوم في الْمَيْسِر، والجمع أَبْرامٌ». والغلت والغلط سواء، ويقال: الغلت في الحســـاب والغلط في سوى ذلك. ابن منظور: اللســـان، مادَّة: «غلت»، و«برم»، ٦٤/٢؛ ٤٣/١٢.

(٧) البيت من الرجز، من قصيدة مطلعها:

يـــا رَبِّ إِن أَخطَأتُ أَوْ نَسِـــيتُ　　　فَأَنْـــتَ لا تَنْسَـــى وَلا تَمُـــوتُ

انظر: ديوان رؤبة بن العجاج في الموسوعة الشعريَّة.



- «**من آذى ذمِّـيًّا كنت أنا خصمه يوم القيامة**».
- «**لا تقوم الساعة حتَّى يمرَّ الرجل بقبر الرجل فيقول: يا ليتني مكانه**».
- «**ما ظفر من ظفر بإثم**».
- «**تَوَقَّ وتَنَقَّ**»، وروي: «**توقَّه وتنقَّه**»، وأظنُّ تفسيره فيما وجدت والله أعلم: توقَّ الذنوب وتنقَّ منها.
- «**التحدُّث بالنعمة شكر**».
- «**انتظار الفرج عبادة**».
- ومن طريق أنس عنه ﷺ: «**أفضل العبادة انتظار الفرج**».
- «**حسن الظنِّ من العبادة**».
- «**أمَّا بعد، تخيَّروا لنطفكم**».
- أبو هريرة عنه ﷺ: «**والذي نفسي بيده، لا يؤمن أحدكم حتَّى أكون أحبَّ إليه من والده وولده**».
- أنس عنـه ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتَّى أكون أحـبَّ إليه من والده وولده والناس أجمعين**».

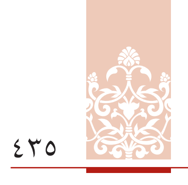
ومن كلامه ﷺ الذي لم يسبقه إليه أحد:

- «**يا خيل الله اركبي**».
- «**لا ينتطح فيها عنـزان**».
- «**الحرب خدعة**».
- «**هدنة على دخل**»، وروي: «**على دخن**».
- «**الناس كأسنان المشط**» /٢٠٩/.
- «**لا يجني المرء إلَّا على يده**».
- «**ليس الخبر كالمعاينة**».
- «**لا يلدغ المؤمن من جحر مرَّتين**».

- «الآن حمي الوطيس».
- «ابتدئ بمن تعول»[١].
- «الشديد من غلب نفسه».
- «الشاهد يرى ما لا يرى الغائب».
- «المجالس بالأمانة».
- «ساقي القوم آخرهم ريًّا».
- «المسلم مرآة أخيه».
- «ترك الشر صدقة».
- «البلاء موكل بالمنطق».
- «الغنى غنى النفس».
- «لا داء أدوى من البخل».
- «الأعمال بالنيات».
- «الحياء شعبة من الإيمان»[٢].
- «الحياء خير كله».
- «سيِّد القوم خادمهم».
- «أعجل الشرِّ عقوبة البغي».
- «اليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع».
- «إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه»، ويروى: «كريمة قوم».
- «كلُّ ذي نعمة محسود».
- «ابغ الرفيق قبل الطريق».
- «الجار قبل الدار».

(١) تقدَّم تخريجه.

(٢) تقدَّم تخريجه.

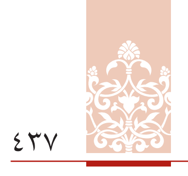


- «الخيل في نواصيها الخير».
- «العِدَة دَيْن».
- «عِدَة المؤمن كالأخذ باليد».
- «ليس منَّا من غشَّنا».
- «المرء ذو الخديعة في النار».
- «المرء مع من أحبَّ».
- «من تشبَّه بقوم فهو منهم».
- «المرء كبير[١] بأخيه».
- «ربَّ مبلَّغ أوعى من سامع».
- «شرُّ الأمور محدثاتها».
- «كلُّكم لآدم وآدم من تراب».
- «الندم توبة».
- «كلُّ معروف صدقة».
- «مطل الغنيِّ ظلم».
- «الولد للفراش وللعاهر الحجر».
- «الدالُّ على الخير كفاعله».
- «حبُّك للشيء يُعمي ويُصمُّ».
- «لا يؤوي الضالَّة إلَّا ضالٌّ».
- «اتَّقوا النار ولو بشقِّ تمرة».
- «مداراة الناس صدقة».
- «السفر قطعة من العذاب».
- «الأرواح جنود مجنَّدة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف».

(١) في (د): كتب الناسخ فوقها: «كثير».

- «من تمام التحيَّة المصافحة».
- «الصحَّة والفراغ نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس».
- «الرجل أحقُّ بصدر مجلسه».
- «أُحثُوا في وجوه المدَّاحين التراب».
- «ما نقص مال من صدقة».
- «المسلمون عند شروطهم».
- «لو تكاشفتم ما تدافنتم».
- «الجنَّة تحت أقدام الأمَّهات».
- «انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا».
- «يسِّروا ولا تعسِّروا».
- «لا إيمان لمن لا أمانة له».
- «المعتدي في الصدقة كمانعها».
- «الرؤيا أوَّل عابر».
- «كفى بالموت واعظًا».
- «لا نَذْرَ في معصية الله».
- «على المرء ردُّ ما أخذ حتَّى يؤدِّيه».
- «اتَّقوا دعوة المظلوم فليس من دونها /٢١٠/ حجاب».
- «المستشير معان، والمستشار مؤتمن».
- «الإيمان قَيدُ الفتكِ».
- «طيب النفس من النعيم».
- «احترسوا من الناس بسوء الظنِّ»[(١)].

(١) هذا مخالف لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞ﴾. (الحجرات: ١٢). وقد خرَّج العجلوني الحديث وقال: إنَّه أفرده بجزء للجمع بينه وبين هذه الآية. انظر: العجلوني: كشف الخفاء، ١/٥٦ ـ ٥٧.



- «الولد مجبنة مبخلة[١]».
- «لا يدخل الجنَّة قاطع رحم».
- «سبقك بها عكاشة».
- «اعقلها وتوكل».
- «الولاء لمن أعتق».
- «المرء كثير بأخيه».
- «كل بدعة ضلالة».
- «لا طاعة في معصية الله».
- «أزنى الزنا شتم الأعراض».
- «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك».
- «إذا غضبت فاسكت».
- «الظلم ظلمات يوم القيامة».
- «كلُّ ما هو آت قريب».
- «دفن البنات من المكرمات».
- «زُر غبًّا تزدد حبًّا».
- «طلب العلم فريضة على كل مسلم».
- «أنفق بلالًا، ولا تخش من ذي العرش إقلالًا[٢]».
- «الخير أسرع إلى المبيت»[٣].
- «خياركم أحسنكم أخلاقًا».

(١) في (د): «محبته ممحلة».

(٢) في النسخ: «أنفق يابلال ... إقلال». سبق تخريجه.

(٣) كذا في النسختين، ولم أتمكَّن من ضبطه بما لديَّ من مصادر. وقد سبق تخريج حديث: «الخير أسرع إلى البيت من الشفرة إلى سنام البعير».

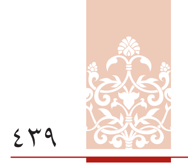
- **«ما قل وكفى خير مِمَّا كثر وألهى».**
- **«كلُّ الصيد في جوف الفرَّاء»، و«في بطن الفرَّاء».**
- **«إيَّاكم وخضراء[(١)] الدمن».**
- **«إن مِمَّا ينبت الربيع لَمَا يقتل حَبَطًا[(٢)] أو يُلِمُّ».**
- **«الأنصار كَرِشِي وعَيْبَتِي[(٣)]».**
- **«اليد العليا خير من اليد السفلى».**
- **«فضل العلم خير من فضل العبادة».**
- **«إنَّ من الشعر حِكَمًا، وإنَّ من البيان سحرًا».**
- **«نيَّة المؤمن خير من عمله، وعمل الكافر خير من نيَّته».**
- **«استعينوا على الحاجات بالكتمان».**
- **«لا تحقرنَّ من المعروف شيئًا، فإنَّما المعروف كاسمه».**
- **«قل خيرًا تغنم، أو اسكت تسلم».**
- **«من صمت نجا».**
- **«الصمت حكمة وقليل فاعله».**

---

(١) في (ز): «وخضر».

(٢) «حَبِطَت الدابة حَبَطًا، بالتحريك، إذا أَصابت مَرْعًى طيِّبًا فأَفرطت في الأَكل حتَّى تنتفخ فتموت». ابن منظور: اللسان، مادَّة: «حبط»، ٢٧٢/٧.

(٣) في (د): «كرمتي وعيبتي»، وأضاف الناسخ: «آخر: كرسي». (ز): «كريمتي وعيني». وصحَّحناه من الصحيحين. البخاري: كتاب المناقب، باب قول النبيِّ: اقبلوا محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم، ر٣٥٩٠، ١٣٨٣/٣. مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل الأنصار، ر٢٥١٠، ١٩٤٩/٤. يقال: عليه كَرِشٌ من الناس؛ يعني: جماعة. فكأنَّه أراد: جماعتي وصحابتي الذين أثق بهم وأعتمد عليهم. وعيبة الرجل موضع سرِّه والذين يأتمنهم على أمره. انظر: أبو عبيد: غريب الحديث، ١٣٧/١ ـ ١٣٨.



- «في المعاريض مندوحة من الكذب».
- «من صدق زكا عمله».
- «الكذب مجانب الإيمان».
- «ذو الوجهين لا يكون وجيهًا».
- «الخير عادة، والشرُّ لجاجة».
- «الخير كثير وقليل فاعله».
- «الصبر ضياء».
- «رأس العقل التودُّد».
- «إذا تبيَّنت أصبت أو كدت تصيب».
- «الدين النصيحة».
- «ليس الواصل بالمكافئ».
- «القناعة مال لا ينفد».
- «المعونة على قدر المؤونة»[١].
- «من كَثَّر كُثِّر له».
- «حصن المال زكاته».
- «كاد الفقر [أن] يكون كفرًا».
- «العبد أخوك».
- «كرم الرجل دينه ومروءته عقله».
- «من قصر به عملُهُ لم يبلغ به حَسَبُه».
- «من بَدَا جفَا». وقال[٢]: «الجفاء من النار».

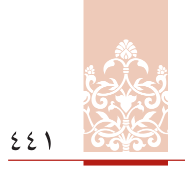
(١) تقدَّم تخريجه.

(٢) في (ز): «وقول».

- «ومن تبع[(١)] الصيد غفل».
- «ومن كثر كلامه كثرت ذنوبه».
- «ومن كثر ماله اشتدَّ حسابه».
- /٢١١/ «ومن تقرَّب من السلطان تباعد من الله عَزَّ وَجَلَّ».
- «المرء على دين خليله».
- «لا خير في صحبة من لا يرى لك من الحقِّ مثل ما يرى له».
- «لا تظهر الشماتة بأخيك فيعافيه الله ويبتليك».
- «أحبب حبيبك هونًا ما».
- «المؤمن ينظر بنور الله».
- «الوحدة خير من جليس السوء».
- «لا تصلح الرياضة إلَّا في النجيب».
- «الحق ثقيل مريء، والباطل خفيف وبيء».
- «الأمر إلى آخره، وملاكه خواتمه».
- «ارضخ[(٢)] من فضل ولا تُلَمْ على الكفاف».
- «الرجل الصالح يأتي بالخبر الصالح».
- «والناس معادن، الناس كالإبل المائة لا يوجد منها راحلة»، [وفي] نسخة: «كإبل مائة».
- «الناس بأزمنتهم أشبه - وفي نسخة: الناس بأزمانهم - أشبه منهم بآبائهم».
- «ليس شيءٌ خيرًا من أَلْفٍ مثلِهِ إلَّا الإنسان»، وفي نسخة: «وعمر خير من ألف مثله».

---

(١) في (ز): «اتَّبع».
(٢) في (ز): «ارسخ».



- «مستريح ومستراح منه».
- «البادئ أظلم».
- «الآخر شرٌّ».
- «الدنيا دول».
- «المال عارية».
- «كن في الدنيا كأنَّك غريب».
- «إيَّاك وما يسوء الأذن».
- «أخذنا فألك من فيك».
- «العلم خزائن ومفاتيحه السؤال».
- «حسن المسألة نصف العلم».
- «لا غمَّ إلَّا غمُّ الدين».
- «تهادوا تحابُّوا».
- «اختر بقلَّة المال مفرجة[1]».
- «لا تطرحوا الدرَّ في أفواه الكلاب».
- «العلم في الصغر كالنقش في الحجر».
- «إذا لم تستح فافعل ما شئت».
- «الصبر معول المؤمن».
- «الصبر شعار الكرام».
- «الصبر عند الصدمة الأولى».
- «العفو عزٌّ».

---

(١) لم أتمكن من ضبط هذا الخبر بما لدي من مصادر ومراجع. وقد وردت العبارة في النسختين دون إعجام.

- «**الودُّ والعداوة يُتوارثان**».
- «**المؤمن مألف**».
- «**المؤمن غرٌّ كريم، والفاجر خبٌّ لئيم**».
- «**السعيد من وعظ بغيره**».
- «**المستبَّان شيطانان**».
- «**المنتعل راكب**».
- «**الشيب نور المؤمن**».
- «**للداخل دهشة**».
- «**نعم الشيء الهديَّة أمام الحاجة**».
- «**ترك العشاء مهرمة**».
- «**كما تدين تدان**».
- «**التصافح يذهب السخيمة**».
- «**ما أملق تاجر صدوق**».
- «**ما عال مقتصد ولا يعيل**»[(١)].
- «**لا تزال أمَّتي بخير ما لم تر الأمانة مغنمًا، والصدقة مغرمًا**».
- «**استعينوا على المشي بالسعي**»، وذلك أنَّ الرجل إذا أكثر المشي تقبَّض عصبه، فإذا سعى انطلق. ومنه حديث عمر بن معدي كرب، /٢١٢/ إذ شكا إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه الْمَعَص فقال: «كذب عليك الْعَسَلُ». والْمَعَصُ: وجع العصب من طول المشي[(٢)].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) «مَعِصَ مَعَصًا، فهو مَعِصٌ، وتَمَعَّصَ ... ومَعِصَت قدمُه مَعَصًا ... الْمَعَصُ: بالتحريك، التواءٌ في عصب الرجل كأنه يقصُرُ عصبُه فتتعوَّج قدمُه ... كَذَبَ عليك العسَل؛ أَي: عليك بسرعة الْمشي». ابن منظور: اللسان، مادَّة: «معص»، ٩٣/٧.



والعَسَلُ من عَسَلَانِ الذِّئبِ، وهو عَدْوٌ فيه اهتزاز[١]، قال الجعديُّ[٢]:

عَسَلان الذِّئب أَمْسَى قارِبًا   بَرَدَ اللَّيْلُ عليه فنَسَل[٣]

وقول عمر رَحِمَهُ اللَّهُ: «كَذَبَ عَلَيكَ العَسَلُ»، معناه[٤] الإغراء، أي: عليك به. قال الشاعر:

كَذَبتُ عليكَ لا تَزالُ تَقُوفني   كما قافَ آثارَ الوسيقةِ قائِفُ[٥]

إنَّما أغراه بنفسه، أي: عليك بي. والعرب تقول للمريض: كذب عليك كذا، أي: عليك به.

ولجميع ما مضى من كلام النبيِّ ﷺ تفسير شواهد الأشعار، وهو شيء كثير موجود في الكتب، تركته اختصارًا.

---

(١) قال ابن منظور: «العَسَلانُ: أَن يَضْطَرِمَ الفرسُ في عَدْوِه فيَخْفِق برأْسه ويَطَّرِد مَتْنُه. وعَسَلَ الذِّئْبُ والثعلبُ يَعْسِلُ عَسَلًا وعَسَلانًا: مَضَى مُسْرِعًا واضْطَرب في عَدْوِه وهَزَّ رأْسَه». لسان العرب، مادَّة: «عسل»، ١١/٤٤٦.

(٢) النَّابِغَة الْجَعدِيُّ: أبو ليلى، قيس بن عبدالله العامري (ت: ٥٠هـ). تقدَّمت ترجمته.

(٣) البيت من الرمل. ينسب إلى لبيد، وإلى النابغة الجعدي من قصيدة مطلعها:

لِمَنِ الدارُ كَأَنضاءِ الخِلَل   عَهدُها مِن حِقَبِ العَيشِ الأُوَل

انظر: اللسان: المصدر نفسه. وديوان النابغة في الموسوعة الشعريَّة.

(٤) في (د): ـ «معناه».

(٥) تقوفني: تتبع آثاري. «الوَسِيقةُ القطيع من الإبل، وسمّيت وسيقةً لأن طاردها يجمعها ولا يَدَعُها تنتشر عليه». ابن منظور: اللسان، مادَّة: «وسق»، ١٠/٣٨٠.

البيت من الطويل. ينسب إلى الأسود بن يعفر النهشلي (ت: ٢٣ ق.هـ). انظر: اللسان: المصدر نفسه. والموسوعة الشعريَّة.

باب ١٤ ما لا يسع جهله

الذي لا يســع جهله على كلِّ عاقــل بالغ معرفــة الله ﷻ أنَّه واحد ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ (الشورى: ١١)، ومعرفة توحيده والإقرار به وبرسوله محمَّد ﷺ، وبجميع ما جاء به عن الله تعالى أنَّه حقٌّ من عند الله كما قال، وأنَّه صادق فيما أمر به ونهــى عنه. فمن أقرَّ بهذه الجملة وصدَّق بها فقد أقرَّ بدين محمَّد ﷺ، وقد آمن بما جاء من الله ﷻ. وإن هو ردَّ شيئًا منها أو أنكره أو شكَّ فيه كان مشركًا ولم يسعه ذلك.

ولا يسع الناسَ جهلُ الشــكِّ بالله تعالى فما دونه مِمَّا حرَّم في كتابه أو رسولُه ﷺ في سُنَّته أو أجمع المسلمون على تحريمه؛ فما لم يفعله فاعل[١] أو يتولَّى مَن فَعَلَه أو يَبرأ مِمَّن برئ ممَّن فعله فهو سالم، فإن فعله بجهالة أو برئ مِمَّن برئ مِمَّن فعله فهو كافر كفر نعمة لا كفر شرك.

والإيمان الذي لا يسع جهله[٢]: الإقرار بالله تعالى.

والكفر الذي لا يســع جهله: نصب الحرام دينًا بالكذب على الله تعالى، في تحريم ما أحلَّ واستحلال ما حرَّم.

(١) في (د): ـ «فاعل».

(٢) في (د): «والإيمان الذي يســع جهله»، وأضاف الناسخ ـ وســط المتن ـ: «قال غيره: لعله: والإيمان الذي لا يسع جهله».

ولا يسع جهل معرفة السؤال المتَّصل بمعرفة الله تعالى، ولا عذر لأحد في التفريط فيه.

[ما لا يسع جهله من أمور العبادات]

ولا يسع جهل الوضوء للصلاة عند حضور وقتها، فإذا حضر ودخل فيها بلا وضوء أو ناقض الوضوء كَفَرَ إذا جهل الوضوء وقال: لا أعرفه.

وكذلك الصلاة لا يُعذر بجهلها، وإن حضرت ولم يصلِّها وفات وقتها كَفَرَ. وكذلك الاغتسال من الجنابة.

/٢١٣/ وأمَّا الزكاة فلا يسعه جهلها إذا لزمته، ويكفر بتأخيرها، فإن جهلها ولم يؤدِّها حتَّى مات كفر.

وكذلك الصيام لشهر رمضان والحجُّ لا يسع جهلهما؛ فإن لم يعلم وجوب الصيام وجَهِلَه قبل دخوله ومات لم يكفر. فإن دخل ولم يصمه وجهله فلا عذر له، وهو كافر حتَّى يتوب ويتعلَّم. فإن مات ولم يصمه ولو يومًا واحدًا منه كفر. فإن تاب[1] بعد انقضاء الشهر صام لكلِّ يوم شهرًا وكفَّارة شهرين.

والحجُّ إذا لزم فلا عذر له فيه، ولا يسع جهله، ولا يكفِّره ذلك حتَّى يموت، فإن مات ولم يحجَّ ولم يوص بحجَّة مات كافرًا.

وإذا حضرت الصلاة وهو يتعلَّم فلم يفهم من معلِّمه حتَّى فاتت أبدل، وأرجو أنَّه معذور إن شاء الله.

ولا يسع جهل تحريم الخمر والميتة والخنزير. ومن عرف ذلك فشرب

---

(١) في النسخ: «مات». وهو خطأ واضح، إذ لا يُعقل ذلك.

الخمر وظنَّه طِلَاءً[١]، وأكل لحم الخنزير أو ميتة وظنَّه شاة، فالخطأ والنسيان أهون، فإذا علم تاب من ذلك.

ولا يسع جهل القصر. ومن جمع بين العصر والمغرب، والعتمة والفجر جهلًا؛ فلا عذر له، وعليه الكفَّارة، ويسع جهل الجمع.

ولا يسع [جهل] الجنَّة والنار في قول أبي معاوية[٢]، وقال غيره: يسع جهلهما ما لم يُعْلِمه أحد، فإذا أعلمه لم يسع.

مسألة: [خلق الجنَّة والنار وفناؤهما]

قال محمَّد بن محبوب رَحِمَهُ اللَّهُ[٣]: الجنَّة والنار مخلوقتان، وهي الجنَّة التي أسكنها الله تعالى آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأخرجه منها، ووعده لَمَّا تاب أن يردَّه إليها. قال غيره: ويدلُّ على ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا﴾ (البقرة: ٣٨) فالهبوط من السماء. قال أبو عبد الله[٤]: ووجدنا في الكتب أنَّهما تفنيان عند فناء الخلق، وتعادان عند إعادة الخلق.

قال أبو عبد الله: وهذا مِمَّا يسع جهله. وفي الجنَّة والنار اختلاف، ولعلَّ من يثبتهما أنَّهما مخلوقتان يقول: الجنَّة في السماء السابعة، والنار في

(١) «الطِّلاءُ: ما طُبِخَ من عصير العِنَبِ حتَّى ذَهَبَ ثُلُثاه». ابن منظور: اللسان، مادَّة: «طلا»، ١١/١٥.

(٢) أبو معاوية عزان بن الصقر (ت: ٢٦٨ أو ٢٧٨هـ): عالم فقيه، كان مسكنه العقر من نزوى. من مشايخه محمَّد بن محبوب. كان أحد رجال دولة الإمام عبد الملك بن حميد (حكم: ٢٠٧ ـ ٢٢٦هـ). توفِّي بصحار. قيل عنه وعن الفضل بن الحواري: إنَّهما في عُمان كالعينين في جبين، لعلمهما وفضلهما. انظر: التراث: معجم أعلام إباضيَّة المغرب، (نق).

(٣) في (ز): «قال ابن محبوب». وهو أبو عبد الله محمَّد بن محبوب بن الرحيل (ت: ٢٦٠هـ)، وقد تقدَّمت ترجمته.

(٤) أبو عبد الله محمَّد بن محبوب بن الرحيل (ت: ٢٦٠هـ). تقدَّمت ترجمته.



الأرض السادسة[(١)]. قال النقَّاش[(٢)] في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٣١) قال: في الآية دلالة على أنَّها مخلوقة بقوله: ﴿أُعِدَّتۡ﴾، والْمُعَدُّ المهيَّأ، قال الأعشى[(٣)]:

وَأَعــدَدتَ لِلحَربِ أَوزارَهــا ... رِماحًا طِــوالًا وَخَيــلًا ذُكورا[(٤)]

وَمِــن نَسْــجِ داوُودَ تحــدو بها ... على إثر الجيش عيــرًا فَعيرا[(٥)]

قال الحسن: الجنَّة مخلوقة وأنَّها في السماء. وقيل لعمر ﵁: كيف تكون /٢١٤/ الجنَّة مخلوقة في السماء وهي أوسع من السماوات والأرضين فقال: يكون ذلك كما يشاء الله ﷻ.

مسألة: [لا يسع جهل يوم القيامة وما يتعلَّق به]

ولا يسع جهل يوم القيامة إذا ذُكِر، ويسع ما لم يُذْكَر، فإذا ذُكِرَ لزم الإيمان به، فمن شكَّ فيه بعد العلم به أو قيام الحجَّة عليه كان مشركًا، يُقتل إن لم يتب.

---

(١) القاعدة في الأمور الغيبيَّة أن لا يُعتقد فيها بشيء غير قطعيٍّ ثبوتًا ودلالة. وتحديد موضعهما لم يرد فيه شيء من هذا القبيل، ولا يزيد معرفته ولا جهله في الإيمان شيئًا، فالأصل تفويض ذلك إلى الله ﷻ، وعدم الخوض فيه.

(٢) النقَّاش، محمد بن الحسن الموصلي، تقدمت ترجمته.

(٣) ميمون بن قيس (ت: ٧هـ)، وقد تقدَّمت ترجمته.

(٤) البيتان من المتقارب، من قصيدة مطلعها:

غَشِــيتَ لِلَيلــى بِلَيــلٍ خُدورا ... وَطالَبتَهــا وَنَــذَرتَ الـنُّـذورا

ينظر: ديوان الأعشى في الموسوعة الشعريَّة.

(٥) هذا الشطر من البيت لم يرد في نسخة (ز). وقد ورد في الموسوعة الشعرية بلفظ:

وَمِــن نَســجِ داوُدَ مَوضونَــةً ... تُســاقُ مَعَ الْحَــيِّ عيــرًا فَعيرا

ينظر الموسوعة الشعريَّة.



وكذلك القول في البعث والثواب والعقاب مثل القول في يوم القيامة.

ومن كان يؤمن بجملة البعث إلَّا أنَّه كان يعتقد ويظنُّ أنَّ الله تعالى يحشر الجنَّ والإنس دون كلِّ الخلق، فقال: إن كان لم يسمع بذلك ولا قامت عليه الحجَّة من الكتاب ولا من خاطر قلبه ففيه اختلاف، وإذا تليت عليه الآية: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ ...﴾ الآية[١] فقد قامت عليه الحجَّة، فإن شكَّ بعد أن تليت عليه الآية أو خطر بقلبه فلم يعلمه كَفَرَ.

فصل: [في قوله تعالى: ﴿وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ﴾]

قوله تعالى: ﴿وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ﴾ توكيد، وقرأ ابن هرمز[٢]: (وَلاَ طَيْرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ)، على التوكيد؛ لأنَّ الطيران يكون بالجناحين وبالرجلين، وجميع ما خلق الله ﷻ فليس يخلو من هاتين المنزلتين، إمَّا يدبُّ وإمَّا يطير. يقول الرجل للرجل: طِرْ في حاجتي، أي: أَسْرِعْ، وتقول: الفرس يطير، والسفينة تطير. والفائدة في قوله تعالى: ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ﴾ دون ما لا يطير بجناحيه العلم بأنَّه قَصَدَ إلى جنس ما يطير بجناحيه دون سائر ما يطير لَمَّا كان الطيران يقع على الطير وغيرهنَّ.

وعن ابن عبَّاس: يُحشَر كلُّ شيء حتَّى إِنَّ الذباب لَيُحشَر.

---

(١) الأنعام: ٣٨. وتمامها: ﴿... إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ﴾.

(٢) أبو داود، عبدالرحمٰن بن هرمز (ت: ١١٧هـ) يعرف بالأعرج، من موالي بني هشام، حافظ قارئ من أهل المدينة. وهو أول من برّز في القرآن والسنن. كان خبيرًا بأنساب العرب. رابط بثغر الإسكندريَّة، ومات بها. انظر: الزركلي: الأعلام، ٣/٣٤٠.



مسألة: [حكم الشكّ في آية من القرآن]

ومن شكَّ في آية من القرآن لم يكن يعلمها[١] وهو مؤمن بالقرآن فلا يكون مشركًا حتَّى تقوم عليه الحجَّة، فإذا قامت عليه الحجَّة[٢] فشكَّ كان مشركًا، يُقتل إن لم يتب. وعن أبي محمَّد: إنَّ من شكَّ في القرآن، أو في ثلاث آيات منه، أو في النبيِّ ﷺ، فإنَّه يستتاب من ذلك، فإن تاب وإلَّا قُتل.

وقال أبو معاوية: من شكَّ في النبيِّ ﷺ بعد علمه، أو في القرآن، أو في آية بعد علمه؛ فهو مشرك يُقتل إن لم يتب. وروي عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**من بَلَغَه آيةٌ من كتاب الله فقد بلغه أمر الله كلُّه، قَبِلَهُ أو ردَّه**». وفي رواية: «**يا أيُّها الناس، بلِّغوا ولو آية من /٢١٥/ كتاب الله، فإنَّه من بَلَغَهُ آية فقد بَلَغَهُ أمرُ الله أَخَذَهُ أم تَرَكَهُ**»[٣].

[حكم الشكّ في مخلوقات الله]

ومن شكَّ في السماء والأرض والجبال والناس والدوابِّ والشمس والقمر والنجوم بعد العلم بذلك أو كان جاهلًا، فقامت عليه الحجَّة به فشكَّ فقال: لا أدري أهي السماء التي ذكرها الله تعالى في كتابه وجميع ذلك أم لا؟ فلا يكون بذلك مشركًا ولا كافرًا إذا كان مقرًّا بأنَّ الله [هو] الذي خلق هذا الذي شكَّ فيه، ولا يدري هذه سماء أو غير سماء، وهذه أرض أو غير أرض.

---

(١) في (د): «علمها».

(٢) في (ز): ـ «عليه الحجَّة».

(٣) الطبري: جامع البيان، ١٦٢/٧.



[حكم الشكِّ في التوراة والإنجيل والزبور...]:

وإن قال في التـــوراة والإنجيل والزبور: لا أدري هو من عند الله أو من عند غيره بعد العلم وقيام الحجَّة عليه كان مشركًا يُقتل إن لم يتب.

فإن قال: لا أدري ما في أيدي اليهـــود والنصارى أهو ما أنزله الله تعالى على موسى وعيسى أَمْ لَا، إلَّا أَنِّي لا أشـــكُّ في التوراة والإنجيل أنَّهما من عند الله أنزلهما عليهما؛ فلا يكون مشركًا ولا كافرًا.

وإذا كانت المرأة حائضًا فلم تُعلم زوجها حتَّـــى وطئها فالإثم عليها[١]، وإن لم يعلم أنَّ ذلك لا يجوز فلا يعذر بجهله.

فصل: [حكم من عايَنَ مرتكبًا لكبيرة]

ومن عاين مِمَّن يدين لله تعالى بما[٢] لا يســـع جهلـــه فعليه أن يعلم أنَّه هالك. وأمَّا أن يعلم أنَّ المطيع مثاب وهـــذا العاصي معاقب ففيه اختلاف، منهم من يقول: هو سالم حتَّى تقوم عليه الحجَّة، ومنهم من يقول: إذا حَسُنَ في عقله فعليه أن يعلم ذلك.

ومن عاين مرتكبًا لكبيرة أو صغيرةٍ مستحلًّا لذلك مِمَّا يسع جهل عمله ولا يســـع ركوبه، والمعايِنُ لا يعلم حُرْمَة ذلك؛ فهو سالم ما لم يتولَّه حتَّى تقوم عليه الحجَّة بتضليله فيردَّها هنالك. وأمَّا إن علم حرمة حدثه فهو هالك إن لم يعلم ضلالته.

(١) في (د): «فلم يَعلم زوجُها حتَّى وطئهـــا فلا إثم عليهما». (ز): «فلا إثم عليها. لعله أراد فلا ثم عليها». فاكتفينا بالاحتمال الأقرب.

(٢) في (د): «ما».



وقد قيل أيضًا: إنَّ من عاين مستحلًّا، والمعايِن لا يدري حُرمة الحدث؛ أنَّه لا يسعه جهل ضلالته. ومن علم بحرمة من المحارم بعد إقراره بالجملة، فرأي من يستحلُّ ذلك؛ فلا يكون موسَّعًا عليه أن يضلِّله. وفيه قول آخر مضيِّق. وأمَّا من لم يعلم حرمته فواسع تضليله.

وفيه قول آخر: قال أبو محمَّد: اختلفوا فيمن عاين مستحلًّا يركب حرامًا على استحلال منه لذلك /٢١٦/ أو محرِّمًا يركب حرامًا وهو محرِّم لذلك، والمعايِن لا يعلم حرمة ما رَكِبَا، فقال بعضٌ: يسع من رآهما جَهْلُ ضلالتهما وغير مضيَّق عليه ما لم يتولَّهما. ومنهم من قال: يسعه الوقوف عن المحرِّم، والمستحلُّ لا يسعه الوقوف عنه. والعلَّة لمن قال بذلك أنَّ المستحلَّ يضلِّل من خالفه في ذلك، فإذا ضلَّل من خالفه فيه ونَصَبَهُ دينًا لم يَسَعْ جهل ضلالته[1]. ومنهم من قال: يسعه ما لم يتولَّه ويبرأ مِمَّن برئ منه، أو يقف عنه.

ومن صلَّى في ثوب يشفُّ لم يسعه جهل صلاته فيه، ليلًا كان أو نهارًا، ويلزمه البدل، ولا كفَّارة عليه.

فصل: [وجوب تعلُّم ما لا يسع جهله]

ولا يسع جهل ما جاء من[2] الله ﷻ، ولا يسع جهل ضلالة من ردَّ ذلك ونقضه، ولا جهل تفسيره إذا ذُكِرَ وعرفوا معناه. كما لم يسعهم جهل تفسير التوحيد إذا ذُكِرَ.

---

(١) في (د): «ضلاله».
(٢) في (ز): «عن».

ومن ركب ما لا يســع جهله متعمِّدًا لفعله، من ركوب أو تضييع[١]، مِمَّا يلزمه في تعمُّده الكفَّارات؛ لم يعذر بجهله في الإثم ولا في الكفَّارة، وتلزمه الكفَّارة والتوبة، وعلى كلٍّ تعليم[٢] ما لا يسع جهله.

وقد روي عن بشــير أنَّه مرَّ على رجل نجَّار يقال لــه: محمَّد بن مهزم، وهو حامل قَدُومًا فقال له: لا تعمل بقَدُومك هذا شيئًا حتَّى تتعلَّم ما يسعك جهله. فيجب تعليم العلم لِمَا لا يسع جهله، ويلزم التعبُّد به.

وروي عن بعض الفقهاء أنَّه قــال: على الكلِّ تعليم العلم؛ لأنَّه ليس لأحد أن يعمل عملًا إلَّا بعلم، ولا يأكل ويشرب ويسمع ويبصر ويمشي وينظر وينكح إلَّا بعلم، فإن عمل بغير علم كان مخطئًا، ولا يسعه ركوب ذلك. وإنَّما وسَّــعوا له ما لم يركب إذا كان بعض المسلمين قائمًا بنقل الشرع.

(١) في (د): «ركوب له أو يضيع».
(٢) لعلَّ الأصوب: «تعلُّم». وكذا فيما يأتي.

باب ١٥ ما يسع جهله

[يسع جهل الفرائض والمعاصي ما لم يُبتل بها]

ويسع جهل أداء الفرائض ما لم يُبتل بالعمل بها، فإذا وجب العمل وحضر وقتها لم يسعه ذلك، مثل: الوضوء والصلاة والزكاة والصيام والحجِّ.

وكلُّ ما حرَّم الله تعالى فِعْلَهُ وأَكْلَهُ وشُرْبَهُ من جميع المحارم فواسع جهلُ ذلك كلِّه، ما لم يفعل ويركب شيئًا منه. كذلك سائر الطاعات والمعاصي يسع جهلها ما لم يبتل بعملها ويركب شيئًا منها ويفعلها.

ويسع جهل معرفة قسم /٢١٧/ المواريث والحدود والقصاص وسائر الأحكام التي تشبه هذا، ما لم تقم الحجَّة أو يَحكُمْ بغير ما أنزل الله، أو عطَّل شيئًا من حدود الله، أو يعين على ذلك. فإذا قامت عليه الحجَّة بمعرفة ذلك وجبت عليه، وضاق الشكُّ فيه. وإن حكم فيه بغير ما أنزل الله، أو عطَّل شيئًا من حدود الله، أو أعان على ذلك، هلك.

ويسع جهل ما دان بتحريمه ما لم يركبْ مثله ويتولَّ من ركبه، أو يبرأْ مِمَّن برئ منه[1] الفقهاء، أو يقف عنه.

(١) في (ز): «منه من».

[حكم جهل المسائل الخلافية]

وقال ابن محبوب[١]: القول في خلق القرآن مِمَّا يسع جهله.

وقال: الجنَّة والنار مخلوقتان، ويسع جهل خلقهما.

وقال: كلُّ مـا لم يكن في كتاب الله تعالى له بيان، ولا في سُـنَّة رسول الله ﷺ، ولا في إجماع العلماء، فواسعٌ جهله.

وقال أصحابنا: إنَّ المحرِّمَ واسـع جهل كفره، والمستحلَّ لا يسع جهل كفره، وكثرت الآثار بهذا؛ إلَّا بشـير فإنَّه قال: المسـتحلُّ يسع جهل معرفة كُفْرِهِ لِمَنْ عَلِمَهُ ما لم يَتَوَلَّه. قال أبو محمَّد: وهذا أنظر معي في باب الحجَّة؛ لأنَّه لـو رأى رجلًا ارتكب فعلًا لـم يعلم ما هو لم يكن لـه أن يحكم فيه بشيء بصواب[٢] ولا خطأ، إلَّا أن يعلم صوابه أو خطأه.

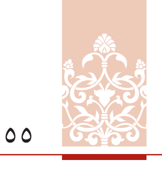
وكذلك لـو رأى رجلين مرتكبين لفعل لا يعلم هـو إباحته ولا حرمته، فقال أحدهما: إنَّ الله تعالى حرَّم عليَّ هذا الذي ارتكبته، وقال الآخر: إنَّ الله تعالى أباح الذي ارتكبت، والسـامع لا يعلم حكم الفعل؛ لكان الواجب أن يبرأ مِمَّن ارتكب ما يقرُّ أنَّه حرام عليه، ولا يبرأ مِمَّن ارتكب ما لا يعلم هو ما يَبْلُغُ به إذا لم يعلم حرمته. وإن علم حرمة ما ركب كان عليه أن يبرأ مِمَّن ركب الحرام، والله أعلم.

وقال أبو الحسـن: من ركب معصية أو أحـدث حدثًا لا يدري ما هو، مسـتحلٌّ له أو محرِّم، ولا ما يَبْلُغُ به فاعله، ولم يسمعه يدَّعي على الله فيه شيئًا؛ فإنَّه يسعه الإمسـاك عنه، ولا يتولَّاه ولا يبرأ منه إذا لم يكن له وليًّا

---

(١) هو: أبو عبد الله، محمَّد بن محبوب بن الرحيل (ت: ٢٦٠هـ)، وقد تقدَّمت ترجمته.

(٢) في (ز): «صواب».



من قبل. فإن قامت عليه حجَّة أنَّ ذلك الشـيء حرام فعليه البراءة منه. فإن علم أنَّ ذلك حرام ولم يعلم أنَّ من ركب مثل ذلك يُبرأ منه وَسِعَهُ الوقوف إذا كان واقفًا سائلًا عن حكم ما يلزمه فيما قد صحَّ معه من ذلك. /٢١٨/ فإن أفتاه مفت بعد السـؤال، أو قامت عليه الحجَّة بأنَّ ذلك الشيء مكفِّر لراكبه، وأنَّ البراءة واجبة عليه؛ فعليه البراءة مِمَّن[١] فَعَلَهُ، ولا يسعه الشكُّ بعد قيام الحجَّة.

مسألة: [حكم تعلُّم ما يسع جهله وما لا يسع]

والذي يسـع الناسَ جهلُهُ فعليهم إذا سمعوا به وعرفوا معناه أن يعتقدوا تعلّمه، ولا شيء عليهم إن لم يَعْلَمُوهُ. وإن اعتقدوا ترك التعلُّم أثموا.

وأمَّا ما لا يسـعهم جهله فعليهم فعله إذا بُلُوا به، ووجب عليهم فعله في حاله، تعلَّموه أو جهلـوه. وإن اعتقدوا ترك تعلمـه[٢] قبل مجيء وقته أثموا. وإن لم يتعلَّموه ولا اعتقدوا التـرك، ولا حضر وقت العمل به؛ فلا شيء عليهم، كأنَّه عليهم أن يعتقدوا بعد العلم إذا عرفوا معناه، وإن اعتقدوا ترك تعلُّمه[٣] هلكوا، والسؤال لا يلزمهم، وإنَّما يلزم العمل بما يجب به إذا حضر وقته والاعتقاد[٤] لتعلُّم ما لا يعلمونه مـن العلم إذا علموا أنَّ العلم فرض تعلُّمه على الكافَّة فقد وجب الاعتقاد لتعلُّمه. وجهلهم بفرض تعلُّمه هو وقتٌ له. فأمَّا ما لم يلزم فعله في وقته من الأعمال فيجب الفعل، علموه

(١) في النسخ: «من».
(٢) في (د): «الترك لتعلُّمه».
(٣) في (د): «تعليمه».
(٤) في (د): ـ «والاعتقاد».



أو لم يعلموه. والسؤال إنَّما هو آلة[١] للتعليم، فإن علموه بسؤال فجائز، وإن علموه بغير سؤال فجائزٌ مُجْزٍ لهم.

مسألة: [في نماذج من أحكام يسع جهلها]

ويسع الوقوف في الأطفال؛ لأنَّه مِمَّا يسع جهله حتَّى يصحَّ أمرهم.

والدجَّال مختلف فيه، ثـبَّته قوم وأنكره آخرون، وهو مِمَّا يسع جهله، وقولنا فيه قول المسلمين.

ويسع جهل معرفة الصلاة، فرائضِها وسننها، من تحريمها إلى تحليلها، والوضوءِ، ما لم يحضر الوقت، فإذا حضر لم يسع.

وكذلك يسع جهل معرفة الطهارة، وغسل الأنجاس، وما يفسد الوضوء، ما لم يَركب شيئًا يُفسد عليه.

ويسع جهلُ معرفةِ القبلة، ولبسِ الثياب الطاهرة في الصلاة، والصلاة على البقعة الطاهرة، والنيَّة للصلاة، وكذلك الغسل من الجنابة والحيض والاستحاضة، وما يُجتنب في الصوم ويفسده، وكذلك الكفَّارات في العتق والطَّعم والصوم، وكذلك علم ما يجب فيه الجزاء والدم في الإحرام، وصلة الأرحام /٢١٩/ وحقُّ الجار والزوجات والأولاد والمماليك، والجهاد في سبيل الله، والزنا، وشرب الخمر، وقذف المحصنات، وتحريم الدماء والأموال، وتحريم الأمَّهات والبنات والأخوات والجدَّات والعمَّات والخالات وذوات المحارم من الرضاع والنسب، وكذلك الميتة، والدم، ولحم الخنزير، وجميع المحارم كلِّها، والربا، والسلف، ووفاء المكيال

(١) في (د): «له».



والميزان، وغير ذلك مِمَّا هو في معناه مِمَّا حَرَّمَه الله تعالى في كتابه ورسوله ﷺ؛ كلُّ ذلك واسع جهل معرفته ما لم يحضر وقته، ويجب العمل به، أو يُركب شيء منه. فإن حضر وقته، ولزم وجوبه، أو رُكب محظور منه؛ لم يَسَعْ جهله ولا فعله على علم ولا بخطأ. ولزم العمل به على ما أُمر به، إلَّا الميتة والدم ولحم الخنزير وشرب الخمر فإنَّه معذور فاعله في حال الاضطرار غير باغ ولا عاد. وهذه جملة تدلُّ على غيرها [لـ]ـمن تدبَّر[1] معانيها، وأمعن النظر فيها، والتوفيق بالله عَزَّ وَجَلَّ.

(١) في (د): «تدبير».

تَمَّ الجزء الثاني من كتاب[١] الضياء

ويتـلـوه:

الجزء الثالث إن شاء الله[٢]:
«باب في شيء من الأصول والواجب على من أراد التفقُّه أن يعرف أصول الفقه»[٣].

وصلَّى الله على محمَّد النبيِّ وآله وسلَّم[٤]

(١) في (د): ـ «كتاب».

(٢) في (د): + «الجزء في شيء من الأصول».

(٣) قال ناسخ مخطوطة (د) ما يأتي: «ووافق فراغه على يد العبد المحتاج إلى رحمة ربِّه عبد الله بن محمَّد بن عبد الله بن محمَّد الصقري الأزكوي. وكا[ن] تمامه ظهر الجمعة يوم الثلاثين من شهر الله الأصم وهو شهر رجب، من شهور سنة ست سنين وسبعين سنة وألف سنة من الهجرة النبويَّة [١٠٧٦/٧/٣٠هـ] على مهاجرها أفضل الصلاة والسلام».

(٤) قال ناسخ مخطوطة (ز) ما يأتي: «وكان الفراغ من نسخ هذا الجزء المبارك نهار يوم الثلاثاء ثامن شهر ذي القعدة الحرام، من شهور سنة سبع وخمسين وتسعمائة سنة هجريَّة نبويَّة [٩٥٧/١١/٨هـ]، على مهاجرها الصلاة والسلام، على يدي مالكه من فضل من مالكه العبد الفقير لله تعالى الراجي رحمة ربِّه القدير عمر بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن عمر بن أحمد بن بني علي بن معد بيده لنفسه، رجاء ثواب الله تعالى، وخوفًا من عقابه، جعله الله حجَّة له لا عليه يوم يقوم الأشهاد. وقد كنت ابتدأت بنسخه قبل ما أسافر إلى بيت الله الحرام، وسافرت إلى بيت الله الحرام في سنة ستٍّ وخمسين وتسعمائة، ورجعت من السفر وأتممته في هذه السنة، على الطاقة والإمكان بالمسجد الجامع من بهلا من قرى عُمان. وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد النبيِّ وآله وسلَّم. ولا حول ولا قوَّة إلا بالله العليِّ العظيم. عُرض هذا الكتاب على نسخته التي نُسخ منها».





المحتويات



فيما يجوز من صفات الله تعالى وما لا يجوز

تِتِمَّة كتاب التوحيد، والأسماء والصفات


كتاب
الضياء





